

نَهَائِيَةُ الْكَاتِبِ

فِي

فُتُورِ الْكَاتِبِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

المجلد العشرون

مراجعة

أبراهيم مصطفى

تحقيق

محمد رفعت فتح الله

جزء
معين التارخ
لأهل التارخ



المكتبة القومية لكتاب ووثائق

١٩٧٥

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

يصدرها

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

بالاشتراك مع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٥٦٧) تَمَّ الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ التَّارِيخِ (١)
 ٥٦٨) تَمَّ الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْحِزْمِ الْإِسْلَامِيِّ
 ٥٦٩) تَمَّ الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْحِزْمِ الْإِسْلَامِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى [١]

ذكر خلافة علي بن أبي طالب

رضى الله عنه

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ،
 أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أسلمت ، وهاجرت ، وهى أول
 هاشمية ولدت (هاشمياً ، وهو أول خليفة أبواه) (٢) هاشمياً ،
 ثم ابنه الحسن ، ثم محمد الأمين ، رضى الله عنهم (٣)

ذكر صفته

رضى الله تعالى عنه

قال ابن الأثير الجزرى فى تاريخه (٤) : كان - رضى الله عنه -
 شديد الأذمة ، قصير القامة (٥) ، كبير البطن ، أضلع الرأس ،
 عريض اللحية .

(١) ذكر هذا الافتتاح فى نسخة (ص) ، ولم يثبت فى نسخة (ك) و (ن) .

(٢) سقط هذا من نسخة (ك) ، وثبت فى (ص) و (ن) .

(٣) جاء فى أسد الغابة ج ٥ ص ١٧٠ أن فاطمة بنت أسد وهى أول هاشمية ولدت لهاشئ
 وهى أيضاً أول هاشمية ولدت لخليفة ، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولدت الحسن ، ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الأمين ، لانعم غيرهن ، ثم إن هؤلاء الثلاثة
 لم يصف لهم الخلقة .

(٤) الكامل ج ٣ ص ١٩٩ .

(٥) الذى قاله ابن الأثير فى تاريخه : هو إل القصر أقرب ، وهذا هو المناسب لما يأتى .

وقال أبو عمر ابن عبد البر^(١) رحمه الله : أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ فِي صِفَتِهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ رُبْعَةً^(٢) مِنَ الرِّجَالِ ، إِلَى الْقِصْرِ مَا هُوَ ، أَدْعَجٌ^(٣)
الْعَيْنَيْنِ ، حَسَنَ الْوَجْهِ ، كَأَنَّهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ حُسْنًا ، ضَخَمَ الْبَطْنَ
عَرِيضَ الْمَنْكِبَيْنِ ، شَتْنَ الْكَفَّيْنِ^(٤) ، أَغْبَدَ^(٥) ، كَانَ عُنُقُهُ
إِبْرِيْقُ فُضَّةٍ ، أَصْلَعَ لَيْسَ فِي رَأْسِهِ شَعْرٌ إِلَّا مِنْ خَلْفِهِ ، كَبِيرُ اللَّحْيَةِ ،
لَمَنْكَبِيَّةٌ مُشَاشٌ^(٦) كَمَشَاشِ السَّبْعِ الْمَضَارِي ، لَا يَبِينُ^(٧) عَضْدُهُ مِنْ
سَاعِدِهِ ، قَدْ أَدْمَجَتْ أَدْمَاجًا^(٨) إِذَا مَشَى تَكَفَّأً^(٩) ، وَإِنْ أَمْسَكَ بِذِرَاعِ
رَجُلٍ أَمْسَكَ بِنَفْسِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَفَّسَ ، وَهُوَ إِلَى السُّمَنِ مَا هُوَ .
شَدِيدُ السَّاعِدِ وَالْيَدِ ، إِذَا مَشَى إِلَى الْحَرْبِ هَرَوَلٌ^(١٠) ، ثَبَتَ الْجَنَانُ^(١١)
قَوًى شَجَاعٌ ، مَنْصُورٌ عَلَى مَنْ لَاقَاهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) فِي كِتَابِهِ «الاسْتِيبَابُ فِي أَسْمَاءِ الْأَصْحَابِ» ج ٣ ص ٥٧ ، ثُمَّ انْظُرْ
(وَقْتَةَ صَفِين) ص ٢٦٢ .

(٢) لَيْسَ بِالطَّرِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْبَائِنِ : وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي وَصْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا تَقْدِمُ ج ١٨ ص ٢٣٧ ، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الطَّوْلِ ، وَعَلِيًّا كَانَ
أَقْرَبَ إِلَى الْقَصْرِ .

(٣) شَدِيدُ سَوَادِ الْعَيْنَيْنِ مَعَ مَسْتَهْمَا .

(٤) أَيْ أَنَّهُمَا تَحْمِلَانِ إِلَى الْفَلْظِ .

(٥) مَائِلُ الْمُتَقَلِّبِينَ الْأَعْطَافِ .

(٦) الْمَشَاشُ : رَمُوسُ الْمَنْظَمِ .

(٧) فِي الْاسْتِيبَابِ : «لَا يَبِينُ» : وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٨) أَوْرَدَ صَاحِبُ الرِّيَاضِ النَّفْرَةِ ج ٢ ص ١٥٦ صَفْحَةً عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَشْتَبِلَةً عَلَى مِثْلِ
مَاهِنًا ، ثُمَّ قَالَ فِي شَرْحِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْهَا : «يُرِيدُ أَنْ عَظُمَ عَضْدُهُ وَسَاعَدَهُ لِيْنَهُمَا قَدْ ائْتَمَجَا .
وَهَكَذَا هُوَ فِي صَفَةِ الْأَسَدِ ، وَالْمَضَارِي : الْمُتَمَوِّدُ لِلصَّيْدِ » ١٠ «فَيَكُونُ» أَدْمَجَتْ «بِشَدِيدِ
الدَّالِ بِمَعْنَى «أَدْمَجَتْ» ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُ «أَدْمَجَتْ» بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الدَّالِ وَكُسرِ الْمِيمِ :
لِقَوْلِ الْمُتَوَمِّينِ : رَجُلٌ مَدْمُجٌ بِسُكُونِ الدَّالِ أَيْ كَالْحَبْلِ الْمُحْكَمِ الْقَتْلِ .

(٩) أَسْرَعَ فِي الْمَشْيِ كَأَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى قَدَامِ مَنْ سَرَعَتْ مَشِيَّتُهُ .

(١٠) أَسْرَعَ فِي الْمَشْيِ دُونَ أَنْ يَمْلَأَ .

(١١) ثَابِتُ الْقَلْبِ .

ذكر نبذة من فضائله

رضي الله تعالى عنه

هو - رضي الله عنه - أول من أسلم ، عند بعضهم ، على ما في ذلك من الاختلاف فيه وفي أبي بكر ، رضي الله عنهما ، وأيهما سبق إلى الإسلام ... وقد ذكرنا ذلك كله في ابتداء السيرة النبوية ، في السفر الرابع عشر من هذه النسخة ^(١) ، فلا فائدة في إعادته ، فلنذكر من فضائله خلاف ذلك :

أجمعوا ^(٢) على أنه - رضي الله عنه - صلى إلى القبلتين ، وهاجر وشهد جميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا غزوة تبوك ^(٣) ، فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام خلفه بالمدينة على عياله ، وقال له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي . رواه جماعة من الصحابة ^(٤) .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آخى بين المهاجرين ، [ثم آخى بين المهاجرين والأنصار ^(٥)] ، قال في كل واحد منهما لعلّي : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » ، وآخى بينه وبين نفسه . ولذلك قال علي لأصحاب الشورى ^(٦) : أنشدكم ^(٧) الله ، هل

(١) أنظر ص ١٨٠ من السفر السادس عشر من هذه النسخة المطبوعة .

(٢) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٣ .

(٣) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وقد سبق « ذكر غزوة تبوك » في الجزء

السابع عشر ص ٣٥٢ .

(٤) أنظر صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٧٥ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢ وغيرها .

(٥) سقطت هذه الجملة من (ك) ، وثبتت في (ص) ، (ن) كما في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٥

وقد سبق في نهاية الأرب ج ١٦ ص ٣٤٧ قوله : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض » وآخى بين المهاجرين والأنصار .

(٦) روى ابن عبد البر بسنده عن أبي الطفيل قوله : لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي

وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد : فقال لهم علي : أنشدكم الله . . الخ

(٧) أنشدكم : أسألكم واستحلفكم .

فيكم أحدٌ آخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينه - إذ آخى بين المسلمين - غيرى ؟ قالوا : اللهم لا وربنا . وكان يقول : أنا عبدُ الله وأخو رسولِ الله ، لا يقولها أحدٌ غيرى إلا كَذَابٌ .

وروى بُرَيْدَةُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَجَابِرُ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ ، كُلُّهُمْ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم غَدِيرِ خُثَمٍ ^(١) : « من كنتُ مَوْلَاهُ فعلى مَوْلَاهُ » وفى رواية بعضهم « اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه » .

وقد ذكرنا ^(٢) فى غزوة خَيْبَر أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لأُعْطِينَ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويحبهُ اللهُ ورسولُهُ ليس بفرارٍ ، يفتحُ الله على يديه » وأنه أعطى الرايةَ لعلى ، ففتح الله على يديه .

وبعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى اليَمَنِ ، وهو شابٌ ، لِيَقْضَىَ بينهم ، فقال : يا رسولَ الله إني لأدري ما التَّضَاء ؟ فضرَبَ

(١) « خُم » اسم رجل صباغ . أضيف إليه الغدير الذى بالبحفة بين مكة والمدينة . وقد جاء فى الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩ قول البراء بن عازب : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فنزلنا بغدير خُم ، فنودى فينا : « الصلاة جامعة » وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، فصلى الظهر ، وأخذ بيد على وقال : أَلَسَمْتُمْ تَمْلِكُونِ أُنَى أَوَّلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ أَنفُسَهُمْ قَالُوا : بلى ، فأخذ بيد على وقال : اللهم من كنت مَوْلَاهُ فعلى مَوْلَاهُ ، اللهم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه ، وجاءت فى صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٧٩ رواية أخرى عن زيد ابن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماه يلقى « خُما » بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ، ثم قال فى آخر الحديث : أذكركم الله فى أهل بيتي ، أذكركم الله فى أهل بيتي ، أذكركم الله فى أهل بيتي . وانظر البداية والنهاية ج ١٧ ص ٣٤٦ .

(٢) ج ١٧ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، وانظر فى صحيح البخارى الحديثين ٣٤٦٥ ، ٣٤٦٦ . وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٧٦ .

رسولُ الله عليه الصلاة والسلام صدره بیده وقال : « اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَسَدِّدْ لِسَانَهُ ^(١) » قال عليُّ فوالله ما شككتُ بعدها في قضاء بينَ اثنين .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٢) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمةَ وعليًا وحسنا وحسينا في بيت أم سلمة وقال : اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ ^(٣) وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ^(٤) .

قال أبو عمر : وروى طائفة من الصحابة أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ : لا يَحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ .

وقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام : « يَهْلِكُ ^(٥) فِيكَ رَجُلَانِ : مُحِبٌّ مُطَرَّ ^(٦) وَكَذَّابٌ مُفْتَرٍ ^(٧) » .

وقال له : « تَفْتَرُقُ فِيكَ أُمَّتِي كَمَا افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي

عِيسَى .

(١) سدّد لسانه : قومه ووقفه لسانه ، أى الصواب .

(٢) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٣) الرّجس : الإثم ، أو كل مستفتر من عمل ، كما ذكره النووي .

(٤) هذا الحديث ذكره الترمذى في صحيحه برواية أخرى فانظره بشرح النووي

ج ١٥ ص ١٩٤ ، وهناك ج ١٥ ص ١٧٥ رواية يتعلّق بآية أخرى .

(٥) كذا جاء في (ن) و(س) والاعتصاف ج ٣ ص ٣٧ ، وفي (ك) : « هلك » .

(٦) « مطر » من الإطراء ، وهو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه .

(٧) « مفتر » من الاتراء ، وهو اختلاق الكذب . . وقد روى أحمد عن علي رضي الله

عنه قوله « يهلك في رجلان : محب مفرط بما ليس في ، ومبغض يحمله شئاً في على أن يهني » .

وفي شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة ج ١ ص ٣٧٢ رواية لقول علي « يهلك في رجلان : محب

غال ومبغض قال » . وجاء في نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٠٦ قول علي « وسيلهك في صنفان : محب

مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق . ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا مدينة العلم ، وعلى بابها ، فمن أراد العلم فليأتني من بابي » .

وقال في أصحابه : « أقضاهم علي » .

وقال عمر رضي الله عنه : « علي أقضانا » .

وكان عمر يتعوذ بالله من مُعْضَلَةٍ ليس لها أبو حسن ^(١) !

وقال علي في التي وضعت لستة أشهر ^(٢) ، فأراد عمر ^(٣) رجمها :

إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ ^(٤)

[ويقول ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ ^(٥)] ^(٦) .

وكان - رضي الله عنه - أعلم الناس بالفرائض ^(٧) ، وله في ذلك أخبار .

منها ما رواه أبو عمر ابن عبد البر ^(٨) بسنده عن زِرِّ بن حُبَيْش قال : جلس رجلان يتغديان ، مع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلما وضعوا الغداء بين أيديهما مرَّ بهما رجل ، فسلم ،

(١) في النهاية ولسان العرب : (معضلة) أراد المسألة الصعبة أو الخطة الضيقة الخارج من الإعضال أو التفصيل ، ويريد بأبي حسن علي بن أبي طالب .

(٢) ذكر الطبري وابن كثير في تفسيرهما أن امرأة من جهينة تزوجت رجلاً من قبيلتها ثم ولدت لستة أشهر بعد دخولها عليه .

(٣) تبع المؤلف أبا عمر ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩ ولكن الذي رواه الطبري وابن كثير في تفسيريهما عن الجهني أن الذي أراد الرجم هو عثمان رضي الله عنه .

(٤) الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

(٥) الآية ١٤ من سورة لقمان .

(٦) زيادة - عن ابن جرير وابن كثير في تفسيرهما - يتم بها الاستدلال ، وجاء في رواية أخرى قوله تعالى « حولين كاملين » .

(٧) الفرائض : علم قسمة الموارث . وهي مأخوذة في اللغة من الفرض : بمعنى التقدير ، لأن الموارث مقدرة .

(٨) في الاستيعاب ج ٣ ص ٤١ - ٤٢ .

فقالا له : [اجلس] ^(١) للغداء . فجلس وأكل معهما ، واستوفوا
 في أكلهم الأرغفة الثمانية ، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم ، وقال
 خذا هذه عوضاً مما أكلتُ لكما ونِلْتَه من طعامكما . [فتنازعا ،] ^(٢)
 وقال صاحب الخمسة الأرغفة : لى خمسة دراهم ولك ثلاثة . فقال
 صاحب الأرغفة الثلاثة : لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين .
 فارتفعا إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، فقصا عليه قصتهما ،
 فقال لصاحب الثلاثة [الأرغفة] ^(٣) : قد عرض عليك صاحبك
 ماعرض وخُبِرَه أكثر من خبزك فأرض بالثلاثة . فقال : لا والله لا رضيتُ
 منه إلا بمرّ الحق . فقال على : ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد
 وله سبعة . فقال الرجل : « سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! هو يعرض
 على ثلاثة فلم أرض وأشرت على بأخذها فلم أرض ، وتقول لى
 الآن : إنه لا يجب لك إلا درهم واحد ! » فقال له [على] ^(٤) :
 « عرض عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحاً ، فقلت : لا أرضى
 إلا مر الحق ، ولا يجب لك في مر الحق إلا واحد . » فقال له الرجل :
 فعرّفنى ^(٥) الوجه في مر الحق حتى أقبله . فقال : « أليس للثمانية
 الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً ؟ أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس : ولا نعلم
 الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل ، فتحملون [فى] ^(٦) أكلكم على
 السواء . » قال : بلى . قال : فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، [وإنما لك
 تسعة أثلاث . وأكل صاحبك ثمانية أثلاث] ^(٧) . وله خمسة

(١) زيادة من الاستيعاب .

(٢) كذا جاء الاستيعاب . وفى النسخة (ك) : « تعرفى » . وفى النسخة (ن) : تعرفى»

غير منقوطة الحرف الأول .

عشرَ ثُلُثًا ، أَكَلَ مِنْهَا ثَمَانِيَةً وَتَبَقِيَ [لَهُ] ^(١) سَبْعَةٌ ، وَأَكَلَ لَكَ وَاحِدًا مِنْ نِسْعَةٍ ، فَالِكَ وَاحِدٌ بِوَاحِدِكَ ، وَلَهُ سَبْعَةٌ [بِسَبْعَتِهِ] ^(١) . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : رَضِيتُ الْآنَ ! .

وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَتْ : تَرَكَ أَخِي سِتِّمِائَةَ دِينَارًا وَأَعْطَيْتُ دِينَارًا ! (وَتَظَلَمْتُ مِنْ ذَلِكَ) فَقَالَ : لَعَلَّ أَخَاكَ تَرَكَ زَوْجَةً وَأُمًّا وَبَنَتَيْنِ وَاثْنَيْ عَشَرَ أَخًا وَأَنْتِ . قَالَتْ : نَعَمْ . فَقَالَ : قَدْ أَسْتَوْفَيْتِ حَقَّكَ (٢) . وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَشْهُورَةٌ مَسْطُورَةٌ فِي كُتُبِ الْفَقْهِ ، وَتُسَمَّى « الدِّينَارِيَّة » وَ « الْمَنْبَرِيَّة » ^(٣)

وهو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هُوَ وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَسَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ غَثَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ^(٤) .

وَعَنْ ^(٥) مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ : لَمَّا بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ

(١) زيادة من الاستيعاب .

(٢) لِلزَّوْجَةِ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ دِينَارًا (الثَّمَنُ) وَلِلْأُمِّ مِائَةُ دِينَارٍ (السُّنَسُ) وَلِلْبَنَتَيْنِ أَرْبَعُمِائَةُ دِينَارٍ (الثَّلَاثَانُ) .

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا ، لِإِخْوَتِهَا أَرْبَعَةٍ وَعِشْرُونَ - كُلُّ مِثْمَلٍ دِينَارَانِ - وَهَذَا دِينَارٌ وَاحِدٌ .

(٣) تُطْلَقُ « الْمَنْبَرِيَّة » فِي كُتُبِ الْفَقْهِ وَالْمِيرَاثِ عَلَى مَسْأَلَةِ أُخْرَى لِلْإِمَامِ عَلَى أَيْضًا وَقَدْ كَانَ يُخْطَبُ عَلَى مَنبَرِ الْكُوفَةِ ، قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ١ ص ٦ : « وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْمَنْبَرِيَّةِ صَارَ نَحْمًا تَحْمًا ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ لَوْ أَفْكَرَ الْفَرَضِيُّ فِيهَا فَكَّرَا طَوِيلًا لَا تَحْسُنُ مِنْهُ بِمَدِّ طَوْلِ النَّظَرِ هَذَا الْجَوَابُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ قَالَهُ بِدِهْيَةٍ وَاقْتَضِيَةِ ارْتِجَالًا ؟ ! » .

(٤) كَانَ سَالِمُ بْنُ مَعْقِلٍ مِنَ الْفُرْسِ ، وَأَعْتَقَتْهُ مَوْلَاةُ زَوْجَةِ أَبِي حَذِيفَةَ ، فَتَوَلَّى أَبَا حَذِيفَةَ ، وَتَبَنَاهُ أَبُو حَذِيفَةَ إِلَى أَنْ جَاءَهُ حُكْمُ النَّبِيِّ . « وَقَدْ صَارَ سَالِمٌ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ وَقَرَأَهُمُ الْمَعْرُوفِينَ .

(٥) رَوَى صَاحِبُ الْإِسْتِيعَابِ ج ٢ ص ٢٥٣٤ هَذَا الْخَبْرَ بِسَنَدِهِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٦ وَالسَّيُوطِيُّ فِي الْإِتْقَانِ ج ١ ص ٥٩ وَصَاحِبُ تَرْيَاضِ النَّفْسَةِ ج ١ ص ١٦٨ .

الله عنه أبطاً [على] (١) عن بيعته وجلس في بيته ، فبعث (٢)
إليه أبو بكر : ما بَطَّأ بك عنى ؟ أكرهت إمارتي ؟ فقال : ما كرهت
إمارتك ، ولكنني آليتُ أن لا أرتدى ردائي - إلا إلى صلاة - حتى أجمع
القرآن ! : قال ابن سيرين : فبلغني أنه كتبه على تنزيله ، ولو وجد
ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير .

وفي على - رضى الله عنه - يقول إسماعيل بن محمد الحميري
من أبيات :

سائل قريشاً ها إن كنت ذا عمه (٣) :
مَن كان أثبتّها في الدين أوتادا ؟
مَن كان أقدمها سلماً (٤) وأكثرها
علماً وأظهرها أهلاً وأولادا ؟
مَن وحد الله إذ كانت مكذبة
تدعو مع الله أوثاناً وأندادا ؟
مَن كان يُقدِّم في الهيجاء إن نكلوا (٥)
عنها وإن بخلوا في أزمة جادا ؟

(١) سقط هذا من (ص) . وثبت في (ك) و (ن) كما في الاستيعاب .
(٢) جاء قبل هذا عند ابن أبي الحديد قوله : « فقبل لأبي بكر : إنه كره إمارتك »
(٣) العمه : التردد والتعير .
(٤) كذا جاء في المخطوطة و « السلم » قد جاء في الشعر بمعنى الإسلام ، كقول امرئ
القيس بن هاشم :
فلست ميلاً بالله رباً ولا مستبدلاً بالسلم ديناً
وجاء بيت إسماعيل الحميري في الاستيعاب ج ٣ ص ٦٧ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٠ بلفظ « من كان
أقدم إسلاماً وأكثرها . . . » .
(٥) الهيجاء : الحرب . ونكلوا : تأخروا وجبنوا .

مَنْ كَانَ أَغْدَلَهَا حُكْمًا وَأَبْسَطَهَا
 علما وأصدقها وعدًا وإيعادًا ؟
 إِنْ يَصْدُقْكَ فَلَنْ يَغْدُوا أَبَا حَسَنِ
 إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ لِلْأَبْرَارِ حُسَادًا !
 إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ أَقْوَامًا ذَوِي صَلَافٍ (١)
 ذَوِي (٢) عِنَادٍ لِحَقِّ اللَّهِ جُحَادًا !
 وفضائله - رضى الله عنه - ومآثره كثيرة ، وفيما أوردناه
 منها وما نُورِدُهُ بعدُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - كفايةً عن بَسْطِ . . فلنذكر
 بَيِّنَتَهُ رضى الله عنه .

ذكر بيعة على

رضى الله تعالى عنه

بُيُوعَ لَهُ - رضى الله عنه - [بالخلافة (٣)] يَوْمَ قُتِلَ عُمَانُ (٤) وَقِيلَ :
 بَلْ بُيُوعَ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ
 وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي كَيْفِيَةِ بَيْعَتِهِ :

فَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ عُمَانُ - رضى الله عنه - اجتمع أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المهاجرين والأنصار ، فاتوا عليًا ،

(١) الصلف : ادعاء ما لا يوجد إعجاب وتهكبرا ، والتكلم بالملكروء .
 (٢) فى (ك) : « وذوى » . وفى (ن) و (ص) : « وفى » . وفى الاستيعاب
 وأسد الغاية : « وذا » .
 (٣) زيادة من الاستيعاب ج ٣ ص ٥٥ حيث نقل المؤلف منه هنا .
 (٤) قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس
 وثلثين .

وقالوا [له] ^(١) : إنه لأبد للناس من إمام ، فقال : لاجاجة لي في أمركم ، من اخترتم رضيته . قالوا : لا نختار غيرك . فقال : لا تفعلوا ، فإنني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً . فقالوا : والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك . قال : ففى المسجد ، فإن بئعتي لا تكون خفياً ^(٢) ، ولا تكون إلا [عن رضا المسلمين] . ^(٣)

وكان في بيته ، وقيل : في حائط ^(٤) لبني عمرو بن مئول ، ^(٥) فخرج إلى المسجد يتوكأ على قوس ، فبايعه الناس .

وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله ، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب ، فقال : « إنا لله ^(٦) ! أول من بدأ البيعة ^(٧) يد شلاء ! ^(٨) لا يتم هذا الأمر » . وبايعه الزبير ، فقال لهما : إن أحببتهما أن تبايعاني وإن أحببتهما بايعتكما . فقالا : بل نبايعك . وقالوا بعد ذلك : إنما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا ، وعرفنا أنه لا يُبايعنا .

(١) كذا جاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٨ حيث نقل المؤلف منه هنا . وفي المخطوطة وأتوه وقالوا : « .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل : « خفيه » .

(٣) هكذا جاءت الرواية في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٣ ص ٤٥٠ وهي الأصل ، ونقلها ابن أبي الحديد في شرح منج البلاغة ج ٣ ص ٤ . وجاء في المخطوطة والكامل « في المسجد » وقد سبق . كر « المسجد » في هذا الكلام .

(٤) الحائط - ههنا - : البستان من التخييل ونحوه إذا كان عليه جدار .

(٥) فرع من الخرج ، وقد كان أكثر الأنصار - من الأوس والخزرج - يؤمنون علياً .

(٦) هكذا جاء في المخطوطة فيما لابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٩٨ وجاء في رواية أخرى

لابن الأثير - بعد ذلك - - ص ٩٩ : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٧) هكذا جاء المخطوطة فيما لابن الأثير في الرواية الأولى . وفي الرواية الأخرى :

« أول يد بايعت » .

(٨) كان طلحة قد أبلى في يوم أحد - يلاه حسناً ، ووفق النبي بنفسه ، فالتقى النبل عن

بيده حتى شلت أصابعه . وسبب المؤلف ذلك في ذكر مقتل طلحة » .

وبايعة الناس ، وجاءوا ، بسعد بن أبي وقاص^(١) ، فقال له
عليّ : بايع . فقال : « لا ، حتى يبايع الناس ، والله ماعليك مني بأس »
قال : خلوا سبيله .

وجاءوا بابن عمر^(٢) ، فقال مثل قوله^(٣) ، فقال : انتنى
بكفيل^(٤) ، فقال : لأرى كفيلًا . قال الأشرّ : دغني أضرب
عنقه ! قال [عليّ]^(٥) : « دعو ، أنا كفيله ، - إنك - ما علمت -
سبى الخلق صغيرًا وكبيرًا ! » .

وبايعة الأنصار إلا نفرًا يسيرًا ، منهم حسان بن ثابت ، وكعب
بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد الخدري^(٦) ومحمد بن
مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ورافع بن خديج ،
وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ، كانوا^(٧) عثمانية .

ولم يبايع أيضا عبد الله بن سلام ، وصهيب بن سنان ، وسلمة^(٨)

(١) سعد هو أحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى ، كطلحة والزبير ، ولما قتل عثمان
احتزل الفتنة ولزم بيته . . .

(٢) كان عبد الله بن عمر من أهل الودع ، ولودعه أشكلت عليه حروب علي وقعد عنه :
انظر الاستيعاب ج ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) أي قال : « لا حتى يبايع الناس » .

(٤) أي : ضلن ألا ترح ، وفي تاريخ ابن جرير الطبري ج ٣ ص ٤٥١ « ابني بحميل » :
وهو الحميل بمعنى الكفيل ، وفي شرح ابن أبي الحديد لمج البلاة ج ١ ص ٣٤٠ « فأعطى
حميلًا ألا ترح » .

(٥) الزيادة عنه ابن جرير وابن الأثير .

(٦) هو سعد بن مالك ، نسب إلى جده « الأجر » الذي يقال له خذرة .

(٧) هكذا في النسخين (ن) و (ص) . وفي « ك » : « وكانوا » .

(٨) في المخطوطة « مسلمة » والتصويب من الكامل والقاموس وشرحه ، وتجد ترجمته
في الاستيعاب ج ٢ ص ٨٦ والإصابة برقم ٣٣٨١ ج ٢ ص ٦٥ .

ابن سلامة بن وقش، وأسامه بن زيد، وقدامة بن مضعون، والمغيرة ابن شعبة .

وأخذ النعمان بن بشير قميص عثمان الذي قُتل فيه وأصابه امرأته نائلة ^(١) ، وسار بهم ^(٢) إلى الشام .

وقيل في بيعته : إنَّ عثمان لما قُتل بقيت المدينة خمسة أيام . وأميرها الغافقي بن حرب ، وهم يلتمسون من يُجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، فأتى المصريون علياً فباعدهم ، وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم ، وأتى البصريون طلحة فباعدهم ، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يلى الخلافة ، فأرسلوا إلى سعد يطلّبونه ^(٣) فقال : إني وابن عمر لاجبة لنا فيها ، وأتوا ابن عمر فلم يُجبههم ، فبقوا حيارى ، وقال بعضهم لبعض : لئن رجع الناس إلى أمصارهم بغير إمام لم نأمن الاختلاف وفساد الأمة ، فجمعوا أهل المدينة وقالوا لهم : يا أهل المدينة ، أنتم أهل الشورى ، وأنتم تَعقِدون الإمامة ، وحكمكم جائز على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصبونه ، ونحن لكم تبع ، وقد أجلناكم ^(٤) يومكم ، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن ^(٥) علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً . فغشى الناس علياً ، فقالوا : نُبایعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابْتُلينا به من بين القُرى ! فقال علي :

(١) لما جاء المعتدون ليقتلوا عثمان انكبت عليه زوجته فائلة واتمت . السيف بيدها فقطع أصابعها .

(٢) كذا وقع في المخطوطة . وفي الكامل : « به » .

(٣) بعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فأقدم نبأيت .

(٤) كذا في النسختين (ن) و (ص) . والكامل لا بن الأثير . وفي (ك) : « أجلنا لكم » .

(٥) في الكامل : « لنقتلن غدا » .

« دَعُونِي وَاتَّعِظُوا غَيْرِي » ، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجْهٌ وَلَهُ أَلْوَانٌ ،
لَا تَقُومُ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَلَا تُثَبِّتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ » فقالوا : « نَنْشُذُكَ اللَّهُ ! ،
أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى الْإِسْلَامَ أَلَّا تَرَى الْفِتْنَةَ ؟ أَلَا تَخَافُ
اللَّهَ ؟ » قال : « قَدْ أَجَبْتُكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنِ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ
بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَإِنْ تَرَكَتُمُونِي فَإِنَّمَا أَنَا كَأَحَدِكُمْ ^(١) إِلَّا أَنِّي
مِنْ أَسْمَعِكُمْ وَأَطُوعِكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ » ... ثُمَّ افْتَرَقُوا عَلَى ذَلِكَ ،
وَاتَّعَذَّوْا الْعَذَّ .

وَتَشَاوَرَ النَّاسُ فِيمَا بَيَّنَّهُمْ ، وَقَالُوا إِنَّ دُخْلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فَقَدْ
اسْتَقَامَتْ ، فَبَعَثَ الْبَصَرِيُّونَ إِلَى الزُّبَيْرِ حُكَيْمَ بْنَ جَبَلَةَ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ
فَجَاءُوا بِهِ يَحْدُثُونَهُ ^(٢) بِالسَّيْفِ ، [فَبَايَعَ] ^(٣) . وَبَعَثُوا إِلَى طَلْحَةَ
الْأَشْثَرَنِي نَفَرٌ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : دَعْنِي أَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ . فَلَمْ يَدَعِهِ ،
فَجَاءَ بِهِ يَتْلُو تِلًّا ^(٤) عَنِيْفًا فَبَايَعَ .. فَكَانَ الزُّبَيْرُ يَقُولُ : جَاعَتْنِي لَصْرُ
مَنْ لَصُوصَ عَبْدَ الْقَيْسِ فَبَايَعْتُ وَالسَّيْفُ عَلَى عُنُقِي !

وَأَهْلُ مِصْرَ فَرِحُوا لِمَا ^(٥) اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ خَشِعَ
أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ أَنْ صَارُوا تَبِعًا لِأَهْلِ مِصْرَ ، وَازْدَادُوا بِذَلِكَ عَلَى
طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ غَيْظًا .

(١) كَذَا فِي (ك) . وَفِي (ص) : « أَحَدِكُمْ » كَمَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ج ١ ص ٥٦

وَج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) يَحْدُثُونَهُ : يَسُوقُونَهُ .

(٣) ثُبُتَتْ فِي النُّسَخَةِ (ك) وَسَقَطَتْ مِنْ (ن) .

(٤) أَيْ يَدْفَعُهُ دَفْعًا .

(٥) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : « بَعَا » .

قال (١) : ولما أصبحوا يومَ البَيْعَةِ - وهو يوم الجمعة - حَضَرَ
النَّاسُ الْمَسْجِدَ ، وجاء على رضى الله عنه ، فصعد المنبر وقال : « أَيُّهَا
النَّاسُ عَنْ مَلَأٍ وَإِذْنٍ (٢) إِنَّ هَذَا أَمْرُكُمْ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ حَقٌّ إِلَّا مَنْ
أَمَرْتُمْ ، وَقَدْ افْتَرَقْنَا بِالْأَمْسِ عَلَى أَمْرٍ : وَكُنْتُ كَارِهَاً لِلْأَمْرِكُمْ ، فَبَيْتُكُمْ
إِلَّا أَنْ أَكُونَ عَلَيْكُمْ ، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي دُونُكُمْ إِلَّا مَفَاتِيحُ مَالِكُمْ مَعِيَ
وَلَيْسَ لِي أَنْ أَخُذَ دَرَاهِمًا دُونَكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ قَعَدْتُ لَكُمْ ، وَإِلَّا فَلَا
أَحَدٌ (٣) عَلَى أَحَدٍ . » فقالوا : نَحْنُ عَلَى مَا فَارَقْنَاكَ عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ .
فَقَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ .

قال : ولما جاءوا بطلحة ليُبَايَعَ قال : إِنَّمَا أَبَايَعُ كَرَّهَا . فَبَايَعَ . .
ثُمَّ جِئَ بِالزُّبَيْرِ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ وَبَايَعَ ، وَفِي الزُّبَيْرِ انْتِلَافٌ . .
ثُمَّ جِئَ بِعَدَّةٍ بِقَوْمٍ كَانُوا قَدْ تَخَلَّفُوا ، فَقَالُوا : نَبَايَعُ عَلَى إِقَامَةِ
كِتَابِ اللَّهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَالْعَزِيزِ وَالذَّلِيلِ . فَبَايَعَهُمْ . . . ثُمَّ
قَامَ الْعَامَّةُ فَبَايَعُوا . . وَتَفَرَّقُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ .

وَرَجَعَ عَلَى إِلَى بَيْتِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فِي عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ،
فَقَالُوا : « يَا عَلِيُّ . إِنَّا قَدْ اشْتَرَطْنَا إِقَامَةَ الْحُدُودِ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
قَدْ اشْتَرَكُوا فِي قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ . » فَقَالَ : « يَا إِخْوَتَاهُ ، إِنِّي لَسْتُ
أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ أَصْنَعُ بِقَوْمٍ يَمْلِكُونَنَا وَلَا تَغْلِبُهُمْ ؟ »

(١) القائل ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٩٩ وأصل ذلك في رواية الطبري ج ٣

ص ٥٦ .

(٢) أى : عن تشاور من مقدميكم وجماعتكم .

(٣) كذا في (ن) و (ح) أى : أغضب . وفي تاريخ الطبري : « أجده » بمعنى أغضب

أيضا . وفي تاريخ ابن الأثير و (ك) : « آخذ » .

هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عُبدانكم^(١) ، وثابت^(٢) إليهم أعرابكم^(٣) وهم خلائكم^(٤) يسومونكم^(٥) ماشاعوا ، فهل ترؤن موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا . قال : « فلا والله لا أرى إلا رأياً ترؤنه أبداً إلا أن يشاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية ، وإن هؤلاء القوم مادة^(٦) . إن الناس من هذا الأمر - إن حرك - على أمور : فرقة ترى ماترؤن ، وفرقة ترى مالا ترؤن ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس ، وتقع القلوب مواقعها ، وتتخذ الحقوق . فاهلكوا عني ، وانظروا ماذا يأتيكم ، ثم عودوا » .

واشتد على علي قريش ، وحال بينهم وبين الخروج [وتركها]^(٧) على حالها ، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم .

وحكى أبو عمر ابن عبد البر^(٨) قال : لما بايع الناس على بن أبي طالب دخل عليه المغيرة بن شعبة^(٩) ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، إن لك عندي نصيحة » . قال : وما هي ؟ قال : « إن

(١) « عidan » يضم العين أو كسرهما مع سكون الباء : جمع عبد .

(٢) ثابت : رجعت واجتمعت .

(٣) كذا في النسخة (ن) وهو مثل ما في تاريخي ابن جرير وابن كثير ووقع في (س) و(ك) : « أعرابكم » .

(٤) هكذا جاء في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٤٥٨ ، ي : هم بيتكم . وفي المخطوطة هنا « خلاصكم » . وفي تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٠ : « خلاصكم » .

(٥) يسومونكم : يكلفونكم .

(٦) أي : ما أعينوا .

(٧) زيادة من ابن الأثير .

(٨) في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٠ .

(٩) للمغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب المشهورين في ذلك العهد ، وهم : معاوية ابن أبي سفيان ، وعمر بن العاص ، وزياد ، والمغيرة .

أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة على الكوفة ، والزبير على البصرة ، وابعث إلى معاوية بعهد علي الشام حتى تلزمه طاعتك ، فإذا استقرت لك الخلافة فاذرهم ^(١) كيف شئت برأيك » . فقال [علي] ^(٢) : « أما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما ، وأما معاوية فلا يراني الله مستعملاً له ولا مستعيناً به مادام علي حالي ، ولكني أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ^(٣) ، فإن أبي حاكمته إلى الله تعالى » . فانصرف عنه المغيرة مغضباً لما لم يقبل منه نصيحته . . فلما كان الغد أتاه فقال : « يا أمير المؤمنين ، نظرت فيما قلت بالأمس وما جاوبتني به ، فرأيت أنك قد وفقت للخير وطلبت الحق » . ثم خرج ^(٤) عنه ، فلقية الحسن وهو خارج ، فقال لأبيه : ما قال هذا الأعور ؟ (يعني المغيرة ، وكان المغيرة قد أصيبت عينه يوم البرموك) قال : أتاني أمس بكذا وأتاني اليوم بكذا . قال : نصحك والله [أمس] ^(٥) وخذعك اليوم . فقال له علي : إن أقررت معاوية على ما في يده كنت متخذ المصلين عضداً ^(٦) .

(١) ادراهم : ادفهم .

(٢) زيادة من الاستيعاب .

(٣) في الاستيعاب : « المسلمون » .

(٤) كذا جاء في (ك) والاستيعاب . وفي (صر) : « وانصرف » .

(٥) سقط « أمس » من النسخة (ك) . وثبت في (صر) .

(٦) في القرآن الكريم : ﴿ وما كنت متخذ المصلين عضداً ﴾ في الآية ٥١ من سورة

وقال المُغيرةُ في ذلك :

[نصحتُ علياً في ابنِ هندِ نصيحةً]

فردَّ (١) فلا يسمعُ لها الدهرَ ثانيةً

وقلتُ له : أرسلْ إليهِ بعهدِهِ

على الشامِ حتَّى يستقرَّ معاويةُ

ويعلمَ أهلُ الشامِ أنْ قدْ ملكتهُ

فأمَّ ابنِ هندٍ بعدَ ذلكِ هاويةُ

وتحكَّمُ (٢) فيه ما تُريدُ فإنَّه

لداهيةُ - فارُقْ به - وابنُ داهيةُ

فلمْ يقبلِ النصْحَ الذي جثتهُ به

وكانتْ له تلكِ النصيحةُ كافيّةُ

ورويَ (٣) عن ابنِ عباسٍ - رضِيَ اللهُ عنهما - نحوه ، إلاَّ أنَّه

قال « أتيتُ عليّاً بعدَ قتلِ عُثمانِ ، عندَ (٤) عُوْدِي من مكة (٥) ،

فوجدتُ المُغيرةَ بنَ شُعْبةٍ مستخْلِياً به ، فخرجَ مِن عنده ، فقلتُ

له : ما قال لك هذا ؟ فقال : قال لي قَبْلَ مرَّتي هذه « إنَّ لك حقَّ

الطاعة والنصيحة ، وأنتَ بقيّةُ الناسِ ، وإنَّ الرأى اليومَ يُحرَزُ (٦) به

(١) في مروج الذهب ج ، ص ١٦ : « فردت » .

(٢) سقط هذا البيت من نسخة الاستيعاب التي بأيدينا ومن مروج الذهب .

(٣) في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠١ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٠ .

(٤) كذا في تاريخ الطبري وابن كثير : وجاء في المخطوطة « بعد » .

(٥) كان عثمان - قبل مقتله - قد دعا ابن عباس واستمعه على الحج ، فذهب إلى مكة وأقام للناس الحج ، ثم رجع إلى المدينة بعد قتل عثمان بخمسة أيام .

(٦) كذا جاء في النسخة (ص) . وفي النسخة (ك) : « تحرز » .

ما في غد ، وإن الضياع اليوم يضيع به ما في غد ، أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم ، حتى تأتيك بينتهم [ويسكن الناس]^(١) ثم اغزل من شئت « فأبيت عليه ذلك ، وقلت : لا أداهن في ديني ولا أعطى الدنية في أمري »^(٢) . قال « فإن كنت أبيت على فاعزل من شئت واترك معاوية ، فإن في معاوية جرأة ، وهو في أهل الشام يستمتع منه ، ولك حجة في إثباته ، فإن عمر بن الخطاب [كان]^(٣) قد ولأه الشام » فقلت : لا والله لا أستعمل معاوية يومين . ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنني مخطيء ، ثم عاد إلى الآن فقال : « إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت ، وخالفني فيه ، ثم رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت ، فتعزلهم وتمستين بحن ثقي به ، فقد كفى الله ، وهم أهون شوكة مما كان » .. قال ابن عباس : فقلت لعلي : أما المرة الأولى فقد نصحك ، وأما المرة الثانية فقد غشك . قال : ولم نصحنى ؟ قلت : لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا ، فمتى تثبتهم لا يبالوا^(٤) من ولي هذا الأمر ، ومتى تعزلهم يقولوا « أخذ هذا الأمر بغير شوري ، وهو قتل صاحبنا » ويؤلبوا^(٥) عليك ، فينتقض عليك أهل الشام [وأهل العراق ، مع أنني لا آمن طلحة والزبير أن يكررا عليك]^(٦) وأنا أشير عليك أن تثبت

(١) ثبت هذا في النسخة (ك) . وسقط من (ن) .

(٢) الدنية : الخصلة المزمومة .

(٣) ثبت « كان » في (ن) و (س) . وسقط من (ك) .

(٤) وقع في المخطوطة هنا « لا يبالون » مع ظهور الجزم بحذف النون في « يقولوا »

بعد « متى » الثانية .

(٥) هذا هو الظاهر المناسب للطف عن « يقولوا » . ووقع في المخطوطة « ويؤلبون » .

(٦) ثبت هذا في النسخة (ن) كما في تاريخي الطبري وابن الأثير . وسقط من (ك) .

معاوية ، فإن بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله . قال [على] (١) :
والله لأعطيه إلا السيف ثم تمثل :

وما مينة إن منها غير عاجز (٢) بعار إذا ما غالت النفس غولها (٣)

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت رجل شجاع ، لست صاحب رأي في الحرب ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« الحرب خدعة » (٤) ؟ فقال : بلى . فقلت : أم (٥) والله لئن أظعنني لأضدرنهم بعد (٦) ورود ، ولأتركنهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها ، في غير نقصان عليك ولا لئم لك .
فقال : يا ابن عباس ، لست من هنيأتك (٧) ولا من هنيأت معاوية في شيء ، فقلت له : أطعني ، والحق بمالك بينبع (٨) ، وأغلق بابك

(١) ثبت هذا في تاريخي الطبري وابن الأثير . وسقط من المخطوطة .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) وتاريخي ابن جرير وابن الأثير ، وجاء في (ص) : « م » .
وجاء في ديوان الأعشى ص ١٧٥ : « فما »

(٣) القول : ما اغتال النفس وأهلكها . يقال « غالت غول » إذا وقع في مهلكة .
والبيت للأعشى في ختام قصيدة .. وقد اقتنى بعل بن أبي طالب في تمثله هذا البيت أبو العباس السفاح ، فانه لما خرج يدعو إلى البيعة قال : من أحب الحياة ذل ، ثم تمثل يقول الأعشى : فد مينة : إن منها . . . الخ .

(٤) « خدعة » بسكون الدال مع فتح الخاء أو ضمه أو كسرهما ، أو بفتح الدال مع ضم الخاء ، والمراد أن أمر الحرب ينقضي بخدعة .

(٥) « أم » كذا جاء في المخطوطة . وهي بمعنى « أما » الاستفتاحية التي تجيء للتنبيه وتكثر قبل القسم ، ولكن ألفها الأخيرة حذفت عن قلة ، وقد جاءت « أما » في تاريخي الطبري وابن الأثير .

(٦) كذا في (ن) كما جاء ابن عساقين الأثير وغيره ، أي : أن ما يكون من حالة معهم حيث كحال من يرجع قوما عن الماء بعد وروده . وفي (ك) و (ص) : « بغير » .

(٧) « هنيأت » تصغير « هنأت » أو هنوات ، وكل من هذه الكلمات تذكر عند إرادة خصال غير حسنة .

(٨) بينبع : قرية ذات نخيل وزرع ومياه في غرب المدينة المنورة ، هل شاطئ البحر . وفيها مال لعل .

عليك ، فإنَّ العربَ تجولُ جَوْلَةً وتضطربُ ولا تجدُ غيرَكَ ، فإنَّكَ واللهُ لئنْ نهَضْتَ مع هؤلاء اليومَ ^(١) لَيَحْمِلَنَّكَ النَّاسُ دَمَ عُثْمَانَ غداً ! . . فَأَبَى عَلَى ، وقال : تُشِيرُ عَلَيَّ وَأَرَى فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأُطْعَمِي قال : فقلتُ « أَفْعَلُ » ، إِنَّ أَيْسَرَ مَالِكَ عِنْدِي الطَّاعَةُ . فقال له على : تسيرُ إلى الشامِ فقد وُثِّقْتُهَا . فقال ابنُ عباس : « ما هذا برأى ، مُعاويةُ رجلٌ من بني أُمَيَّةَ ، وهو ابنُ عمِّ عُثْمَانَ ، وعاملُهُ ، ولستُ آمَنُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقِي بِعُثْمَانَ ، وَإِنْ أَذَى مَا هُوَ صَانِعٌ أَنْ يَحْبِسَنِي فَيَتَحَكَّمُ عَلَيَّ لِقِرَابَتِي مِنْكَ . وَإِنْ كُلُّ مَا حُمِلَ عَلَيَّ حُمِلَ عَلَيْكَ ^(٢) » ، ولكن اكتبْ إلى مُعاويةَ فَمَنْهُ وَعِدَّةٌ . فقال : لا واللهِ لا كان هذا أبداً ! وخرج المُغيرةُ فَلَاحِقَ بِمَكَّةَ .

ذكر تفريق علي عماله وخلاف معاوية

رضي الله عنهما

وفي سنة ست وثلثين فرَّقَ على - رضى الله عنه - عُمَالَهُ عَلَى الْأَمْصَارِ ، فبعثَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَعُمَارَةَ بْنَ شُهَابٍ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْيَمَنِ ، وَقَيْسَ بْنَ سَعْدٍ عَلَى مِصْرَ ، وَسَهْلَ ^(٣) بْنَ حُنَيْفٍ عَلَى الشَّامِ .
فَأَمَّا سَهْلٌ فَإِنَّهُ خَرَجَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِتَبُوكَ ^(٤) لِقِيَّتَهُ خَيْلٌ ^(٥) فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أَمِيرٌ . قالوا : عَلَى أَى شَيْءٍ ؟ قال : عَلَى

(١) كذا جاء في النسخة (ن) وداريغنى الطبرى وابن الأثير . وفي النسخة (ك) : « القوم »

(٢) كذا جاء في المخطوطة . وعند الطبرى وابن الأثير : « وَإِنْ كُلُّ مَا حُمِلَ عَلَيْكَ حُمِلَ عَلَيَّ »

(٣) أعو عثمان بن حنيف ، وهما صحابيَّان .

(٤) موضع بين وادى القرى والشام ، وقد سبق ذكره .

(٥) أى : فرسان خيل .

الشام . قالوا : إن كان عُثْمَانُ بَعَثَكَ فَحَيَّ هَلَا بِكَ ^(١) ، وإن كان بَعَثَكَ غَيْرُهُ فَارْجِعْ . قال : أَوْ مَا سَمِعْتُمْ بِالَّذِي كَانَ ؟ قالوا : بَلَى ... فَرَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ .

وَأَمَّا عُمَارَةُ فَلَمَّا بَلَغَ زُبَالَةَ ^(٢) لَقِيَهُ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ يَطْلُبُ بَشَارَ عُثْمَانَ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا يَرِيدُونَ بِأَمِيرِهِمْ بَدَلًا ، فَإِنْ أَبَيْتَ ضَرَبْتُ عُنُقَكَ ... فَرَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ .

وَأَمَّا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ فَإِنَّهُ لَمَّا انْتَهَى إِلَى أَيْلِهِ ^(٣) لَقِيَتْهُ خَيْلٌ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ . قَالُوا انْصِرْ . فَمَضَى حَتَّى دَخَلَ [مِصْرَ] ^(٤) ، فَانْتَرَقَ أَهْلُ مِصْرٍ فِرْقًا : فِرْقَةٌ دَخَلَتْ فِي الْجَمَاعَةِ فَكَانُوا مَعَهُ ، وَفِرْقَةٌ اعْتَزَلَتْ بِخَرْنِبَا ، ^(٥) وَقَالُوا : « إِنْ قُتِلَ قَتْلَةً عِثْمَانُ فَتَنْحَنِّ مَعَكُمْ ، وَإِلَّا فَتَنْحَنِّ عَلَى جَدِيلِنَا » ^(٦) حَتَّى تُخْرِكَ ^(٧)

(١) حى هلا : كلمة يقال عند الدعاء إلى الشيء ، والإقبال عليه ، أى : أنك حيثما أهل غذا .

(٢) زباله : قرية بطريق مكة من الكوفة . وكانت بها أسواق .

(٣) أيله : مدينة معروفة على خليج العقبة ، وكانت مقصودة : لمن كانوا يقدمون من الحجاز إلى القسطنطينية بطريق البر .

(٤) كذا في النسخة (ن) وتاريخ ابن الأثير ، وسقطت هذه الكلمة من (ك) .

(٥) جاء في هامش النسخة (ص) مانصه : « خرنبا » بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح النون والياء الموحدة ، بعدها ألف ، وهو تابع لابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٠٥ حيث ذكر هذا الضبط ، ولكن المحققين لا يصححون هذا ، بل يرون أنها « خربنا » بفتح الخاء أو كسرهما مع كسر الراء وسكون الباء قبل التاء المثناة الفوقية ، وكذلك تكررت في مواضع من الجزء الأول من النجوم الزاهرة ، وقال ياقوت في معجم البلدان : « خرنبا » : قال نصر : موضع من أرض مصر ، لأهلها حديث في قصة علي ومحمد بن أبي بكر ، وهو خطأ ، وقد سألت عنه أهل مصر فلم يعرفوا إلا خربنا ، وقال في موضع آخر : « خربنا » : هكذا ضبط في كتاب ابن عبد الحكم ، وقد ضبط الحازمي بالنون ثم الباء ، هو خطأ . والمعروف الآن أن « خربنا » قرية تابعة لمحافظة « البحيرة » وأنها بكسر الخاء والياء مع سكون الراء .

(٦) الجديلة : الحال والطريقة .

(٧) تخرك : نصاب السيوف ، وهذه الكلمة جاءت في النسخة (ن) ، وفي (ك) « تخرك »

أو نصيب حاجتنا » ، و فرقة قالت نحن مع علي مالم يُقَدَّ من إخواننا ^(١) وهم في ذلك مع الجماعة . . . فكتب قيس إلى علي بذلك .

وأما عثمان بن حنيف فصار حتى دخل البصرة ، ولم يرده أحد ولا وجد لابن عامر ^(٢) في ذلك رأيا ولا استقلالاً بحرب ، وافترق الناس بها : ففرقة دخلت في الجماعة ، وفرقة اتبعت القوم ، وقالت فرقة « ننظر ما يقول أهل المدينة فنصنع ما صنعوا » .

وأما عبيد الله بن عباس فانطلق إلى اليمن ، فخرج يعلى بن منية ^(٣) بعد أن جمع المال - ولحق بمكة ، وأنفق المال في حرب الجمل .

قال ^(٤) : ولما رجع سهل بن حنيف دعا علي طلحة والزبير فقال « إن الأمر الذي كنت أحذركم قد وقع ، وإن الذي قد وقع لا يذكرك إلا بامانة ^(٥) ، وإنها فتنة كالنار كلما سمرت ازدادت اضطراما ، واستثارت » . فقالوا ^(٦) : - رائذن لنا نخرج من المدينة ، فيما أن نكاثر ، وإما أن تدعنا . فقال : سأمسك الأمر ما أستمسك ، فإذا لم أجد بدا فآخر الداء الكى ! .

(١) أي : مالم يقتل إخواننا بما فعلوه في الخليفة عثمان بن عفان .

(٢) ابن عامر : عبدالله بن عامر بن كريز ، وكان ابن خال عثمان بن عفان ، وقد ولاه عثمان البصرة .

(٣) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي الخنظلي حليف قريش ، ينسب حينئذ إلى أبيه « أمية » وينسب حينئذ إلى أمه « منية » وسائق النسيان قريبا في وقعة الجمل ، وقد استعمله عمر بن الخطاب على بعض اليمن فحمى لنفسه حمى ، فزله عمر ، ثم استعمله عثمان ابن عفان على صنعاء اليمن ، وانظر الاستيعاب ج ٣ ص ٦٦١ وتهذيب الأسماء ج ٢ ص - ١٦٥ والإصابة ج ٣ ص - ٦٦٨ .

(٤) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٠٣ .

(٥) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل : « بامانة » .

(٦) كذا جاء عند ابن الأثير ، وفي المخطوطة : « فقالوا » .

وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى ، فأجاباه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة ، وبين الكارِة منهم [للذي كان] ^(١) والراضى ومن بين ذلك ، حتى كان على [كائنه] ^(٢) يشاهدهم .. وكان رسوله إلى أبي موسى معبد الأسلمي .

وكان رسوله إلى معاوية سيرة الجهتي ، فلم يُجبه معاوية بشيء وكُلما تنجز جوابه لم يزد على قوله :

أَدِمَّ إِدَامَةَ حِضْنٍ أَوْ خُذَا ^(٣) بِيَدَيَّ
حَرْبًا ضَرْوَسًا تَشُبُّ الْجَزَلَ وَالضَّرْمَا ^(٤)

في جاركُم وابنِكُم إذْ كان مَقْتَلُهُ
شَنْعَاءَ ^(٥) شَيَّبَتِ الْأَصْدَاغَ وَاللِّمَمَا

أَغْيَى الْمَسُودُ بِهَا وَالسَّيِّدُونَ فَلَمْ
يُوجَدْ لَهَا غَيْرُنَا مَوْئًى وَلَا حَكَمًا

حتى إذا كان [الشهر الثالث من مقتل عثمان] ^(٦) في صَفَر دعا معاوية رجلا من بني عَبَس ، اسمه قَبِيصَة ، فدفع إليه طُومارا ^(٧) مختوما ، عنوانه « من معاوية إلى علي » وقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير .

(٢) كذا جاء في المخطوطة كالكامل ، وفي تاريخ ابن جرير الطبري ج ٣ ص ٤٦٤٣ : « أوجدا » .

(٣) تشب : توقد . والجزل : الحطب اليابس القليظ . والضرم : السفن التي في طرفه نار ، والجمر .

(٤) كذا جاء في النسخة (ن) . وفي (ك) : شنعا .

(٥) الزيادة من ابن الأثير :

(٧) الطومار : الصفيقة .

على أنسفل الطومار . وأوصاه بما يقول ، وأعاد رسول على معه ، فقدموا
 المدينة في شهر ربيع الأول ، ودخل العَبَسِيُّ كما أمره معاوية ، والناس
 تنظر إلى الطومار ، حتى دفعه إلى علي ، ففضّضه ، فلم يجد فيه كتاباً
 فقال للرسول : ما وراءك ؟ قال : وأنا آمِنُ ؟ قال : نعم ، إن الرُّسُلَ
 لا تُقْتَلُ . قال تركتُ قومًا لا يرضون إلا بالقود^(١) . قال : مِمَّنْ ؟
 قال : « مِنْ خَيْطِ رَقَبَتِكَ ! وتركتُ ستين ألفَ شيخٍ يبكي تحت
 قميص عُثْمان ، وهو منصوبٌ لهم ، قد ألبسوه مِنبَرَ دِمَشْقٍ ! »
 قال : « أَمْنِي يطلبون دَمَ عُثْمان ؟ أَلَسْتُ مَوْتُورًا بِتِرَةٍ^(٢) عُثْمان ؟ اللَّهُمَّ
 إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمان ! نجا - والله - قَتَلَةُ عُثْمان إلا أن يشاء
 الله فإنه إذا أراد أمراً أصابه ! اخرج . » قال وأنا آمِنُ ؟ قال : وأنت
 آمِن . فخرج العَبَسِيُّ ، فقالوا^(٣) : « هذا الكَلْبُ رسولُ الكلب !
 اقتلوه ! » فنادى : يا آلَ مُضَر . يا آلَ قَيْس ، الخيل والنبل ، وبالله
 أقسم لَيَرُدَّنَّهَا عَلَيْكُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ خَصِيٍّ ! فانظروا كم الفُحول
 والركاب ؟ » وتعاونوا^(٤) عليه ، فمنعته مُضَر ، وجعلوا يقولون
 له : « اسكت » فيقول : « لا والله ، والله لا يفلح هؤلاء أبداً ، أتأثم
 ما يؤعدون ، لقد حلَّ بهم ما يَحْدُرُونَ ، انتهت والله أعمالُهم وذهبت
 ريحهم^(٥) . »

(١) القود : القصاص .

(٢) جاء عند ابن جرير وابن الأثير : كَرَّةٌ ، والكرة : الثَّارُ والظلم فيه ، والموتور :
 المصاب بقتل حميه ولم يدرك ثأره .

(٣) القائلون هم السَّيِّئَةُ كما جاء عند ابن جرير وابن الأثير .

(٤) تعاونوا (بالعين أو بالعين) أى : تجمعوا وتعاونوا .

(٥) في القرآن الكريم : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » والمراد بالريح
 الدولة والقوة .

قال : وأظهر على العزم على قتال معاوية ، وكتب إلى عماله أن يَتَدَبَّوْا النَّاسَ إِلَى الشَّامِ .

ثم استأذنه طلحة والزبير في العُمرَة ، فَأَذِنَ لهما .

ودعا على ابنه محمد بن الحنفية ، فدفع إليه اللواء ، وولى عبد الله بن عباس ميمنته ، وعمر بن أبي سلمة - أوعمر بن سفيان بن عبد الأسد - ميسرته ، وجعل أبا ليلى بن عمر بن الجراح (ابن أخي أبي عبيدة) على مقدمته ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس .

ذكر ابتداء وقعة الجمل

ومسير عائشة وطلحة والزبير ومن معهم إلى البصرة وما كان من الحرب إلى أن استقروا بها وإخراج عثمان بن حنيف عامل على رضى الله عنه

كان ابتداء وقعة الجمل أن عائشة رضى الله عنها كانت قد خرجت إلى الحج وعثمان مَحْصُورٌ - كما ذكرنا - فلما قضت الحج وعادت أتتها الخبرُ بقتله وخلافة علي ، وهى بسرف^(١) ، فرجعت إلى مكة وهى تقول : « قَتِيلَ - والله - عثمانُ مَظْلُومًا ! والله لأُطْلِبَنَّ يَدَيْهِ ! » وطلبت مكة ، فقصدت الحجر ، فسمرت فيه ، واجتمع الناس إليها ، فقالت : « أيُّها الناس ، إِنَّ الغَوَاةَ مِنْ أَهْلِ الْأَصْبَارِ وَأَهْلِ الْمِيَاهِ وَعَبِيدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ اجْتَمَعُوا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا بِالْأَمْسِ ، وَنَقَمُوا^(٢) عَلَيْهِ اسْتِعْمَالَ مَنْ حَدَّثَتْ سُنُّهُ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ أَمْثَالَهُمْ

(١) سرف : توضع على مئة أميال من مكة .

(٢) نقموا : أنكروا .

مَنْ قَبْلَهُ ، وَمَوَاضِعَ مِنَ الْحِمَى حَمَاهَا لَهُمْ ^(١) ، [وهى أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها ،] ^(٢) فتابعهم ، ونزع [لهم] ^(٣) عنها (استصلاحاً لهم) ^(٤) ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، وأستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ! ووالله لو أن الذى اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثة أو الثوب من ذرنة إذ ما صوه ^(٥) كما يماص الثوب بالماء ! فقال عبد الله بن عمرو بن ^(٦) [الحضرى] (وكان عامل عثمان على مكة) : « ها أنا [ذا] ^(٧) أول طالب » ، فكان أول مجيب ، وتبعه ^(٨) بنو أمية على ذلك ، وكانوا قد هربوا من المدينة إلى مكة بعد قتل عثمان ، وتبعهم سعيد بن العاص والوكيد ابن عتبة .

(١) قال عثمان - رضى الله عنه دفاعاً عن نفسه : « وأما الحمى فان عمر حى الحمى قبل لإبل الصدقة فلما وليت زادت إبل الصدقة ، فزدت فى الحمى لما زاد فى إبل الصدقة » . انظر تاريخ ابن جرير الطبرى فى ج ٣ ص ٣٩٠ .

(٢) الزيادة من تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٤٦٨ .

(٣) فى النهاية : « فى حديث عائشة قالت عن عثمان : ممتوه كما يماص الثوب ثم عدتم عليه فقتلوه ، الموص : الفصل بالأصابع يقال : مصت أموصه موصاً : أرادت أنهم استابوه عما نقصوا منه فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه » .

(٤) هذا هو الصواب ، كما ذكره ابن حجر فى الإصابة ج ٢ ص ٣٥١ وابن جرير وغيره فى أسماء عمال عثمان ، وهو غير عبد الله بن عامر بن كرزى القرشى وإل البصرة الذى يأتى مذكور بعد أسطر . وقد جاء فى المخطوطة « عبد الله بن عامر الحضرمى » وهو خطأ وقع أيضاً فى نسخ الطبرى وابن الأثير فى هذا الموضع .

(٥) كذا جاء فى تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٦٤٨ . ووقع فى المخطوطة : « ها أنا أول

طالب » .

(٦) كان عبد الله بن الحضرمى حليفاً لبنى أمية .

وقَدِم عليهم عبدُ الله بن عامر^(١) من البَصْرَةِ بمال كثير ويَعْلَى ابنُ أُمَيَّةَ (وهو ابنُ مُنِيَّةَ)^(٢) من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف ، فَنَازَحَ بِالْأَبْطَحِ .

وقَدِمَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ من المدينة ، فلقيا عائشة : فقالت : « اوراءكما ؟ » فقالا : « إِنَّا تَحَمَّلْنَا هُرَابًا^(٣) من المدينة من غَوَغاء وأعراب ، وفارقنا قَوْمًا حَيَارَى لا يعرفون حَقًّا ولا يُنكرون باطلا ولا يَمْنَعُونَ أَنْفُسَهُمْ » ، فقالت : انْهَضُوا إلى هذه الغَوَغاء . فقالوا : نَأَى الشَّامُ . فقال ابنُ عامر : « قد كفاكم مُعاويةُ الشَّامَ ، فَأَتُوا البَصْرَةَ ، فَإِنَّ لِي بِهَا صَنَائِعَ ، ولهم في طَلْحَةَ هَوًى » ، قالوا : « قَبِّحَكَ اللهُ ! فوالله ما كُنْتُ بالمُسَالِمِ ولا بالمُحَارِبِ ، فهَلَّا أَقَمْتَ كما أَقام مُعاويةُ فَتُكْفِي بِكَ ، ثم نَأَى الكوفةَ فَتَسُدَّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقُرُومَ تَذَاهِبَهُمْ » . فلم يجدوا^(٤) عنده جوابا مقبولا .

حَتَّى إِذَا اسْتَقَامَ لَهُمُ الرَّأْيُ عَلَى البَصْرَةِ قالوا : « يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، دَعَى المَدِينَةَ ، فَإِنَّ مَن مَعَنَا لَا يُطِيقُ مَن بِهَا مِنَ الْغَوَغاء ، [واشْخَصَى^(٥) معنا إِلَى البَصْرَةِ ، فَإِنَّا]^(٦) نَأَى بِلَدًا مُضِيْعًا ، وَسَيَحْتَجُونَ عَلَيْنَا [فيه]^(٦) بَبِيْعَةٍ عَلَى فَتْنِهِضِيْنَهُمْ^(٧) » كما أَنهَضَتْ أَهْلَ مَكَّةَ ،

(١) سبق أنه ابن خال عثمان بن عفان وواله على البصرة .

(٢) سبق ذكره . وأنه عامل عثمان على صنعاء اليمن .

(٣) أى : ارتحلنا هاربين .

(٤) كذا جاء عند الطبرى وابن الأثير . وفي المخطوطة : « فلم تجد » .

(٥) أى : اذهبى .

(٦) الزيادة من تاريخ الطبرى .

(٧) كذا جاء عند الطبرى وابن الأثير وفي المخطوطة « فتنهضهم » . . . وقد جاء في بعض

الروايات أن طلحة والزبير قالوا لهائشة : « إِنَّا فُتِنَّا أَرْضًا قَدْ أُصِيتْ وَصَارَتْ لِيَدِ عَلَى » -

فَإِنْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمْرَ كَانَ الَّذِي أَرَدْنَا ، وَإِلَّا دَفَعْنَا [عَنْ هَذَا الْأَمْرِ] ^(١)
 بِجَهْدِنَا ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ مَا أَرَادَ . فَأَجَابَتْهُمْ إِلَى ذَلِكَ .
 وَدَعَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لِيَسِيرَ مَعَهُمْ ، فَأَبَى ، وَقَالَ : « أَنْأَرَجِلُ مِنْ
 أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، أَفَعَلُ مَايَفْعَلُونَ » . فَتَرَكُوهُ .

وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَائِشَةَ عَلَى قَصْدِ
 الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا تَغَيَّرَ رَأْيُهَا إِلَى الْبَصْرَةِ تَرَكْنَهَا ^(٢) ذَلِكَ . وَأَجَابَتْهَا
 حَفْصَةُ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَهَا ، فَمَنَعَهَا أَخُوها عَبْدُ اللَّهِ ^(٣) .
 وَجَهَّزَهُم يَغْلَى بْنُ مُنِيَّةٍ بِسِتْمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتْمِائَةِ بَعِيرٍ ، وَجَهَّزَهُم
 ابْنُ عَامِرٍ بِمَالٍ كَثِيرٍ .

وَنَادَى مُنَادِيهَا : « إِنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ شَاخِصُونَ إِلَى
 الْبَصْرَةِ ، فَمَنْ أَرَادَ إِعْزَازَ الْإِسْلَامِ وَقِتَالَ الْمُحِلِّينَ ^(٤) وَالطَّلَبَ بِشَارِ
 عُثْمَانَ وَلَيْسَ لَهُ مَرْكَبٌ وَلَا جَهَازٌ فَلْيَأْتِ » . فَحَمَلُوا سِتْمِائَةَ عَلَى
 سِتْمِائَةِ بَعِيرٍ ، وَسَارُوا فِي أَلْفٍ - وَقِيلَ فِي تِسْعِمِائَةٍ - مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
 وَمَكَّةَ ، وَتَلَاحَقَتْ بِهِمُ النَّاسُ ، فَكَانُوا فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلٍ .
 وَأَعَانَ يَغْلَى بْنُ مُنِيَّةٍ الزُّبَيْرَ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَحَمَلَ سَبْعِينَ

== وَقَدْ أَجَبْنَا عَلَى عَلَى يَمِينِهِ ، وَهُمْ مُحْتَجُونَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ وَتَارَكُوا أَمْرَنَا ، لِأَنَّا نَخْرُجُ
 فَتَأْمُرُ مَا أَمَرَتْ بِمَكَّةَ .

(١) الزيادة من تاريخ الطبري .
 (٢) كَذَا جَاءَ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ ، وَفِي الْمَخْطُوطَةِ « تَرَكُوا » .
 (٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَخُو أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ لِأَبِيهَا وَأُمُّهَا . كَمَا سَبَقَ
 فِي هَذَا الْكِتَابِ ج ١٨ ص - ١٧٦ .

(٤) كَذَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْرٍ وَابْنِ الْأَثِيرِ ، وَ« الْمُحِلُّونَ » يُرَادُ بِهِمْ هُنَا : الَّذِينَ أَحْلَوْا
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَاتَّهَكُوا حُرْمَاتِهِ ، وَهَذَا يَنْسَبُ مَسْبُوقًا قَرِيبًا مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ « فَكُفُّوا الدَّمَ الْحَرَامَ
 وَاسْتَحْلُوا الْبِلَدَ الْحَرَامَ وَالشُّهْرَ الْحَرَامَ وَأَخْذُوا الْمَالَ الْحَرَامَ » ، وَفِي الْمَخْطُوطَةِ « الْمُخْلِينَ »
 بِالْهَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ بَعْدٍ .

من قُرَيْش ، وأعطى عائشةَ جَمَلًا ، اسمُه « عَسْكَر » ، واشترَاه بِمِائَتَيْ دِينَار ، وقيل : بِثَمَانِينَ دِينَارًا ، وقيل : كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ عُرَيْنَةَ ، فَأَبْتَيْعَ مِنْهُ بِمَهْرِيَّةٍ ^(١) وَأَرْبَعِمِائَةَ دِرْهَمٍ أَوْ سِتْمِائَةَ دِرْهَمٍ .

وخرجتْ عائشةُ مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهَا أُمَمَاتُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَاتِ عِرْقٍ ^(٢) فَبَكُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَرِ يَوْمٌ ^(٣) كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا وَبَاكِيًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَكَانَ يُسَمَّى « يَوْمَ النَّجِيبِ » . . .

وَكَتَبَتْ أُمُّ الْفَضْلِ ^(٤) بِنْتُ الْحَارِثِ (أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ) إِلَى عَلِيٍّ بِالْخَبَرِ .

وَلَمَّا خَرَجَتْ عَائِشَةُ مِنْ مَكَّةَ أَذَّنَ مَرْوَانُ ^(٥) بْنُ الْحَكَمِ ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فَقَالَ : عَلَى أَيُّكُمَا أَسْلَمَ ^(٦) بِالْإِمْرَةِ وَأُذِّنُ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (يَعْنِي أَبَاهُ) . وَقَالَ مُحَمَّدُ ابْنُ طَلْحَةَ : عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ (يَعْنِي أَبَاهُ) . فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ إِلَى مَرْوَانَ فَقَالَتْ : أَتُرِيدُ أَنْ تَفَرِّقَ أَمْرَنَا ، لِيُصَلَّ بِالنَّاسِ ابْنُ أَخْتِي ^(٧) (يَعْنِي

(١) ناقة مهريّة من نوع مريع معروف من الإبل . ينسب إلى « مهرة » .

(٢) موضع على مرحلتين من مكة . يتزلّ فيه مريد الحج من أهل العراق ليحرم بالتحج منه .

(٣) كذا جاء عند ابن جرير وابن الأثير ، ووقع في المخطوطة « يومًا » .

(٤) هي لبابة بنت الحارث الهذليّة ، اشتهرت بكنيتها .

(٥) مروان بن الحكم القرشي الأموي أبو عبد الملك ، وهو ابن عم عثمان وكتابه في خلافه .

(٦) كذا جاء عند ابن جرير . وفي المخطوطة : « أسأله » .

(٧) ابتعدت بذلك عن ذكر الشيخين اللذين وقع فيها الاختلاف .

عبد الله بن الزبير () . وقيل بل صَلَّى بالناس عبد الرحمن^(١) بن عتاب بن أسيد حتى قُتِل .

ولما انتهوا إلى ذاتِ عِرْقٍ لَقِيَ سَعِيد^(٢) بن العاص مَرَوَانُ بن الحكم وأصحابه^(٣) فقال : أَيْنَ تذهبون وتتركون ثَارَكُمْ عَلَى أَعْجَازِ الإِبِلِ وراءكم ؟ (يعنى عائشة وطلحة والزبير) اقتُلُوهم ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ ! فقالوا : نَسِيرُ فَعَلْنَا نَقْتُلُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ . . فخلا سَعِيدُ ابن العاص بطلحة والزبير ، فقال : اضدُّقَانِي إِنْ ظَفَرْتُمَا لِمَنْ نَجْعَلَانِ الأَمْرَ ؟ قالَا : نَجْعَلُهُ لِأَحَدِنَا أَيُّنَا اخْتَارَهُ النَّاسُ . قال : بل نجعلونه لولدِ عُثْمَانَ فَإِنَّكُمْ خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ يَدَيْهِ فَقَالَا : نَدْعُ شَيْوخَ الْمُهَاجِرِينَ وَنَجْعَلُهَا لِأَبْنَائِهِمْ ! قال : فلا أَرَأَيْي أَسْعَى إِلَّا بِإِخْرَاجِهَا مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ^(٤) فرجع ، ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد^(٥) ، فقال المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ : « الرَّأْيُ مَا قَالَ سَعِيدُ ، مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ ثَقِيفٍ فَلْيَرْجِعْ » ، ورجع .

ومَضَى الْقَوْمَ ، ومعهُم أَبَانُ وَالْوَلِيدُ ابْنَا عُثْمَانَ ، وكان دليهم رجلا من عُرَيْنَةَ ، وهو الَّذِي ابْتِيعَ مِنْهُ الْجَمَلُ (عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ) ، قال الْعُرَيْتِيُّ : فَسِرْتُ مَعَهُمْ ، فلا أَمْرٌ عَلَى وَادٍ إِلَّا

(١) هو من الأمويين ، صحابي أو تابعي ، انظر الإصابة ج ٣ ص ٧٢ وشرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة ج ٣ ص ٤١ .

(٢) هو سَعِيدُ بنِ العاصِ بنِ سَعِيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيَّةَ الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ .

(٣) بنو أُمَيَّةَ .

(٤) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٢ « طلحة من تيم بن مرة والزبير من أسد بن عبد العزى بن قصي ، وليس أحدُهما من بني عبد مناف » .

(٥) عبد الله بن خالد أموي ، وهو ابن عم عبد الرحمن بن عتاب الذي سبق ذكره

سألوني عنه ، حتى طرقت الحَوَابَ - وهو ماء ^(١) - فنبَحَثْنَا كِلَابُهُ فقالوا : أَيُّ ماء هذا ؟ قلتُ : هذا ماء الحَوَابَ ، فصرخت عائشة بأعلى صوتها ، واسترجعت ^(٢) وقالت : إني لَهَيْهٖ ! سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه : « لَيْتَ شِعْرِي أَتَيْتُكُمْ تَنْبَحُهَا كِلَابُ الحَوَابَ ! » ثم ضربت عَضْدَ بَعِيرِهَا فَأَنَاخَتْهُ ، وقالت : « رُدُّونِي ! أنا والله صاحبةُ ماء الحَوَابَ ! » فَأَنَاخُوا حَوْلَهَا يوماً وليلةً ، فقال لها عبد الله بن الزُّبَيْرِ : « إنه كذب ، وإيس هو ماء الحَوَابَ » ولم يزل بها وهي تمتنع حتى قال لها : « النَّجَاءُ النَّجَاءُ ! قد أدرككم على بن أبي طالب . » فارتحلوا نحو البصرة ، فلما كانوا بفنائها لَقِيَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ فقال : (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْشُدِكِ اللَّهَ أَنْ تَقْدِمِي الْيَوْمَ عَلَى قَوْمٍ لَمْ تُرَاسِلِي مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَعَجَّلِي ابْنَ عَامِرٍ فَإِنَّ لَهُ بِهَا صَنَائِعَ ، فليذهب إليهم ^(٣) » فَأَرْسَلَتْهُ .

وكتبت عائشة إلى رجال من أهل البصرة ، وإلى الأَخْتَفِ بْنِ قَيْسٍ وَأَمْثَالِهِ ، وأقامت بالحَقِيرِ ^(٤) تنتظر الجواب .

ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمانُ بْنُ حُتَيْفٍ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ وَأَبَا الْأَسْوَدَ الدُّؤْلِيَّ وقال : انْطَبِقَا إِلَى عَائِشَةَ وَاغْلَمَا عِلْمَهَا وَعِلْمَ مَنْ مَعَهَا ، فَاتَّيَاها وَقَالَا : إِنَّ أَمِيرَنَا بَعَثَنَا إِلَيْكَ لِيَسْأَلَكَ عَنْ مَسِيرِكَ فَهَلْ أَنْتِ مُخْبِرَتُنَا ؟ فقالت : « وَاللَّهِ مَا مِثْلِي يَسِيرُ بِالْأَمْرِ الْمَكْتُومِ »

(١) من مياه العرب على الطريق بين البصرة ومكة . ويصل هذا الموضع لتزول المسافرين .

(٢) قالت : « يَا لَهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

(٣) زاد ابن جرير الطبري : « فليلقوا الناس حتى تقدمي ويسمعوا ما جئتم فيه »

(٤) الخنبر : ما حفره أبو موسى الأشعري على طريق البصرة إلى مكة فكان مأوى هذبا .

إِنَّ الْغَوْغَاءَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَنُزَاعٍ ^(١) الْقِبَائِلَ غَزَوْا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَحْدَثُوا فِيهِ الْأَحْدَاثَ ^(٢) ، وَأَوْوَا فِيهِ الْمُحَدِّثِينَ ^(٣) ، فَاسْتَوْجِبُوا لَعْنَةَ اللَّهِ وَلَعْنَةَ الرَّسُولِ ، مَعَ مَا نَالُوا مِنْ قَتْلِ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ بِلَا تَرَةٍ ^(٤) وَلَا عُذْرٍ ، فَاسْتَحْلُوا الدَّمَ الْحَرَامَ فَسَفَكُوهُ ، وَانْتَهَبُوا الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَأَحْلُوا الْبِلَدَ الْحَرَامَ وَالشُّهُرَ الْحَرَامَ ، وَمَزَقُوا الْأَعْرَاضَ وَالْجُلُودَ ، وَأَقَامُوا فِي دَارِ قَوْمٍ كَارِهِينَ لِمَقَامِهِمْ ضَارِّينَ مُضِرِّينَ ^(٥) غَيْرِ نَافِعِينَ وَلَا مُنْتَفِعِينَ ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى امْتِنَاعٍ وَلَا يَأْمَنُونَ ، فَخَرَجْتُ فِي الْمُسْلِمِينَ أَعْلَمُهُمْ مَا أَتَى هَؤُلَاءِ ، وَمَا فِيهِ النَّاسُ وَرَاءَنَا ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَأْتُوا فِي إِصْلَاحِ هَذِهِ الْقِصَّةِ « وَقَرَأْتُ : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ^(٦) [ثُمَّ قَالَتْ ^(٧) :] « نَهَضَ ^(٨) فِي

(١) النزاع من القبائل : جمع « النازع » وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته أى : بعد وغاب .

(٢) الأحداث : جمع حدث ، وهو : الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة ، كما ذكره صاحب النهاية « في حديث المدينة : من أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً » .

(٣) آووا المحدثين : نصرروا الجانين أو أجاروهم من خصومهم وخالفوا بينهم وبين أن يقتل منهم .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) قد جاء اللفظان بمعنى واحد ، وقد يكون المراد « مضرين » : الذين يكرهون غيرهم حل الأمور التي يريدونها .

(٦) من الآية ١١٤ من سورة النساء .

(٧) زيادة يقتضيها المقام .

(٨) عند الطبري : « نهض » .

الإصلاح فيمن (١) أمر الله وأمر رسوله الصغير والكبير والذكر والأنثى ، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ، ومُنكر ننهاكم عنه ونحضكم على تغييره فخرجنا من عندها ، فاتيا طلحة فقالا له : ما أَقْدَمَكَ ؟ قال : الطَّلَبُ بدمِ عُثمان . فقالا : أَلَمْ تُبَايِعْ عَلِيًّا ؟ قال : « بلى ، والسَّيْفُ عَلَى عُنْقِي ، وما أَسْتَقْبِلُ عَلِيًّا الْبَيْعَةَ إِنْ هُوَ لَمْ يَحْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَتْلَةِ عُثمان » . ثم أتيا الزُّبَيْرَ فقالا له وقال مثل ذلك . فرجعا إلى عائشة فودَّعاها ، فودَّعت عمران ، وقالت يا أبا الأسود ، إِيَّاكَ أَنْ يَقُودَكَ الْهَوَى إِلَى النَّارِ ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ ﴾ (الآية) (٢) . وسَرَّخْتُهُما ، ونادى مُناديها بالرحيل . ومضيا حتَّى أتيا عُثمانَ بنَ حُنيْفٍ ، فَبَدَرَ أَبُو الْأَسْوَدِ عِمْرانَ فقال :

يا ابنَ حُنيْفٍ قد أَتَيْتَ فأنْفِرِ (٣)

وطاعينَ القَوْمِ وجالِدٍ واصلِرِ

وابْزُرْ لَهُمْ مُسْتَلْثَمًا (٤) ومُشَمَّرِ

فاستَرَجَعَ (٥) عُثمان ، وقال : دارَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ (٦) وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !

ونادى في الناس ، وأمرهم بلبس السلاح .

(١) عند الطبرى : « من » .

(٢) الآية ٨ من سورة المائدة .

(٣) انفر : تقدم للقتال .

(٤) مستلثما : لايسا اللثمة ، هى الدرع عنة الحرب .

(٥) قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) روى أبو دارد عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« تدور رحى الإسلام بخمس وثلاثين أوست وثلاثين أو سبع وثلاثين » . قال الخطابي

فى شرحه ج ٤ ص ٣٤٠ : دوران الرضى كناية عن الحرب القتال ، شبهها بالرحى الدوارة

التي تملحن الحب ، لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس .

وأقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا إلى المربد^(١) ، فدخلوا من أغلاه ، ووقفوا حتى خرج عثمان بن حنيف فيمن معه ، وخرج إلى عائشة من أهل البصرة من أراد أن يكون معها ، فاجتمع القوم كلهم بالمربد : عائشة ومن معها في ميمنته ، وعثمان ومن معه في ميمسرته .

فتكلم طلحة ، فأنصتوا له ، فحيد الله وأثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحل منه^(٢) ، ودعا إلى الطلب بدمه ، وحشهم عليه . وتكلم الزبير بمثل ذلك . فقال من في ميمنة المربد : صدقا وبراً ! وقال من في ميمسرته : « فجرا ، وغدرا ، وأمرا بالباطل ! بايعا علياً ثم جاءا يقولان ما يقولان ! » وتحاثي^(٣) الناس وتحاصبوا^(٤) .

فتكلمت عائشة ، فحيدت الله وأثنت عليه ، وقالت : كان الناس يتجنون على عثمان ، ويزرون^(٥) على عماله ، ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، ويرون حسنا من كلامنا في إصلاح بينهم ، فننظر في ذلك فنجد برئاً تقياً وقياً ،

== قال الشاعر يصف حرباً « فدارت رحانا واستدارت رحامو . . . » قال زهير « فتمركم حرك الرعى بقلها . . . » .

(١) المربد : كان من أعظم محال البصرة أسواقها سككها .

(٢) في رواية ابن جرير : وذكر عثمان وفضله والبلد وما استحل منه وعظم ما أتى إليه .

(٣) تحاثي الناس : تراءوا التراب فرماه بعضهم في وجه بعض ولم يذكر أصحاب الصحاح والنهاية واللسان والقاموس وشرحه هذا اللفظ في مادته ، وذكروا « استحي » لهذا المعنى الذي هو ظاهر في التفاعل ، مثل « تحاصبوا » الآتي ، وسباق « تحاثوا » قزيباً ، كما جاء هذا اللفظ عند ابن جرير وابن الأثير .

(٤) تحاصبوا : تراءوا بالحصباء ، أي الحمى .

(٥) يزرون : يعميون .

ونجدهم فجرة غدره كذبه ، وهم يحاولون غير ما يظهرون ، فلما قدروا على المكاثرة كاثروه ، فافتحموا عليه داره ، واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلائرة^(١) ولا عذر ، ألا إن فيما ينبغي - لا ينبغي لكم غيره - أخذ قتلة عثمان ، وإقامة كتاب الله ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ (الآية^(٢)) .

فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين : فقالت فرقة : صدقت والله وبرت وجاءت بالمعروف ، وقالت فرقة خلاف ذلك . فتحاثوا وتحاصبوا وأزهجوا^(٣) ، فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف ، حتى وقفوا في الوربد في موضع الدباغين ، وبقي أصحاب عثمان على حالهم ، يتدافعون حتى تهاجزوا ، ومال بعضهم إلى عائشة^(٤) .

وأقبل حكيم بن جبلة ، وهو على خيل ابن حنيف ، فأنشب القتال ، فأشرع أصحاب عائشة رماحهم ، وأمسكوا اليمسك^(٥) ، فلم ينته ولم ينتن ، وأصحاب عائشة كافون [إلامادفعوا عن أنفسهم^(٦)] ثم اقتتلوا على فم السكة ، وأشرف أهل الدور من كان له في أحد

(١) الترة : النار .

(٢) من الآية ٢٣ من سورة آل عمران .

(٣) أزهجوا : أثاروا الفبار .

(٤) وبقي بعضهم مع عثمان بن حنيف على فم السكة ، كما ذكره ابن جرير ج ٣

ص ٤٨٢ .

(٥) هذا هو المناسب للفلين بعده ، وعبرة ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٠٩ « وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه » . وفي المخطوطة وتاريخ ابن جرير : « ليمسكوا » .

(٦) الزيادة من تاريخ ابن جرير .

الفريقين هَوَى، فرمَوْا في الأخرى بالحجارة. وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا ، حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن ، فوقفوا بها ملياً^(١) ، وثاب إليهم الناس ، فحجز الليل بينهم .. ورجع عثمان إلى القصر ، ورجع الناس إلى قبائلهم ، وأتى أصحاب عائشة إلى ناحية دار الرزق [وباتوا يتأهبون ، وبات الناس يأتونهم ، واجتمعوا بساحة دار الرزق^(٢)] .

وأصبح عثمان فغاداهم^(٣) ، وخرج حُكَيْمٌ ، فاقتتلوا قتالا شديدا من حين بزغت الشمس إلى أن زالت ، وقد كثر القتل في أصحاب ابن حنيفة ، وفشت الجراحة في الفريقين ، ومئادى عائشة يتأشدهم ويدعوهم إلى الكف ، فيأبؤون ، حتى إذا مسهم الشر وعصتهم الحرب نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح ، فأجابوهم : وتداعوا^(٤) وكتبوا بينهم كتابا^(٥) على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة يسأل أهلها ،

(١) مليا : زمانا طويلا .

(٢) سقطت هذه العبارة من النسخة (ك) وثبتت في النسخة (ن) .

(٣) غاداهم : أتاهم آق وقت الغداة .

(٤) كذا في المخطوطة ، أى : دعا بعضهم بعضا . وعند الطبرى « تداعوا » . وعند

ابن الأثير « تداعوا » .

(٥) الكتاب - كما ذكره ابن جرير وغيره - هو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين ، أن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده ، وأن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة ، ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا قرعة ، بينهم عية مكفوفة ، حتى يرجع كعب الخبر ، فان رجع بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرهما ، وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيئته وإن شاء دخل معهما ، وإن رجع أنهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان ، فان شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة على وإن شاءا خرجا حتى يلحقا بطيئتهما ، والمؤمنون أعوان الفالج منها » .

فإن كان طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ أَكْرَهَا عَلَى مَبَايِعَةِ عَلَى خَرَجَ ابْنُ حُنَيْفٍ
عَنِ الْبَصْرَةِ وَأَخْلَاهَا لَهُمْ ، وَإِنْ كَانَا لَمْ يُكْرَهَا عَلَى الْبَيْعَةِ خَرَجَ
طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ .

فسار كَعْبُ (١) بن سُورٍ حَتَّى آتَى الْمَدِينَةَ ، فَقَدِمَهَا يَوْمَ جُمُعَةٍ
فَسَأَلَ أَهْلَهَا هَلْ أَكْرَهَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ عَلَى بَيْعَةِ عَلَى أَمْ أَتَيَاهَا طَائِعِينَ ؟
فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَإِنَّهُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا لَمْ يُبَايِعَا
إِلَّا وَهْمَا مُكْرَهَانِ . فَوَائِيهِ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَالنَّاسُ ، وَثَارُ صُهَيْبُ
وَأَبُو أَيُّوبَ فِي عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، حِينَ
خَافُوا أَنْ يُقْتَلَ أَسَامَةُ ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَتَرَكُوهُ ، وَأَخَذَ صُهَيْبُ
أَسَامَةَ بِيَدِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ .

وَبَلَغَ عَلِيًّا الْخَبِيرُ (٢) ، فَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّهُمَا لَمْ يُكْرَهَا
عَلَى الْبَيْعَةِ .

فَلَمَّا عَادَ كَعْبُ بْنُ سُورٍ أَمَرَ عُثْمَانَ بِالْخُرُوجِ عَنِ الْبَصْرَةِ ، فَامْتَنَعَ ،
وَاحْتَجَّ بِكِتَابِ عَلَى ، فَجَمَعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ الرِّجَالَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ذَاتِ
رِيَّاحٍ وَمَطَرٍ ، وَقَصَدُوا الْمَسْجِدَ وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ حُنَيْفٍ
أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، وَدَخَلَ الرِّجَالُ عَلَى ابْنِ حُنَيْفٍ فَأَخْرَجُوهُ [إِلَيْهِمَا] (٣) ،
فَمَا وَصَلَ وَفِي جِهَةِ شَعْرَةٍ ، فَاسْتَعْظَمَا ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَا إِلَى عَائِشَةَ
فِي أَمْرِهِ ، فَأَرْسَلَتْ أَنْ خَلُّوا سَبِيلَهُ ، وَبَقِيَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ بِالْبَصْرَةِ
وَمَعَهُمَا بَيْتُ الْمَالِ وَالْحَرَسُ ، وَاسْتَتَرَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا .
وَبَلَغَ حُكَيْمُ بْنُ جَبَلَةَ مَا حَلَّ بِعُثْمَانَ [ابْنِ حُنَيْفٍ] (٤) فَقَالَ : لَسْتُ

(١) كَانَ قَاضِي الْبَصْرَةِ .

(٢) كَذَا جَاءَ عَنْهُ ابْنُ الْأَثِيرِ . وَفِي الْمَخْطُوطَةِ « عَلَى » .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي (ك) وَفَارِيجِ ابْنِ الْأَثِيرِ . وَسَقَطَ مِنْ (ن) .

أَخَافُ اللَّهَ إِنْ لَمْ أَنْصُرْهُ . فجاء في جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة - وكان بينه وبين عبد الله بن الزبير محاورات ^(١) - ثم التَفَّوْا واقتتلوا قتالا شديدا ، فكان حُكَيْمٌ بجِحال طَّلحة ، وذَرِيح بجِحال الزُّبَيْر ، وابن المُحَرَّش ^(٢) بجِحال عبد الرحمن بن عَتَّاب ، وحرْقُوص ابن زُهَيْر بجِحال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فَقُتِلَ حُكَيْمُ وابْنُهُ وأخوه ، وَقُتِلَ ذَرِيح ، وَأَقْلَتَ حُرْقُوصُ في نَفَرٍ من أصحابه وجرى إلى طلحة والزبير بمن كان فيهم من غزا المدينة ، فقتلوا . وكانت هذه الواقعة لخمس بَقِيْنَ من شهر ربيع الآخر من السنة وبابِعَ أَهْلُ البصرة طَّلحةَ والزُّبَيْر .

ذكر مسير علي إلى البصرة

وما اتَّفَقَ له في مسيره ومن انضمَّ إليه

ومراسلته أهل الكوفة

قال : وكان علي رضي الله عنه قد تجهز لقصد الشام لقتال معاوية ، لما أظهر الخلاف عليه ، كما تقدم ، فبينما هو على ذلك أتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه ، فلما بلغه ذلك وأنهم يريدون البصرة سره ذلك ، وقال : إن الكوفة فيها رجال [من] ^(٣) العرب وبَيُّوتائهم . فقال له ابن عباس - رضي الله عنهما - :

(١) انظر المحاورات بين حكيم بن جبله وعبد الله بن الزبير عند ابن جرير وابن الأثير .

(٢) « ابن محرز » هكذا ضبطه بعض العلماء بالحاء المهملة والراء المشددة ، وضبطه بعضهم بقوله « ابن المخترش » بالحاء المعجمة والتاء بعدها ، واسمه : خويلد ابن صرو بن صخر .

(٣) جاءت هذه الزيادة في النسخة (ن) .

« إِنَّ الَّذِي سَرَّكَ مِنْ ذَلِكَ لَيْسُوهُنَّ ، إِنَّ الْكَوْفَةَ فُسْطَاطٌ . فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ الْعَرَبِ وَلَا يَزَالُ فِيهَا مَنْ يَنْسُمُو إِلَى أَمْرِ لَا يَنْأَلُهُ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ شَغَبَ عَلَى الَّذِي قَدْ نَالَ مَا يُرِيدُ ، حَتَّى يَكْسِرَ حِدَّتَهُ . » فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنَّ الْأَمْرَ لَيُشْبِهُ مَا تَقُولُ .

ونهيًا للخروج إليهم ، فتدب أهل المدينة للمسير معه ، فتشاقلوا فبعث إلى عبد الله بن عمر كُمَيْلًا النَّخَعِي (١) ، فجاء به ، فدعاه إلى الخروج معه ، فقال : « إِنَّمَا أَنَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ ، فَإِنْ يَخْرُجُوا أَخْرَجْ مَعَهُمْ [وَإِنْ يَقْعِدُوا أَقْعُدْ . » قَالَ : فَأَعْطَنِي كَفِيلًا . قَالَ : لَا أَفْعَلُ (٢) . » فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَوَلَا مَا عَرِفَ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ صَغِيرًا وَكَبِيرًا لِأَنْكَرْتَنِي ! دَعُوهُ فَأَنَا كَفِيلُهُ . فَرَجَعَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ : « وَاللَّهِ مَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ إِنَّ الْأَمْرَ لَمُشْتَبِهٌ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ مُقِيمُونَ حَتَّى يُضَىءَ ! » فَخَرَجَ مِنْ تَحْتِ لَيَاتِهِ . وَأَخْبَرَ أُمَّ كُلْثُومَ (ابْنَةُ عَلِيٍّ ، وَهِيَ زَوْجَةُ عُمَرَ) بِالَّذِي سَمِعَ وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مُعْتَمِرًا مُقِيمًا عَلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ مَا خَلَا النَّهْوُضَ (٣) . فَأَصْبَحَ عَلِيٌّ فَقِيلَ لَهُ : حَدَّثَ اللَّيْلَةَ حَدَّثٌ هُوَ أَشَدُّ مِنْ أَمْرِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَائِشَةَ وَمُعَاوِيَةَ ! قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى الشَّامِ ! فَأَتَى السُّوقَ ، وَأَعَدَّ

(١) كميل بن زيادة بن نهيك النخعي ، كان شريفًا مطاعًا من رؤساء الشيعة ، عاش حتى قتله الحجاج .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) كما جاءت عند ابن جرير وابن الأثير . وصققت من النسخة (ك) .

(٣) كان على رضى الله عنه قد قال لابن عمر حين دعاه إلى الخروج معه : « انهض معي » .

الظُّهْر ^(١) [والرَّحَال ، وأَعَدَّ] ^(٢) لكل طريقٍ طُلُوبًا ، وماجَ الناس ، فسمِعَت أمُّ كُلثوم ، فَاتَتْ عليًّا فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبِير ^(٣) ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ ، وَقَالَ : « انصَرِفُوا ، وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبَ ، وَإِنَّهُ عِنْدِي ثِقَةٌ » . فَانصَرَفُوا .

ثُمَّ أَتَى عَلِيًّا الْخَبِيرُ بِمَسِيرِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ مِنْ مَكَّةَ نَحْوَ الْبَصِيرَةِ ، فَدَعَا وَجُوهَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَخَطَبَهُمْ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَنْتَى عَلَيْهِ وَقَالَ : « إِنَّ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ أَوَّلُهُ ، فَاَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُصْلِحْ لَكُمْ أَمْرَكُمْ . » فَتَنَاقَلُوا ، فَلَمَّا رَأَى زِيَادُ بْنُ حَنْظَلَةَ تَنَاقَلَ النَّاسَ انْتَدَبَ ^(٤) إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ تَنَاقَلَ عِنْدَكَ فَإِنَّا نَخِيفُ مَعَكَ فَتَمُوتَ دُونَكَ . وَقَامَ أَبُو الْهَيْثَمِ ^(٥) ابْنُ التَّيَّهَانِ وَخُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ ^(٦) : « قَالَ الْحَكَمُ : لَيْسَ بِذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، مَاتَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ أَيَّامَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » . وَقَالَ أَبُو عُمَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي تَرْجُمَةِ ^(٧) خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ

(١) الظُّهْر : الإبل التي يحمل عليها وتركب .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) ، وعبارة ابن جرير : « ودعا بالظُّهْر فحمل الرجال » ، وعبارة ابن الأثير : « وأعد الظُّهْر والرجال » .

(٣) كذا جاء في (ن) ، وفي (ك) : « بالخبر » .

(٤) كذا جاء في المخطوطة وتاريخ ابن الأثير . وجاء في تاريخ ابن جرير الطبري :

« ابتدر » .

(٥) أبو الهيثم بن التيهان صحابي أنصاري ، اسمه مالك ، وله ترجمة في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ٢ ص ٥٣٩ والامتناع ج ٣ ص ٣٦٨ والإصابة ج ٣ ص ٣٤١ وأسد الغابة ٤ ص ٢٧٤ .

(٦) في الكامل ج ٣ ص ١١٣ ، وعبارة مأخوذة من ابن جرير في تاريخه ج ٣

ص ٤٦٧ .

(٧) ج ١ ص ٤١٧ - ٤١٨ من الاستيعاب .

ذى الشهادتين^(١) : (إنه شهيد مع علي حرب الجمل وصفيْن فدلَّ على أنه هو ، والله أعلم .) فأجابا علياً إلى نصرته .

وقال أبو قتادة الأنصاري لعلي : « يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّدني هذا السيف ، وقد أعمدته زمانا ، وقد حان تجريدُه علي هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألوا الأمة غشا ، وقد أحببت أن تقدِّمَني ، فقدِّمَني . »

قال^(٢) : ولما أراد عليُّ المَسيرَ إلى البصرة وكان يرجو أن يُدركَ طلحة والزبيرَ فيردُّهما قبل وصولهما إلى البصرة ، فلما سار استخلف عليَّ المدينة تمام بن العباس ، وعليَّ مكة قُثم بن العباس ، وقيل : أمرَ عليَّ المدينة سهيل بن خنيفة ، وسار في تبعيته التي كانت لأهل الشام ، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

وخرج معه من نسط. من الكوفيين والبصريين متخفين في تسعمائة ، فلقِيَه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه ، وقال : « يا أمير المؤمنين ، لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها^(٣) لا يعودُ إليها سلطانُ المسمين أبدا ! » فسبَّوه ، فقال : « دعوهُ ، نِعَم الرجلُ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . » وسار حتى انتهى إلى الرَبْدَةِ^(٤) ، فاتاه خبر سَبَقِهِم إلى البصرة ، فأقام بها يأتُمِر ما يفعل .

(١) سى خزيمة : « ذا الشهادتين » لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل شهادته كشهادة رجلين .

(٢) القائل ابن الأثير في الكامل .

(٣) في رواية ابن جرير الطبري ج ٣ ص ٤٧٤ : « لا ترجع إليها ولا يعود . . »

(٤) الرَبْدَة : قرية بين المدينة وفيد .

ذكر ارسال على الى أهل الكوفة

وعودُ رُسُلِهِ وإرسال غيرهم

وما كان من إخراج أبي موسى الأشعري

عن الكوفة وانضمام أهل الكوفة إلى على

وما كان في خلال ذلك من الأخبار

قال : ولما أقام على - رضى الله عنه - بالرَبْذَة أرسل منها محمداً بن
أبي بكر الصديق ومحمداً بن جعفر رضى الله عنهم إلى أهل الكوفة ،
وكتب إليهم : « إني قد اخترتكم على الأمصار ، وفزعتُ إليكم لما
حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وأنهبوا إلينا ، فالإصلاح
نريد ، لنعود هذه الأمة إخواناً » . فمضيا .

وأقام بالرَبْذَة ، وأرسل إلى المدينة ، فأتاه ما يريد من دابة
وسلاح .

ثم قام في الناس فخطبهم وقال : إِنَّ الله تبارك وتعالى أعزَّنَا
بالإسلام ورفَعَنَا به ، وجعلَنَا إخواناً بعد ذِلَّةٍ وَقِلَّةٍ وتباغُضٍ وتباغُدٍ ،
فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلامُ دينُهُم ، والحقُّ فيهم ،
والكتابُ إمامُهُم ، حتَّى أصيَبَ هذا الرجلُ بأيدي هؤلاء القوم الذين
نَزَغَهُم^(١) الشيطانُ ، لينزَع^(٢) بين هذه الأمة ، ألا وإن هذه
لأبدٌ مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فنعود بالله من شر ما هو كائن
ثم عاد ثانية فقال : إِنَّه لأبد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن

(١) نزعهم : غلبهم ووسوس لهم .

(٢) ينزع : يفسد .

هذه الأمة ستفترق^(١) على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحلني^(٢) ولا تعمل بعملى ، وقد أدركتم ورأيتم^(٣) ، فالزموا دينكم ، واهدؤا بهديي ، فإنه هدى نبيكم ، واتبعوا سنته ، وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .

قال : ثم أتاه جماعة من طييء ، وهو بالرُبذة ، فقيل له : هذه جماعة قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك . فقال : جزى الله كلاً خيراً ﴿ وفصل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾^(٤) . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماشهدتمونا قال به ؟ قالوا : شهدناك بكل ما تحب . فقال : « جزاكم الله خيراً ! قد أسلحتم طائعين ، وقاتلتم المرتدين ، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين » . فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن من الناس من يعبر لسانه عن قلبه ، وإني - والله - ما كل^(٥) ما أجد في قلبي يعبر عنه لساني ، وسأجهد وبالله التوفيق ، أما أنا فسنأصح

(١) هذا مأخوذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أحمد بن حنبل وأبو داود عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال : ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : « ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، اثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة » . انظر معالم السنن ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٢) تنتحلني : تنسب إلي .

(٣) كذا جاء في المخطوطة مثل الذي رواه ابن جرير . وجاء في الكامل لابن الأثير : « وقد أدركتم ورأيتم » .

(٤) من الآية ٩٥ من سورة النساء .

(٥) كذا جاء عند الطبري . وفي المخطوطة هذه العبارة : « وإني والله ما أجد لساني يعبر عما في قلبي » .

لك في السر والعلانية ، وأقاتل عدوك في كل موطن ، وأرى من الحق لك ما لا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك وقربتك » . فقال : « يرحمك الله ! قد أدى لسانك عما يُجنُّ ضميرُك » . (١)

قال : ثم سار على - رضى الله عنه - من الرَبْذَة ، وعلى مقدّمته أبوليلي بن عمرو بن الجراح ، والراية مع ابنه محمد بن الحنفية ، وعلى على ناقة حمراء يقود فرساً كُميّنا ، فلما نزل بفيّند (٢) أتنه أسد وطبيّ ، فعرضوا عليه أنفسهم فقال : في المهاجرين كفاية . وعرضت عليه بكر بن وائل أنفسهم ، فقال لها كذلك .

قال : وانتهى إلى ذي قار (٣) أتاه عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعرة (٤) - وقيل : إنه أتاه بالرَبْذَة - فقال : يا أمير المؤمنين بعثني ذا الحجة وقد جئتكم أمرد ! قال : أصيبت أجراً وخيراً ! وأقام يذئ قار ينتظر جواب أهل الكوفة (٥)

وكان من خبر محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر أنهما أتيا أبا موسى الأشعري بكتاب على ، وقاما في الناس بأمره ، فلم يُجابا بشيء ، فلما أيسوا دخل ناس من أهل الحجا على أبي موسى فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فقال : « كان الرأي بالأمس ليس اليوم » (٦) ، إن

(١) زاد الطبري وابن الأثير : « قتل معه بصفين ، رحمه الله » .

(٢) فيد : موضع في منتصف الطريق بين العراق والحجاز .

(٣) ذو قار : موضع قريب من الكوفة ، اشتهر عند العرب بوقعة مشهورة كانت بين

بكر وكسرى .

(٤) كان محاربوه قد نفثوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه .

(٥) كذا جاء في المخطوطة ، وعند ابن جرير وابن الأثير « أمسوا » .

(٦) كذا جاء في المخطوطة والكامل لابن الأثير . وفي تاريخ ابن جرير : « باليوم » .

الذى تهاونتم به فيما مضى هو الذى جرَّ عليكم ما تروُن ، إنما هما أمران :
العود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ، فاختاروا « فلم يَنْفِرْ إِلَيْهِ
أحد ، فغضب محمد ، فأغلظا لأبي موسى ، فقال لهما : « والله
إِنَّ بَيْعَةَ عُثْمَانَ فِي عُنُقِي وَعُنُقِ صَاحِبَيْكُمَا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ قِتَالٍ
لِنُقَاتِلَ أَحَدًا حَتَّى نَفْرُغَ مِنْ قِتْلَةِ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانُوا » .

فانطلقا إِلَى عَلَى فَأَخْبَرَاهُ الْخَبْرَ وَهُوَ بِذِي قَار ، فَقَالَ لِلْأَشْتَرِ وَكَانَ
مَعَهُ : « أَنْتَ صَاحِبُنَا فِي أَبِي مُوسَى وَالْمُعْتَرِضُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، اذْهَبْ
أَنْتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ فَأَصْلِحْ مَا أفسَدْتَ » .

فخرجوا ، فَقَدِمَا الْكُوفَةَ ، فَكَلَّمَا أَبَا مُوسَى ، وَاسْتَعَانَا عَلَيْهِ بِنَفَرٍ
مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَخَطَبَهُمْ أَبُو مُوسَى فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَصْحَابَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ صَحِبُوهُ [فِي الْمَوَاطِنِ] ^(١) أَعْلَمُ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ مِمَّنْ لَمْ يَصْحَبْهُ ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا حَقًّا ، وَأَنَا مُؤَدُّ إِلَيْكُمْ
نَصِيحَةً ، كَانَ الرَّأْيُ أَلَّا تَسْتَخْفُوا بِسُلْطَانِ اللَّهِ ، وَآلَاتِجْتَرْتُوا عَلَى اللَّهِ ،
وَأَنْ تَأْخُذُوا مَنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَتَرُدُّوهُمْ إِلَيْهَا حَتَّى يَجْتَمِعُوا
فَهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ تَصْلُحُ لَهُ الْإِمَامَةُ [مِنْكُمْ] ^(٢) ، وَهَذِهِ فِتْنَةٌ صَمَاءُ ^(٣) ،
النَّائِمُ ^(٤) فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ ، وَالْيَقْظَانُ خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ ، وَالْقَاعِدُ
خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ ، وَالرَّاكِبُ خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ،

(١) الزيادة من رواية ابن جرير الطبري .

(٢) الزيادة من رواية ابن جرير .

(٣) الفتنة الصماء هي التي لا سبيل إلى تسكينها ، لأن الأصم لا يسمع النداء فلا يقلع عما
يفعله : وقيل : هي كالحية الصماء التي لا تقبل الرق .

(٤) هذا وما يتصل به بعده مأخوذ من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي
ذكره قريباً .

فكونوا جُرثومة^(١) من جرائم العرب^(٢) ، فأغمدوا السيوف ، وأنصلوا^(٣) الأسنّة ، واقصعوا الأوتار ، وآووا^(٤) المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنّة .

فرجع ابن عباس والأشتر إلى عليّ ، فأخبراه الخبر .
فأرسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر ، رضى الله عنهما ، وقال لعمار : انطلق فأصلح ما افسدت . فأقبلا حتى دخلا مسجد الكوفة ، فكان أول من رآهما مسروق^(٥) بن الأجدع ، فسلم عليهما ، وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا^(٦) . قال : فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم^(٧) به ولا صبرتم فكان خيراً للصابرين^(٨) .

فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمه إليه ، وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا فأخللت نفسك مع الفجار ؟ فقال : لم أفعل ولم يسؤني ! فقطع الحسن عليهما [الكلام^(٩)] ، وأقبل على أبي موسى فقال له : « لِمَ تُبْطِ .

(١) الجرثومة : الأصل .

(٢) انصلوا الأسنّة : انزعوا أسنة الرمح ، أى : أخرجوا الأسنّة من أماكنها إبطالا

لقتال .

(٣) كذا جاء في النسخة (ن) وتاريخ ابن جرير وابن الأثير ، أى : ضموا إليكم .

وحوطوه بينكم . وفي النسخة (ك) : « وانصروا » .

(٤) كذا جاء في تاريخ ابن جرير والقاموس والإصابة ج ٣ ص ٤٩٢ حيث

ترجمت . وفي المخطوطة : « المسروق » .

(٥) أبشار : جمع بشر ، و « بشر » اسم جنس جمعى واحد : بشرة ، وهى ظاهر

الجلد .

(٦) ما عوذ من قول الله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم

لهو غير الصابرين ﴾ الآية ١٢٦ من سورة النحل .

(٧) الزيادة من الكامل لابن الأثير .

النَّاسَ عَنَّا ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْإِصْلَاحَ ، وَلَا مِثْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُخَافُ عَلَى نَفْسِهِ ! « قَالَ : صَدَقْتَ ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! وَلَكِنْ « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ ^(١) ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّكَّابِ ^(٢) » وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ إِخْوَانًا ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا دِمَائَنَا وَأَمْوَالَنَا .

فَغَضِبَ عَمَّارٌ ، وَنَسَبَهُ : وَقَامَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا قَالَ لَهُ وَخَدَهُ « أَنْتَ فِيهَا قَاعِدًا خَيْرٌ مِنْكَ قَائِمًا ! .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَسَبَّ عَمَّارًا وَقَالَ : أَنْتَ أَمِيرٌ مَعَ الْفُرُغَاءِ وَالْيَوْمَ تُسَافِقُهُ أَمِيرُنَا ! .

وَنَارُ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَأَمْثَالُهُ ، وَنَارُ النَّاسِ ، وَقَامَ زَيْدٌ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنْ عَائِشَةَ إِلَيْهِ تَأْمُرُهُ بِمَلَازِمَةِ بَيْتِهِ أَوْ تُضَرِّبُهَا ، وَكِتَابٌ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ بِمَعْنَاهُ ، فَأَخْرَجَهُمَا فَقَدَّاهُمَا عَلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُمَا قَالَ : « أَمِرْتُ أَنْ تَقْرَأَ فِي بَيْتِهَا ^(٣) ، وَأَمَرْنَا أَنْ نَقَاتِلَ حَتَّى

(١) « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ » حَدِيثٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ آمِنٌ عَلَى مَا اسْتَشِيرَ فِيهِ .

(٢) « هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْحَدِيثَيْنِ ٦٦٥٤ ، ٦٦٥٥ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي بَكْرَةَ ، انْظُرْ شَرْحَ النَّوَوِيِّ ج ١٨ ص ٨ - ٩ ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ ... » ثُمَّ عَقِبَهُ بِقَوْلِهِ « قَالَ أَبُو عَيْسَى : وَفِي لُبَابٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَخُبَابِ بْنِ الْأَرْتِ وَأَبِي بَكْرَةَ » وَابْنُ مَسْرُودٍ وَأَبِي وَاقِدٍ وَأَبِي مُوسَى وَغَرِثَةُ ، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ج ٩ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) « يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَفَرَّقَ فِي بَيْتِكُنَّ ﴾ .

لا تكون فِتْنَةٌ ^(١) ، فَأَمَرْتَنَا بِمَا أَمَرْتَ بِهِ ، وَرَكِبْتَ مَا أَمَرْنَا بِهِ .
فَقَالَ لَهُ شَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ : يَا عُمَانِي ^(٢) ، سَرَقْتَ بِجُلُولَاءِ ^(٣) فَقَطَعْتَ
يَدَكَ ! وَعَصَيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ [فَقَتَلَكَ اللَّهُ ^(٤)] ! .

وتهاوى الناس . قام أبو موسى فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَطِيعُونِي ،
وَكُونُوا جُرْثُومَةً مِنْ جَرَائِمِ الْعَرَبِ ، يَا أُوِيَ إِلَيْكُمْ الْمَظْلُومَ ، وَيَأْمَنُ
فِيكُمْ الْخَائِفُ إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ بَيَّتَتْ ^(٥)
وَأَنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةُ بَاقِرَةٌ ^(٦) كَذَاءِ الْبَطْنِ ^(٧) ، تَجْرِي بِهَا ^(٨) الشَّمَالُ
وَالْجَنُوبُ وَالصُّبَا وَالْدُّبُورُ ، تَذَرُّ الْحَكِيمَ وَهُوَ حَيْرَانٌ كَابِتٌ أَمْسَ ،
شِيمُوا ^(٩) سُيُوفَكُمْ ، وَاقْصِدُوا ^(١٠) رِمَاحَكُمْ ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَالزَّمُوا
بِئُوتَكُمْ ، خَلُّوا قَرِيْشًا إِذَا أَبَوْا إِلَّا الْخُرُوجَ مِنْ دَارِ الْهَجْرَةِ وَفِرَاقَ
أَهْلِ الْعَالَمِ ^(١١) ، اسْتَنْصَحُونِي وَلَا تَسْتَغْشُونِي ، أَطِيعُونِي يَسْلَمُ لَكُمْ دِينُكُمْ ،

(١) يشير إلى قول الله تعالى : ﴿ وَفَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ .

(٢) قال ابن جرير وابن الأثير : زيد من « عبد القيس » وهم يسكنون عمان .

(٣) جلولا : قرية بالمرقا كانت بها وقعة مشهورة على الفرس للمسلمين .

(٤) الزيادة من ابن جرير .

(٥) أي أنها إذا أقبلت شبت على القوم وأرتمهم أنهم على الحق حتى يدخروا فيها ويركبوا

منها مالا يجوز ، فإذا أدبرت وانقضت بأن أمرها فلم من دخل فيها أنه كان على الخطأ .

(٦) كذا رواها ابن جرير في تاريخه ، وقال صاحب النهاية : في حديث أبي موسى :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيأتي على الناس فتنة باقرة يدع الحليم حيران »

أي : واسعة عظيمة . وفي المخطوطة : « فاقرة » .

(٧) في النهاية : « إن هذه لفتنة باقرة كداء البطن لا يدرى أي يوقى له » أي أنها مفسدة

لدين مفرقة للناس وشبهها بداء البطن لأنه لا يدرى ماهاجه وكيف يداوى ويتأذى له .

(٨) كذا رواها ابن جرير ، وفي المخطوطة : « به » .

(٩) شيموا : اغلوا .

(١٠) اقصلوا : اكسروا .

(١١) في تاريخ الطبري : « العلم بالإمرة » .

ودنياكم ويشقى بجر هذه الفتنة من جناها .

فقام زيد ، فشال يده المقطوعة ، فقال : يا عبد الله بن قيس^(١) رُدَّ الفُراتَ عن أذراجِه ، ارُدُّهُ مِن حَيْثُ يُجىءُ حَتَّى يَعُودَ كَمَا بَدَأَ فَإِنَّ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ فَسَتَقْدِرُ عَلَى مَا تَرِيدُ ، فَدَعْ عَنْكَ مَا لَسْتَ مُذَرِّكُهُ ، سِيرُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ ، انْفِرُوا إِلَيْهِ أَجْمَعِينَ تَصِيبُوا الْحَقَّ ١ .

فقام القَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو^(٢) فقال : « إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ ، وَعَلَيْكُمْ شَفِيقٌ ، أَحِبُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُدُّوا ، وَلَا أَقُولَنَّ لَكُمْ قَوْلًا هُوَ الْحَقُّ ، أَمَّا مَا قَالَ الْأَمِيرُ فَهُوَ الْحَقُّ لَوْ أَنَّ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَأَمَّا مَا قَالَ زَيْدٌ فَزَيْدٌ عَدُوُّ هَذَا الْأَمِيرِ فَلَا تَسْنِصِحُوهُ ، وَالْقَوْلُ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِمَارَةِ تَنْظِمِ النَّاسِ ، وَتَرْغُ^(٣) الظَّالِمَ ، وَتُعِزُّ الْمَظْلُومَ وَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَلِكِي^(٤) بِمَا وَلِي ، وَقَدْ أَنْصَفَ فِي الدَّعَاءِ ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى الْإِصْلَاحِ ، فَانْفِرُوا وَكُونُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ » .

وقال عَبْدُ خَيْرِ الْخَيَوَانِي : يَا أَبَا مُوسَى هَلْ بَايَعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ عَلِيًّا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : هَلْ أَجَدَّثَ عَلِيٌّ مَا يَحِلُّ بِهِ نَقْضُ بَيْعَتِهِ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قَالَ : « لَا دَرَيْتَ ! نَحْنُ نَتْرُكُكَ حَتَّى تَدْرِكَ ! هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا خَارِجًا مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ؟ إِنَّمَا النَّاسُ أَرْبَعُ فِرَقٍ : عَلَى

(١) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري .

(٢) القعقاع بن عمرو التميمي كان من الصحابة والفرمان .

(٣) هكذا جاء عند ابن جرير وابن الأثير ، و « ترغ » بمعنى : تكف وتمنع وتزجر وفي المخطوطة « ترع » .

(٤) مل : مضطلع ناهض .

بظهر الكوفة ، وظلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة بالحجاز لأغناء بها ولا يقاتل بها عدو . « فقال أبو موسى : أولئك خير الناس وهي فتنة ! فقال عبدُ خير : غلب عليك غشك يا أبا موسى !

فقال سيحان بن صوحان : إنه لا بُدَّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال ، يذفع الظلم ، ويُعزُّ المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا وليكم ^(١) وهو يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبه ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه في الدين ، فمن نهض إليه فإننا سائرون معه .

فلما فرغ سيحان قال عمار : « هذا ابنُ عمِّ رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يستنفركم ^(٢) إلى زوجة رسول الله وإلى طلحة والزبير ، وإني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، فانظروا ثم انظروا في الحق ، فقاتلوا معه . » فقال له رجل : أنا ^(٣) مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له ! فقال له الحسن : اكف عنا [بعمار] ^(٤) فإن للإصلاح أهلا ! .

وقام الحسن رضي الله عنه ، فقال : أيها الناس أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل ، وخير في العاقبة ، اجيئوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم ، وإن أمير المؤمنين يقول : « قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإنني أذكر

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وعند الطبري وابن الأثير « واليكم » .

(٢) يستنفركم : يستنفركم .

(٣) كذا جاء في المخطوطة و تاريخ ابن الأثير وجاء في تاريخ ابن جرير الطبري « لم » .

(٤) الزيادة من ابن جرير .

الله رجلا رعى حق الله إلا نفر ، فإن كنت مظلوما أعاننى ، وإن كنت ظالما أخذ منى ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعنى وأول من عذر فهل استأثرت بمال أو بدلت حكما ؟ ، فانفروا ، فمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر .

فسامح الناس وأجابوا ورضوا ، وتكلم عدى بن حاتم ، وهند بن عمرو ، وحجر بن عدى ، وحثوا الناس على اللحاق بعلى وإعانتة ، فأذعن الناس للمسير .

فقال الحسن رضى الله عنه : « أيها الناس ، إني غاد ، فمن شاء منكم أن يخرج على الظهر ^(١) ، ومن شاء فى الماء » ، فنفر معه تسعة آلاف ، أخذ فى البر ستة آلاف ومائتان ، وبقيتهم فى الماء .

وقيل : إن عليا - رضى الله عنه - أرسل الأشرى بعد ابنه الحسن وعمار - إلى الكوفة ، فدخلها والناس فى المسجد ، وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم ، والحسن وعمار معه فى منازعة ، وكذلك سائر الناس ، كما تقدم ، فجعل الأشرى لا يمر بقبيلة فيها جماعة إلا دعاهم ويقول : اتبعونى إلى القصر ، فانتهى إلى القصر فى جماعة من الناس ، فدخلوا (وأبو موسى فى المسجد يخطبهم ويثبطهم ، والحسن يقول له : اعتزل عملنا لأأم لك وتنح عن منبرنا) وعمار ينازعه) فأخرج الأشرى غلمان أبى موسى من القصر ، فخرجوا يعدون وينادون : « يا أبا موسى ، الأشرى قد دخل القصر ، فضربنا ، وأخرجنا » فنزل أبو موسى ، فدخل القصر ، فصاح به الأشرى : « اخرج »

(١) الظهر : الإبل التى يحمل عليها وتركب .

لَأْمُ لَكَ ! أَخْرَجَ اللَّهُ نَفْسَكَ ! » فقال : أَجَلْنِي هَذِهِ الْعِشِيَّةَ . فقال
 هِيَ لَكَ وَلَا تَبْتَئَنَّ فِي الْقَصْرِ اللَّيْلَةَ . ودَخَلَ النَّاسُ يَنْهَبُونَ مَتَاعَ
 أَبِي مُوسَى ، فَمَنْعَهُمُ الْأَشْتَرُ ، قال : أَنَا لَهُ جَارٌ . فكَفَّوْا عَنْهُ .

فَنَفَرَ النَّاسُ فِي الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ . وقِيلَ : إِنَّ عَدَدَ مَنْ سَارَ مِنَ الْكُوفَةِ
 اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ وَرَجُلٌ ، قال أَبُو الطُّفَيْلِ : سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ ذَلِكَ قَبْلَ وَصُولِهِمْ ، فَقَعَدْتُ فَأَحْصَيْتُهُمْ ، فَمَا زَادُوا
 رَجُلًا وَلَا نَقَصُوا رَجُلًا .

وكان على كِنَانِهِ وَأَسَدٌ وَتَمِيمٌ وَالرِّبَابُ وَمُزَيْنَةُ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارَ
 الرِّيَاحِيُّ ^(١) ، وعلى سُبُعٍ ^(٢) قَيْسُ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ عَمُّ الْمُخْتَارِ ^(٣) ،
 وعلى بَكْرٍ وَتَغْلِبُ وَغُلَّةُ بْنُ مَخْلُوجٍ ^(٤) الذُّهْلِيُّ ^(٥) ، وعلى مَذْجَجٍ وَالْأَشْعَرِيِّينَ
 حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، [وعلى بَجِيلَةَ وَأَنْثَارَ وَخَنْعَمَ وَالْأَزْدَ مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ
 الْأَزْدِيُّ ، فَقَدِمُوا عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٦)] بِبَيْتِ قَارَ ، فَلَقِيَهُمْ
 فِي نَاسٍ فَرَحَّبَ بِهِمْ ، وقال : « يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، وَلِيْتُمْ مُلُوكَ الْعَجَمِ
 وَفَضَضْتُمْ جُمُوعَهُمْ ، حَتَّى صَارَتْ إِلَيْكُمْ مَوَارِيثُهُمْ ، فَأَغْنَيْتُمْ حَوَزَتَكُمْ ،

(١) كَلَّمَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَغِيْرَهَا ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ « مَعْقِلَ بْنَ يَسَارَ » صَحَابِيٌّ سَكَنَ الْبَصْرَةَ
 وَحَفَرَ نَهْرَ مَعْقِلَ بِهَا ، وَيُقَالُ لَهُ « الْمَرْقُ » لِأَنَّهُ بَيْنَ مَزِينَةَ ، وَأَنَّ « الرِّيَاحِيَّ » هُوَ « مَعْقِلُ
 بْنِ قَيْسِ الرِّيَاحِيِّ » مِنْ تَمِيمٍ ، وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي أَمْرَاءِ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَانْظُرْ الْإِصَابَةَ ج
 ٣ ص ٤٩٩ .

(٢) رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ج ٣ ص ٥١٣ أَنَّهُ « خَرَجَ إِلَى عَلِيٍّ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ
 وَمِنْ أَسْبَاحٍ . . . ثُمَّ ذَكَرَ « سُبُعُ قَيْسٍ » وَ« سُبُعُ بَكْرٍ بْنِ وَائِلٍ » ، وَ« سُبُعُ مَلْجَجٍ
 وَ« سُبُعُ بَجِيلَةَ » .

(٣) الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ .

(٤) كَلَّمَا جَاءَ فِي تَارِيخِي ابْنَ جَرِيرٍ وَابْنَ الْأَثِيرِ ، وَفِي الْمَخْطُوطَةِ « وَغُلَّةُ بْنُ مَجْبُوحٍ »

(٥) مِنْ فُهْلٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، مِنْ بَكْرٍ .

(٦) سَقَطَتْ هَذِهِ الْمُبَارَةُ مِنَ النُّسَخَةِ (ك) وَثُبَّتَتْ فِي النُّسَخَةِ (ن) .

وَأَعَنَّمِ النَّاسَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَقَدْ دَعَوْتَكُمْ لَتَشْهَدُوا مَعَنَا إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ ، فَإِنْ يَرْجِعُوا فَذَلِكَ الَّذِي نُرِيدُ ، وَإِنْ يَلْجَأُوا دَاوِينَاهُمْ
بِالْفِرْقِ حَتَّى يَبْذُرُونَا بِظُلْمٍ ، وَلَمْ نَذْغْ أَمْرًا فِيهِ صِلَاحٌ إِلَّا أَثَرْنَاهُ عَلَى
مَا فِيهِ الْفَسَادُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قال : وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين : الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو وَسَعْدُ
بْنُ مَالِكٍ وَهَنْدُ بْنُ عَمْرٍو وَالْهَيْثَمُ بْنُ شِهَابٍ ، وكان رؤساء النُّفَّارِ زَيْدُ بْنُ
صُوحَانَ وَالْأَشْتَرُ وَعَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ وَالْمُسَيْبُ بْنُ نَجْبَةَ وَيزيد ابن قيس
وأمثال لهم ليسوا دونهم [إِلَّا أَنَّهُمْ] ^(١) لم يؤمروا ، منهم حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ .

ذكر مراسلة علي طلحة والزبير وأهل البصرة

في الصلح وإجابتهم إليه وانتظام الصلح
وكيف أفسده قتلة عثمان .

قال : وأقام عليٌّ - رضى الله عنه - بذي قار ، فأرسل الْقَعْقَاعُ بْنُ
عَمْرٍو إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقَالَ لَهُ : أَلَيْسَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَادَعِيهِمَا إِلَى
الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَعَظَّمُ عَلَيْهِمَا الْفُرْقَةَ . (وكان الْقَعْقَاعُ مِنْ أَصْحَابِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

فخرج حتى قَدِمَ الْبَصْرَةَ ، فبدأ بعائشة فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَقَالَ :
أَيُّ أُمَّةٍ ، مَا أَشْخَصَكِ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ ؟ قَالَتْ : أَيْ بُنَى ،
الْإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ . قَالَ : فَأَبْعَثْنِي إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ حَتَّى تَسْمَعَنِي
كَلَامِي وَكَلَامَهُمَا ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمَا ، فَجَاءَا ، فَقَالَ لِهَما : إِنِّي سَأَلْتُ
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَقْدَمَهَا ؟ فَقَالَتْ الْإِصْلَاحَ ، فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا ؟ أُمْتَابِعَانِ

(١) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) وسقطت من (ك)

أم مُخَالِدَان ؟ قالا : مُتَابِعَان . قال : فَأَخْبِرَانِي مَا وَجَّهَ هَذَا الإِصْلَاح
فَوَاللَّهِ لئن عَرَفْنَاهُ لَيُصْلِحَنَّ وَلئن أَنْكَرْنَاهُ لَا يُصْلِحُ ^(١) . قالا :
قَتَلَهُ عُثْمَانُ ، فَإِنَّ هَذَا إِنْ تَرَكَّ كَانَ تَرْكًا لِلْقُرْآنِ ! قال :
« قَدْ قَتَلْنَا قَتْلَةَ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَأَنَّا قَبْلَ قَتْلِهِمْ أَقْرَبُ
إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنْكُمْ الْيَوْمَ ! قَتَلْتُمْ سِتْمَاةَ رَجُلٍ فَغَضِبَتْ لَهُمْ سِتَّةُ
آلَافٍ وَاعْتَزَلَوْكُمْ ، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، وَطَلَبْتُمْ حُرْقُوصَ بْنِ
زُهَيْرٍ فَمَنَعَهُ سِتَّةُ آلَافٍ فَارِسَ ، فَإِنْ تَرَكَتْهُمْ كُنْتُمْ تَارِكِينَ لِمَا
تَقُولُونَ ، وَإِنْ قَاتَلْتُمْهُمْ وَالَّذِينَ اعْتَزَلَوْكُمْ فَأُذِلُّوْا عَلَيْكُمْ فَالَّذِي
حَذَرْتُمْ وَقَوَّيْتُمْ ^(٢) بِهِ هَذَا الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِمَّا أَرَاكُمْ تَكْرَهُونَ ^(٣) ، وَإِنْ
أَنْتُمْ مَنَعْتُمْ مُضَرَ وَرَبِيعَةَ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ وَخَذْلَانِكُمْ
نُضْرَةَ لِهَؤُلَاءِ ، كَمَا اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ لِأَهْلِ هَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ وَالذَّنْبِ
الْكَبِيرِ ! » قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَا تَقُولُ أَنْتَ قَالَ « أَقُولُ إِنْ هَذَا الْأَمْرُ دَوَاؤُهُ
التَّسْكِينُ ، فَإِذَا سَكَنَ اخْتَلَجُوا ، فَإِنْ أَنْتُمْ بَايَعْتُمُونَا فَعَلَا خَيْرٌ
وَتَبَاشِيرُ رَحْمَةٍ وَدَرَكُ بَشَارٍ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مُكَابَرَةَ هَذَا الْأَمْرِ وَاعْتِسَافَهُ
كَانَتْ عَلَامَةٌ شَرٍّ وَذَهَابَ هَذَا الشَّرُّ ^(٤) ، فَأَثَرُوا الْعَافِيَةَ تُرْزَقُوهَا ،
وَكَوْنُوا مَفَاتِيحَ خَيْرٍ كَمَا كُنْتُمْ ، وَلَا تُعَرِّضُونَا لِلْبَلَاءِ فَتُعَرِّضُوا لَهُ
فَيُضَرَّعَنَا وَإِيَّاكُمْ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِلَهِي لِأَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ
وَلِيَّيْ لَخَافْتُ أَنْ لَا يَتِمَّ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ حَاجَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي قُلَّ

(١) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) وَجَاءَ فِي (ك) : « لئن عَرَفْنَاهُ لَيُصْلِحَنَّ وَلئن أَنْكَرْنَاهُ .

لَا يَصْلِحُ » .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَالْكَامِلِ ، وَهَذَا ابْنُ جَرِيرٍ : « قَرِيبٌ » ، وَتَأَنَّى بِمَعْنَى « طَلَبْتُمْ » .

(٣) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَلَايَةِ وَالنَّهْجَةِ ج ٢ ص ٢٢٧ : يَعْنِي أَنَّ الَّذِي تَقْرَأُونَهُ مِنْ قَتْلِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ مُصْلِحَةٌ وَلَكِنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ هِيَ أَرَبَى مِنْهَا .

(٤) هَكَذَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جَرِيرٍ ج ٣ ص ٥٠٣ ، وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ : « الْمَالُ » .

متاعها ونزل بها مانزل ، فإنَّ هذا الأمر الذي حدثَ أمرٌ ليس يُقدَّر ،
وليس كقتل الرجلِ الرجلَ ولا النَّفَر الرجلَ ولا القبيلة [الرجل] ^(١)
قالوا : « قد أصبَتْ وأحسنَتْ ، فارجع ، فإنَّ قديمَ عليٍّ وهو عليٌّ
مثل رأيك صلَح هذا الأمر » .

فرجع إلى عليٍّ ، فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف القومُ على
الصلح ، كرهَ ذلك مَنْ كرهه ، ورضيَه مَنْ رضيَه ^(٢) .

وأقبلتْ وفود العرب من أهل البصرة نحو عليٍّ بذى قار ، قبل
رجوع القَعْقَاع ، لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة ، وعلى أيِّ
حال نهضوا إليهم ، وليُعلموهم أنَّ الذي عليه رأيهم الإصلاح ،
ولا يخطرُ لهم قتالهم على بال .

فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقاتلتهم ،
وأدخلوهم على عليٍّ فأخبروه بخبرهم .

ورجعتْ وفود أهل البصرة برأى أهل الكوفة ، ورجع القَعْقَاع
من البصرة .

فقام عليٌّ رضى الله عنه خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر
الجاهلية وشقاءها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة والجماعة
بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يليه ، ثم الذي
يليه ، ثم حدثَ هذا الحدثُ الذي جرَّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه
الدنيا وحسدوا مَنْ أفاءها الله عليه (وعلى الفضيلة) التي من الله

(١) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير وجاء في البداية والنهاية : « ولا القبيلة القبيلة » .

(٢) جاء في البداية والنهاية بعد هذا : « وأرسلت عائشة إلى عليٍّ تعلمه أنها جاءت للصلح ،
وفرَّح هؤلاء وهؤلاء » .

بها ، وأرادوا رَدَّ الإسلام والأشياء عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَاللَّهُ بِالْبَيْعِ أَمْرُهُ .
ثُمَّ قَالَ : أَلَا وَلِأَنِّي رَاحِلٌ غَدًا ، فَارْتَحِلُوا ، وَلَا يَرْتَحِلُنَّ مَعَنَا أَحَدٌ
أَعَانَ عَلَى عُثْمَانَ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ ، وَلِيُغْنِيَ السُّفَهَاءُ عَنْ
أَنْفُسِهِمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

ذكر اجتماع قتلة عثمان بذي قار وتشاورهم

وما اتفقوا عليه من المكيدة التي اقتضت نقض الصلح

ووقوع الحرب

قال : ولما قال عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ مَقَالَتهُ بِذِي قَارِ ، وَأَمَرَ أَلَّا
يَرْتَحِلَ مَعَهُ أَحَدٌ مِمَّنْ أَعَانَ عَلَى عُثْمَانَ بِشَيْءٍ اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْهُمْ عِلْبَاءُ بْنُ
الْهَيْثَمِ وَعَدِي بْنُ حَاتِمٍ وَسَالِمُ بْنُ قُعْلَبَةَ الْقَيْسِيُّ وَشُرَيْحُ بْنُ
أَبِي أَوْفَى^(١) وَالْأَشْتَرُ ، فِي عِدَّةٍ^(٢) مِمَّنْ سَارَ إِلَى عُثْمَانَ أَوْ رَضِيَ بِسَبْرِ
مَنْ سَارَ إِلَيْهِ وَجَاءَ مَعَهُمُ الْمَصْرِيُّونَ وَابْنُ السُّودَاءِ^(٣) وَخَالِدُ بْنُ مُلْجَمٍ ،
فَتَشَاوَرُوا فَقَالُوا « مَا لِرَأْيِ ؟ هَذَا عَلَى وَهُوَ وَاللَّهُ أَبْصَرُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ
يَطْلُبُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْعَمَلِ بِذَلِكَ ، وَهُوَ يَقُولُ
مَا يَقُولُ ، وَلَمْ يَنْفِرْ إِلَيْهِ إِلَّا هُمْ^(٤) وَالْقَلِيلُ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَكَيْفَ بِهِ
إِذَا شَامَ الْقَوْمَ وَشَامُوهُ^(٥) وَرَأَوْا قَتْلَنَا فِي كَثْرَتِهِمْ ؟ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ تُرَادُونَ ،

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في تاريخي الطبري وابن الأثير « شريح بن أوفى »
والخلافاً في هذا الاسم ملحوظ في كثير من الكتب .

(٢) ذكر ابن كثير أنهم اجتمعوا في ألفين وخمسة مائة ، وليس فيهم صحابي وسيدكر
المؤلف هذا العدد قريباً في كلام ابن السوءاء .

(٣) ابن السوءاء : عداؤه بن سبأ .

(٤) كذا جاء في رواية ابن جرير ج ٣ ، ص ٥٠٧ ، وفي المخطوطة (سواهم)

(٥) يقال « شامت فلاناً » إذا قاربته ومهرقت ماعدته .

وما أنتم بالحى^(١) من شيء ! » فقال الأشتر : « قد عرفنا رأى طلحة والزبير فينا ، وأما رأى على فلم نعرف رأيه إلى اليوم ، ورأى الناس فينا واحد ، فان يصطلحوا مع على فعلى دماثنا ، فهلموا بنا نثب على على فنلحقه بعثمان ، فتعود فتنه يرضى منا فيها بالسكون . » فقال عبد الله بن السوداء « بشس الرأى والله [رأيت] ^(٢) ، أنتم باقتلة عثمان يذى قار ألفان وخمسمائة ، أو نحو من ستمائة ، وهذا ابن الحنظلية - يعنى طلحة - وأصحابه فى نحو خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلا ! » فقال علباء بن الهيثم « انصرفوا بنا عنهم ، ودعوهم ، فإن قلوا كان لعدوهم عليهم ، وإن كثروا كان آخرى أن يصطلحوا عليكم ، ودعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتىكم فيه من تقوون به ، وامتنعوا من الناس . » فقال ابن السوداء « بشس والله ما رأيت ، ودَّ والله الناس أنكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء ، ولو انفردتم لتخطفكم الناس وكل شيء ! » فقال عدى بن حاتم : « والله ما رصيت ولا كرهت ، ولقد عجبنت من تردد من تردد عن قتله فى خوض الحديث ، فأما إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فإن لنا عتادا من خيول وسلاح ، فإن أقدمتم أقدمنا ، وأن أمسكتم أمسكنا ! » فقال ابن السوداء : أحسنت ! وقال سالم بن ثعلبة : « من كان أراد بما آتى الدنيا فإني لم أرد ذلك ، والله لئن لقيتهم غدا لا أرجع إلى شيء ^(٣) »

(١) كذا جاء فى المخطوطة والكمال لابن الأثير ، ٣ ص ١٢٠ ، وجاء فى تاريخ ابن جرير : « بانجى » .

(٢) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير .

(٣) كذا جاء فى المخطوطة والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ١٢١ ، وجاء فى تاريخ الطبرى ج ٣ ، ص ٥٠٨ « لئن لقيتهم غدا لا أرجع إلى بقى » .

وأحلف بالله إنكم لتفرقون الناس بالسيف ^(١) فرَّقَ قوم لاتصير
 أمرهم إلَّا إلى السيف ! » فقال ابن السوداء : قد قال قولاً .
 وقال شريح بن أبي أوفى : « أهرموا أمركم قبل أن يخرجوا ^(٢) ،
 ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله ، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخيرهُ
 فإننا عند الناس بِشَرُّ المنازل ، ولا أدري ما الناس صانعون إذا ما هم
 التَّقَوْا ! » وقال ابن السوداء : « يا قوم ، إن عزكم في خلط الناس ،
 فإذا التقى الناس غداً فأنشِبوا القتال ، ولا تُفرغوه للخطر ، فمن
 أنتم معه لا يجديداً من أن يمتنع ، ويشغلُ الله علياً وطلحة والزبير ومن
 رأى رأيهم عما تكرهون ! » .

فأبصروا الرأي ، وتفرقوا عليه ، والناس لا يشعرون .

ذكر مسير علي رضي الله عنه

ومن معه من ذى قار إلى البصرة ووقعه الجمل

قال : ولما أصبح على رضي الله عنه سار من ذى قار وسار معه الناس
 حتى نزل على عبد القيس ، فانضموا إليه ، ثم سار فنزل الزاوية ،
 وسار من الزاوية يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير وعائشة من
 الفرضة ، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، وذلك في النصف
 من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، [حكاه ابن الأثير ^(٣) ،

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في (ن) « لتفرقون السيف » .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وعند ابن جرير « تخرجوا » ، وعند ابن الأثير

« تخرجوا » .

(٣) في الكامل ج ٢ ص ١٢١ .

وقال أبو جعفر ^(١) : كانت وقعة الجمل في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخر سنة ست وثلاثين ^(٢) .

وسبق على أصحابه ، وهم يتلاحقون به ، فلما نزل قال أبو الجرياء للزبير : الرأي أن تبعث [الآن] ^(٣) ألف فارس إلى علي قبل أن يتوآنى إليه أصحابه . فقال : « إنا لنعرف أمور الحرب ، ولكنهم أهل دغوتنا ، وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم ، من لم يلق الله فيه بعدر انقطع عنده يوم القيامة ! وقد فارقنا وافدهم على أمر ، وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح ، فأبشروا ، واصبروا . » .

وأقبل صبرة بن شيمان فقال لطلحة والزبير : انتهزا بنا هذا الرجل ، فإن الرأي في الحرب خير من الشدة ! فقالا : « إنا وهم مسلمون » ^(٤) ، إن هذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو تكون فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد زعم قوم أنه لا يجوز تحريكه [اليوم] ^(٥) ، وهم على ومن معه ، وقلنا نحن : لا ينبغي لنا أن نتركه [اليوم] ^(٦) ولانؤخره ، وقد قال علي : ترك هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه ، وقد كاد يبين لنا ، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين [بإيثار] ^(٧) أعمها منفعة .

(١) ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٥٣٩ قد أئيمه بقوله « في قول الواقفي » ، وما حكاه ابن الأثير منقول أيضا عن أبي جعفر الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٥١٤ حيث قال : « فالتقوه عند موضع قمر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ يوم غميس » .

(٢) سقطت هذه الجملة من النسخة (ك) وثبتت في النسخة (ن)

(٣) الزيادة من ابن جرير الطبري .

(٤) الزيادة من ابن جرير .

وقال كعب بن سور : يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم .
فأجاباه بنحو ماتقدم .

قال : ولما نزل على ونزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن
مرحوم العبدى أن اخرج فإذا خرجت فإل بنا إلى عسكر على ، فخرجنا
في عبد القيس وبكر بن وائل ، فعدلوا إلى عسكر على ، فقال الناس
من كان هؤلاء معه غلب . وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال ،
إنما يرسل على إليهم يكلمهم ويدعوهم .

قال : وقام على فخطب الناس ، فقام إليه الأعور بن بُنان المِنقرى
فسأله عن إقدامهم على أهل البصرة ، فقال له على : على الإصلاح
ولإطفاء النار ^(١) لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويوسع حريمهم .
قال : فإن لم يجيبوا . قال : تركناهم ماتركونا . وقال : فإن لم
يتركونا . قال : دفعناهم عن أنفسنا . قال : فهل لهم في هذا مثل
الذى عليهم ؟ قال : نعم .

وقام إليه أبو سلام ^(٢) الدالاني فقال : أترى لهؤلاء القوم حجة
فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك ؟ قال : نعم .
قال : فترى لك حجة بتأخيرك ذلك ؟ قال نعم ، إن الشيء إذا كان
لا يُدرك فالحكم ^(٣) فيه أخوطة وأعمه نفعا . قال : فما حالنا وحالهم
إن ابتلينا غدا ؟ قال : إني لأرجو ألا يُقتل منا ومنهم أحد
نقى قلبه لله إلا أدخله الله الجنة . . وقال في خطبته : « أيها

(١) جاء في رواية ابن جرير «النائرة» هي : (الفتنة) ، ونائرة الحرب :
شرها وهيبتها .

(٢) عند ابن جرير وابن الأثير : « أبو سلامة » .

(٣) كذا جاء عند ابن جرير ، وجاء عند ابن الأثير : « أن الحكم » ، وجاء في
المخطوطة « أن الحلم » .

الناس املكوا [أنفَسَكُمْ ، وَكُفُّوا] ^(١) عن هؤلاء القوم أيديكم
وَأَلْسِنَتِكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَسْبِقُونَا ، فَإِنِ الْمَخْصُومُ غَدَا مِنْ خَصْمِ الْيَوْمِ .
وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ حَكِيمَ بْنَ سَلَامٍ ^(٢) وَمَالِكَ بْنَ حَبِيبٍ ، يَقُولُ : إِنْ
كُنْتُمْ عَلَى مَا فَارَقْتُمْ [عَلَيْهِ] ^(٣) الْقَعْقَاعَ فَكُفُّوا حَتَّى نَنْزِلَ فَتَنْظُرَ فِي هَذَا
الْأَمْرِ .

وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَبَنُو سَعْدٍ مَشْتَرِينَ ، قَدْ مَنَعُوا
حُرْقُوصَ بْنِ زُهَيْرٍ وَهُمْ مَعْتَزِلُونَ . وَكَانَ الْأَحْنَفُ قَدْ بَايَعَ عَلِيًّا بِالْمَدِينَةِ
بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ عَادَ مِنَ الْحِجِّ فَبَايَعَ ^(٤) ، فَلَمَّا قَدِمَ
طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ اعْتَزَلَ بِالْجُلَحَاءِ وَمَعَهُ زُهَاءُ سِتَّةَ آلَافٍ (وَالْجُلَحَاءُ مِنَ
الْبَصْرَةِ عَلَى فَرَسَخَيْنِ) فَقَالَ لَعَلِّي : إِنْ قَوْمُنَا بِالْبَصْرَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ
إِنْ ظَفِرْتَ عَلَيْهِمْ غَدَا قَتَلْتَ رِجَالَهُمْ وَسَبَيْتَ نِسَاءَهُمْ ! قَالَ : « مَا مِثْلِي
يُخَافُ هَذَا مِنْهُ ! وَهَلْ يَحِلُّ هَذَا إِلَّا لِمَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ » ^(٥) ؟ وَهُمْ
قَوْمٌ مُسْلِمُونَ . « قَالَ : اخْتَرْتُ مِنِّْي وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ : إِمَّا أَنْ أَقَاتَلَ
مَعَكَ ، وَإِمَّا أَنْ أَكُفَّ عَنْكَ عَشْرَةَ آلَافٍ سَيْفٍ . [قَالَ : اكْفُفْ
عَنَّا عَشْرَةَ آلَافٍ سَيْفٍ .] ^(٦) فَرَجَعَ إِلَى النَّاسِ ، فَدَلَّهُمْ إِلَى الْقَعُودِ ،
وَنَادَى : « يَا آلَ خُنْدِيفٍ » ، فَأَجَابَهُ نَاسٌ ، ثُمَّ نَادَى : « يَا آلَ تَمِيمٍ » ،

(١) الزيادة من ابن جرير ج ٣ ص ٥٠٩ .

(٢) عند ابن جرير وابن الأثير : « حَكِيمُ بْنُ سَلَامَةَ » .

(٣) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير ، وسوف يأتي في الرد مايؤيده .

(٤) انظر ما ذكره ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٢٢ من قول الأحنف .

(٥) زاد ابن جرير في روايته : أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَسْتُ عَلَيْهِمْ

بِغَيْرِ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ .

(٦) ثبتت هذه الجملة في النسخة « ن » كما جاء عند ابن الأثير ، سقطت من النسخة ك .

(٧) جاء في المخطوطة والكامل « يَا آلَ » بثبوت الهززة الممددة في هذا الموضع

والموضعين التاليين له ، وجاء في تاريخ ابن جرير (يَأَلْ) بلا هززة في المواضع الثلاثة

فأجابه ناس ، ثم نادى : « يا آل سعد » ، فلم يَبْنُ سعدى إلا
أجابه ، فاعتزل بهم ، ونظر ما يصنع الناس ، فلما كان القتال
وظفر على دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرير .

قال : ولما تراءى الجمعان خرج الزُبَيْرُ عَلَى فرس وعليه سلاح ،
فقيل لعلّ : هذا الزُبَيْرُ فقال : أما إِنَّهُ آخَرَى الرجلين إِنْ ذُكِرَ بِاللّهِ
أَنْ يَذْكَرَ وخرج طلحة ، فخرج إليهما على ، [فدنا منهما] ^(١) حتى ،
اختلفت أعناق دوابهم ، فقال لعمرى لقد أعددتما سلاحا وخيلا
ورجالا ، إِنْ كنتما أعددتما عُذْرًا عِنْدَ اللّهِ فَاتَّقِيَا اللّهِ ، ولا تكونا
﴿ كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ ^(٢) ، أَلَمْ أَكُنْ أَخَاكَمَا
فِي دِينِكَمَا تُحَرِّمَانِ دَمِي وَأَحْرَمَ دِمَائِكَمَا ؟ فهل مِنْ حَدَثٍ أَحْلَ دَمِي ؟
فقال طلحة : اللبث ^(٣) عَلَى دَمِ عُثْمَانَ . فقال عَلَى رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ :
﴿ يَوْمَئِذٍ يُوقِفِيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ ^(٤) يا طلحة ، تطلبُ بِدَمِ عُثْمَانَ
فلعن اللّهُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ ! يا طلحة ، أَتَيْتَ بِعُرْسِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَقَاتِلُ بِهَا وَخَبَأْتَ عِرْسَكَ فِي الْبَيْتِ ! أما بَايَعْتَنِي ؟ قال :
بَايَعْتُكَ وَالسَّيْفُ عَلَى عُنُقِي ! . ثم قال للزُبَيْرِ : مَا أَخْرَجَكَ ؟ قال
أَنْتَ ، ولا أراكَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا وَلَا أَوْكَى بِهِ مِنَّا . فَذَكَرَهُ عَلَى رَضِيَ اللّهُ
عَنْهُ بِأَشْيَاءَ ، ثم قال : أَنْذَكُرُ يَوْمَ مَرَرْتَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي بَنِي عَنَمَ ، فَنَظَرْتُ إِلَى ، فَضَحَكَ وَضَحَكَتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ :
لَا يَدْعُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ زَهْوَهُ ! فقال لك رَسُولُ اللّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) الزيادة من ابن جرير ج ٣ ص ٤١٥ .

(٢) من الآية ٩٢ من سورة النحل .

(٣) وفي تاريخي ابن جرير وابن الأثير : ألبت .

(٤) من الآية ٢٥ في سورة النور .

والسلام : « إِنَّكَ لَتَقَاتِلُهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ » ؟ ! فقال : اللهم نعم
ولقد كنت أُنسيتها ولو ذكرتُ ما سرتُ مسيرى هذا ، والله
لا أقاتلك أبداً .

وقيل : إنه قال له : كَيْفَ أَرْجِعُ وَقَدْ التَقْتُ خَلَقْنَا الْبَطَانَ ^(١) ؟
هذا والله العارُ الَّذِي لَا يَغْسِلُهُ الدَّهْرُ ! قال يَا زُبَيْرُ ارْجِعْ بِالْعَارِ خَيْرَ
مَنْ أَنْ تَرْجِعَ بِالْعَارِ وَبِالنَّارِ .

فَرَجَعَ الزُّبَيْرُ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ لَهَا : يَا أُمَّاهُ ، مَا شَهِدْتُ مَوْطِنًا
إِلَّا وَلِي فِيهِ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ غَيْرَ مَوْطِنِي هَذَا ! قَالَتْ : وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ
قَالَ : أَدْعُهُمْ وَأَذْهَبُ ، ثُمَّ قَالَ لِابْنَتِهِ عَبْدِ اللَّهِ : عَلَيْكَ بِحَرْبِكَ ^(٢)
وَأَمَّا أَنَا فَأَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي . فَقَالَ لَهُ : مَا يَرُدُّكَ ؟ قَالَ : مَا لَوْ عَلِمْتَهُ
لَكَسَرْتُكَ ^(٣) . فَقَالَ لَهُ ابْنَتُهُ : بَلْ رَأَيْتَ عُيُونَ بَنِي هَاشِمٍ تَحْتَ الْمَغَافِرِ ^(٤)
فَرَأَعْتُكَ ، وَعَلِمْتَ أَنَّ سَيُوقَفُهُمْ حِدَادٌ تَحْمِلُهَا فِتْنَةٌ أَنْجَادُ . فَغَضِبَ الزُّبَيْرُ
ثُمَّ قَالَ : أَمْثَلِي يُفْزَعُ بِهِذَا ؟ وَأَحْفَظُهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنِّي حَلَفْتُ إِلَّا
أَقَاتِلُهُ . قَالَ : فَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ وَقَاتِلْهُ ، فَأَعْتَقَ غَلَامَهُ مَكْحُولًا ، وَقِيلَ :
أَعْتَقَ سَرَجَسًا .

فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيُّ :
لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ أَخَا إِخْوَانٍ أَعْجَبَ مِنْ مَكْفَرِ الْإِيمَانِ

(١) البطان : الحزام الذي يحمل تحت بطن البعير ، وفيه حلقتان ، فإذا التقتا فقد بلغ
الشد غاية ، قال صاحب لسان العرب : ومن أمثال العرب التي تضرب للامر إذا اشتد :
« التقت حلقتا البطان » . وفي مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٣٥ : « يضرب في الحادثة
إذا بلغت النهاية » .

(٢) في النسخة (ك) : « بحربك » ، وفي النسخة (ن) : (بحربك) .

(٣) صرفك عن مرادك .

(٤) المغافر جمع المغفر أو المغفرة ، وهو مايلبه البارح حل رأسه في الحرب من
الزرد ونحوه .

(في أبيات آخر) .

وقيل : إن الزُبَيْرَ نَزَعَ سِنَانَهُ رُمَحَهُ ، وحمل على جَيْشِ عَلِيٍّ ، فقال عليٌّ لأصحابه : أفرجوا له فإنه قد أغضب ، وإنه منصرفٌ عنكم فقالوا : إذن والله لانبأى بعد رجوعه بجمعهم وما كنا نتقى سواه .

وقيل : إن الزُبَيْرَ إنما عاد عن القتال لما سمع أنَّ عَمَّارَ بنَ ياسِرٍ مع عليٍّ ، فخاف أن يقتل عمار ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عَمَّارُ تقتلك الفئةُ الباغيةُ » فردَّه ابنُه عبدُ الله ^(١) .

وافترق أهلُ البصرة ثلاثَ فرقٍ : فرقةٌ مع طلحة والزُبَيْرِ وفرقةٌ مع عليٍّ ، وفرقةٌ لا ترى القتالَ ، منهم الاخنفُ بن قيسٍ وعمران بن حصين .

وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحُدَّانِ ^(٢) في الأزْدِ ، ورأسُ الأزْدِ يومئذ صَبْرَةُ بنُ شَيْمَانَ ، فقال له كَعْبُ بنُ سُورٍ : إنَّ الجموعَ إذا تراءت لم تستطع ، إنما هي بحور تدفَّقُ ، فأطغى ولا تشبهدهم واعتزل بقومك ، فإني أخاف ألا يكونَ صلحٌ ، ودعْ مُصْرَ وربيعه فهما أخوانٌ ، فإن اصطلحا فالصلحُ أرَدُّنا ، وإن اقتتلا كنَّا حُطَّامًا عليهم غداً . (وكان كَعْبُ في الجاهلية نصرانياً) فتال صَبْرَةُ : أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية ! أتأمرني أن أغيبَ عن إصلاح بين

(١) ذكر ابن جرير في تاريخه ج ٣ ص ٣ ص ٥١٩ وابن الأثير في تاريخه ج ٣ ص ١٢٢ قول عليٍّ قزير بن العوام : « قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ففرق بيننا وبينك » . وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٦ : ولم يزل الزبير موالياً لعل متسكاً بحبه ومودته : حتى نشأ ابنه عبد الله وشب : ففرع به به عرق من الأم ، ومال إلى تلك الجهة : وانحرف عن هذه : رحمة الوالد لولده معروفة فانحرف الزبير بانحرافه .

(٢) الحُدَّان : إحدى محال البصرة القديمة : سميت باسم قبيلة من الأزْدِ .

الناس ، وأن أَخَذَلْ أَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلَحَ وَالزُّبَيْرَ إِنْ رَدُّوا عَلَيْهِمُ الصِّلَحَ ،
وَأَدَعَ الطَّلَبَ بِدَمِ عُثْمَانَ ، وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ هَذَا أَبَدًا ! . فَأَطْبَقَ أَهْلُ الْيَمَنِ
عَلَى الْحُضُورِ .

وحضر مع عائشة المِنْجَابُ بْنُ رَاشِدٍ فِي الرَّبَابِ (وَهُمْ تَيْمٌ وَعَدِيٌّ
وَنَوْرٌ وَعُكْلٌ ، بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ أَدَّ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ إِيَّاسَ ، مُضَرٌّ ، وَضَبَّةٌ
ابْنُ أَدَّ بْنِ طَابِخَةَ) ^(١) ، وحضر أيضا أَبُو الْجَرِّاءِ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ
تَيْمٍ ، وَهَلَالُ بْنُ وَكَيْعٍ فِي بَنِي حَنْظَلَةَ ، وَصَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ عَلَى الْأَزْدِ ،
وَمَجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودِ السُّلَمَى عَلَى سُلَيْمٍ ، وَزُقَرُ بْنُ الْحَارِثِ فِي بَنِي عَامِرٍ
و [أَغْصَرِينَ النُّعْمَانَ عَلَى] ^(٢) غُظْفَانَ ، وَمَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ عَلَى بَكْرٍ ،
وَالْخَزِيمَةُ بْنُ رَاشِدٍ عَلَى بَنِي نَاجِيَةٍ ، وَعَلَى الْيَمَنِ ذُو الْإِجْرَةِ الْحَمِيرِيُّ .
قَالَ : وَلَمَّا خَرَجَ طَلَحَةُ وَالزُّبَيْرُ نَزَلَتْ مُضَرٌّ جَمِيعُهَا وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي
الصِّلَحِ ، [وَنَزَلَتْ رَبِيعَةُ فَوْقَهُمْ وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الصِّلَحِ ،] ^(٣)
وَنَزَلَتْ الْيَمَنِ أَسْفَلَ مِنْهُمْ وَهُمْ كَذَلِكَ : وَنَزَلَتْ عَائِشَةُ فِي الْحُدَّانِ ،
وَالنَّاسُ بِالزُّبَيْرِ عَلَى رُؤُسَائِهِمْ .

هؤلاء - وهم أصحاب عائشة - ثلاثون ألفا : وهؤلاء - وهم
أصحاب علي - عشرون ألفا .

(١) قد يطلق اللفظ « الرباب » على بني عبد مناة بن أد : وكانوا قد تحالفوا مع
بني عهم ضبة بن أد على بني عهم تيم بن مر بن أد : وقد يطلق اللفظ « الرباب »
عائلاً لهؤلاء المتحالفين من بني عبد مناة وضبة . وهم خمس قبائل صاروا في تجمعهم كإحدى
للواحدة : وقد سبق في نهاية الأرب ج ٢ ص ٤٣٨ أنهم « سوا الرباب لأنهم غلبوا
أبديهم في رُبِّ » . إذ تحالفوا على بني تيم . . . ويرى بعض العلماء أنهم « سوا » رباباً لأنهم
كانوا فرقة واحدة : فيكون « الرباب » جمع « الرية » بمعنى الفرقة .

(٢) الزيادة من ابن جرير .

(٣) الزيادة من ابن جرير ج ٣ ص ٥١٦ - ٥١٧ وابن الأثير ٣ - ١٢٣ .

ورُدُّوا حَكِيمًا وَمَالِكًا ^(١) : « أَنَا عَلَى مَا فَارَقْنَا عَلَيْهِ الْقَعْقَاع » .
وَنَزَلَ عَلَى بَجِيَالِهِمْ ، وَنَزَلَتْ مُضَرٌّ إِلَى مُضَرٍّ ، وَرَبِيعَةٌ إِلَى رَبِيعَةٍ ،
وَالْيَمَنُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُخْرِجُ إِلَى بَعْضٍ لَا يَذْكُرُونَ
إِلَّا الصَّلَاحَ ، فَخَرَجَ عَلَى وَطْلَحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَتَوَاقَفُوا فَلَمْ يَرَوْا أَمْرًا أَمْثَلَ مِنْ
الصَّلَاحِ وَوَضَعَ الْحَرْبَ ، فَافْتَرَقُوا عَلَى ذَلِكَ .

وَبَعَثَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْعَشِيِّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ إِلَى طَلْحَةَ
وَالزُّبَيْرِ ، وَبَعَثَا إِلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ ، وَأَرْسَلَ عَلَى وَطْلَحَةَ وَالزُّبَيْرِ
إِلَى رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِمْ بِأَمْرِ الصَّلَاحِ ، فَبَاتُوا بَلِيلَةً لَمْ يَبْتَئُوا بِمِثْلِهَا
لِلْعَافِيَةِ الَّتِي أَشْرَفُوا عَلَيْهَا وَالصَّلَاحِ ، وَبَاتَ الَّذِينَ أَثَارُوا أَمْرَ عُثْمَانَ
بِشَرِّ لَيْلَةٍ ، وَبَاتُوا يَتَشَاوَرُونَ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى إِنْشَابِ الْحَرْبِ ، فَغَدَوْا
مَعَ الْغُلَسِ وَمَا يَشْعُرُ بِهِمْ أَحَدٌ ، فَخَرَجُوا مُتَسَلِّلِينَ ، فَقَصَدَ مُضَرَّهُمْ
إِلَى مُضَرَّهُمْ ، وَرَبِيعَتَهُمْ إِلَى رَبِيعَتِهِمْ ، وَيَمَنَّهُمْ إِلَى يَدْنِهِمْ ، فَوَضَعُوا
فِيهِمُ السَّلَاحَ ، فَثَارَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَثَارَ كُلُّ قَوْمٍ فِي وَجْهِهِ أَصْحَابُهُمُ الَّذِينَ
أَتَوْهُمْ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لَعَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ .

قَالَ : وَبَعَثَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ إِلَى الْمَيْمَنَةِ وَهُمْ رَبِيعَةٌ أَمِيرًا عَلَيْهَا
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَاوِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وَإِلَى الْمَيْسَرَةِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ ،
وَتَبَتَا فِي الْقَلْبِ ، وَقَالَا : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : طَرَقَنَا أَهْلُ الْكُوفَةِ لَيْلًا !
قَالَا وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ عَلِيًّا غَيْرُ مُنْتَهَى حَتَّى يَسْفِكَ الدَّمَاءَ وَأَنَّهُ لَنْ يَطَاوَعَنَا !

(١) سَبَقَ أَنَّ عَلِيًّا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَكِيمَ بْنَ سَلَامٍ وَمَالِكَ بْنَ حَبِيبٍ . يَقُولُ : إِنْ كُنْتُمْ
عَنِ مَا فَارَقْتُمْ عَلَيْهِ الْقَعْقَاعَ فَكُفُّوا حَتَّى نَنْزِلَ فَتَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ » . فَالْراودون هُنَا هُمْ قَوْمُ
عَائِشَةَ وَطْلَحَةَ وَالزُّبَيْرِ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ . وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَى تِلْكَ الرِّسَالَةِ ، فَخَرَجَ الرِّسُولَانِ
مِنْ عِنْدِهِمْ حَتَّى قَبِلَا عَلَى عَلِيٍّ نَهْيًا لِرَدِّ النَّاسِ ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ هُنَا : فَارْتَحَلَ عَلِيٌّ حَتَّى نَزَلَ بِجِيَالِهِمْ ..

فردَّ أهل البصرة أولئك الكوفيين إلى عسكرهم ، فسمع على وأهل الكوفة الصَّوتَ - وقد وضع السَّبِيَّةُ رجلاً قريباً منه - فلما قال على ما هذا قال ذلك الرجلُ : ماشِعَرْنَا إِلَّا وَقَوْمٌ مِنْهُمْ قَدْ بَيَّتُونَا فَرَدَدْنَاهُمْ فَوَجَدْنَا الْقَوْمَ عَلَى رِجْلٍ ، فَرَكَبُوا ، وَثَارَ النَّاسُ ، فَأَرْسَلَ عَلَى صَاحِبَ الْمَيْمَنَةِ إِلَى الْمَيْمَنَةِ ، وَصَاحِبَ الْمَبَسَّرَةِ إِلَى الْمَبَسَّرَةِ ، وَقَالَ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ غَيْرُ مُنْتَهِمِينَ حَتَّى يَسْفِكََا الدَّمَاءَ وَأَنْهَمَا لَنْ ^(١) يَطَاوَعَانَا . وَالسَّبِيَّةُ لَا تَفْتَرُ ، وَنَادَى عَلَى فِي النَّاسِ : كُفُّوا فَلَاشَيْءَ ! . وَكَانَ مِنْ رَأْيِهِمْ جَمِيعًا فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ أَلَّا يَقْتُلُوا حَتَّى يُبَدِّعُوا (يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ الْحِجَّةَ) وَأَلَّا يَقْتُلُوا مُذْبِرًا ، وَلَا يُجْهَزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا يَسْتَحْلُوا سَلْبًا ، وَلَا يَرْزَعُوا بِالْبَصْرَةِ سِلَاحًا وَلَا ثِيَابًا وَلَا مَتَاعًا .

وَأَقْبَلَ هَكْـمُ بْنُ سُورٍ حَتَّى أَتَى عَائِشَةَ فَقَالَ : « يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدْرِكِي النَّاسَ ، فَقَدْ أَبَى الْقَوْمُ إِلَّا الْقِتَالَ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحَ ^(٢) بَلْ » . فَرَكِبَتْ وَأَلْبَسُوا هَوْدَجَهَا الْأَدْرَاعَ ، فَلَمَّا بَرَزَتْ مِنَ الْبُيُوتِ وَهِيَ عَلَى الْجَمَلِ وَكَانَتْ بِحَيْثُ تَسْمَعُ الْغَوَاةَ وَقَفَتْ ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ وَقَاتَلَ الزُّبَيْرُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ : فَجَعَلَ يَحُوزُهُ ^(٣) بِالرُّمَحِ وَالزُّبَيْرُ كَافٌّ عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَتَقْتُلُنِي يَا أَبَا الْيَقْظَانِ ^(٤) ؟ قَالَ ^(٥) : لَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! وَإِنَّمَا كَفَّ الزُّبَيْرُ عَنْهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَقْتُلُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » : وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلَهُ .

(١) كَذَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ ٣ ص ٥١٨ : رَأَيْنَا الْإِثْرَ ج ٣ ص ١٢٤ ، وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ « لَمْ » .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جَرِيرٍ . وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ : « أَنْ يَصْلَحَ » .

(٣) يَحُوزُهُ : يَسُوقُهُ .

(٤) أَبُو الْيَقْظَانِ : كُنْيَةُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ .

(٥) كَذَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جَرِيرٍ : وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ : « فَيَقُولُ » .

قال : ثم اعتزل الزبير الحربَ وانصرف ، وصَلِّيَهَا ^(١) طَلْحَةَ ،
فَأَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبُ ^(٢) شَكَّ رَجُلَهُ بِصَفْحَةِ الْقَرْسِ ، ثم دخل البصرة
ومات بها . وسنذكر إن شاء الله أخباره وأخبار الزبير بعد نهاية وقعة
الجمال .

وانهزم القوم يريدون البصرة ، فلما رأوا الخيل أطافت بالجمال
عادوا قلبا كما كانوا حيثُ اتَّقَوْا وعادوا في أمر جديد .

فقالت عائشة لكعب بن سُور وهو آخذ بخطام الجمل : خَلْ
عن الجمل وتقدم بالمُصْحَفِ فادْعُهُمْ إِلَيْهِ . (وناولته مصحفا
من هَوْدَجِهَا) فاستقبل القومَ [بالمصحف] ^(٣) ، والسَّبِيحَةَ أَمَامَهُمْ
(يخافون أن يجرى الصلح) ^(١) ، فرشقوه رَشْقًا واحدًا ، فقتلوه
وَرَمَوْا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَوْدَجِهَا ، فجعلتُ تُنادي : « الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ يَا بَنِي ! »
ويعلو صَوْتُهَا « اللَّهُ اللَّهُ ! اذْكُرُوا اللَّهَ وَالْحِسَابَ ! » فَيَأْبُونَ إِلَّا إِقْدَامًا ،
فكان أولُ شيءٍ أحدثته حينَ أَبَوْا أَنْ قالت : « أَيُّهَا النَّاسُ الْعُنُوا
قَتْلَةَ عُثْمَانَ وَأَشْيَاعِهِمْ ! » وأقبلتُ تدعو : فضجَّ النَّاسُ بالدعاء ،
فسمع عليٌّ فقال : ما هذه الضَّجَّةُ ؟ قالوا : عائشة تدعو علي قَتْلَةَ
عُثْمَانَ وَأَشْيَاعِهِمْ . فقال : اللَّهُمَّ الْعَن قَتْلَةَ عُثْمَانَ !

وأرسلتُ إلى عبد الرحمن بن عَتَّاب وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام : أَنْ اثْبِتَا مَكَانَكُمَا . وَحَرَّضَتِ النَّاسَ حِينَ رَأَتْ الْقَوْمَ

(١) صليها : قامى شتمها .

(٢) سهم غرب - يسكون الراء أو فتحها - : لا يعرف رايه .

(٣) الزيادة من ابن جرير .

يريدونها ولا يكفون ، فحملت مضرب البصرة حتى قصفت^(١) مضرب الكوفة ، حتى زحم على ، فنخس قفا محمد ابنه ، وكانت الراية معه ، وقال له : احمل . فتقدم حتى لم يجد متقدما إلا على سنان رمح ، فأخذ على الراية من يده ، وقال : يا بني بين يدي . وحملت مضرب الكوفة فاجتلدوا^(٢) قدام الجمل حتى ضرسوا^(٣) ، والمجنبات^(٤) على حالها لا تصنع شيئا ، واشتدت الحرب ، فأصيب زيد بن صوحان ، وأخوه سنيحان ، وارث^(٥) أخوهما صعصعة ، فلما رأى على ذلك بعث إلى ربيعة وإلى اليمن : أن اجتمعوا من يليكم .

فقام رجل من عبد القيس من أصحاب على فقال : ندعوكم إلى كتاب الله : فقالوا : كيف يدعونا إليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله ؟ وقد قتل كعب بن سور داعي الله ورمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه ! ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم ، وأبى أهل الكوفة إلا القتال ، ولم يريدوا إلا عائشة ، فذكرت أصحابها ، فاقتتلوا ، حتى تنادوا فتمحازوا ، ثم رجعوا فاقتتلوا : وتزاحف الناس ، فظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم وربيعه البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ، ثم عاد يمن الكوفة فقتل على رايتهم عشرة : خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن ، فلما رأى ذلك يزيد بن قيس

(١) القصف : الدفع الشديد .

(٢) اجتلدوا : تضاربوا بالسيوف .

(٣) ضرسوا : عصفهم الحرب .

(٤) هكذا جاء عند ابن جرير ٣ ص ٥٢٣ ولكل جيش من الجيشين مجنبتان : وهما :

ميسرة وميسرة . وجاء في المخطوطة : « والمجنبتان على حالهما لا تصنع شيئا » والشيء لا تناسب الفعل « تصنع » .

(٥) ارث الجريح : حمل من المعركة وهو ضعيف قد انحنت الجراح .

أَخَذَهَا فَثَبَّتَ فِي يَدِهِ . وَرَجَعَتْ رَبِيعَةُ الْكُوفَةُ فَاقْتَتَلُوا قَتَالًا شَدِيدًا ،
فَقُتِلَ عَلَى رَايَتِهِمْ وَهُمْ فِي الْمَيْسِرَةِ زَيْدٌ ^(١) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُقْبَةَ
وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ رَاشِدٍ بْنُ سُلَيْمٍ وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ هَدَيْتَنَا
مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَاسْتَنْقَذْتَنَا مِنَ الْجَهَالَةِ ، وَابْتَلَيْتَنَا بِالْفِتْنَةِ ، فَكُنَّا
فِي شُبْهَةٍ وَعَلَى رَبِيعَةٍ » [حَتَّى] ^(٢) قَتَلَ .

وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ حَتَّى لَزِقَتْ مَيْمَنَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِقُلُوبِهِمْ ، وَمَيْسِرَةُ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ بِقُلُوبِهِمْ ، وَمَنْعُوا مَيْمَنَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَنْ يَخْتَلِطُوا بِقُلُوبِهِمْ وَإِنْ
كَانُوا إِلَى جَنْبِهِمْ ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ مَيْسِرَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِمَيْمَنَةِ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ .

فَلَمَّا رَأَى الشُّجْعَانُ مِنَ مُضَرِّ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ الصَّبْرَ تَنَادَوْا :
طَرَّفُوا إِذَا فَرَّغَ الصَّبْرُ . فَجَعَلُوا يَقْصِدُونَ الْأَطْرَافَ (الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ)
فَمَا رَأَوْى وَقْعَةً كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْهَا قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا وَلَا أَكْثَرَ ذِرَاعًا
مَقْطُوعَةً وَرِجْلًا مَقْطُوعَةً ! وَأُصِيبَتْ يَدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ قَبْلَ قَتْلِهِ .
فَنَظَرَتْ عَائِشَةُ عَنْ يَسَارِهَا ، فَقَالَتْ : مَنْ الْقَوْمُ عَنْ يَسَارِي ؟
فَقَالَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ : بَنُوكَ الْأَزْدُ . قَالَتْ : يَا آلَ غَسَّانِ حَافِظُوا لِي
الْيَوْمَ فَجِلَادَكُمْ ^(٣) الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ بِهِ ! وَتَمَثَّلَتْ :

وَجَالِدٌ مِنْ غَسَّانِ أَهْلُ حِفَاظِهَا وَهَزَبٌ ^(٤) وَأَوْسٌ جَالِدٌ وَشَبِيبٌ

(١) هُوَزَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْمُبَلِّغِ : أَخُو صَمْعَةَ وَصِيحَانِ ، انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ

ج ١ ص ٥٥٩ وَالْإِصَابَةُ ج ١ ص ٥٨٢ : ٥٦٨ .

(٢) كَذَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْرٍ ج ٣ ص ٥٢٥ ، وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ : « وَقَتْلَ » .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) ، وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) : « جِلَادَكُمْ » .

(٤) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ كِتَابُ ابْنِ جُرَيْرٍ ، وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣

فكانت الأزد يأخذون^(١) بعرّ الجمل فيشّمونه ويقولون : بعرّ جمل
أمنّا ريحُه ريحُ المسك ! .

وقالت لمن عن يمينها : من القوم عن يميني ؟ قالوا بكر بن وائل .
قالت : لكم يقول القائل :

وجاءوا إلينا في الحديد كأنهم
من العزّة القعساء^(٢) بكر بن وائل

إنما بإزائكم عبد القيس . فاقتتلوا أشدّ من قتالهم قبل ذلك .
وأقبلت على كتيبة بين يديها فقالت : من القوم ؟ قالوا
بنو ناجية . قالت : بخ بخ^(٣) ! سيوف أبطحية^(٤) قرشية ! فجالدوا
جلادا يتفادى منه .

ثم أطافت بها بنوضبة ، فقالت : وبها^(٥) ! جئرة الجمرات^(٦)
فلما رقوا خالطهم بنو عدى بن عبد مناه ، وكثروا حولها ، فقالت :
من أنتم ؟ قالوا : بنو عدى خالصنا إخواننا ، فأقاموا رأس الجمل ،
وضربوا ضرباً ليس بالتعذير^(٧) ، ولا يعدلون بالتطريف ، حتى

(١) في النسخة (ك) : « يأخذون » ، وفي النسخة (ن) : « تأخذ » .

(٢) القعساء : الثابتة .

(٣) بخ : كلمة للمدح والامتنان وإظهار الرضا ، ويكرر للمبالغة في ذلك .

(٤) الأبطح : مكان بمكة بين جبليها : أبي قيس والأحمر ، ويقال لمن ينزلون في

هذا المكان من قريش « قريش البطاح » .

(٥) وبها : كلمة إغراء وتحريض .

(٦) في خزائن الأدب ج ١ ص ٣٦ : وأعلم أن جمرات العرب ثلاث : وهم

بنو نمير بن حامر وبنو الحارث بن كعب وبنوضبة بن أد ، والتجدير في كلام العرب التجميع ،
ولأنما سموا بذلك لأنهم متوافرون في أنفسهم لم يدخل معهم غيرهم .

(٧) إذا قصر قوم في أمر ولم يبذلوا فيه قيل : « عذروا » بتشديد الذال ، والتعذير

مصدر ، وهو منفي هنا .

إذا كثر ذلك وظهر في العسكرين جميعا رأوا الجمل ، وقالوا :
لا يزول القومُ أو يُضْرَعُ الجمل . وصارت مَجْنَبَتَا عَلِيٍّ إِلَى الْقَلْبِ ،
وفعل ذلك أهلُ البصرة ، وكره القومُ بعضهم بعضا .

وَأَخَذَ عَمِيرَةُ بْنُ يَثْرِبِيٍّ رَأْسَ الْجَمَلِ ، وَكَانَ قَاضِيُ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ
مَنْ يَحْمِلُ عَلَيَّ الْجَمَلَ ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ هِنْدُ بْنُ عَمْرِو الْجَمْلِيُّ الْمُرَادِيُّ ،
فَاعْتَرَضَهُ ابْنُ يَثْرِبِيٍّ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَقَتَلَهُ ابْنُ يَثْرِبِيٍّ ، ثُمَّ حَمَلَ
عَلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، فَقَتَلَهُ ابْنُ يَثْرِبِيٍّ ، وَقَتَلَ سَيْحَانُ بْنُ صُوحَانَ ، وَارْتُثَّ
صَعَصَعُهُ (١) ، فَنَادَى عَمَارُ بْنُ يَاسِرِ ابْنِ يَثْرِبِيٍّ : لَقَدْ عُدَّتْ بِحَرِيرِزٍ (٢)
وَمَا إِلَيْكَ مِنْ سَبِيلٍ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الْكُتَيْبَةِ إِلَى .
فَتَرَكَ الزُّمَامَ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ وَخَرَجَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ
الْصَفَيْنِ تَقَدَّمَ عَمَّارٌ ، وَهُوَ ابْنُ تَسْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ،
وَعَلَيْهِ فَرَوْ قَدْ شَدَّ وَسَطُهُ بِحَبْلِ مِنْ لَيْفٍ ، وَهُوَ أَضْعَفُ مِنْ بَارَزِهِ ،
فَاسْتَرْجَعَ (٣) النَّاسُ وَقَالُوا : هَذَا لَاحِقٌ بِأَصْحَابِهِ ! فَضْرِبَهُ ابْنُ
يَثْرِبِيٍّ ، فَاتَّقَاهُ عَمَّارٌ بِدَرَقَتِهِ (٤) ، فَنَشِبَ سَيْفُهُ فِيهَا ، فَعَالَجَهُ فَلَمْ
يَخْرُجْ ، وَأَسَفَ (٥) عَمَّارٌ لِرَجْلَيْهِ فَضْرِبَهُ فَقَطَعَهُمَا ، فَوَقَعَ عَلَى اسْتِهِ
وَأَخَذَ أُسِيرًا ، فَأَتَى بِهِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ : اسْتَبَقْنِي ! فَقَالَ : أَبْعَدَ ثَلَاثَةَ
نَقْتَلُهُمْ ؟ وَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، وَقِيلَ : إِنَّ الْمَقْتُولَ عَمْرُو بْنُ يَثْرِبِيٍّ (٦)

(١) انظر ماسبق قريبا .

(٢) عدت : التجأت . حريرز : حصين .

(٣) استرجع الناس : قالوا : إن الله وإنا إليه راجعون .

(٤) الدركة : قطعة من جلد يحملها المحارب للوقاية من السيف ، كالترس .

(٥) أسف : دنا .

(٦) انظر ترجمة عمرو بن يثرب في الإصابة ج ٣ ص ١١٩ .

وإنَّ عَمِيرَةَ^(١) بَقِيَ حَتَّى وَلَّى قِضَاءَ الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ .

قال : ولما قُتِلَ ابْنُ يَثْرِبَ تَرَكَ الْعَدَوِيُّ الزُّمَامَ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، وَبَرَزَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَبِيعَةُ الْعُقَيْلِيَّ ، فَاقْتَتَلَا ، فَاتَّخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَمَاتَا جَمِيعًا .

وَقَامَ مَقَامَ الْعَدَوِيِّ الْحَارِثُ الضَّبِّيُّ ، فَمَا رُؤِيَ أَشَدَّ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ^(٢) :

نَحْنُ بَنِي^(٣) ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ
نُبَارِزُ الْقِرْنَ إِذَا الْقِرْنُ نَزَلَ
نَنْعَى ابْنَ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ
الْمَوْتُ أَحَلَّى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلِ^(٤)

وَارْتَجَزَ غَيْرُ ذَلِكَ .

فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ عَلَى خِطَامِ الْجَمَلِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، قَالَتْ هَانِشَةُ : مَا زَالَ جَمْلِي مَعْتَدِلًا حَتَّى فَقَدْتُ أَصْوَاتَ بَنِي ضَبَّةٍ .
قال^(٥) : وَأَخَذَ الْخِطَامَ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ وَهُوَ آخِذٌ بِخِطَامِ الْجَمَلِ .

(١) في القاموس : « عمرو بن يثرب صحابي ، وعَمِيرَةُ بْنُ يَثْرِبَ تَابِي » .

(٢) جرى المؤلف هنا على أن القائل هو الحارث الضبي ، كما بين الأثير في الكامل ، وذكر ابن جرير في تاريخه هذا القول ج ٣ ص ٥٢٦ وذكر قولاً آخر ج ٣ ص ٥٣٦ أن القائل عمرو بن يثرب الضبي وهذا القول الثاني هو الذي اتجه إليه صاحب الإصابة ج ٣ ص ١١٩ .
(٣) كذا جاء في النهاية ولسان العرب بالنصب على الاختصاص ونفس المبرد على نصبه مرون في الكامل : انظر وغية الآمل ج ٢ ص ٦٧ - ٦٨ ج ٤ ص ١٠١ وجاه في المخطوطة « بنو » .

(٤) بجل : حسب .

(٥) القائل : الشعبي ، انظر تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٣٦ .

وكان محمد بن طلحة بمن أخذ بخطامه ، وقال : يا أمّاه مُريني
ببأمرك . قالت : أمرك أن تكون كخَيْرِ ابْنِي^(١) آدَمَ^(٢) إن^(٣) تركت .
فجعل لا يحمل عليه أحدٌ إلاّ حمل وقال : « حمّ لا يُنصرون »^(٤)
واجتمع عليه نفر^(٥) كلُّهم ادّعى قتله ، فأنفذه بعضهم بالرُّمح ،
ففى ذلك يقول :

وأشعث قوامٍ بآياتِ ربِّه قليل الأذى فيما ترى العينُ مُسلمٍ
هتكتُ له بالرمحِ جيبَ قميصه فخرَّ صريعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ^(٦)
يُذَكِّرُنِي حَامِمْ^(٧) والرمحُ شاجرٌ فهلاًّ تلاً حَامِمْ قَبْلَ التَّقَدُّمِ^(٨)
على غيرِ شئٍ غيرَ أنْ لَيْسَ تابِعاً علياً ، ومن لا يتبع الحقَّ يندم

(١) كلما جله في الإصابة ج ٣ ص ٣٧٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٣ وفيه إشارة
إلى قصة ابْنِ آدَمَ . بسط أحدهما يده لقتل أخيه وامتناع الآخر الآية ٢٧ وما بعدها من
سورة المائدة . وجاء في المخطوطة وغيرها : « بنى » .
(٢) كذا جاء في النسخة (ك) : وجاء في (ن) : « وإن » .

(٣) لعل هذا مأخوذ من الحديث النبوي الذي رواه أصحاب السنن : « إن يتم فليكن شعاركم
حم لا ينصرون » وانظر شرحه في البداية والبيان (ح م م) وقد اقتصر المؤلف فيما
يتعلق بشأن محمد بن طلحة و (حاميم) على هذه الرواية التي ذكرها ابن الأثير ، وسيأتي في الشعر
قول قاتل محمد « يذكركي حاميم » وقد اختلف العلماء في تذكير حاميم ، فقال بعضهم
« كلما حمل عليه رجل قال نشدتك بحاميم » يريد بما في (حم عسق) من قوله تعالى ﴿ قل لا
أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ وقال بعضهم : « كان شعار أصحاب علي يوم الجمل
(حم) وكان القاتل مع علي ؟ فلما طعن محمداً قال محمد (حم) فأنشد القاتل الشعر » وقال
بعضهم : « قال محمد بن طلحة لما طعنه القاتل أوتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » فهذا معنى
قوله : يذكركي حاميم ، أي تذكروا هذه الآية لأنها من (حم) سورة المؤمن » .

(٤) جاء في تسمية العلماء هؤلاء النفر : كعب بن مدليج الأسدي وابن المكعب الضبي
وشداد بن معاوية العبدي وعصام بن المقشعر وشريح بن أوفى أو ابن أبي أوفى - والأكثر
النخعي . وذكر الزبير أن الأكثر على أن الذي قتله وقال الشعر عصام بن مقشعر ، وكذلك
رجحه أبو عبيد الله المرزباني في موضعين من معجم الشعراء ص ٢٦٩ : ٣٤٥ .

(٥) من النحويين من استشهد بهذا البيت على أن اللام بمعنى « على » أي : على اليدين
والقَمِ ، كقوله تعالى « ويخرون للأذان » أي : هل الأذان .

(٦) استشهد بهذا البيت أبو عبيدة في (عجاز القرآن) منسوداً إلى شريح ، انظر لسان =

قال : وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا خَبَطَهُ بالسيف ، فأقبل إليه الحارث بن زهير وهو يقول :

يا أَمَنَّا ^(١) يا خَيْرَ أُمٍ نَعْلَمُ

أَمَّا تَرَيْنَ كَمْ شَجَاعٍ يُكَلِّمُ ^(٢)

وَتُخْتَلِّي هَامَتُهُ ^(٣) وَالْمِعْصَمُ

فاختلفا ضربتيْن ، فقتل كل واحد منهما صاحبه . وأخذ أهل النجدات والشجاعة بعائشة ، فكان لا يأخذ الخطام أحد إلا قُتِلَ ، وكان لا يأخذه والراية إلا معروف ، فينتسب : « أنا » فلان بن فلان ، فإن كانوا ليقاتلون عليه وإنه لَلَمَوْتُ لا يوصل إليه [إلا بطليبة] ^(٤) ! وما رامة أحد من أصحاب علي إلا قُتِلَ أو أفلت ثم لم يعد ، وحمل عدى بن حاتم عليهم ففُتِشت عينه . وجاء عبد الله بن الزُبَيْر ولم يتكلم ، فقالت عائشة : مَنْ أَنْتَ ؟

= العرب وتاج العروس ، وكذلك استشهد به البخاري ، في تفسير سورة (المؤمن) من صحيحه ، انظر فتح الباري ٨ ص ٣٩١ - ٣٩٢ واستشهد به الزمخشري في (الكشاف) ج ١ ص ٦٦ .. « شاجر » معناه : مختلف أو ذو طعن .

(١) في (ك) : « ياأمننا » . وفي (ن) : « ياأمننا » بالهاء .

(٢) يكلم : يبرح .

(٣) تختل هامة : يقطع رأسه .

(٤) زيادة يقتضيا المقام ذكرها ابن جرير ج ٣ ص ٥٢٢

قال ابنك وابن أخيك . قالت : وانكّل أسمماء إفاذتهى إليه الأشتَر
فضربه الأشتَر على رأسه ، فجرحه جرحاً شديداً ، وضربه عبدُ الله
ضربة خفيفة ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، وسقطا على
الأرض يعثر كان ، فقال عبدُ الله بن الزُبَيْر : « اقْتُلُونِي وَمَالِكَا »^(١)
فلو يعلمون مَنْ « مَالِك » لَقَتَلُوهُ ، إِنَّمَا كَانَ يُعْرِفُ بِالْأَشْتَرِ^(٢) ،
فحمل أصحابُ عليّ وعائشة فخلصوهما .

قال : وأخذ الخِطَامُ الْأَسْوَدُ بن أبي الْبَخْتَرِيِّ الْقُرَشِيّ فقتل^(٣) ،
وأخذه عمرو بن الْأَشْرَفِ الْأَزْدِيّ فقتل ، وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من
أهل بيته ، وجرح عبدُ الله بن الزُبَيْرِ سبعة وثلاثين جراحة من طعنة
ورمية وضربة ، وجرح مروانُ بن الْحَكَمِ .
فنادى عليّ : اغْقِرُوا الْجَمَلَ فَإِنَّهُ إِنْ عَقِرَ تَفَرَّقُوا . فضربه رجل ،
فسقط . فما سُمِعَ صوتُ أشدٍّ من عَجِيجِهِ .

وقيل في عَقْرِ الْجَمَلِ : إِنَّ الْقَعْقَاعَ لَقِيَ الْأَشْتَرَ وَقَدْ عَادَ مِنَ الْقِتَالِ
عند الْجَمَلِ . فقال : هل لك في الْعَوْدِ ؟ فلم يُجِبْهُ ، فقال : يَا أَشْتَرُ

(١) في الكامل ج ٢ ص ١٢٨ ومروج الذهب ج ٢ ص ١٢ :

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا مني

(٢) الأشتَر : اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة النخعي .
وكان فارساً شجاعاً من كبار الشيعة ، ولقب بالأشتَر لأن رجلاً من إِيَادِ ضربه في يوم
للهمموك عن رأسه فسالت الجراحة فيها إلى عينه فشترتها ، هذا هو المشهور في تلقيبه ، وهناك
وجه في تلقيبه ذكره أسامة بن منقذ في لباب الآداب ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٣) تبع المؤلف هنا ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٢٩ وهذا القول جاء في رواية
لأبن جرير الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٢٨٨ ولكن ابن جرير ذكر قولاً آخر ج ٣ ص ٤٥٥
بعد انتهاء الجمل يفيد أنه لم يقتل فيها . قال : قصدت عائشة مكة فكان وجهها
من البصرة ، وانصرف مروان والأسود بن أبي البختري إلى المدينة من الطريق . ويؤيد
القول ما ذكره ابن حجر في ترجمة الأسود من كتاب الأصبلة ١ ص ٤٢ فارجع إليه .

بعضنا أعلمُ بقتال بعض منكم . وحمل القَعْقَاعُ ، والزَّمام مع زُفَر بن الحارث الكلابي ، وكان آخر من أخذ الخِطَامَ ، فلم يَبْقَ شَيْخ من بني عامر إلا أُصيب قُدَّامَ الجمل ، وزحف القَعْقَاعُ إلى زُفَر بن الحارث ، وقال لُبَّجَيْر بن دُلْجَه - وهو من أصحاب علي - : يَا بُجَيْرُ صِخْ بِقَوْلِكَ فَلْيَعْقِرُوا الجمل قبل أن يُصابوا أو تُصابَ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ . فقال بُجَيْرُ : « يَا آلَ ضَبَّةَ ، ياعمرو بن دُلْجَه ، ادْعُ بِي إِلَيْكَ » فدعاه ، فقال : أَنَا آمِنٌ حَتَّى أَرْجِعَ عَنْكُمْ ؟ . قالوا : نَعَمْ . فاجتثَّ ساقَ البَعِيرِ ، فرمى بنفسه على شِقِّهِ وَجَرَّ جَرَّ^(١) البَعِيرُ ، قال القَعْقَاعُ لِمَنْ يَلِيهِ : أَنْتُمْ آمِنُونَ واجتمع هو وزُفَرُ على قطعِ بَطَّانِ^(٢) الجمل وحملوا الهَوْدَجَ فوضعاه ، وإنه كالقُنْفُذِ لما فيه من السَّهَامِ ، ثم أطافا به ، وفرَّ مَنْ وراءَ ذلك من الناس . فلَمَّا انهزموا أمر عليُّ منادياً فقال : أَلَا لَا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ^(٣) وَلَا تَدْخُلُوا الدُّورَ .

وأمر عليُّ نَفَرًا أن يحملوا الهَوْدَجَ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى ، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضربَ عَلَيْهَا قُبَّةً ، وقال انظُرْ : هل وصل إليها شيء من جراحته ؟ فادخل رأسه هَوْدَجَهَا ، فقالت : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أَبْغَضُ أَهْلِكِ إِلَيْكَ . قالت ابْنُ الْخُثَعَمِيَّةِ^(٤) ؟ قال : نَعَمْ . قالت : الحمد لله الذي عافاك .

(١) جرجر البعير : ردد صوته في حنجريته .

(٢) بَطَّانُ الجمل : الخزام الذي يحمل تحت بطنه .

(٣) أي : لا يقتل من صرع وجرح منهم .

(٤) الخثعمية : أسماء بنت عيسى الخثعمية ، وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت أسماء من المهاجرات إلى الحبشة ، وهي إذ ذاك زوج جعفر بن أبي طالب ، فولدت له هناك محمد بن جعفر وعبد الله وعروفا . ثم هاجرت معه إلى المدينة ، فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمداً هذا ، ثم مات عنها أبو بكر فترجى عنها =

وقيل : لما سقط الجمل أقبلَ محمد بن أبي بكر وعَمَّار بن ياسر
إليه ، فاحتملا الهودج ، فنجياه ، فأدخل محمد يده فيه ، فقالت :
من هذا ؟ قال : أخوك البر^(١) . قالت : عَقُق^(٢) ! قال : يا أختي
هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أنت وذاك ؟ قال : فمن إذا الضلال ؟ قالت :
بل الهداة ! وقال لها عَمَّار : كيف رأيت بنيك اليوم يا أُمَّاه ؟ قالت :
لست لك بأُم ! قال : بلى وإن كرهت . قالت : فخرتكم أن ظفرتكم
وأتيتكم مثل الذي نَقَمْتُمْ هَيْهَاتَ وَاللَّهِ لئن يظفرَ من كان هذا دأبه !
فأبرزوا هودجها ، فوضعوها ليس قُربها أحد .
وأناها على فقال : كيف أنت يا أُمَّه ؟ قالت : بخير . قال :
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ . قالت : وَلَكَ .

وجاء أعين بن ضبيعة المُجاشِعي حتى أطلع في الهودج ، فقالت
إليكَ لَعَنَكَ اللَّهُ ! فقال : والله ما أرى إلا حُيْرَاءَ . فقالت هَتَكَ اللَّهُ
سِتْرَكَ وَقَطَعَ يَدَكَ وَأَبْدَى عَوْرَتِكَ ! فقتل بالبصرة وسُلبَ وَقُطِعَتِ يَدُهُ
ورُمِيَ عُرْيَانًا فِي خَرَبَةٍ مِنْ خَرَبَاتِ الْأَزْدِ !

ثم أتى وجوه الناس إلى عائشة ، وفيها القَعَقَاعُ بن عمرو ، فسَلَّمَ
عليها ، فقالت : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بَعَثَرِينَ سَنَةً !

== علي بن أبي طالب فولدت له يحيى بن علي : وقد ثبت أنها ولدت محمد بن أبي بكر في طريق
المدينة إلى مكة في حجة الوداع : كما في حديث جابر الطويل في صحيح مسلم . ثم نشأ محمد بن
أبي بكر في حجر علي بن أبي طالب : إذ تزوج علي لهُم ، ثم كان موقفه : في موقعة الجمل مع
أخته عائشة ما ذكره للؤف ، وسيذكر - فيما بعد - ولايته لمصر ومقتله وأن « عائشة رضي
الله عنها جزعت عليه جزها شديدا » .

(١) البر : الحسن لمعاملة الأقرمين من الأهل .

(٢) عَقُق : عاق أهلك ، من العقوق ، ضد البر .

وكان على يقول بعد الفراغ من القتال :

إِلَيْكَ أَشْكُو عُجْرِي وَبُجْرِي^(١)
ومَعْشَرًا أَغْشَا^(٢) عَلَى بَصْرِي
قَتَلْتُ مِنْهُمْ مُضَرِي بِمُضَرِي
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي !

قال : ولما كان الليلُ أدخل محمدُ بن أبي بكر عائشةَ البصرة ،
فأنزلها في دار عبد الله بن خَلَفِ الخُزاعي^(٣) - وهي أعظم دار في
البصرة - على صَفِيَّةَ بنت الحارث بن [طَلْحَة بن]^(٤) أبي طَلْحَة بن
عبد العزى ، وهي أم طَلْحَة الطَّلحاتِ بن عبد الله بن خَلَف .
وتسلَّل الجرحى من بَيْنِ القَتلى فدخلوا البصرة .

وأقام على بظاهر البصرة ثلاثا ، وأذن للناس في دفن موتاهم ، فخرجوا
إليهم فدفنوهم ، وطاف على في القَتلى ، فلما أتى كَعْب بن سُور
قال : « أَرَعَمَ^(٥) » أنما خرج معهم السفهاء وهذا الجبرُّ قد تَرَوْنَ ! »

(١) في النهاية ولسان العرب : « حديث على : أشكو إلى الله عجري وبجري ، أى :
همومي وأحزاني ، وأصل المجرة : نفخة في الظهر فإذا كانت في البطن فهي بجرة وقيل :
المجر العروق المتعقدة في الظهر ، والبحر : العروق المتعقدة في البطن ، ثم نقلا إلى الهموم
والأحزان ، أراد أنه يشكو إلى الله أمور كلها مظهر منها وما يطن .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وعند ابن جرير : « غشوا » ، وفي الكامل لابن الأثير :
« أغشوا » .

(٣) عبد الله بن خلف الخُزاعي له ترجمة في الإصابة ر.م ٢٤٦٥٠ ص ٣٠٣ وكان
كاتباً لعمر بن الخطاب هل ديوان البصرة ، وشهد وقعة الجمل مع عائشة فقتل ، وكان أخوه
عثمان مع هل .

(٤) - الزيادة من تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٢٩ وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦
٨١ : ١٢٠ والإصابة ج ٢ ص ٢٣٧ ولسان العرب والقاموس مع تاج العروس وخزانة
الأدب ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٥) كذا جاء في المخطوطة موافقا لما في الكامل ، وجاء في تاريخ ابن جرير « رَعَمَ »
وهو أقرب لما يأتي .

وجعل كلما مرُّ برجل فيه خير قال : « زَعَمَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْنَا إِلَّا الْغَوَغَاءُ وَهَذَا الْعَابِدُ الْمُجْتَهِدُ فِيهِمْ ! » وَصَلَّى عَلَى الْقَتْلِ مِنْ بَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَأَمَرَ فُتِنَتِ الْأَطْرَافُ فِي قَبْرِ عَظِيمٍ ، وَجَمَعَ مَا كَانَ فِي الْعَسْكَرِ مِنْ شَيْءٍ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ ، وَقَالَ : مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ إِلَّا سِلَاحًا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ عَلَيْهِ سِمَةُ السُّلْطَانِ .

قال (١) : وَكَانَ جَمِيعُ الْقَتْلِ عَشْرَةَ آلَافٍ ، نَصَفَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلَى ، وَنَصَفَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَائِشَةَ ، حَكَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : ثَمَانِيَةَ آلَافٍ . وَقِيلَ : سَبْعَةَ عَشَرَ آلَافًا . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقُتِلَ مِنْ ضَبَّةِ أَلْفُ رَجُلٍ ، وَقُتِلَ مِنْ عَدِيِّ حَوْلِ الْجَمَلِ سَبْعُونَ كُلَّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ سِوَى الشَّبَابِ وَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ .

قال (٢) : وَلَمَّا فَرَّغَ عَلَى مِنَ الْوَأَقْعَةِ أَتَاهُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ [بْنِ سَعْدٍ] (٣) ، وَكَانُوا قَدْ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، فَقَالَ لَهُ عَلَى : لَقَدْ تَرَبَّصْتُ . فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَرَانِي إِلَّا قَدْ أَحْسَنْتَ ، وَبِأَمْرِكَ كَانَ مَا كَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَارْفُقْ ، فَإِنَّ طَرِيقَكَ الَّذِي سَلَكَتَ بَعِيدٌ ، وَأَنْتَ إِلَى غَدَاً أَخْوَجُ مِنْكَ أَمْسٍ ، فَاعْرِفْ إِحْسَانِي ، وَاسْتَنْصِفْ مَوَدَّتِي لِغَدٍ ، وَلَا تَنْقُلْ (٤) مِثْلَ هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ نَاصِحًا .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا ، حَتَّى الْجَرْحَى وَالْمُسْتَعَامَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَوَلَّى

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ١٣١ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الْكَامِلِ ، وَيَقْتَضِيهَا ضَمِيرُ الْجَمْعِ الْآتِي بَعْدَهَا .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَالْكَامِلِ ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ ابْنِ جُرَيْرٍ ج ٣ ص ٥٤٠ .

« وَلَا يَقُولُونَ » .

زياداً الخراجَ وبَيَّتَ المالَ ، وأمرَ ابنَ عباسٍ أن يسمع منه ويُطيع
وكان زياد معتزلاً (١) .

ثم راح عليّ رضي الله عنه إلى عائشة في دار عبد الله بن خلفٍ
الخُرَاعي ، فوجد النساءَ يبكين على عبد الله وعُثمانَ ابْنَيْ خَلَفٍ ،
وكان عبد الله قتل مع عائشة ، وعُثمان قتل مع علي ، وكانت
صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكي ، فلما رآته قالت له : يا علي ، يا قاتل
الأحبة ، يا مُفِرَّقَ الجمع ، أَيَتَمُّ اللهُ منك بَنِيكَ كما أَيَتَمَّتْ وَلَدَ عبدِ الله
منه . فلم يرُدَّ عليها شيئاً ، ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد
عندها ، ثم قال : جَبَهْتُنَا صَفِيَّةُ . أما إِنِّي لم أَرَهَا منذ كانت جارية !
فلما خرج أعادت عليه القول ، فكفَّ بَعْلَتَهُ ، وقال : لقد هممتُ أن أفتحَ
هذا الباب (وأشار إلى باب في الدار) وأقتلَ مَنْ فيه (وكان فيه
ناس من الجرحى فأخبر بمكانهم ، فتغافل عنه) (٢) .

قال : ولما خرج من عند عائشة قال له رجل من الأزد : والله
لا تغلبُنا هذه المرأة ! فغضب وقال : « مَهْ (٣) » ، لا تَهْتِكُنَّ سِتْرًا ،
ولا تدخلن دارا ، ولا تهيجن امرأةً بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ،
وسفهن أمراءكم وصلحاءكم ، فإن النساءَ ضعيفات ، ولقد كنّا

(١) كان زياد من اخترل ولم يشهد المعركة ، ولما جاء عبد الرحمن بن أبي بكر في
المستأمنين مسلما - بعد ما فرغ على من البيعة - قال له علي رضي الله عنه : وعك المربص
المقاعد بي (يعني زيادا) . فقال : والله يا أمير المؤمنين إنه لك لواد وإنه على مسرتك لحريص
ولكنه بلغني أنه يشتكي : فلما قابل علي زيادا واعتذر إليه زياد قبل عذره ، واستشاره
وأراده على رضي الله عنه على البصرة ، فقال زياد : رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس
فإنه أجدر أن يطمئنون ويتقوا وسأكفيكمه وأشير عليه . فكان ابن عباس .

(٢) عبارة ابن جرير : « وكان أناس من الجرحى قد لجثوا إلى عائشة ، فأخبر علي
بمكانهم ، فتغافل عنهم » .

(٣) مه : اسكت واكفف .

نُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ وَهَنْ مُشْرَكَاتٍ ، فَكَيْفَ إِذَا كُنَّ مُسْلِمَاتٍ ؟
وَمَضَى ، فَلَحِقَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَامَ رَجُلَانِ عَلَى
الْبَابِ فَتَنَّاوَلَا مَنْ هُوَ أَمْضُ شَتِيْمَةً لَكَ مِنْ صَفِيَّةٍ . فَقَالَ : وَيَحْكَ
لَعْلَهَا عَائِشَةُ إِقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَحَدُهُمَا :

« جُزِيتَ عَنَّا أَمْنَا عُقُوقًا » .

وقال الآخر :

« يَا أَمْنَا ^(١) تُوِي فَقَدْ خَطِيتِ » .

فَبِعِثَ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو إِلَى الْبَابِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ كَانَ عَلَيْهِ ،
فَأَحَالُوا عَلَى رَجُلَيْنِ مِنْ أَزْدِ الْكُوفَةِ ، وَهُمَا عَجَلَانُ وَسَعْدُ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ
فَضْرِبَهُمَا مِائَةَ سَوْطٍ ، وَأَخْرَجَهُمَا مِنْ ثِيَابِهِمَا .

قَالَ : وَسَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَمَّنْ قُتِلَ مِنَ النَّاسِ مَعَهَا
وَعَلَيْهَا ، فَكُلَّمَا نُعِيَ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمِيعِ قَالَتْ : رَحِمَهُ اللَّهُ ! فَقِيلَ لَهَا
كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : كَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَانَ
فِي الْجَنَّةِ وَفَلَانَ فِي الْجَنَّةِ ^(٢) .

ثُمَّ جَهَّزَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَائِشَةَ بِكُلِّ مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ مَرْكَبٍ
وَزَادٍ وَمَتَاعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَبِعِثَ مَعَهَا كُلَّ مَنْ نَجَا مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهَا
إِلَّا مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ ، وَاخْتَارَ لَهَا أَرْبَعِينَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الْبَصْرَةِ
الْمَعْرُوفَاتِ ، وَسَيَّرَ مَعَهَا أَخَاهَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَلَمَّا كَانَ

(١) كَذَا جَاءَ بِالنَّاءِ فِي النُّسخَةِ (ك) ، وَوَقَعَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « يَا أَمِي » ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ

ابْنِ جُرَيْرٍ : « يَا أَمْنَا » بِالنُّونِ .

(٢) زَادَ ابْنُ جُرَيْرٍ : « وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ : إِنِّي لَأَرْجُو أَلَا يَكُونَ

أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ نَفَى قَلْبَهُ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » .

اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها على فوقف لها ، وحضر الناس ، فخرجت [وودعوها] ^(١) وودعتهم وقالت : يا بني ، لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه على معتبتي لمن الأخبار . فقال علي رضي الله عنه : صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك ، وإنها لزوجتي نبيكم في الدنيا والآخرة .

وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة شهر رجب سنة ست وثلاثين ، وشيعها على أميالا ، وسرح بنيه معها يوما . وتوجهت إلى مكة ، فأقامت إلى الحج ، فحجبت ، ثم رجعت إلى المدينة .

قال : ولما فرغ علي من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال ، فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه ، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة درهم ، فقال لهم : إن أظفركم الله بالشام فلكم مثلها إلى أعطياتكم ، فحاض في ذلك السبئية ، وطعنوا على علي [من وراء وراء] ^(٢) ، وطعنوا فيه أيضا حين نهاهم عن أخذ أموالهم ، فقالوا : يُجِلُّ لنا دماءهم ويُحرِّم علينا أموالهم ^(٣) ! قال : وأراد علي رضي الله عنه المقام بالبصرة لإصلاح حالها ،

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير البري ج ٢ ص ٥٤٧ .

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٢ وسبقه ابن جرير .

(٣) في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٤٥ : كان من سياسة علي ألا يقتل مديرا ولا يغف على جريح ولا يكشف سرا ولا يأخذ مالا . يقال قوم يومئذ : ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم ! فقال علي : القوم أمثالكم ، من صفح عنا فهو منا ونحن منه ، ومن لج حتى يصاب فقتله ، متى على الصدر والنحر . وإن لكم في خمسة ألفي .

فَأَعْجَلَتْهُ السَّبِيحَةُ عَنْ الْمَقَامِ ، فَإِنَّهُمْ ارْتَحَلُوا بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، فَارْتَحَلُوا
فِي آثَارِهِمْ ، لِيَقْطَعَ عَلَيْهِمْ أَمْرًا إِنْ أَرَادُوهُ .
فَلَنَرْجِعَ إِلَى مَقْتَلِ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ .

ذكر مقتل طلحة

رضي الله عنه وشيء من أخباره

هو أبو محمد طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ
سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ .

وهو أقرب العشرة إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَجْتَمِعُ
نَسَبُهُ مَعَ نَسَبِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ .

وَيَجْتَمِعُ نَسَبُهُ وَنَسَبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي مُرَّةَ
ابْنِ كَعْبِ .

وَأُمُّ طَلْحَةَ : الْحَضْرَمِيَّةُ ، وَهِيَ الصَّعْبِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَادٍ ^(١)
ابْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أَكْبَرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عُوَيْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْخَزْرَجِ
ابْنِ إِيَادِ بْنِ الصُّدْفِ ^(٢) مِنْ حَضْرَمَوَاتٍ مِنْ كِنْدَةَ ، يَعْرِفُ أَبُوهَا
عَبْدُ اللَّهِ بِـ « الْحَضْرَمِيِّ » .

وَيَعْرِفُ طَلْحَةَ بِـ « طَلْحَةَ الْخَيْرِ » وَ « طَلْحَةَ الْفَيَاضِ » . قِيلَ

(١) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَالرِّيَاضُ النَّضْرَةُ « عَبَاد » ، وَجَاءَ فِي الْإِسْتِيعَابِ وَالْإِسْأَلَةِ :

« عَمَاد » .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : الصُّدْفُ - كَكْتَفٍ - : بَطْنٌ مِنْ كِنْدَةَ يَنْسَبُونَ الْيَوْمَ إِلَى حَضْرَمَوَاتٍ .
وَفِي جُمُوهَرَةِ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ص ٤٣١ : « وَالصُّدْفُ هُمْ فِي بَنِي حَضْرَمَوَاتٍ ، وَهُوَ الصُّدْفُ
ابْنِ أَسَامِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَضْرَمَوَاتٍ الْأَكْبَرِ . » .

سُمِّيَ بالفَيَاضَ لِأَنَّهُ اشْتَرَى مَالاً بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «بَيْسَانٌ» ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَنْتَ إِلَّا فَيَاضٌ » ، فَسُمِّيَ
بِذَلِكَ مِنْ يَوْمٍئِذٍ .

وهو رضى الله عنه أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَأَحَدُ السَّتَةِ
أَصْحَابِ الشُّوَرَى الَّذِينَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
عِنْدَهُمْ رَاضٍ ^(١) .

وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَثَبِ بْنِ مَالِكٍ
حِينَ أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدِمَ لَهُ سَهْمُهُ وَأَجْرُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ^(٢) .
وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهُ فِي ذَلِكَ ^(٣) .

ثُمَّ شَهِدَ أَحَدًا وَمَا بَعْدَهَا ، وَأَبْلَى يَوْمَ أَحَدٍ بِلَا حَسَنَةٍ ، وَوَقَّى
رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِنَفْسِهِ ، اتَّقَى عَنْهُ النَّبْلَ بِيَدِهِ حَتَّى
شَلَّتْ إصْبَعُهُ وَضُرِبَ فِي رَأْسِهِ ، وَحَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ
وَالسَّلَامَ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى صَعِدَ الصَّخْرَةَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « الْيَوْمَ أَوْجَبَ طَلْحَةُ ^(٤) يَا أَبَا بَكْرٍ » .

(١) ذَكَرَ صَاحِبُ الْإِصَابَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى مَا يُقَالُ
لَهُ : «بَيْسَانٌ» مَالِحٌ ، فَقَالَ هُوَ «نَعْمَانٌ» وَهُوَ طَيْبٌ ، فَتَبَيَّنَ اسْمُهُ فَاشْتَرَاهُ طَلْحَةُ ، ثُمَّ
تَصَدَّقَ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَنْتَ يَا طَلْحَةُ إِلَّا فَيَاضٌ ، فَبَلَكَ
قِيلَ لَهُ «طَلْحَةُ الْفَيَاضُ» .

(٢) لَمْ يَشْهَدْ طَلْحَةُ وَقْعَةَ بَدْرٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي هَذَا الْكِتَابِ : أَنَّ طَلْحَةَ وَسَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ
كَانَا قَدْ بَغِيَّمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَدْرٍ
إِلَى الشَّامِ يُتَحَسَّنُ لَهُ خَيْرُ الْعِيرِ ، فَقَدِمَا بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ فَضُرِبَ لِهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمُهُمَا ، قَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ . وَأَجَرْنَا . قَالَ : وَأَجَرَكُمَا .

(٣) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ج ١٧ ص ٣٦ .

(٤) شَرْحُ صَاحِبِ النَّهَايَةِ وَلِسَانُ الْعَرَبِ حَدِيثٌ «أَوْجَبَ طَلْحَةُ» بِقَوْلِهِمَا : أَيْ
عَمِلَ عَمَلًا أَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ . وَذَكَرَ صَاحِبُ الرِّيَاضِ النَّصْرَةِ ج ٢ ص ٢٥١ أَنَّ الْحَدِيثَ =

وَيُرَوَّى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ :
« مَنْ أَحَبُّ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى
طَلْحَةَ » .

وحكى أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله فقال : زعم بعض أهل العلم أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، فَذَكَرَهُ أَشْيَاءَ مِنْ مَوَاقِفِهِ وَفَضْلِهِ ، فَارْجَعَ طَلْحَةُ عَنْ قِتَالِهِ ، عَلَى نَحْوِ مَا صَنَعَ الزُّبَيْرُ وَاعْتَزَلَ فِي بَعْضِ الصَّفُوفِ ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ ، فَقُطِعَ مِنْ رِجْلِهِ عِرْقَ النِّسَاءِ ، فَلَمْ يَزَلْ دُمُهُ يَنْزِفٌ حَتَّى مَاتَ ^(١) . وَيُقَالُ : إِنَّ السَّهْمَ أَصَابَ ثُغْرَةَ نَحْرِهِ ، وَإِنَّ الَّذِي رَمَاهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَقَالَ : لَا أَطْلُبُ بِشَأْرِي بَعْدَ الْيَوْمِ . وَذَلِكَ أَنَّ طَلْحَةَ - فِيمَا زَعَمُوا - كَانَ مِنْ حَاضِرِ عُثْمَانَ وَاسْتَدَّ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَلَا يَخْتَلِفُ الْعُلَمَاءُ ^(٢) فِي أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ قَتَلَ طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ ^(٣) ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِإِخْبَارٍ [رَوَاهَا مِنْ قَوْلِ مَرْوَانَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَاتِلُهُ] ^(٤) .

قال : وقد رَوَى عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :
وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنْ قَالِ اللَّهِ

== أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ ، ثُمَّ ذَكَرَ ج ٢ ص ٢٥٣ رَوَاةِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ « أَوْجِبَ طَلْحَةَ الْجَنَّةَ » بِذِكْرِ الْمَقُولِ بِهِ .

(١) ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍاءُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَوْلَ الْأَحْنَفِ : لَمَّا اتَّفَقُوا كَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

(٢) فِي الْإِسْتِيعَابِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ : « وَلَا يَخْتَلِفُ الْعُلَمَاءُ الثَّقَاتُ » .

(٣) زَادَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ « وَكَانَ فِي حِزِّهِ » ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَانَ مَرْوَانُ مَعَ طَلْحَةَ

يَوْمَ الْجَمَلِ ، فَلَمَّا اسْتَبَيْكَتِ الْحَرْبُ قَالَ مَرْوَانُ : لَا أَطْلُبُ بِشَأْرِي بَعْدَ الْيَوْمِ . ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ

..... الخ .

(٤) ثَبَّتَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي النُّسخَةِ (ن) ، وَسَقَطَتْ مِنَ النُّسخَةِ (ك) .

تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ^(١) .

وروى أبو عمر بسنده إلى قيس بن أبي حازم قال : رمى مروان طلحة يوم الجمل بسهم في ركبته ، فجعل الدم يسيل ، فإذا أمسكوه استمسك وإذا تركوه سال ، فقال : دعوه فإنما هو سهم أرسله الله . قال فمات ، فدفنناه على شاطئ الكلاء ^(٢) ، فرأى بعض أهله أنه أتاه في المنام فقال : « ألا تريحونني من هذا الماء فإني قد غرقت » ثلاث مِرَار يقولها ، قال : فتبششوه فإذا هو أخضر كأنه السمك ، فنزحوا ^(٣) عنه الماء ، فاستخرجوه ، فإذا ما يلي الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض ، فاشتروا له داراً من دور آل أبي بكر بعشرة آلاف ، فدفنوه فيها .

وروى أيضا بسنده إلى علي بن زيد عن أبيه أن رجلا رأى فيما يرى النائم أن طلحة بن عبيد الله قال : « حوّلوني عن قبري فقد آذاني الماء ! » ثم رآه ، حتى رآه ثلاث ليال ، فأتي ابن عباس فأخبره ، فنظروا فإذا شقة الذي يلي الأرض في الماء ، فحوّلوه ، قال : فكأنني أنظر إلى الكافور في ^(٤) عينيه لم يتغير إلا عقيصته فإنها مالت عن موضعها . وقتل رضى الله عنه وهو ابن ستين سنة ، وقيل : ابن اثنتين وستين ، وذلك يوم الجمل ، لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين .

(١) الآية ٤٧ من سورة الحجر .

(٢) الكلاء : مرقا السفن بساحل النهر ، وأطلق على موضع بالبصرة .

(٣) كذا جاء في النسخة (ن) ، وفي (ك) : « فنزحوا » .

(٤) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الاستيعاب ج ٢ ص ٢٤ : « بين عينيه » .

وكان رضى الله عنه رجلاً آدم ، حسن الوجه ، كثير الشعر ، ليس بالجمد القطط^(١) [ولا بالسبط]^(٢) وكان لا يغير شعره^(٣) .

وسمع على رجلاً يُنشد :

فَيَّ كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى ، وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
فَقَالَ : ذَاكَ أَبُو مُحَمَّدٍ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ .

وحكى الزُّبَيْرُ^(٤) أَنَّهُ سَمِعَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : كَانَتْ غَلَّةُ
طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَلْفًا وَافِيًا كُلَّ يَوْمٍ ! (قَالَ : وَالْوَأَى وَزَنَهُ وَزَنَ
الدُّينَارَ ، وَعَلَى ذَلِكَ وَزَنَ دِرَاهِمَ فَارَسَ الَّتِي تُعْرَفُ بِالْبَغْلِيَّةِ) .

ذكر مقتل الزبير بن العوام

رضى الله عنه وشيء من أخباره

هو أبو عبد الله الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ
الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، القرشي الأسدي .

وأُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وهو أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَأَحَدُ السِّتَةِ أَصْحَابِ
الشُّوَرَى ، وهو قديم الإسلام ، واختُلفَ فِي سَنَةِ يَوْمِ أَسْلَمَ ، فَقِيلَ :

(١) القطط : الكثير الجمودة .

(٢) كذا ثبت في النسخة (ن) كالاستيحاب ج ٢ ص ٢٢٥ ، وسقط من النسخة (ك) ،
والسبط من الشعر : المنبسط المسترسل ، والمراد أن شعر طلحة : كان وسطاً بين الجمدة
والمسترسل (وهما ضدان) .

(٣) كانوا يكرهون تغيير الشيب بتف شعره ، وأما تغيير لونه فقير مكروه ،
فمن ذوى الشيب من يقبل عليه ، ومنهم من لا يقبل وقد ذكر الرياض النضرة
ج ٢ ص ٢٦٢ أن الزبير بن العوام « كان لا يغير شيبه » كذلك .

(٤) هو الزبير بن بكار في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٥٨ .

خمس عشرة سنة ، وقيل ست عشرة ، وقيل : اثنتى عشرة سنة
وقيل : ثمانى سنين . والأول أصح .

وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
حِينَ أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَلَمَّا أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَخَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ

وكان له رضى الله عنه من الولد - فيما حكاه بعضهم - عشرة ،
وهم : عبد الله وعروة ومُضْعَبُ والمُنْذِرُ وعمرو وعبيدة وجعفر وعامر
وعمير وحزمة .

وكان الزُّبَيْرُ رضى الله عنه أول من سَلَّ سَيْفًا في سبيل الله ، وذلك
أَنَّهُ نَفِخَتْ فِيهِ نَفْخَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ : « أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ » ، فَأَقْبَلَ يَشُقُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : مَالِكَ يَا زُبَيْرُ ؟ قَالَ : أُخْبِرْتُ
أَنَّهُ أَخَذَتْ ! فَصَلَّى عَلَيْهِ ودعاه .

ورَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الزُّبَيْرُ ابْنُ
عَمَّتِي وَحَوَارِيٍّ مِنْ أُمَّتِي » . وَقَالَ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ، وَحَوَارِيُّ
الزُّبَيْرِ » . وَسَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَقُولُ : « أَنَا ابْنُ
الْحَوَارِيِّ » ، فَقَالَ إِنْ كُنْتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَإِلَّا فَلَا .

وذكر ^(١) في معنى « الحَوَارِيِّ » : الخالص ، وقيل الخليل ،
ولذلك قال جرير ^(٢) :

(١) ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٥ ، ص ٥٨١ - ٥٨٢ .

(٢) في ديوان جرير ص ٤٥٤ ، وقوله : =

أُفْبِعِدَ مَقْتَلَهُمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ ^(١) تَرْجُو الْقُيُونَ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا
 وَقِيلَ : الْحَوَارِيُّ : النَّاصِرُ . وَقِيلَ : الصَّاحِبُ الْمُسْتَخْلَصُ .
 وَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ لِلزُّبَيْرِ مَرَّتَيْنِ : يَوْمَ
 أَحَدَ وَيَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَقَالَ : « ازِمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! » ^(٢) .
 قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَكَانَ الزُّبَيْرُ تَاجِرًا ! مَجْدُودًا ^(٣)
 فِي التَّجَارَةِ ، قِيلَ لَهُ يَوْمًا : بِمَ أَدْرَكْتَ فِي التَّجَارَةِ مَا أَدْرَكْتَ ؟ فَقَالَ :
 لِأَنِّي لَمْ أَشْتَرِ غَبْنًا ^(٤) وَلَمْ أَرُدُّ رِبْحًا وَاللَّهُ يُبَارِكُ لِمَنْ يَشَاءُ .
 وَرَوَى عَنْ كَعْبٍ قَالَ : كَانَ لِلزُّبَيْرِ أَلْفُ مَمْلُوكٍ يُؤَدُّونَ إِلَيْهِ الْخَرَجَ
 فَمَا يُدْخِلُ بَيْتَهُ مِنْهُ دَرَاهِمًا وَاحِدًا . يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ يَتَصَدَّقُ بِذَلِكَ .
 وَكَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا انْصَرَفَ مِنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ
 وَفَارَقَ الْحَرْبَ مَرًّا بِالْأَخْخَفِ فَقَالَ : هَذَا الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
 حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ثُمَّ لَحِقَ بِبَيْتِهِ ! ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : مَنْ
 يَأْتِينِي بِخَبْرِهِ ؟ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزَ : أَنَا .
 وَقِيلَ : إِنَّ الزُّبَيْرَ لَمَّا انْصَرَفَ نَزَلَ بِعَمْرُو بْنِ جُرْمُوزَ ، فَقَالَ لَهُ :
 « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، جَنَيْتَ حَرْبًا ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ثُمَّ تَنْصَرِفُ ! أَتَأْتِبُ أَمْ
 عَاجِزٌ ؟ » فَسَكَتَ عَنْهُ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ عَاوَدَهُ ، فَقَالَ : ظُنُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ

= إِنِّي تَذَكَّرْتُ الزُّبَيْرَ حِمَامَةً تَدْعُو بِجَمْعِ تَخْلُتَيْنِ هَدِيًّا
 قَالَتْ قُرَيْشٌ : مَا أَذَلَّ مَجَاشِمًا جَارًا وَأَكْرَمَ ذَا الْقَتِيلِ قَتِيلًا
 لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَدْرَ آلِ مَجَاشِعَ نَقَلَ الرِّحَالَ فَأَسْرَعَ التَّحْوِيلًا
 بِالْهَفِ نَفَقَى إِذْ يَفْسِرُكَ حَبْلُهُمْ هَلَا اتَّخَذْتَ عَلَى الْقُيُونِ كَفِيلًا
 (١) الرَّوَايَةُ فِي الدِّيَوَانِ : « أُفْبِعِدَ مَتْرَكُهُمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ » .. وَقَدْ هَبَرَ جَرِيرٌ عَنِ الزُّبَيْرِ
 : « الْحَوَارِيُّ » فِي قَوْلِهِ :

دَعَاكُمْ حَوَارِي الرَّسُولِ فَكُنْتُمْ

عَضَارِيطُ يَأْخُذُ الْخَلَافَ الْمَصْرَمَا

(٢) مَجْدُودًا : صَاحِبَ حِظٍّ .

(٣) غَبْنًا : خُدْعًا .

غَيْرَ الْجَبْنِ . فانصرف عنه ابْنُ جُرْمُوزَ وهو يقول : « وَالْهَفَى عَلَى ابْنِ صَفِيَّةِ ! أَضْرَمَهَا نَارًا ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَلْحَقَ بِأَهْلِهِ ! قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ ! » ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ كَالْمُتَنَصِّحِ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ دُونَ أَهْلِكَ قِيَامٍ ، فَخُذْ نَجِيبِي ^(١) هَذَا وَخَلِّ فَرَسَكَ وَدِرْعَكَ ، فَإِنَّهُمَا شَاهِدَانِ عَلَيْكَ بِمَا نَكَرَهُ . » وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُلْقَاهُ حَاسِرًا ^(٢) ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى تَرَكَهُمَا عِنْدَهُ وَأَخَذَ نَجِيبَهُ ، وَسَارَ مَعَهُ ابْنُ جُرْمُوزَ كَالْمُشِيعِ لَهُ ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى وَادِي السَّبَاعِ ^(٣) ، فَاسْتَغْفَلَهُ ^(٤) ابْنُ جُرْمُوزَ وَطَعَنَهُ . وَقِيلَ : إِنَّهُ اتَّبَعَهُ إِلَى الْوَادِي فَقَتَلَهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ . وَقِيلَ : بَلْ قَتَلَهُ وَهُوَ نَائِمٌ . وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ عَاتِكَةُ ^(٥) بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلِ الْعَدَوِيَّةِ زَوْجَتَهُ تَرْتِيهِ ^(٦) :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بَهْمَةً
يَوْمَ الْلِقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مَعْرِدٍ ^(٧)
يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ
لَا طَائِشًا رَعِشَ الْجَنَانُ ^(٨) وَلَا الْيَدِ

- (١) النجيب من الإبل : القوى السريع .
(٢) حاسر : لادرع عليه ولاوقاية .
(٣) وادي السباع : على أربعة فراسخ من البصرة ، كما في خزانة الأدب ج ٤ ص ٣٥٠ وانظر معجم البلدان .
(٤) في خزنة الأدب ج ٢ ص ٤٥٨ : « وأراه أنه يريد مسابرة وموانسة ، فقتله غيلة » .
(٥) عاتكة من المهاجرات ، حسنة بارعة الجمال ، تزوجت مرات وقتل أزواجه ورتبهم بشعرها ، وسيذكر المؤلف في هذا الجزء ترجمة أخيها : سعيد بن زيد .
(٦) انظر هذا الرثاء في الأغاني ج ٦ ، ص ١٢٦ وذيل أمالي القائل ص ١١٢ والموشى ص ٨٠ والاشتياح ج ٤ ص ٣٦٤ وابن عساكر ج ٥ ص ٣٦٦ والرياض النضرة ج ٢ ص ٣٠٤ .
(٧) يقال للجيش « بهمة » ، ومنه قولهم « فلان فارس بهمة » والمرد : الحارب .
(٨) الجنان : القلب .

كم غمرة قد خاضها لم يثنه
 عنها طرادك يا ابن فقع القردد^(١)
 فكلفتك أمك إن ظفرت بمثله^(٢)
 فيما مضى ممن يروح ويغتدى
 والله ربك إن قتلت لمسلما
 حلت عليك عقوبة المتعمد^(٣)

قال : فلما رجع برأسه وسلبه^(٤) قال له رجل من قومه : « فضبحت
 والله اليمن أولها وآخرها بقتلك الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته ! والله لو قتلت في حرب
 لعرّ ذلك علينا ولمسنا عارك ! فكيف في جوارك وحرملك ؟ ! »

قال : وأتى ابن جرموز علياً ، فقال لحاجبه : استأذن لقاتل
 الزبير . فقال على رضي الله عنه ائذن له وبشّره بالنار ، قد سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار !
 فقال ابن جرموز :

أتيت علياً برأس الزبير

أرجو لديه به الرقعة

(١) الغمرة : الشدة ، ولقعق : نوع من الكماة ، والقردد : أرض مرتفعة.
 إن جنب وهذه ، يشبهون بهذا الفقع الرجل الذليل لأن النواب تنجله بأرجلها .

(٢) ويروى : « فاذهب فما ظفرت يدك بمثله » .

(٣) هذا البيت من شواهد النحر . انظر المعنى ج ٢ ص ٢٧٨ والسيوطي ص ٢٦

وخزانة الأدب ج ٤ ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٤) السلب : ما يأخذه القاتل مما كان للقتيل من سلاح وثياب ودابة .

فَبَشِّرَ بِالنَّارِ إِذْ جِئْتُهُ
 قَبَشَسَ بِشَارَةً ذِي التُّخْفَةِ
 وَسِيَانٍ عِنْدِي قَتْلُ الزُّبَيْرِ
 وَضَرْطَةُ عَيْرٍ يَذِي الْجُخْفَةِ (١)

وحكى أبو عمر ابن عبد البر في كتابه المترجم بـ «الاستيعاب» (٢)
 من رواية عمرو بن جاوران عن الأحنف بن قيس قال : لما بلغ الزبير
 صَفْوَانَ (موضعا بالبصرة كمكان القادسية من الكوفة) لَقِيَهُ النُّعْرُ (٣)
 (رجل من بني مُجَاشِع) فقال : «أين تذهب يا حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ؟
 إِلَيَّ ، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي لَا يُوَصِّلُ إِلَيْكَ » ، فَأَقْبَلَ مَعَهُ ، وَأَتَى إِنْسَانَ
 الْأَحْنَفَ فَقَالَ : هَذَا الزُّبَيْرُ قَدْ لُقِيَ بِصَفْوَانَ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : « مَا شَاءَ
 اللَّهُ كَانَ ، قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُهُمْ حَوَاجِبَ بَعْضٍ
 بِالسُّيُوفِ ، ثُمَّ يَلْحَقُ بِبَيْتِهِ وَأَهْلِهِ !! » فَسَمِعَهُ عَمِيرَةَ (٤) بِنَ جُرْمُوزٍ
 وَفَضَالَةَ بِنَ حَابِسٍ وَنُفَيْعٌ فِي غُوَاةٍ مِنْ غُوَاةِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَرَكِبُوا فِي طَلْبِهِ ،
 فَلَقَوْهُ مَعَ النُّعْرِ ، فَأَتَاهُ عَمِيرَةُ بِنَ جُرْمُوزٍ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ
 ضَعِيفَةٌ فَطَعَنَهُ طَعْنَةً خَفِيفَةً ، وَجَمَلَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ
 لَهُ « ذُو الْخِمَارِ » (٥) ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ نَادَى صَاحِبِيَّهِ : « يَا نُفَيْعُ

(١) انظر الأبيات مع شيء من التغير في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ١ ص ٧٩ .

(٢) ج ١ ص ٥٨٥ .

(٣) جاء في شرح ديوان جرير ص ٤٥٥ أنه « النعير الزمام من بني مجاشع » .

(٤) المشهور في اسم القاتل « عمرو » كما سبق في شعر عائكة ، وقد يقال له .

« عميرة » أو « عمير » كما في الاستيعاب ج ١ ص ٥٨٤ والرياض النضرة ٢ ص ٢٧٣ .

(٥) في القاموس : « ذوالخمار : فرس الزبير بن العوام يوم الجمل » .

يافضالة « فحملوا عليه حتى قتلوه ... قال : (١) وهذا (٢) أصح مما تقدم .

وكان مقتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة (٣) سنة ست وثلاثين .

وكانت منته يوم قتل سبعا وستين سنة ، وقيل ستا وستين .

وكان الزبير رضى الله عنه أسمر ربعة معتدل اللحم خفيف اللحية .

وقال حسن بن ثابت يمدح الزبير ويفضله : (٤)

أقام على عهد النبي وهذبه

حواريه والقول بالفعل يغدل

أقام على منهاجه وطريقه

يؤالى ولى الحق والحق أغدل

هو الفارس المشهور والبطل الذى

يصول إذا ما كان يوم محجل (٥)

(١) أبو عمر ابن عبد البر .

(٢) يؤيده ماورد فى ديوان جرير ، وقد ذكر جرير حادثة الزبير فى هجاءة للفرزدق المجاشى قريبا من أربعين مرة ، ولم يكن جرير بعيدا عن عصر الزبير .

(٣) كذا جاء فى المخطوطة والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٧٤ ، وجاء فى الاستيعاب ج ١ ص ٨٤ والإصابة ج ١ ص ٤٤٦ « جمادى الأولى » ، ولكن صاحب الاستيعاب أعقب ذلك بقوله « وفى ذلك اليوم كانت وقعة الجمل » وقد قال ابن جرير ج ٣ ص ٣٩ « وكانت الواقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ فى قول الواقدي » .

(٤) ديوان حسان ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٥) محجل : مشهور .

وإن امرأً كانت صفيّة أمه
 ومن أسد في بيته لمرقل^(١)
 له من رسول الله قُرْبَى قَرِيبَةً
 ومن نُصرة الإسلام مجد مؤئل^(٢)
 فكُم كَرَّة ذب الزبير بسيفه
 عن المصطفى والله يُعْطَى ويُجْزَل^(٣)
 إذا كَشَفَتْ عن ساقها الحرب حشها
 بأبيض سباق إلى الموت يُرْقَل^(٤)
 فما مثله فيهم ولا كان قبله
 وليس يكون الدهر إدام يذبل^(٥)

وروى^(٦) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال : لما
 وقف الزبير يوم الجمل دعاني ، فقمْتُ إلى جنبه ، فقال « يا بُنَيَّ :
 إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالمٌ أو مظلوم ، وإنِّي لا أراي^(٧) إلا سأقتل اليوم

(١) مرقل : معظم .

(٢) مؤئل : مؤصل .

(٣) جاءت في الأصل « كرة » وهي المناسبة لسياق البيت وجاءت في بعض الكتب
 « كربة » . ذب : دفع .

(٤) كشفت الحرب عن ساقها : اشتدت . حشها : أشعلها . أبيض : سيف . يرقل :
 يبرع .

(٥) يذبل : جبل بنجد ، يريد دائما .

(٦) روى البخاري في صحيحه هذا الحديث (٢٩١) بسنده عن هشام بن عروة عن
 أبيه عروة بن الزبير عن أخيه عبد الله بن الزبير ، وهذا في باب (بركة الغازي في ماله
 حيا وميتا) .

(٧) لا أراي : لا أظن .

مظلوما ، وإنَّ من أكبر همِّي لديني ، أَقْتَرِي دَيْنَنَا يُبْقَى من مالنا شيئا ؟ ^(١) وقال : يا بُنَيَّ بع مالنا واقض ديني . وأوصى بالثلث وثأيه لبنييه (يعنى بَنَى عبد الله بن الزبير) يقول : الثلث إليك ^(٢) فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين فثلثه لوكذلك . قال هشام وكان بعض وكلاء عبد الله قد وازى ^(٣) بعض بني الزبير : حُجَيْبٌ وعباد ^(٤) ، وله ^(٥) يومئذ تسعة بنين وتسع بنات . قال عبد الله فجعل يوصيني بدينه ويقول : يا بُنَيَّ إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاي . قال ^(٦) : فوالله ما دريت ما أَرَادَ ، حتى قلت : يا أبت من مولاك ؟ قال : الله تعالى . فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت : « يا مولى الزبير اقض عنه دينه » فيقضيه .

فقتل الزبير رضى الله عنه ولم يدع دينارا ولا درهما إلا أرضين منها الغابة ^(٧) وإحدى عشرة دارا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر .

قال ^(٨) : وإنما كان دينه الذى عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

(١) قال ذلك استكثارا لما عليه وإشفاقا من دينه .

(٢) في صحيح البخارى « ثلث الثلث » .

(٣) وازى : ساوى ، والفقيرين ككلام في هذا اللفظ .

(٤) هما ولدا عبد الله بن الزبير .

(٥) أى للزبير .

(٦) عبد الله بن الزبير .

(٧) الغابة : أرض عظيمة من حوالى المدينة .

(٨) عبد الله بن الزبير .

فَيَسْتَدْعُهُ إِيَّاهُ ، فيقول الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا (١) ، وَلَكِنَّهُ
مَدْلَفٌ ، فَيَأْتِي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ .

﴿ وماولى إمارة قط . ولا جباية خراج ولا شئنا إلا أن يكون فى
غزوة مع النّبى صلى الله عليه وسلم أومع أبى بكر أو عمر أو عثمان
رضى الله عنهم . ﴾

قال عبد الله بن الزُّبَيْرِ : فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ فَوَجَدْتُهُ
أَلْفَى أَلْفٍ وَمِائَتَى أَلْفٍ .

قال : فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي
كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدِّينِ ؟ فَكْتَمَهُ وَقَالَ : مِائَةُ أَلْفٍ . فَقَالَ حَكِيمُ :
وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسْعُ لِهَذِهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ
أَلْفَى أَلْفٍ وَمِائَتَى أَلْفٍ ؟ قَالَ : مَا أَرَاكُمْ تَطِيقُونَ هَذَا فَإِنْ عَجَزْتُمْ
عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي .

قال : وَكَانَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ
أَلْفٍ ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفٍ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ :
مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ فَلْيُؤَاغِرْنَا بِالْغَابَةِ . فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ،
وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا
لَكُمْ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا . قَالَ : فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تَوْخَرُونَ إِنْ
أَخَّرْتُمْ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا . قَالَ : فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
لَكَ مِنْ هَهُنَا إِلَى هَهُنَا . فَبَاعَ مِنْهَا (٢) فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ ، وَبَقِيَ

(١) أى : لا أقضيه وديعة .

(٢) أى : من الغابة والدور .

منها^(١) أربعة أسهم ونصف ، فقدم^(٢) على معاوية وعنده عمرو بن عثمان^(٣) والمُنذر بن الزبير وابن زَمْعَةَ^(٤) ، فقال له معاوية : كم قُومَت الغابة ؟ قال : كلُّ سهم^(٥) بمائة ألف . قال : كم بقي قال : أربعة أسهم ونصف . فقال المُنذرُ بن الزبير : قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف . وقال عمرو بن عثمان : قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف . وقال ابن زَمْعَةَ : قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف . فقال معاوية : كم بقي فقال : سهمٌ ونصف . قال : أخذته بخمسين ومائة ألف . (قال وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف^(٦))

قال : فلما فرغ ابنُ الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير : اقسّم بَيْنَنَا وِيراثَنَا . قال : لا والله لا أقسّم بَيْنَكُمْ حتّى أنادى بالمؤسّم أربع مِئين : « أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ » . قال : فجعل كلُّ سنة ينادى بالمؤسّم ، فلما مضى أربع مِئين قَسَمَ بَيْنَهُمْ . قال : وكان للزُّبَيْرِ أربعُ نِسْوَةٍ ، وَرَفَعَ الثُّلْثَ ، فَأَصَابَ كُلُّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ ، فَجَمِيعُ مَالِهِ^(٧) خمسون ألفَ ألفٍ ومِائَتَا أَلْفٍ . هكذا أورده البخاري رحمه الله في صحيحه ، وعَقَدَ جُمْلَةَ المالِ في آخره على ما ذكرنا .

(١) أى : من الغابة بغير بيع .

(٢) صوبه الله بن الزبير .

(٣) ابن عقان .

(٤) عبدالله بن زمعة .

(٥) أى : من أصل ستة عشر سهمًا .

(٦) فريج مائتي ألف .

(٧) الذى تركه الزبير عند وفاته ، ويحتوى على الوصية والميراث والدين .

والذى دلَّ عليه الحسابُ أَنَّ جُمْلَةَ المالِ تسعةٌ وخمسون ألفَ ألفٍ وثمانمائة ألفَ ، وذلك أَنَّ نصيبَ الزوجاتِ الأربعِ (وهو الثُّمْنُ بعد وفاءِ الدَّيْنِ ورفعِ الثلثِ الذى أوصى به لبنى عبد الله) اشتمل على أربعة آلاف ألفٍ وثمانمائة ألفَ ، يُضْرَبُ فى ثمانية فتكون ثمانية وثلاثين ألفَ ألفٍ وأربعمائة ألفَ ، ويكون ثُلُثُ الوصية (وهو نصف هذه الجملة) تسعةَ عشرَ ألفَ ألفٍ ومائتى ألفَ ، والدَّيْنِ ألفى ألفَ ومائتى ألفَ ، فتخرج الجملة على ما ذكرناه (١) .

ذكر وقعة صفين وابتداء أمرها

كانت وقعةُ صِفِّينَ فى أواخرِ سنة ست وثلاثين وأوائلِ سنة سبع وثلاثين .

وذلك أنه لما فرغ على رضى الله عنه من حرب الجمل أقام بالبصرة ، ثم انتقل إلى الكوفة ، وأرسل إلى جرير بن عبد الله البجلي - وكان عثمان قد استعمله على همدان - وإلى الأشعث بن قيس - وكان على أذربيجان - فأمرهما بأخذ البيعة والحضور إليه ، ففعلا ذلك .

وأراد على أن يرسل إلى معاوية رسولا ، فقال جرير : أُرْسِلْنِي إِلَيْهِ (٢) فقال الأَشْثَرُ لعلَى : لا تفعلْ [فَإِنَّ هَوَادَ مَعَ مُعَاوِيَةَ] (٣) فقال على

(١) الجملة التى ذكرها المؤلف هى التى انتهى إليها الحساب فى آخر قسم المال ، منها تسعة آلاف ألفٍ وثمانمائة ألفٍ حصلت من ثماء العقار والأرضين فى المدة التى أُخِر فيها عبد الله بن الزبير قسم التركة استبراءً للدَّيْنِ ، والباقي جملة الأصلية التى أوردتها البخارى ، انظر شرح الكرماني للبخارى ج ١٣ ص ١٠٣ وإرشاد السارى ج ٦ ص ٣٧٠ ، وغيرهما .

(٢) جاء فى رواية ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٠ « ابغثنى إليه ، فإنه لى ود ، حتى آتوه فادعوه إلى الدخول فى طاعتك » .

(٣) ثبتت هذه الجملة فى النسخة (د) ، وسقطت من (أ) .

دَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَرْجِعُ بِهِ . فَبَعَثَهُ ، وَكُتِبَ مَعَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ يُعَامِلُهُ
باجتماع المهاجرين والأنصار عَلَيْهِ ^(١) ، وما كان مِنْ نَكْثٍ طَلْحَةَ
وَالزُّبَيْرَ وَحَرْبَ الْجَمَلِ ، ودَعَاهُ إِلَى الْبَيْعَةِ والدخولِ فيما دخل فيه
المُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ .

فلما قَدِمَ جَرِيرٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ مَاطَلَهُ بِالْجَوَابِ ، واستشارَ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ ، وكان قد قَدِمَ عَلَيْهِ وانضمَّ إِلَيْهِ ، عَلَى مَا نَذَرَ ذَلِكَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ فِي أَخْبَارِ مُعَاوِيَةَ ، فَأَثَارَ عَمْرُو عَلَيْهِ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ الشَّامِ
وَيُلْزِمَ عَلَيْهِ دَمَ عُثْمَانَ ، ففعل ، فاجتمع أهلُ الشَّامِ عَلَى حَرْبِ عَلَى .

فعاد جرير إلى عَلَى وأَعْلَمَهُ ذَلِكَ ، وَأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ يَبْكُونَ عَلَى عُثْمَانَ
ويقولون : إِنَّ عَلِيًّا قَتَلَهُ ، وَأَوَى قَتْلَتَهُ ، وَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ عَنْهُ حَتَّى
يَقْتُلُوهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ . فقال الأَشْتَرُ لِعَلِيٍّ : كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْ إِرْسَالِ
جَرِيرٍ ، وَأَخْبَرْتُكَ بِعِدَاوَتِهِ وَغِيْشِهِ ، فَأَبَيْتَ إِلَّا إِرْسَالَهُ . ثم تقاولَ
الأَشْتَرُ وَجَرِيرٌ مُقَاوَلَةً أَدَّتْ إِلَى مُفَارَقَةِ جَرِيرٍ لِعَلِيٍّ وَلَحَاقِهِ بِمُعَاوِيَةَ .

قال : وخرج عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَعَسَكَرَ بِالنُّخَيْلَةِ ^(٢) ، وتَخَلَّفَ عَنْهُ
نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، مِنْهُمْ مَيْسِرَةُ الْهَمْدَانِيِّ وَمَسْعُودُ ^(٣) أَخْذًا أُعْطِيَا تَهُمَا
وَقَصْدًا قَزْوِينَ . وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ ، فَاسْتَشَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَالَ لَهُ : « أَمَّا
إِذَا سَارَ عَلَى بِنَفْسِهِ فِي النَّاسِ فَيَسِرْ بِنَفْسِكَ ، وَلَا تَغِبْ عَنْهُ بِرَأْيِكَ

(١) عَلَى يَمِينِهِ .

(٢) النخيلة : موضع قرب الكوفة من جهة الشام .

(٣) كذا جاء الإسبان في المخطوطة ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٢ « منهم

مرة الهمداني ومسروق » .

ومَكِيدَتِكَ . » فتجهَّز معاوية بأهل الشام ، وقد حَرَضَهُم عَمْرُو
 وَضَعَّفَ عَلَيْهِمْ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَالَ : « إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ فَرَّقُوا جَمْعَهُمْ
 وَوَهَّنُوا شَوْكَتَهُمْ ، وَقَتْلُوا حَدَّهُمْ ، وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ مَخَالِفُونَ لِعَلِيِّ بْنِ
 قُتَيْلٍ مِنْهُمْ ، وَقَدْ تَفَانَتْ صَنَادِيدُهُمْ وَصَنَادِيدُ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ ،
 وَإِنَّمَا سَارَ عَلِيٌّ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ ، وَقَدْ قُتِلَ خَلِيفَتُكُمْ ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي
 حَقِّكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوهُ ، وَفِي دَمِكُمْ أَنْ تُطْلُوهُ ! » وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ
 (فِي أَجْنَادِ) ^(١) أَهْلَ الشَّامِ ، وَعَقَدَ لِيَوَاءَ لَعْمَرُو ، وَلِيَوَاءَ لِابْنَيْهِ :
 عَبْدِ اللَّهِ وَمُحَمَّدَ ، وَلِيَوَاءَ لِعَلَامِهِ وَرَدَّانَ . وَسَارَ مُعَاوِيَةُ وَتَأَنَّى فِي مَسِيرِهِ .
 قَالَ : وَبِعَثَ ^(٢) عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ الْحَارِثِيَّ فِي
 ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ، وَبِعَثَ شُرَيْحَ بْنَ هَانِيٍّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَسَارَ عَلِيٌّ مِنْ
 النُّخَيْلَةِ ، وَأَخَذَ مَعَهُ مَنَ بِالْمَدَائِنِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَوَلَّى عَلَى الْمَدَائِنِ سَعْدَ
 ابْنِ مَسْعُودٍ (عَمُّ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ) ، وَوَجَّهَ مِنَ الْمَدَائِنِ
 مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى الْمَوْصِلِ حَتَّى
 يُوَافِيَهُ عَلَى الرِّقَّةِ .

فَلَمَّا وَصَلَ عَلِيٌّ ^(٣) الرِّقَّةَ قَالَ لِأَهْلِهَا لِيَعْمَلُوا جِسْرًا يَغْبُرُ عَلَيْهِ
 إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَبَوْا ، وَكَانُوا قَدْ ضَحُّوا سُفُنَهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَنَهَضَ
 مِنْ عِنْدِهِمْ لِيَغْبُرَ عَلَى جِسْرِ مَنَبِجَ ، وَخَلَفَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ ، فَزَادَهُمُ
 الْأَشْتَرُ : « أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَعْمَلُوا جِسْرًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَغْبُرَ عَلَيْهِ

(١) كَذَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْرٍ ج ٣ ص ٥٦٢ ، وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ (إِنْ) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ
 فِي النِّهَايَةِ : « الشَّامُ خَمْسَةُ أَجْنَادَ : فَلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنُّ وَدِمَشْقُ وَحِمصُ وَقَنْسَرِينَ ، كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهَا يَسْمَى جَنْتًا ، أَيْ الْمُقِيمِينَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقَاتِلِينَ » .

(٢) الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْبَيْتَةِ تَقْدِيمُ طَلِيْمَةِ أَمَامِ الْجَيْشِ .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي النُّسْخَةِ (نَ) ، وَجَاءَ فِي (كَ) وَالْكَامِلِ : « إِنْ » .

لَأَجْرَدَنَّ فِيكُمْ السَّيْفَ ، وَلَأَقْتُلَنَّ الرِّجَالَ وَلَا أَخَذَنَّ الْأَمْوَالَ ! » فَلَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَالُوا : « إِنَّهُ الْأَشْتَرُ ، وَإِنَّهُ قَمِينٌ أَنْ يَبْقَى لَكُمْ بِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ أَوْ يَأْتِي بِأَكْثَرٍ مِنْهُ ! » فَنَصَبُوا جِسْرًا فَعَبَّرَ عَلَيْهِ عَلَى وَأَصْحَابُهُ .

قال : ولما بَلَغَ ^(١) عَلَى الْفُرَاتِ دِعَازِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَشُرَيْحَ بْنَ هَانِيءٍ فِيمَنْ مَعَهُمَا فَسَرَحَهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ مُعَاوِيَةَ عَلَى حَالِهِمَا الَّتِي خَرَجَا عَلَيْهَا مِنَ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ سَبَبَ عَوْدِهِمَا أَنََّّهُمَا أَخَذَا مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ مِمَّا يَلِي الْبَرَّ ، فَلَمَّا بَلَغَا « عَانَاتِ » بَلَغَهُمَا أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَقْبَلَ فِي جُنُودِ الشَّامِ ، فَقَالَا : « وَاللَّهِ مَا هَذَا لَنَا بِرَأْيٍ ، أَنْ نَسِيرَ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْبَحْرُ ، وَمَا لَنَا خَيْرٌ أَنْ نَلْقَى جُنُودَ الشَّامِ بِقِلَّةٍ مِنْ مَعْنَا » فَذَهَبُوا لِيَعْبُرُوا مِنْ عَانَاتِ ، فَمَنْعَهُمْ أَهْلُهَا ، فَرَجَعُوا ! [حَتَّى عَبَرُوا] ^(٢) مِنْ هَيْتِ ^(٣) ، فَلَحِقُوا عَلِيًّا دُونَ قَرْقِيسِيَا ^(٤) ، فَقَالَ عَلَى : مُقَدِّمِي تَأْتِيَنِي مِنْ وَرَائِي ! فَأَخْبِرْهُ شُرَيْحَ وَزِيَادَ بِمَا كَانَ ، فَقَالَ : سُدُّتُمَا . فَلَمَّا عَبَرَ الْفُرَاتَ سَيَّرَهُمَا أَمَامَهُ .

فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى سُورِ الرُّومِ لَقِيَهُمَا أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ فِي جُنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَرْسَلَا إِلَى عَلَى فَأَعْلَمَاهُ .

فَأَرْسَلَ عَلَى إِلَى الْأَشْتَرِ ، وَأَمَرَهُ بِالسَّرْعَةِ ، وَقَالَ : « إِذَا

(١) كذا جاء في المخطوطة والكمال ، وجاء في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٤ ووقفه صفين ص ١٧٠ « قطع » .

(٢) زيادة من ابن جرير الطبري ونصر بن مزاحم .

(٣) بلد على الفرات من جهة بغداد .

(٤) بلد على نهر الخابور بينه وبين الفرات .

قَدِمْتُ فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ يَبْدَعُوكَ ،
 حَتَّى تَلْقَاهُمْ فَتَدْعُوهُمْ ، وَتَسْمَعَ مِنْهُمْ ، وَلَا يَحْمِلُكَ بِغَضُّهُمْ عَلَى
 قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَاجْعَلْ عَلَى
 مَيْمَنَتِكَ زِيَادًا ، وَعَلَى مِيسْرَتِكَ شُرَيْحًا ، وَلَا تَذْنُ مِنْهُمْ ذُنُوءَ مَنْ
 يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ ، وَلَا تَبَاعِذْ تَبَاعِذَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ ، حَتَّى
 أَقْدِمَ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي حَثِيْتُ السَّيْرَ فِي أَثْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكُتِبَ
 إِلَى شُرَيْحٍ وَزِيَادٍ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَهُمَا بِطَاعَةِ الْأَشْتَرِ . .

فَسَارَ الْأَشْتَرُ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ ، وَكَفَّ عَنِ الْقِتَالِ ، وَلَمْ يَزَالُوا مُتَوَقِّفِينَ
 حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ حَمَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو الْأَعْوَرِ ، فَثَبَّتُوا لَهُ وَاضْطَرَبُوا
 سَاعَةً ، ثُمَّ انْصَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَدِ هَاشِمُ بْنُ
 عُثْبَةَ الْمُرْقَالِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْأَعْوَرِ ، فَاقْتَتَلَا يَوْمَهُمْ ، وَصَبَرَ
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ ، وَقَالَ أَرُونِي
 أَبَا الْأَعْوَرِ ! فَتَرَجَعُوا ، وَوَقَفَ أَبُو الْأَعْوَرِ وَرَاءَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ
 فِيهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَجَاءَ الْأَشْتَرُ فَصَفَّ أَصْحَابَهُ مَكَانَ أَصْحَابِ
 أَبِي الْأَعْوَرِ بِالْأَمْسِ ، وَقَالَ الْأَشْتَرُ لِسَيِّدَانِ بْنِ مَالِكِ النَّخَعِيِّ : انْطَلِقْ إِلَى
 أَبِي الْأَعْوَرِ فَادْعُهُ إِلَى الْبِرَازِ . فَقَالَ : إِلَى مُبَارَزَتِي أَوْ مُبَارَزَتِكَ ؟ فَقَالَ :
 لِلْأَشْتَرِ لَوْ أَمَرْتُكَ بِمُبَارَزَتِهِ لَفَعَلْتُ . قَالَ : « نَعَمْ وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتَنِي
 أَنْ أَغْتَرَضَ صَفَّهُمْ بِسَيْفِي لَفَعَلْتُ . فَدَعَالَهُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا
 تَدْعُو لِمُبَارَزَتِي . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَمْنُونِي فَإِنِّي رَسُولُ . فَأَمَّنُوهُ ،
 فَانْتَهَى إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ فَقَالَ لَهُ : إِنْ الْأَشْتَرُ يَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَبَارَزَهُ .
 فَسَكَتَ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ خِيفَةَ الْأَشْتَرِ وَسُوءَ رَأْيِهِ حَمَلَاهُ عَلَى
 إِجْلَاءِ عُمَالِ عُثْمَانَ عَنِ الْعِرَاقِ وَتَقْبِيحِ مُحَاسِنِهِ ، وَعَلَى أَنْ سَارَ إِلَيْهِ

في داره حتى قتله وأصبح متبعا بدمه ، لاجاة لي في مبارزته . فقال له سنان : قد قلت فاستمع مني أجيبك . قال : لاجاة لي في جوابك ، اذهب عني . فصاح به أصحابه ، فانصرف عنه ، ورجع إلى الأشر فآخبره ، فقال : لنفسه نظر . فوقفوا حتى حجز الليل بينهم وعاد ، الشاميون من الليل ^(١) .

وأصبح على رضى الله عنه غداة عند الأشر ، وتقدم الأشر ومن معه ^(٢) فانتهى إلى معاوية ، فواقفه ، ولحق بهم على ، فتواقفوا طويلا .

ثم إن عليا طلب لعسكره موضعا ينزل فيه ، فكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا أفيح ^(٣) ، أخذ شريعة ^(٤) الفرات ، وليس في ذلك الموضع شريعة غيرها ، وجعل معاوية على الشريعة أبا الأغور .

فأتى الناس عليا ، فأخبروه بفعلهم ، وتعطش الناس ، فدعا صغصعة بن صوحان ، فأرسله إلى معاوية يقول : « إنا سرنا ميسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الإغدار إليكم ، فقدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلنا قبل أن نقاتلك ، [وبدأنا بالقتال] ^(٥) ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك ، وهذه أخرى قد فعلتموها ، منعتم الناس

(١) في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٦ : « انصرفوا من تحت ليلهم » .

(٢) في تلك الموقعة .

(٣) كل موضع واسع يقال له « أفيح » .

(٤) الشريعة : مورد الناس أو الحيوان على الماء الجاري .

(٥) الزيادة من تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٨ .

من الماء ، والناس غير مُنْتَهَيْنَ [أو يشربوا] ^(١) ، فابْعَثْ إِلَى أَصْحَابِكَ
فَلْيَخْلُوا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وَلْيَكْفُوا لِنَنْظُرَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
وَفِيمَا قَدِمْنَا لَهُ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَتْرِكَ مَا جِئْنَا لَهُ وَنَقْتُلَ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى
يَكُونَ الْغَالِبُ هُوَ الشَّارِبُ فَعَلْنَا » . فجاء صَعَصَعَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَقَصَّ
عَلَيْهِ الرِّسَالَةَ ، فَاسْتَشَارَ مُعَاوِيَةَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : مَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ
ابْنُ عُقْبَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ ^(٢) بَنُ سَعْدٍ : امْنَعْنَهُمُ الْمَاءَ كَمَا مَنَعُوهُ ابْنَ عَقَّانَ ،
اقتُلْهُمْ عَطَشًا قَتَلَهُمُ اللَّهُ ! فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْعَاصِ : « خَلُّ بَيْنَ الْقَوْمِ
وَبَيْنَ الْمَاءِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَعْطَشُوا وَأَنْتَ رَبَّانٍ ، وَلَكِنْ بَغِيرِ الْمَاءِ فَانْظُرْ
فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ » . فَأَعَادَ الْوَلِيدُ وَابْنُ سَعْدٍ مَقَالَتَهُمَا ، قَالَا : « امْنَعْنَهُمُ
الْمَاءَ إِلَى اللَّيْلِ ، فَإِنْ هُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ رَجَعُوا ، وَكَانَ رَجُوعُهُمْ هَزِيمَةً ،
امْنَعْنَهُمُ الْمَاءَ مِنْهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! قَالَ صَعَصَعَةُ : إِنَّمَا يَمْنَعُهُ اللَّهُ
الْفَجْرَةَ وَشُرْبَةَ الْخَمْرِ ، لَعَنَكَ اللَّهُ وَلَعَنَ هَذَا الْفَاسِقُ (يَعْنِي الْوَلِيدَ)
ابْنُ عُقْبَةَ) . فَشْتَمُوهُ وَتَهَدَّدُوهُ . (وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الْوَلِيدَ وَابْنَ
أَبِي سَرْحٍ لَمْ يَشْهَدَا صِفِينَ .)

وَرَجَعَ صَعَصَعَةُ فَأَخْبَرَ بِمَا كَانَ . . . وَسِيرَ مُعَاوِيَةُ الْخَيْلَ
إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ لِيَمْنَعَهُمُ الْمَاءَ . فَلَمَّا سَمِعَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :
قَاتِلُوهُمْ عَلَى الْمَاءِ !

فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ : أَنَا أَسِيرُ إِلَيْهِمْ . فَسَارَ

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير ، و « أَوْ » بمعنى « إِلَى » أَوْ « إِلَّا » .

(٢) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب القرشي العامري . وكان
أخا عثان من الرضاعة ، وسيلكره المؤلف قريبا بلفظ « ابن أبي سرح » ، وانظر الإصابة

إليهم ، فلما دَنُّوا منهم ثاروا إلى وجوههم يَرْمُونَهُم بِالنَّبْلِ ، فتراوًا ساعة ، ثم تَطَاعَنُوا بِالرَّمَّاحِ ، ثم صاروا إلى السيوف فاقتتلوا [بها] ^(١) ساعة .

وأرسل مُعاوية يَزِيدَ بنَ أَسَدِ البَجَلِيِّ التَّسْرِي (جَدُّ خَالِدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ) في الخيل إلى أَبِي الْأَعْوَرِ ، فاقتتلوا . . . وأرسل عَلَى شَبَثَ بنِ رَبِيعِ الرِّياحِي ، فازداد القتال .

فأرسل مُعاوية عَمْرُو بنَ العاصِ في جند كثير ، فَأَخَذَ يَمُدُّ أَبَا الْأَعْوَرِ [ويَزِيدَ بنَ أَسَدِ] ^(٢) . . . وأرسل عَلَى الْأَشْتَرِ في جمع عظيم وجعل يَمُدُّ الْأَشْعَثَ وَشَبَثًا . . .

فانتمدَّ القتالُ حَتَّى خَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وصار في أيدي أصحابِ عَلَى ، فقالوا : وَاللَّهِ لَا نَسْقِيهِ أَهْلَ الشَّامِ ، فَأَرْسَلَ عَلَى إِلَى أَصْحَابِهِ أَنْ خُذُوا مِنَ الْمَاءِ حَاجَتَكُمْ ، وَخَلُّوا عَنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ بِبَغْيِهِمْ وَظَلَمِهِمْ .

ومكثَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَيْنِ لَا يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَحَدًا وَلَا يَأْتِيهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

(١) الزيادة من ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٥٦٧ .

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٥ .

ذكر ارسال على الى معاوية وجوابه^(١)

قال : ثم دعا على رضى الله عنه أبا عَمْرَةَ بَشِيرَ بن عمرو بن وَحْصَن
الأنصارى وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي ، فقال
لهم : انتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله تعالى وإلى الطاعة والجماعة .
فقال له شَبَثُ يا أَمِيرَ المؤمنين أَلَا نُنْظِمُهُ في سُلْطَانٍ تُولِيه إِيَّاهُ وَمَنْزِلَةٍ
يكون لها عندك أَثَرَةٌ إِنَّهُ هو بَابُكَ ؟ قال انظروا إليه واحتجوا عليه
وانظروا ماريه . وكان ذلك أول ذى الحجة من سنة ست وثلاثين .

فأتوه فدخلوا عليه ، فابتدأ بِشِيرُ بن عمرو الأنصارى فحمد
الله وأثنى عليه ، ثم قال : « يامعاوية إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك
راجع إلى الآخرة ، وإن الله مُحَاسِبُكَ بعملك ومُجَازِيكَ عليه ، وإنى
أُشَدُّكَ الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تنسفك دماءها بينها » .
فقطع - أيه معاوية الكلام وقال : هَلْ أَوْصَيْتَ بِذَلِكَ صاحبك ؟ فقال
« صاحبى ليس ومثلك ، إن صاحبى أحق البرية كلها بهذا الأمر فى الفضل
والدين والسابقة فى الاسلام والقراية بالرسول^(٢) صلى الله عليه وسلم »
قال : فماذا تقول^(٣) ؟ قال نأمرُك^(٤) بتقوى الله وإجابة ابن عمك
إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة
أمرك . قال معاوية : « ونترك دَمَ عُثْمَانَ ! لا والله لأفعل ذلك أبدا ! »
قال : فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شَبَثُ بن

(١) زاد بعده فى المخطوطة : « وأيام صفين السنة » . وسيأتى ذكر هذه الأيام السنة
فى غير هذا الفصل .

(٢) فى تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٧١ : « من الرسول » .

(٣) فى الكامل ج ٣ ص ١٤٦ : « يقول » .

(٤) فى الكامل : « يأمرُك » .

رَبِّعِي ، فحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاوِيَةُ ، قَدْ فَهِمْتُ مَا رَدَدْتُكَ عَلَى ابْنِ مِخْصَنٍ ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مَا تَطْلُبُ ، إِنَّكَ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا تَسْتَغْفِرُ بِهِ النَّاسَ ، وَتَسْتَمِيلُ بِهِ أَهْوَاءَهُمْ ، وَتَسْتَخْلِصُ بِهِ طَاعَتَهُمْ ، إِلَّا قَوْلَكَ : قُتِلَ إِمَامُكُمْ مَظْلُومًا فَنَحْنُ نَطْلُبُ بَدْلَهُ ، فَاسْتَجَابَ لَكَ سُفْهَاءُ طَغَامٍ ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ أَبْطَأْتَ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ ^(١) ، وَأَحْبَبْتَ لَهُ الْقَتْلَ ، لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَصْبَحْتَ تَطْلُبُ ، وَرُبُّ مُتَمَنِّي أَمْرٍ وَطَالِبِهِ يَحُولُ اللَّهُ دُونَهُ ، وَرَبِّمَا أَوْقَى الْمُتَمَنِّي أُمْنِيَّتَهُ وَفَوْقَ أُمْنِيَّتِهِ ، وَوَاللَّهِ مَا لَكَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ ، وَاللَّهِ إِنْ أَخْطَاكَ مَا تَرْجُو إِنَّكَ لَشَرُّ الْعَرَبِ حَالًا ، وَإِنْ أَصَبْتَ مَا تَتَمَنَّا لَا تُصِيبُهُ حَتَّى تَسْتَحِقَّ مِنْ رَبِّكَ صُلَى النَّارَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ ، وَدَعْ مَا أَنتَ عَلَيْهِ ، وَلَا تُنَازِعِ الْأَمْرَ أَذْلَهُ » .

قَالَ : مَحْمَدُ اللَّهِ مُعَاوِيَةُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا عَرَفْتُ بِهِ سُفْهَاءَ وَخِفَّةَ حُلُمِكَ أَنَّكَ قَطَعْتَ عَلَى هَذَا الْحَسِيِّبِ الشَّرِيفِ سَيِّدَ قَوْمِهِ مَنَاطِقَهُ ، ثُمَّ اعْتَرَضْتَ بَعْدُ فِيمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَلَوُؤُمْتَ أَيُّهَا الْأَعْرَابِيُّ الْجَلْفُ الْجَانِي فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتَ وَوَصَفْتَ ! . انصِرِفُوا مِنْ عِنْدِي فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِلَّا السَّيْفُ ! » وَغَضِبَ ، وَخَرَجَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ لَهُ شَبَثُ ^(٢) « أَتَهْوُلُ بِالسَّيْفِ ؟ أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَنُعْجِلَنَّهَا إِلَيْكَ ! » .

فَاتَّوَا عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ . فَكَانَ عَلَى يَأْمُرِ الرَّجُلَ ذَا الشَّرَفِ فَيُخْرِجُ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ آخَرُ

(١) أَيْ : عَثَانُ .

(٢) أَيْ : قُلُوبُهُ وَهُوَ خَارِجٌ ، وَعِبَارَةُ ابْنِ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيِّ : « وَخَرَجَ الْقَوْمُ وَشَبَثُ

يَقُولُ » ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ مَزَاهِمٍ فِي وَقْعَةِ صَفِّينَ ص ٢١١ .

من أصحاب معاوية ومعه جماعة ، فيقتتلان في خيَلهما ، ثم ينصرفان .
وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام خَشْيَةَ الاستئصال
والهلاك .

فكان على يَخرج مَرَّةً الْأَشْتَر ، ومَرَّةً حُجْرَ بْنَ عَدِي الْكِنْدِي ، ومرة
شَبِثُ بْنُ رَبِيعٍ ، ومَرَّةً خَالِدُ بْنُ الْمَعْمَر ، ومَرَّةً زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِي ،
ومَرَّةً زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ التَّيْمِي ، ومَرَّةً سَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِي ، ومرة
مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَاحِي ، ومَرَّةً قَيْسُ بْنُ سَعِيدِ الْأَنْصَارِي . وكان الْأَشْتَر
أكثر خروجا .

وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبا
الأعور السُّلَمِي ، وحبيب بن مَسْلَمَةَ الْفَهْرِي ، وابن ذِي الْكَلَّاع (١)
الحميري ، وعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب ، وشرحِبِيلُ بْنُ السَّمْطِ .
الْكِنْدِي ، وحمزة بن مالك الْهَمْدَانِي .

فاقتتلوا أَيَّامَ ذِي الْحِجَّةِ كُلِّهَا ، ورُبَّمَا اِقْتَتَلُوا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ
مَرَّتَيْنِ .

(١) كذا جاء في المخطوطة هنا مثل ما في تاريخي ابن جرير وابن الأثير . وكان
الأولى أن يقولوا : « وهذا الكلاع » لأنه هو نفسه « ذو الكلاع الأصغر » الذي كان في هذا
المهد ، فلا موجب لنسبته إلى جده الأكبر ، وقد ذكره المؤلف أيضا بلفظ « ذى الكلاع » بن عبد البر
وابن حجر وكثير من علماء الحديث ، وسيذكره المؤلف أيضا بلفظ « ذى الكلاع »
لابن جرير وابن كثير هناك . واسمه : « أسيف » وقد يختصر فيقال « سيف » أو « أسفع »
ابن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر ، وكان ذو الكلاع الأصغر رئيسا
في قومه ، وقد أسلم فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم بالتعاون على ميله الكتاب وغيره ،
وكان يكنى « أبا شرحبيل » أو « أبا شراحيل » .

ذكر المواقعة بين علي ومعاوية في شهر المحرم

وما كان بينهما من المراسلة والأجوبة في الشهر

قال : وفي شهر المحرم سنة سبع وثلاثين جرت موقعة^(١) بين علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان ، توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقض الشهر ، طمعا في الصلح . . واختلعت فيه بينهما الرسائل .

فبعث علي رضي الله عنه عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأزجي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة .

فتكلم عدي بن حاتم ، فحمد الله ، فقال : « أما بعد ، فقد جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا ، ويحقق^(٢) به الدماء ، ويصلح^(٣) به ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقا ، وأحسنها في الإسلام أثرا ، وقد استجمع له الناس ، ولم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فاحذر يا معاوية لا يصيبك^(٤) وأصحابك مثل يوم الجمل » . فقال له معاوية : « كأنك جئت مهتدا لم تأت مضلحا ، هيئات يا عدي ، كلاً ! والله إنني لأبئن حرب^(٥) ،

(١) أي : مسألة على ترك الحرب في المدة المذكورة .

(٢) في النسخة (ك) : « ونحقق » .

(٣) في النسخة (ن) : « ونصلح » .

(٤) في تاريخ ابن جرير الطبري : « لا يصيبك » .

(٥) معاوية هو ابن أبي سفيان صخر بن حرب ، فاسم جده « حرب » ، ولا تحقق

مناسبة ذكره لحال الحرب .

ما يَقْتَعُ لى بالشَّنان^(١) ! وإِنَّكَ وَاللَّهِ لَمِنَ الْمَجْلِبِينَ عَلَى عُثْمَانَ ،
وإِنَّكَ مِنْ قَتَلَتِهِ ، وَإِنى لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِهِ .

فَقَالَ سَبَّحْتُ وَزِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ جَوَابًا وَاحِدًا : أَتَيْنَاكَ فِيمَا يُصْلِحُنَا
وإِيَّاكَ ، فَأَقْبَلْتَ تَضْرِبُ لَنَا الْأَمْثَالَ^(٢) ، دَعِ مَا لَا يَنْفَعُ ، وَأَجِبْنَا
فِيمَا يَنْفَعُ .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ : إِنَّا لَمْ نَأْتِ إِلَّا لِنُبَلِّغَكَ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْكَ
وَنُؤَدِّيَ عَنْكَ مَا سَمِعْنَا مِنْكَ ، وَلَمْ نَدْعُ أَنْ نَنْصَحَ لَكَ ، وَأَنْ نَذْكُرَ
مَا تَكُونُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْكَ ، وَيَرْجِعُ إِلَى الْأَلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، إِنَّ صَاحِبَنَا مِنْ
قَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ فَضِيلَهُ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مَعْأُوبَةٌ
وَلَا تَخَالِفْهُ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَارِئُونَ فِي النَّاسِ رَجُلًا قَطُّ . أَعْمَلْ بِالتَّقْوَى
وَلَا أَرْهَدْ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَجْمَعْ لِحِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا مِنْهُ .

فَحَمِدَ اللَّهُ مَعَاوِيَةَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكُمْ دَعَوْتُمْ إِلَى الطَّاعَةِ
وَالْجَمَاعَةِ ، فَأَمَّا الْجَمَاعَةُ الَّتِي دَعَوْتُمْ إِلَيْهَا فَنِعِمَّا هِيَ^(٣) ، وَأَمَّا الطَّاعَةُ

(١) (يضرب المثل) « ما يقمق له بالشَّنان » لمن لا يتضع لحوادث الدهر ولا يروعه
مألا حقيقة له . والقمقة : تحريك الشيء يسع له صوت : والشَّنان : جمع شن ، وهي
القربة البالية ، وأصل المثل أنهم كانوا إذا أرادوا حث الإبل على السير حركوا قربة بالية يسع
لها صوت فتفرع الإبل وتسرع ، قال النابغة :

كَأَنَّكَ مِنْ جِهَالِ بَنِي أَقِيْشٍ يَقْمَقُ خَلْفَ رَجْلَيْهِ بَشَنٍ

وقد تمثل بهذا المثل - بعد معاوية - الحجاج الثقفي في خطبة مشهورة ، انظر الكامل
للبردد بشرحه رغبة الآمل ج ٤ ص ٧٦ ، ٨٧ .

(٢) سبق ذكر المثل « ما يقمق لى بالشَّنان » ، وروى ابن جرير في آخر كلام معاوية
تمثله بمثل ثان هو « قد حلبت بالساعد الأشد » أى أخذت بالقوة إذ لم يأت الرفق .

(٣) كذا جاء في وقعة صفين ص ٢٢٣ وعند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٤ . وجاء في
المخطوطة : « فمما هي » .

لصاحبكم فإنا لانراها ، لأن صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرق جماعتنا ، وآوى ثأرتنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لانرد عليه ذلك ، فليَنفَع إِلَيْنَا قَتْلُهُ صَاحِبِنَا لِنَقْتُلَهُمْ وَنَحْنُ نَجِيبُكُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ .

فَقَالَ شَبَثُ بْنُ رَبِيعٍ : يَا مُعَاوِيَةُ أَيَسُرُّكَ أَنْ تَقْتُلَ عَمَّارًا ؟ قَالَ « وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ ؟ وَاللَّهِ لَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْ ابْنِ سُمَيَّةَ لَقَتَلْتُهُ بِمَوْكِي عُثْمَانَ ^(١) ! » فَقَالَ شَبَثُ : « وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا تَصِلُ إِلَى ذَلِكَ حَتَّى تَنْدَرُ الْهَامَ ^(٢) » عَنِ الْكُوَاهِلِ وَتَضِيقَ الْأَرْضُ الْفُضَاءَ عَلَيْكَ ! » فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : « لَوْ كَانَ كَذَاكَ لَكَانَتْ عَلَيْكَ أَضْيَقُ ! » . وَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ .

وَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصْفَةَ ، فَخَلَا بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : « يَا أَخَا رَبِيعَةَ ، إِنَّ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامَنَا ، وَقَتَلَ إِمَامَنَا ، وَآوَى قَتْلَةَ صَاحِبِنَا ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ النَّصَرَ عَلَيْهِ بِعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ أَوْلِيَّكَ إِذَا ظَهَرْتُ ^(٣) أَيُّ الْمَضْرُوبِينَ أَحْبَبْتَ » . فَقَالَ زِيَادُ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَبِمَا ^(٤) أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ^(٥) لِلْمَجْرُمِينَ ! » وَقَامَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ : لَيْسَ نَكَلُّمُ رَجُلًا مِنْهُمْ فِيُجِيبُ إِلَى خَيْرٍ ، مَا قَلْبُوبُهُمْ إِلَّا كَقَلْبِ وَاحِدٍ ! .

(١) في رواية ابن أبي الحديد : « كنت أقتله بنائل مولى عثمان » .

(٢) تندر الهام : تمسقط الرموس .

(٣) ظهرت : غلبت .

(٤) كذا جاء في تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ٣ ووقعة صفين ص ٢٢٤ ، وقد جاء

في القرآن الكريم ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمَجْرُمِينَ ﴾ . وجاء في المخطوطة : « وما » .

(٥) ظهيرا : عوناً .

وبعث معاوية إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط. ومعن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه ، فحمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعدُ فإن عثمان كان خليفة مَهْدِيًا ، يعمل بكتاب الله ويُنِيبُ إلى أمره ، فاستثقلتم حياته ، واستبطنتم وفاته ، فعدّوتم عليه فقتلتموه ، فاذقِ إلينا قتلَ عثمان إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اغتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يولّونه من أجمعوا عليه » . فقال له علي رضي الله عنه : « ما أنت - لأأم لك - والعزل وهذا الأمر ^(١) ؟ اسكت ! لست هنالك ولا بأهل له » . فقال : « والله لتريَنِي بحِثْ تكرهُ ! فقال علي : « وما أنت ؟ لا أبقي الله عليك إن أبقيت علينا ، اذهب فصوب وصعد ما بَدَا لك ! » وقال شرّحبيل : « ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي ، فهل عندك جواب غير هذا ! » فقال علي نعم ^(٢) ، عندي جواب غيرُه :

ثم حمد الله وأثنى عليه وقال : (أما بعدُ ، فإن الله تعالى بعث محمدًا بالحق ، فأخذ به من الضلالة والهلكة ، وجمع به من الفرقة ، ثم قبضه الله إليهِ ، فاستخلف الناس أبا بكر ، [ثم] ^(٣) استخلف أبو بكر عُمر ، فأحسن السيرة ، وعدل [في الأمة] ^(٤) ، وقد وجدنا عليهما أن

(١) أصل العبارة عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٥ : « ما أنت لا أم لك والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر » .

(٢) كذا جاء في رواية ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٤ وشرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ١ ص ٣٤٥ ، وهذا هو الظاهر المناسب لما بعده ، وجاء في المخطوطة : « ليس » .

(٣) كذا جاء عند ابن أبي الحديد ، وفي المخطوطة : « و » .

(٤) الزيادة من ابن جرير الطبري وابن أبي الحديد وابن مزاحم في وقعة صفين ص ٢٢٦ .

توكيّا الأمور [دوننا] ^(١) ونحن آلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فغفرنا لهما ذلك ، وولى الناس عثمان ، فعمل بأشياء عابها الناس ،
 فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس [وأنا مُعتزلُ أمورهم] ^(٢) ،
 فقالوا لي : بايع . فأبيتُ ، فقالوا : بايع فإن الأمة لا ترضى إلا بك ،
 وإننا نخاف إن لم تفعل أن يتفرق الناس . فبايعتهم ، فلم يرغنى إلا شقاقُ
 رجلين قد بايعاني ! وخلافُ معاوية الذي لم يجعل [الله عز وجل له] ^(٣)
 سابقة في الدين ، ولا سلفَ صدق في الإسلام ، طليقُ ابن طليق ،
 وحزبُ ^(٤) من الأحزاب ، لم يزل حرباً لله ولرسوله هو وأبوه حتى
 دخلا في الإسلام كارهين ، ولا عجب إلا من خلافكم ^(٥) معه ،
 وانقيادكم له ، وتركون آل بيت ^(٦) نبيكم الذين لا ينبغي لكم
 شقاقهم ولا خلافهم ، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ،
 وإمارة الباطل وإحياء الحق ومعاليم الدين ، أقول قولي هذا وأستغفر
 الله لي ولكم وللمؤمنين .

فقالا : نشهد أن عثمان قُتل مظلوما . قال : لا أقول ، إنه
 قُتل ظلماً أو مظلوماً . قالا : من لم يزعم أنه قُتل مظلوماً فنحن منه
 براء . وانصرفا فقال علي رضي الله عنه : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى
 وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِبَاهِدِي الْعَمَى

(١) الزيادة من ابن أبي الحديد .

(٢) الزيادة من ابن جرير وابن أبي الحديد .

(٣) الزيادة من ابن جرير وابن أبي الحديد .

(٤) كذا جاء عند ابن أبي الحديد ، وجاء في المخطوطة : « حزباً » .

(٥) كذا جاء عند الطبري ، وهو المناسب لخلافهم . الآق بعده ، وفي المخطوطة

اختلافكم .

(٦) كذا جاء في المخطوطة كالكمال ، وجاء في تاريخ ابن جرير « آل نبيكم »

عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ، إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ^(١) .
ثم قال لأصحابه : لا يَكُنْ هؤلاء في الجِدِّ في ضلالِهِمْ أَجَدَّ مِنْكُمْ في
الجِدِّ في حَقِّكُمْ .

قال : ولما انسلخَ شهرُ الله المحرَّم وانقضت مُدَّةُ المِوَادعةِ أَمَرَ عَلَى
رَضَى الله عنه مُنَادِيَا فَنَادَى ^(٢) : « يَا أَهْلَ الشَّامِ ، يَقُولُ لَكُمْ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : قَدْ اسْتَدْمَعْتُكُمْ لَتُرَاجِعُوا الْحَقَّ وَتُنِيبُوا إِلَيْهِ ، فَلَمْ
تَنْتَهُوا عَنِ الطُّغْيَانِ ، وَلَمْ تُجِيبُوا إِلَى الْحَقِّ ، وَإِنِّي قَدْ نَبَذْتُ إِلَيْكُمْ عَلَى
سِوَاءٍ ^(٣) ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » .

قال : واجتمع أهلُ الشَّامِ إِلَى أَمْرَائِهِمْ وَرُؤُسَائِهِمْ ، وَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ
وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يُكْتَبَانِ الْكِتَابَ ^(٤) وَيُعَبَّئَانِ النَّاسَ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ
عَلَى رَضَى الله عنه .

وقال عَلَى للنَّاسِ : لَا تَنَاقِظُواهُمْ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ ، فَأَنْتُمْ بِحَمْدِ
اللهِ عَلَى حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ قِتَالَهُمْ [حَتَّى يَبْذُوكُمْ] ^(٥) حُجَّةٌ أُخْرَى

(١) الْآيَتَانِ ٨٠ - ٨١ مِنْ سُورَةِ النَّمْلِ .

(٢) ذَكَرَ نَصْرُ بْنُ مِزَاحٍ وَابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ أَنَّ الْمُنَادِيَ مَرْثَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْجُمَيْسِيُّ .

(٣) أَيْ إِنِّي قَدْ طَرَحْتُ إِلَيْكُمْ عَهْدَكُمْ مَسْتُوْا أَنَا وَأَنْتُمْ فِي الْعِلْمِ بِلِهْوَ الْمِوَادعةِ الَّتِي
كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَمْ يَغْدِرْ بِهِمْ فَيَقَاتِلَهُمْ بِنَفْسِهِ ، بَلْ أَعْلَمَهُمْ بِنَبْذِ الْمِوَادعةِ ، لِيَكُونَ
الطَّرْفَانِ عَلَى سِوَاءٍ فِي الْعِلْمِ بِذَلِكَ وَالِاسْتِمْدَادِ لِلْخُطْوَةِ التَّالِيَةِ . وَهَذَا مَا خُوِذَ مِنَ الْآيَةِ ٥٨ فِي سُورَةِ
الْأَنْفَالِ : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءٍ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ .

(٤) الْكِتَابُ : جَمْعُ كِتَابَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ ، وَتُكْتَبُ الْكِتَابُ إِعْدَادُهَا .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ ، وَهِيَ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ مَعَ شَرْحِهِ لِابْنِ
أَبِي الْحَدِيدِ ج ٣ ص ٤١٧ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ مِزَاحٍ فِي وَقْعَةٍ صَفِيحَتَيْنِ ص ٢٣٠ .

فإذا هزمتهم فلا تقتلوا مُدْبِرًا ، ولا تُجهزوا على جريح ^(١) ،
ولا تكشفوا عورة ، ولا تُمثلوا بقتيل ^(٢) ، فإذا وصلتم إلى رحال
القوم فلا تهتكوا سِترا ، ولا تدخلوا دارًا [لأباذن] ^(٣) ، ولا تأخذوا
شيئا من أموالهم [إلا ما وجدتم في عسكرهم] ^(٤) ، ولا تهيجوا
امرأة [بأذى] ^(٥) ، وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم
وصلحاءكم ، فإنهن ضعافُ القوى ، والأنفس ^(٦) .

وحرّض أصحابه فقال رضى الله عنه : عباد الله ، اتقوا الله ،
وغضّوا الأبصار ، واخفيضوا الأصوات ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا
أنفُسكم على المنازلة والمجاولة والمزاولة ^(٧) والمناضلة والمعانقة والمكادمة
والملازمة ، ﴿ قَاتِبُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٨) . وَلَا
تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ^(٩)
اللَّهُمَّ أَنْهَهُمُ الصَّبْرَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ النِّصْرَ ، وَأَعْظِمْ لَهُمُ الْأَجْرَ .

(١) في النهاية : « حديث على رضى الله عنه : لا يجهز على جريحهم . أى من صرح
منهم وكنى قتاله لا يقتل ، لأنهم مسلمون ، والقصد من قتالهم دفع شرهم ، فإذا لم يمكن ذلك
إلا بقتلهم قتلوا » .

(٢) « مثل » بفتح الهمزة مع تشديدها أو تركه ، قال : مثل بالقتل ، إذا قطع شيئا من
أطرافه .

(٣) ، (٤) ، (٥) الزيادة من رواية ابن جرير الطبرى .

(٦) في الكامل ج ٣ ص ١٤٩ . بهذا هذا .

« وكان يقول بهذا المعنى لأصحابه في كل موطن » .. وأصل ذلك ما رواه نصر بن مزاحم
عن عبد الله بن جندب عن أبيه أن عليا كان يأمرنا في كل موطن لقيتنا معه علوه ... الخ
انظر وقعة صفين ص ٢٢٩ - ٢٣٠ وابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٥ .

(٧) كذا جاء في المخطوطة والكامل ج ٣ ص ١٥٠ وجاء في تاريخ ابن جرير

الطبرى ج ٤ ص ٧ وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٦ « والمبارزة » .

(٨) من الآية ٤٥ في سورة الأنفال .

(٩) من الآية ٤٦ في سورة الأنفال .

وأصبح على رضى الله عنه فجعل على خَيْل الكوفة الأشتر ، وعلى خَيْل البصرة سَهْل بن حُثَيْف ، وعلى رَجَال الكوفة عَمَّار بن ياسر ، وعلى رَجَال البصرة قَيْس بن سعد بن عبادة ، وهاشم بن عُثْبَة بن أَبِي وَقَّاص المعروف بالمرقال^(١) وجعل معه الراية ، وجعل مشعر بن فدكي على قراء أهل الكوفة وأهل البصرة^(٢) .

وبعث معاوية على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميري^(٣) ، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى مقدمته أبا الأعور السلمي و [كان] على خَيْل دمشق ، [و]^(٤) عمرو بن العاص [على خيول الشام كلها]^(٥) وعلى رَجَال دمشق^(٦) مسلم بن عَقْبَة المُرِّي ، وعلى [رَجَال]^(٧) الناس كلهم الضحّاك بن قَيْس . . . وبابيع^(٨) رجال من أهل الشام على الموت ، فَعَقَلُوا أَنْفُسَهُمْ بالعمائم ، فكانوا خمسة صفوف .

والتَقَوْا أَوَّلَ يَوْمٍ من صفر سنة سبع وثلاثين ، وكان الذى خرج فى هذا اليوم الأشتر على أهل الكوفة ، وحبيب بن مسلمة على أهل

(١) فى القاموس : والمرقال هاشم بن عتبة ، لأن عليا رضى الله عنه أعطاه الراية بصفين فكان يرقل بها (أى : يسرع) . وقال ابن جرير فى تاريخ ج ٤ ص ٣١ هاشم يدعى المرقال لأنه كان يرقل فى الحرب .

(٢) كذا جاء فى المخطوطة ، وجاء فى الكامل لابن الأثير : « على قراء الكوفة وأهل البصرة » ، وجاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى : « على قراء أهل البصرة ، وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بديل وعمار بن ياسر » .

(٣) انظر ما سبق ، وفى شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٦ « ذا الكلاع الحميرى »

(٤) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبرى .

(٥) فى المخطوطة : « وعلى رجالها » ، وصرح ابن جرير : « دمشق » .

(٦) عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٧ : « وبابيع » ، والذي هناك « وقعة صفين »

الشام ، فاقتتلوا عامةً النهار ، ثم تراجعوا وقد ان্তصف بعضهم من بعض .

ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال ، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي ، فاقتتلوا يومهم ذلك ، ثم انصرفوا .

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتتلوا أشد قتال ، وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل : احمل على أهل الشام ، فحمل ، وقتله الناس وصبروا له ، وحمل عمار فأزال عمر وبن العاص عن موضعه ، وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه لأُمّه ^(١) واسمه : عمرو بن ^(٢) معاوية من بني المُنْتَفِق ، فلما التقيَا تعارفا ، فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه ، وتراجع الناس وخرج من الغد في اليوم الرابع محمد بن علي ، هو « ابن الحنفية » وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، في جمعين عظيمين ، فاقتتلوا أشد القتال ، وأرسل عبيد الله إلى محمد يدعوه للمبارزة ، فخرج إليه ، فحرك على دابته ، ورد ابنه ، وبرز على إلى عبيد الله ، فرجع عبيد الله ، وتراجع الناس ^(٣) .

وخرج في اليوم الخامس عبد الله بن عباس ، خرج إليه الوليد

(١) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٧ : « وأما هند الزيدية » .

(٢) في (وقعة صفين) ص ٢٤١ « يقال له معاوية بن عمرو العقيل » .

(٣) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٠ وغيره : « فقال ابن الحنفية : يا أبت لم منعني

من مبارزته فوالله لو تركني لرجوت أن أقتله . قال علي رضي الله عنه : يا بني لو بارزته

أنا لقتله ، ولو بارزته أنت لرجوت لك أن يقتله ، وما كنت آمن أن يقتلك » .

ابن عُقْبَةَ ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وطلب ابنُ عَبَّاسٍ الْوَلِيدَ لِيُبَارِزَهُ فَأَبَى ، ثم انصرفا .

[وخرج في اليوم السادس قَيْسُ بنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ وخرج إِلَيْهِ ابنُ ذِي الْكَلَّاعِ الْحِمَيْرِيُّ ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم انصرفوا .] ^(١)

قال ^(٢) : ثم عاد الْأَشْتَرُ يَوْمَ الثَّلَاثاءِ ^(٣) ، وخرج إِلَيْهِ حَبِيبٌ ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانصرفا عند الظهر .

ثم إِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَتَّى مَتَى لَا نُنَهِضُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِأَجْمَعِنَا ؟ فقام في الناس عَشِيَّةَ الثَّلَاثاءِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعاءِ خَطِيبًا ، فحمد الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُبْرَمُ مَا نَقُضُ ، وما أَبْرَمَ لَمْ يَنْقُضْهُ النَاقِضُونَ ، ولو شاءَ اللَّهُ ما اختلفَ اثْنانِ مِنْ خَلْقِهِ ، ولا اختلفتِ الْأُمَّةُ في شَيْءٍ ، ولا جَحَدَ الْمُفْضُولُ ذَا الْفَضْلِ فَضْلَهُ ، وقد ساقَتْنَا وهؤلاءِ الْقَوْمِ الْأَقْدَارُ ، فنحن بِمِرْأَى مِنْ رَبِّنا وَمَسْمُوعٌ ، فلو شاءَ عَجَّلَ النُّقْمَةَ ، وكانَ مِنْهُ التَّغْيِيرُ ، حتى يُكَذِّبَ الظَّالِمَ ، وَيُعْلِمَ الْمُحِقَّ ^(٤) أَيْنَ مَصِيرُهُ ، ولكنَّهُ جعلَ الدُّنْيَا دارَ الْأَعْمَالِ ^(٥) ، وجعلَ الْآخِرَةَ دارَ الْقَرَارِ ، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ ^(٦) ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَأَقْوَى الْقَوْمِ غَدًا ،

(١) الزيادة من الكامل ج ٣ ص ١٥٠ .

(٢) ابن الأثير في الكامل .

(٣) قال ابن جرير « اليوم السابع » ثم قال : « وذلك يوم الثلاثاء » .

(٤) كذا جاء عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨١ : وجاء في المخطوطة « الحق »

(٥) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « الأعمار » .

(٦) من الآية ٣١ من سورة النجم .

فَاطِيلُوا اللَّيْلَةَ الْقِيَامَ ، وَأَكْثَرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ النَّصْرَ
وَالصَّبْرَ ، وَالْقَوَاهِمَ بِالْجِدِّ وَالْحَزَمِ ، وَكُونُوا صَادِقِينَ .

فَقَامَ الْقَوْمُ يُصَلِّحُونَ سِلَاحَهُمْ ، فَمَرَّ بِهِمْ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ ^(١) فَقَالَ :
أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ : إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ !

ذكر الحروب التي كانت بصفين بعد الأيام الستة

فِي يَوْمِي الْأَرْبَعَاءِ وَالْخَمِيسِ وَلَيْلَةِ الْهَرِيرِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ
إِلَى أَنْ رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ وَتَقَرَّرَ أَمْرُ الْحَكَمَيْنِ .

قَالَ ^(٢) : وَعَبَّأَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ لَيْلَتِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ ،
وَزَحَفَ بِالنَّاسِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، فَسَأَلَ عَلَى
عَنِ الْقَبَائِلِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَعَرَفَ مَوَاقِفَهُمْ ، فَقَالَ لِلْأَزْدِ : اكْفُونَا
الْأَزْدَ ، وَقَالَ لَخَثَعَمَ : اكْفُونَا خَثَعَمَ ، وَأَمَرَ كُلَّ قَبِيلَةٍ أَنْ تَكْفِيَهُ
أَخْتَهَا مِنَ الشَّامِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ قَبِيلَةُ لَيْسَ مِنْهَا بِالشَّامِ أَحَدٌ فَيَصْرِفُهَا
إِلَى قَبِيلَةٍ أُخْرَى لَيْسَ بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، مِثْلَ بَجِيلَةَ ، لَمْ يَكُنْ بِالشَّامِ
مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ ، فَصَرَفَهُمْ إِلَى لَحْمٍ .

فَتَنَاهَضَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ^(٣) ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ
انْصَرَفُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ وَكُلُّ غَيْرٍ غَالِبٌ .

(١) قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : وَبَاتَ كَعْبُ بْنُ جَعِيلٍ التَّغْلَبِيُّ شَاعِرَ أَهْلِ الشَّامِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
يَرْتَجِزُ وَيَنْشُدُ ... الخ ، وَالرَّجَزُ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِمَّا هُنَا . انْظُرْ وَقْعَةَ صَفَيْنِ ص ٢٥٣ .

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ١٥١ .

(٣) قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ج ١ ص ٤٨٣ : « يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسُ صَفَرٍ » .

فلما كان يوم الخميس صلى على بغلّس ، وخرج بالناس إلى أهل الشام ، وجعل على رضى الله عنه على ميمنته عبدالله بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخَزَاعِي (وله صحبة ^(١)) ، وكان مِمَّنْ أسلم يَوْمَ الْفَتْحِ ، وقبل : قبله) ، وجعل على ميسرته عبد الله بن عباس ، والقراء مع ثلاثة نفر : عَمَّار بن ياسر وقيس بن سعد وعبد الله بن بُدَيْل ، والناس على راياتهم ومراكزهم ، وعلى رضى الله عنه فى القلب فى أهل المدينة بين أهل الكوفة والبصرة ، وأكثر مَن معه من أهل المدينة الأنصار ، ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من أهل المدينة .

وزحف على رضى الله عنه بهم إلى أهل الشام ، ورفع معاوية قبة عظيمة ، وألقى عليها الثياب ، وبايعه أكثر أهل الشام على الموت ، وأحاط . بقبته خيل دمشق ، وزحف عبدالله بن بُدَيْل فى الميمنة نحو حبيب بن مسلمة وهو فى الميسرة ، فلم يزل يحوزهم ^(٢) ويكشف خيلهم حتى اضطروهم إلى قبة معاوية عند الظهر .

وحرص عبد الله بن بُدَيْل أصحابه ، فقال بعد أن حمّد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى عليه الصلاة والسلام : ألا إن معاوية ادعى ما ليس له ، ونازع الحق أهله ، وعاند من ليس مثله ، وجادل بالباطل ليُدْحِضَ به الحق ، وصال عليكم ، بالأعراب والأحزاب الذين زين لهم الضلالة ، وزرع فى قلوبهم حب الفتنة ، ولبس عليهم الأمر ، وزادهم رجساً إلى رجسهم ، وأنتم والله على الحق ، على نور من ربكم وبرهان مبين ،

(١) انظر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٦٨ والإصابة ج ٢ ص ٢٨٠ . وجمهرة أنساب العرب ص ٢٢٧ .
(٢) يحوزهم : يجمعهم ويسوقهم .

فقاتلوا الطغاة الجفاة ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، قَاتِلُوا
الْفِئَةِ الْبَاغِيَّةَ الَّذِينَ نَازَعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وقد قَاتَلْتُمُوهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَ اللَّهِ مَا هُمْ فِي هَذِهِ بِأَزْكَى وَلَا أَتْقَى وَلَا أَبَرَّ ،
قَوْمُوا إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ (٢) .

وقال الشَّعْبِيُّ (٣) : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صِفِّينَ
عَلَيْهِ دِرْعَانٍ وَسَيْفَانِ ، وَكَانَ يَضْرِبُ أَهْلَ الشَّامِ وَيَقُولُ :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الضَّيْبُ وَالتَّوَكُّلُ مَعَ التَّمَشُّيِ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ
مَشَى الْجَمَالَ فِي حَيَاضِ الْمَنْهَلِ وَاللَّهُ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ (٤)

وَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَزَالَهُ عَنْ مَوْقِفِهِ
وَأَزَالَ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ . (وَسَنَذَكُرُ خَبْرَ مَقْتَلِهِ فِي هَذَا
الْيَوْمِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) .

قَالَ : وَحَرَّضَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي كَلَامٍ لَهُ : فَسَوُّوا (٥) صَفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ ، وَقَدَّمُوا

(١) الْآيَةُ ١٤ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ .

(٢) اعْتَمَدَ الْمُؤَلِّفُ فِي نَقْلِ هَذِهِ الْخَطْبَةِ عَلَى كِتَابِ الْاِسْتِيعَابِ ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) انْظُرِ الْاِسْتِيعَابَ وَالْاِصَابَةَ ج ٢ ص ٢٨١ .

(٤) رَوَى ابْنُ أَبِي الْخَدِيدِ ج ١ ص ٤٨٦ هَذَا الرَّجَزَ هَكَذَا :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالتَّرْسِ وَالرَّمْحِ وَسَيْفِ مَصْقَلٍ
ثُمَّ التَّمَشُّيُ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مَشَى الْجَمَالَ فِي حَيَاضِ الْمَنْهَلِ
فَتَجِبُ الْقَافِيَةُ مَكْسُورَةُ اللَّامِ . وَمَا هُنَا مِثْلُ (وَقَعَةُ صَفِّينَ) ص ٢٧٦ .

(٥) ذَكَرَ عَلِيٌّ قَبْلَ ذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ
بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ الْآيَةُ ٤ مِنْ سُورَةِ الصَّفِّ ، انْظُرِ ابْنَ أَبِي الْخَدِيدِ ج ١ ص ٤٠٧ .

الدَّارِعُ (١) ، وأَخْرَوْا الحَاسِرَ (٢) ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَصْرَاسِ (٣) ، فَإِنَّهُ
 أَنْبَى (٤) لِلْسَيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَالتَّوَوَّا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَإِنَّهُ أَمُورٌ (٥)
 لِلْأَمْسِنَةِ (٦) ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ ، فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ،
 وَأَمَيَّنُوا الْأَصْوَاتَ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِشْلِ ، وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ ، رَايَاتِكُمْ
 فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُزِيلُوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ
 وَاسْتَعِينُوا بِالْصَّدَقِ وَالصَّبْرِ ، فَإِنْ (٧) بَعْدَ الصَّبْرِ يَنْزِلُ النَّصْرُ .

قال : وقام يزيد بن قيس الأرحبيُّ يُحَرِّضُ النَّاسَ ، فَقَالَ : إِنَّ
 الْمُسْلِمَ مِنْ سَلَمٍ فِي دِينِهِ وَرَأْيِهِ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَاللَّهِ مَا يَقَاتِلُونَنَا إِلَّا عَلَى هَذِهِ
 الدُّنْيَا لِيَكُونُوا جَبَّارِينَ فِيهَا مُلُوكًا ، فَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ - لَا أَرَاهُمْ اللَّهَ
 ظُهُورًا وَلَا سُورًا - لَرَمَوْكُمْ بِمِثْلِ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدِ وَابْنِ عَامِرٍ - السَّفِيهِ
 الضَّالِّ ، يُجَبِّزُ أَحَدَهُمْ بِمِثْلِ دِيَّتِهِ وَدِيَةِ أَبِيهِ وَجَدَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ
 يَقُولُ : « هَذَا لِي وَلَا لِأَنْتُمْ عَلَيَّ » ، كَأَنَّمَا أُعْطِيَ تَرَاثُهُ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ،
 وَإِنَّمَا هُوَ مَالُ اللَّهِ أَفَاءَهُ (٨) اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَرْمَاحِنَا وَسَيُوفِنَا ، فَقَاتَلُوا

(١) الدارع : لا بس الدرع .

(٢) الحاسر : الذي لا درع عليه ولا مففر .

(٣) قال ابن أبي الحديد : يجوز أن يريد أمرهم بالحق والجد ، ويجوز أن يريد أن
 العض على الأصراس يشد شئون الدماغ ورباطاته .

(٤) نيا السيف عن الرأس : كل ولم يحك فيه .

(٥) كذا ورد منصوبا عليه في نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٧
 ووقع في المخطوطة وغيرها (أصون) .

(٦) قال ابن أبي الحديد : أمرهم بأن يلتوا إذا طمنوا ، لأنهم إذا فعلوا ذلك فبالحرى
 أن يبور السنان ، أى يتحرك عن موضع الطعنة فيخرج زالقا ، وإذا لم يلتوا لم يمر السنان
 ولم يتحرك عن موضعه فيخرق ويتفقد فيقتل .

(٧) كذا جاء في المخطوطة ، ولعله « فإنه » .

(٨) أفاءه الله علينا : رده علينا وجعله لنا من أموال من خالف دينه .

عِبَادَ اللَّهِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَفْسِدُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ وَدُنْيَاكُمْ ، وَهُمْ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ وَخَبَرْتُمْ ، وَاللَّهُ مَا أَزْدَادُوا إِلَى يَوْمِهِمْ إِلَّا شَرًّا^(١) .

قال : ولما انتهَى عبد الله بن بُدَيْلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ إِلَى قُبَّةِ مُعَاوِيَةَ ، أَقْبَلَ الَّذِينَ تَبَايَعُوا عَلَى الْمَوْتِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَصْمُدُوا لِابْنِ بُدَيْلٍ فِي الْمَيْمَنَةِ ، وَبَعَثَ إِلَى حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَحَمَلَ بِالْمَيْسِرَةِ عَلَى مَيْمَنَةِ عَلِيٍّ فَهَزَمَهُمْ ، وَانْكَشَفَ أَهْلُ الْعِرَاقِ مِنَ قِبَلِ الْمَيْمَنَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا ابْنُ بُدَيْلٍ فِي مَائَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْقُرَاءِ ، قَدْ اسْتَنْدَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَانْجَفَلَ^(٢) النَّاسُ .

وَأَمَرَ عَلِيٌّ سَهْلَ بْنَ خُنَيْفٍ فَاسْتَقْدَمَ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَاسْتَقْبَلْتَهُمْ جُمُوعٌ عَظِيمَةٌ لِأَهْلِ الشَّامِ فَاحْتَمَلْتَهُمْ حَتَّى أَوْقَفْتَهُمْ فِي الْمَيْمَنَةِ ، وَكَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ فِيمَا بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ إِلَى مَوْقِفِ عَلِيٍّ فِي الْقَلْبِ ، فَلَمَّا انْكَشَفُوا انْتَهَتْ الْهَزِيمَةُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَانْصَرَفَ يَمْشِي نَحْوَ الْمَيْسِرَةِ ، فَانْكَشَفَتْ عَنْهُ مُضَرٌّ مِنَ الْمَيْسِرَةِ ، وَثَبَّتَتْ رَبِيعَةٌ ، وَدَنَا أَهْلُ الشَّامِ مِنْهُ فَمَا زَادَهُ قَرَبَهُمْ إِلَّا إِسْرَاعًا

وَكَانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَهُ ، وَالنَّبَلُ يَحْرُ بَيْنَ عَاتِقِهِ وَمَنْكِبِهِ^(٣) ، وَمَا مِنْ بَنِيهِ أَحَدٌ إِلَّا يَقِيهِ بِنَفْسِهِ ، فَبَصُرَ بِهِ أَحْمَرُ مَوْلَى أَبِي سَفْيَانَ أَوْ عُثْمَانُ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ ، فَمَخْرَجَ إِلَيْهِ كَيْسَانَ مَوْلَى عَلِيٍّ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَقَتَلَهُ أَحْمَرُ ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ

(١) عند ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٨٥ : « والله ما أزدادوا باجتماعهم عليكم إلا شرا » .

(٢) انجفل الناس : انقلبوا وأسرعوا في الهزيمة .

(٣) عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦ : « بين عاتقيه ومنكبيه » .

بجنب^(١) دِرْعَ أَحْمَرَ فَجَذِبَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَكَسَرَ مَنْكِبَيْهِ وَعُضْدِيهِ .

قال : ولما دنا منه أهل الشام قال له الحسن رضى الله عنه : ما ضرك لو سَعَيْتَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ أَصْحَابِكَ ؟ فقال : يَا بَنِيَّ إِنَّ لِأَبِيكَ يَوْمًا لَا يَعْدُوهُ وَلَا يُبْطِئُهُ بِهِ عَنْهُ السَّعْيُ ، وَلَا يَعْجَلُ بِهِ إِلَيْهِ الْمَشْيُ ، إِنَّ أَبَاكَ وَاللَّهِ لَا يَبَالِي أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ! قال : ولما وصل إِلَى رَبِيعَةَ نَادَى بِصَوْتٍ عَالٍ كَغَيْرِ الْمُكْتَرِثِ لَمَّا فِيهِ النَّاسُ : لِمَنْ هَذِهِ الرَّايَاتُ ؟ قالوا : رَايَاتُ رَبِيعَةَ . قال : بل رَايَاتُ غَضَمَ اللَّهِ أَهْلِهَا ، فَصَبَّرَهُمْ وَثَبَّتَ أَعْدَاءَهُمْ . . . وقال لِحُضَيْنٍ^(٢) بنِ الْمُثَنِّيرِ : يَا فَتَى أَلَا تُدْرِي رَايَتَكَ هَذِهِ ذُرَاعَا ؟ قال : وَاللَّهِ عَشْرَةُ أَذْرُعَ . فَأَدْنَاهَا حَتَّى قَالَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ : حُسْبُكَ مَكَانُكَ .

قال ولما انتهت على إِلَى رَبِيعَةَ تَنَادَوْا بَيْنَهُمْ : إِنَّ أَصِيبَ فِيكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفِيكُمْ رَجُلٌ حَتَّى افْتَضَحْتُمْ فِي الْعَرَبِ ! فَقاتلوا قتالا شديدا ما قاتلوا مثله ، فلذلك قال على رضى الله عنه^(٣) :

لَمَنْ رَايَةُ سَوْدَاءُ^(٤) يَخْفَقُ ظِلُّهَا

إِذَا قِيلَ : « قَدَّمَهَا حُضَيْنٌ » تَقَدَّمَا

(١) كذا جاء في المخطوطة : وجاء في الكامل ج ٣ ص ١٥٢ : « يجيب » ، وعند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٧ : « في جيب » .

(٢) كذا جاء (حُضَيْنٌ) بالنون عند الطبري وابن الأثير وابن أبي الحديد وغيرهم ، وجاء في المخطوطة : « حُضِيرٌ » .

(٣) قال ابن أبي الحديد : « أقبل الحُضَيْنُ بن المنذر يومئذ وهو غلام يزحف برأيه ربيعة - وكانت حمراء - فأعجب عليا عليه السلام زحفه وثباته فقال : ... »

(٤) كذا جاء في المخطوطة مثل تاريخي الطبري وابن الأثير والكامل للبرد ومروج الذهب وجمهرة أنساب العرب ولسان العرب (ح ض ن) . وجاء في شرح ابن أبي الحديد : « حمراء » .

وَيُقَدِّمُهَا فِي الْمَوْتِ حَتَّى يُزِيرَهَا
 حِيَاضَ الْمَنَابَا تَقْطُرُ الْمَوْتَ وَالْدمَا
 أَذَقْنَا ابْنَ حَرْبٍ طَعْنَنَا وَضْرَابَنَا
 بِأَسْيَافِنَا حَتَّى تَوَلَّى وَأَخْجَمَا (١)
 جَزَّ اللَّهُ قَوْمًا صَابِرُوا فِي لِقَائِهِمْ
 لَدَى الْمَوْتِ قَوْمًا (٢) مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمًا !
 وَأَطْيَبَ أَخْبَارًا وَأَكْرَمَ شِيَمَةً (٣)
 إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغْمُغُمَا (٤)
 رَبِيعَةً أَغْنَى أَهْلُ بَأْسٍ وَنَجْدَةٍ
 إِذَا مَا هُمُ لَاقُوا خَمِيسًا عَرَمَرَمَا (٥)

قال: ومَرَّ الْأَشْتَرُ بَعْلَى وهو يقصد الْمَبْسُورَةَ، والأشترُ يركض نحو
 الْفَزَعِ (٦) قِيلَ الْمَيْمَنَةُ ، فقال له على: إِيَّتِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَقُلْ لَهُمْ « أَيْنَ
 فِرَارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي لَنْ تُعْجِزُوهُ إِلَى الْحَيَاةِ الَّتِي لَا تَبْقَى لَكُمْ ؟ » .
 فمضى الْأَشْتَرُ فَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ مُنْهَزِمِينَ ، فقال لهم ما قال على ،
 ثم قال : « أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا الْأَشْتَرُ ، إِلَيَّ أَنَا الْأَشْتَرُ » ، فَأَقْبَلَ

- (١) قيل : إن هذا البيت من أبيات لحضين بن المنذر نفسه صاحب الراية .
 (٢) كذا جاء في المخطوطة مثل تاريخي الطبري وابن الأثير . وجاء في شرح ابن أبي
 الحديد وكتب النحو - باب التمتع - وشواهده : « خيرا » ، وهناك تغيير آخر في البيت .
 (٣) كذا جاء في المخطوطة مثل تاريخي الطبري وابن الأثير . وجاء عند ابن أبي الحديد :
 « وأحزم صبيرا يوم يدعى إلى الوغى » .
 (٤) الغمغم : ما يحدث من الأصوات عند القتال .
 (٥) خميسا عرمرما : جيشا كثيرا ، وسمى الجيش بالخميس لأنهم كانوا يقسمونه
 بخمسة أقسام : المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب .
 (٦) الفزع يأتي في العربية بمعنى الخوف والاستاءة والإغالة .

إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَذَهَبَ الْبَعْضُ ، فَنَادَى : « أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا أَقْبَحَ مَا قَاتَلْتُمْ مِنْهُ الْيَوْمَ ! أَخْلِصُوا إِلَى مَذْحِجَا ^(١) » فَأَقْبَلَتْ مَذْحِجُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : « مَا أَرْضَيْتُمْ رَبَّكُمْ ، وَلَا نَصَحْتُمْ لَهُ فِي عَدُوِّكُمْ ، وَكَيْفَ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْحَرْبِ ^(٢) ، وَأَصْحَابُ الْغَارَاتِ ، وَفُتَيَانُ الصَّبَاحِ ، وَفُرْسَانُ الطَّرَادِ ، وَخُتُوفُ الْأَقْرَانِ ، وَمَذْحِجُ الطَّعَانِ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسَبِّقُونَ بِشَأْرِهِمْ ، وَلَا تُطَلُّ دِمَاوَهُمْ ، وَمَا تَفْعَلُونَ ^(٣) هَذَا الْيَوْمَ فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْكُمْ بَعْدَهُ ، فَانْصَحُوا وَاصْدُقُوا عَدُوَّكُمْ لِلِقَاءِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ هَؤُلَاءِ - وَأَشَارَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ - رَجُلٌ عَلَى مِثْلِ جَنَاحٍ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ^(٤) ، اجْلُوا سِوَادَ وَجْهِهِ يَرْجِعُ فِيهِ دَمُهُ ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السِّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ قَدْ فَضَّهَ تَبِعَهُ مَنْ بَجَانِبِيهِ ! » . قَالُوا : تَجِدُنَا ^(٥) حَيْثُ أَحْبَبْتَ . فَقَصَدَ نَحْوَ عَظِيمِهِمْ مِمَّا يَلِي الْمَيْمَنَةَ يَزْحَفُ إِلَيْهِمْ وَيُرُدُّهُمْ .

وَاسْتَقْبَلَهُ شَبَابٌ مِنْ هَمْدَانَ ، وَكَانُوا ثَمَانِمِائَةَ مُقَاتِلٍ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانُوا صَبَرُوا فِي الْمَيْمَنَةِ حَتَّى أُصِيبَ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ وَمِائَةُ رَجُلٍ ، وَقَتِلَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَئِيسًا : كَانَ أَوَّلُهُمْ دُوَيْبُ بْنُ ^(٦) شُرَيْحٍ ، ثُمَّ

(١) كَانَ الْأَشْثَرُ يَنْتَسِبُ إِلَى مَذْحِجٍ ، وَيَقُولُ فِي رِجْزِهِ فِي حَرْبِ صَفِينِ :

إِنِّي أَنَا الْأَشْثَرُ مَعْرُوفُ الشَّرِّ إِنِّي أَنَا الْأَنْفَى الْعَرَفِيُّ الذِّكْرُ

أَسْتُ رَيْبِيَا وَلَسْتُ مِنْ مَضَرٍ لَكِنِّي مِنْ مَذْحِجِ الثَّمِ التَّرْدِ

(٢) جَاءَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جُرَيْرٍ : « الْحُرُوبِ » .

(٣) جَاءَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جُرَيْرٍ « تَفْعَلُوا » فَتَكُونُ (مَا) قَبْلَهَا شَرْطِيَّةٌ جَائِزَةٌ .

(٤) هَكَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ كَمَا فِي تَارِيخِ ابْنِ جُرَيْرٍ . وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ « مِنْ دِينَ »

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ج ١ ص ٤٨٧ : « مِنْ دِينِ اللَّهِ » .

(٥) عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « خَلَدْنَا » .

(٦) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ كَالْكَامِلِ ، وَعِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « كَرِيبٌ » .

شُرْخَبِيل ، ثم مَرْثَد ، ثم هُبَيْرَة ، ثم يَرِيم ، ثم أَسْمِير ، أولاد
شُرَيْح قُتِلُوا (١) ، ثم أخذ الراية عميرة (٢) ثم الحارث ابنا بشير (٣)
فقتلا ، ثم أخذها سُفْيَان وعبد الله وبكر بنُوزَيْد فقتلوا جميعا (٤) ، ثم
أخذ الراية وَهْب بن كُرَيْب فانصرف هو وقومُه وهم يقولون : «لَيْتَ
لَنَا عِدَّتَنَا مِنَ الْعَرَبِ ، يُحَالِفُونَنَا عَلَى الْمَوْتِ ، ثُمَّ نَرْجِعُ ، فَلَا نَنْصَرِفُ
أَوْ نُقْتَلَ أَوْ نَنْظَرَ ! » ، فسمعهم الْأَشْتَرُ فقال لهم : «أَنَا أَحَالِفُكُمْ
لَى الْأَنْتَرَجِعِ أَبَدًا حَتَّى نَنْظَرَ أَوْ نَهْلِكَ جَمِيعًا أَوْ قُتِلُوا مَعَهُ .

قال : وزحف الْأَشْتَرُ نحو الْمَيْمَنَةِ ، وثاب إليه الناس وتراجعوا
من أهل البصرة وغيرهم ، فلم يقصد كَتِيبَةَ إِلَّا كَشَفَهَا ،
ولا جمعًا إِلَّا حَازَهُ وَرَدَّهُ ، وقاتل قتالا شديدا ، ولزمه الحارث بن جُمَهَان (٥)
الْجُعْفِيُّ ، فما زال هو وَمَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ يُقَاتِلُونَ حَتَّى كَشَفَ أَهْلَ
الشَّامِ ، وَأَلْحَقَهُمْ بِمَعَاوِيَةَ وَالصَّفِّ الَّذِي (٦) مَعَهُ ، وذلك بين صلاة
العصر والمغرب ، وانتهى إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُذَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُوَ فِي عِصَابَةِ
مِنَ الْقُرَاءِ نَحْوَ الْمَائَتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثِمِائَةِ قَدْ لَصِقُوا بِالْأَرْضِ كَانَتْهُمْ

(١) يعنى أن هؤلاء الرؤساء الستة كانوا إخوة أبناء شريح ، وقد قتلوا في هذه المعركة واحدا

بعد واحد .

(٢) كذا جاء في المخطوطة كالكمال ، وعند الطبرى : «عصم» .

(٣) كذا جاء عند الطبرى وابن الأثير ، وجاء في المخطوطة : «بشر» .

(٤) ذكر الطبرى قتل هؤلاء الإخوة الثلاثة قبل قتل عميرة والحارث ، وما جاء هنا مثل

ما ذكره ابن الأثير في الكامل .

(٥) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : (جهمان) ويأتى الاختلاف أيضا

فيما سيجى .

(٦) كذا جاء في (ك) ، وجاء في (ن) : «الذين» .

جُنًا^(١) ، فكشف عنهم أهل الشام فأبصروا إخوانهم ، فقالوا : ما فعل أمير المؤمنين^(٢) قال : حتى صالح في الميسرة يُقاتل الناس أمامه . فقالوا : الحمد لله قد كنّا ظننا أن قد هلك وهلكم . ثم قال عبد الله بن بدّيل رحمه الله [لأصحابه]^(٣) : استقْدِمُوا بنا . فقال له الأشر : « لا تفعل ، واثبت مع الناس ، فقاتل ، فإنه خير لهم وأبقى لك ولأصحابك » ، فأبى ، ومضى نحو معاوية وحوّله كأمثال الجبال ، وخرج عبد الله أمام أصحابه فقتل من دنا منه ، حتى قتل جماعة ، ودنا من معاوية ، فنهض إليه الناس من كل جانب ، وأحيط به وبطائفة من أصحابه ، فقاتل حتى قُتل ، وقتل ناس من أصحابه ، ورجعت طائفة منهم مُجرحين ، فبعث الأشر الحارث بن جُمهان الجُعفي ، فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من انهزم من أصحاب عبد الله ، حتى نفّسوا عنهم ، وانتهوا إلى الأشر .

وحكى أبو عمر ابن عبد البر عن الشعبي في قتل عبد الله : أنه لما انتهى إلى معاوية أزاله وأزال أصحابه عن موافقهم ، وكان مع معاوية يومئذ عبد الله بن عامر ، فأقبل أصحاب معاوية على عبد الله بن بدّيل يرجمونه بالحجارة حتى أنخنوه ، وقتل ، فأقبل معاوية وعبد الله بن عامر معه ، فالتقى عليه ابن عامر عِمَامَتَهُ غَطَّى بِهَا وَجْهَهُ ، وترحم عليه^(٤) ، فقال معاوية : اكشفوا وجهه . فقال ابن عامر : والله لا تمثّل^(٥) به وفي روح ! فقال معاوية : اكشفوا عن وجهه فقد وهبناه لك . ففعلوا ،

(١) الجنا : جمع جنوة ، بمعنى أترية مجموعة .

(٢) الزيادة من ابن جرير الطبري .

(٣) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦ : « وكان له من قبل أخا وصديقا » .

(٤) في الاستيعاب ج ٢ ص ٢٦٩ : « لا يمثّل » بالياء مبني للمجهول .

فقال معاوية : هذا كبش ^(١) القوم ورب الكعبة ، اللهم أظفر بالأشتر والأشعث بن قيس ، والله مامثل هذا إلا كما قال الشاعر ^(٢) :

أخو الحرب إن عَضَّتْ به الحربُ عَضَّها
وإن شَمَرَتْ يوماً به ^(٣) الحربُ شَمَرًا
كَلَيْتَ هزْبِرٍ كان يَحْمِي ذِمَارَهُ
رَمَتْهُ الْمَنَابِيا قَصْدَهَا فَتَقَطَّ رَا

ثم قال معاوية : إن نساء خزاعة لو قَدَرَتْ أَنْ تُقَاتِلَنِي فَضْلاً عَنْ
رجالها لفعلت . انتهى كلام الشُّعْبِي ^(٤) .

قال : وزحف الأشترُ لَعَكُ والأشعريين ، وقال لمذحج : اكفونا عكاً .
ووقف في همدان وقال لكَندة : اكفونا الأشعريين . فاقتتلوا
قتالاً شديداً إلى المساء ، وقتلهم الأشترُ في همدان وطوائف من الناس ،
فما زال أهل الشام عن مواضعهم حتى ألحقوهم بالصفوف الخمسة
المُعَقَّلَة بالعمائم حَوْلَ مُعَاوِيَة ، ثم حمل عليهم حملةٌ أُخْرَى فَصَرَغَ
أربعة صفوف من المُعَقَّلِينَ بالعمائم .

(١) يطلق العرب لفظ « الكبش » مجازاً على قائد القوم ورؤسهم وحاميهم والمنظور إليه
فيهم ، قال عمرو بن معد يكرب :

نازلت كبشهم ولسم أو من نزال الكبش بسدا

وقال عمرو بن الإطنابة : والصارين الكبش يبرق بيضه . . . الخ .

(٢) هو حاتم طيء ، كما ذكره ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٤ ص ١٦ .

(٣) عند ابن أبي الحديد : (وإن شمرت عن ساقها . . .) .

(٤) انظر روايته في (وقعة صفين) ص - ٢٧٦ - ٢٧٨ .

ودعا معاوية بفرسه فركبه ، وكان يقول : أردتُ أنْ أنهزمَ
فذكرتُ قول ابن الإطنابة ^(١) وكان جاهلياً :

أَبَتْ لِي عَفَّتِي ^(٢) وَأَبَى بَلَلَايَ
وإِقْدَامِي عَلَى الْبَطْلِ الْمُشِيحِ ^(٣)
وإِعْطَائِي عَلَى الْمَكْرُوهِ مَالِي ^(٤)
وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرَّبِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَشَّسْتُ ^(٥) :
مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي ^(٦)

(١) ابن الإطنابة هو عمرو بن عامر بن زيد مائة بن مالك الخزرجي الشاعر ، والإطنابة : أمه ، وهي امرأة من بلقين كما قال ابن جرير الطبري .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) مثل تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٧ والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٤ والأمال للقال ج ١ ص ٢٥٨ والبداية والنهاية ج ٧ ص - ٢٦٤ والمزهر السيوطي ج ٢ ص ١٩٧ ومجالس ثعلب ج ١ ص ٨٣ وأبواب الآداب ص ٢٢٣ ، وجاء في النسخة (أ) : « هتني » وجاء في العقد الفريد ج ١ ص ١٠٤ : « شيمتي » .

(٣) قال العمري في شواهد الكبرى ج ٤ ص ٤١٥ والسيوطي في شرح المعنى ص ١٨٦ : المشيح : المجد في الأمر .

(٤) كذا جاء في المخطوطة كتاريخي ابن جرير وابن الأثير والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٦٥ ، وجاء في أمال القائل ومجالس ثعلب والمزهر : « وإعطائي على الإعدام مالى » : وجاء في الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢٣ : « وإجشامي على المكروه نفسي » وجاء في العقد الفريد وشواهد العمري وشواهد السيوطي وأبواب الآداب ولسان العرب (ش ي ح) : « وإقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُودِ نَفْسِي » .
(٥) هذه الرواية المشهورة ، يريد بقوله (جشأت) نفسه ، أى ارتفعت إليه من فزع وحزن ، وجاشت أى خافت فهمت بالفرار . وقال البكري في شرح أمال القائل ج ١ ص ٥٧٤ : « هذه الرواية هي التي جاءت في لسان العرب (ج ش أ) » .

(٦) « مكانك » اسم فعل بمعنى اثبتى : وقوله « تحمدي » مضارع على صيغة المجهول مجزوم لوقوعه في جواب الطلب باسم الفعل ، أى : اثبتى تحمدي ، أو تستريحى . وفي مجالس ثعلب : « مكانك تعلري ، أو تستريحى » .

قال^(١) : فمَنَعَنِي هذا القول^(٢) من الفرار ، ونظر إلى عمرو فقال له : « الْيَوْمَ صَبْرٌ ، وَغَدًا فَخْرٌ » . فقال : صدقت .

قال^(٣) : ونقدم عُقْبَةُ بن حديد النميري^(٤) وهو يقول : « أَلَا إِنْ مَرَعَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ هَشِيمًا^(٥) ، وشجرها حَصِيدًا^(٦) ، وجديدها سَمِلًا^(٧) ، وحُلُّوها مُرَّالْمَذَاقِ ، وإني قد سَمِئْتُ الدُّنْيَا ، وإني أَعْنِي الشَّهَادَةَ وَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُبْلَغَنِي هَذَا الْيَوْمَ ، وإني متعرِّضٌ لها مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، وقد طَمِعْتُ أَلَّا أُحْرَمَهَا ، فما تنتظرون عِبَادَ اللَّهِ بِجِهَادٍ مِنْ عَادَى اللَّهِ ! (في كلام طويل)^(٨) ، وقال : يَا إِخْوَتِي ، قد بَغَتْ هَذِهِ الدَّارُ بِأَتْنَى أَمَامِهَا ، وهذا وجهي إِلَيْهَا ! فتنَبَّهْ إِخْوَتُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَوْفُ وَمَالِكُ ، وقالوا : لَا نَطْلُبُ رِزْقَ الدُّنْيَا بَعْدَكَ ! فقاتلوا حتى قَتَلُوا ، وهم من أصحاب عليّ .

وكان مِمَّنْ قُتِلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ أَبُو شَدَادٍ قَيْسُ ابْنِ الْمَكْشُوحِ ، واسمُ الْمَكْشُوحِ^(٩) : هُبَيْرَةُ بْنُ هِلَالٍ (عند

(١) أي معاوية .

(٢) انظر رواية القائل لقول معاوية ، وقد ذكر السيوطي في شواهد ما قيل في هذه الأبيات « أنها أجود ما قيل في الصبر في مواطن الحروب » وقد افتتح البحرى بها حماسه .

(٣) ابن الأثير في الكامل .

(٤) كذا جاء في المخطوطة مثل الكامل ، وعند ابن جرير : « النمرى » .

(٥) هشيم : يابس متكرما .

(٦) حصيدا : مقطوعا ، وفي الكامل لابن الأثير : « خضيدا » .

(٧) سلا : بالياء .

(٨) انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١٩ .

(٩) المكشوح لقب قيل له لأنه ضرب على كسحه ، أو كوى عليه .

أكثرهم) ، وكان قَيْسُ يَوْمُئِذٍ صَاحِبَ رَايَةِ بَجِيلَةَ ، وذلك أَنَّ بَجِيلَةَ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا شَدَادِ خُذْ رَايَتَنَا الْيَوْمَ . فَقَالَ : غَيْرِي خَيْرٌ لَكُمْ . قَالُوا : مَا نُرِيدُ غَيْرَكَ . قَالَ فَوَاللَّهِ لَئِنْ ^(١) أَعْطَيْتُمُونِيهَا لَا أَنْتَهَى بِكُمْ دُونَ صَاحِبِ الثُّرُسِ الْمَذْهَبِ (وكان على رأس مُعَاوِيَةَ رَجُلٌ قَائِمٌ مَعَهُ ثُرُسٌ مَذْهَبٌ يَسْتُرُ بِهِ مُعَاوِيَةَ مِنَ الشَّمْسِ) ، قَالُوا : اصْبِغْ مَا شِئْتَ . فَأَخَذَ الرَّايَةَ ثُمَّ زَحَفَ بِهَا ، فَجَعَلَ يُطَاعِنُهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى صَاحِبِ الثُّرُسِ ، وَكَانَ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَشَدَّ أَبُو شَدَادٍ عَلَى صَاحِبِ الثُّرُسِ - وَقِيلَ : كَانَ صَاحِبُ الثُّرُسِ الْمَذْهَبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ - فَاعْتَرَضَهُ دُونَهُ مَوْئِي رُومِي لِمُعَاوِيَةَ ، فَضَرَبَ قَدَمَ أَبِي شَدَادٍ فَقَطَّعَهَا ، وَضَرَبَهُ أَبُو شَدَادٍ فَقَتَلَهُ ، وَأُشْرِعَتْ إِلَيْهِ الرِّمَاحُ فَقَتَلُوهُ ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُلْعِ الْأَحْمَسِيِّ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَفِيفُ بْنُ إِيَّاسٍ فَلَمْ تَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى تَحَاجَزَ النَّاسُ . . وَقُتِلَ غَيْرُهُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَهُ صَحْبَةٌ .

قال : وَخَرَجَتْ حِمِيرٌ فِي جَمْعِهَا وَمَنْ انْتَضَمَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَتَقَدَّمَ هُمْ ذُو الْكَلَّاعِ ^(٢) ، وَمَعَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُمْ مَيْمَنَةُ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَصَدُوا رَبِيعَةَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَكَانَتْ رَبِيعَةُ مَيْسَرَةَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَفِيهِمْ ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَحَمَلُوا عَلَى رَبِيعَةَ حَمَلَةً شَدِيدَةً ، فَتَضَعَضَعَتْ رَايَةَ رَبِيعَةَ ، وَكَانَتْ الرَّايَةَ مَعَ أَبِي سَاسَانَ حُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، فَانْصَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ عَنْهُمْ ، ثُمَّ كَرَّ عُبَيْدُ اللَّهِ

(١) كَذَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جُرَيْرٍ ٤ ص ١٨ ، وَجَاءَ فِي الْإِصَابَةِ ج ٣ ص ٢٧٥ « إِنْ » رَجَاءٌ فِي الْمَخْطُوطَةِ : « لَوْ » .

(٢) هُوَ ذُو الْكَلَّاعِ الْأَصْفَرُ ، وَمِنْ أَجْدَادِهِ ذُو الْكَلَّاعِ الْأَكْبَرُ ، وَالتَّمْيِيزُ هُنَا : « هُوَ الْكَلَّاعُ » أَوَّلُ مِنَ التَّمْيِيزِ ؛ « ابْنُ ذِي الْكَلَّاعِ » فِيمَا سَبَقَ .

ابن عمر وقال : يا أهل الشام ، إن هذا الحي من أهل العراق قتلته عُثْمان وأنصارُ عليّ ، فشدوا على الناس شدة عظيمة ، فثبتت ربيعة وصبرت صبرا حسنا إلا قليلا من الضُعفاء والفُشلة ، وثبت أهلُ الرايات وأهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالا حسنا ، ثم تراجع من انهزم من ربيعة ، واشتد القتال حتى كثرت القَتلى ، فقتل سُمَيْر بن الريان العِجلى ، وكان شديد البأس ، وأتى زياد بن خَصْفة عَبْد القيس فأعلمهم بما لقيت بكر بن وائل من حَمِير ، وقال : يا عَبْد القيس لا بكر بعدَ اليوم ! فقاتلوا معهم ، فقتل ذو الكلاع الحَميرى وعَبْد الله بن عمر ابن الخطاب ، وجرح عَمَار بن ياسر فقال : « اللهم إنك تعلم [أنى] ^(١) لو أعلم أن رضاك فى أن أضع طبة ^(٢) سيفى فى بطى ثم أنحى عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته ! وإنى لا أعلم اليوم عملا هو أَرْضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم عملا هو أَرْضى لك منه لفعلته ! والله إنى لأرى قوماً ليضربنكم ضربا يرتاب منه المَبطلون ، وإني لله لو ضربونا حتى يَبْلُغوا بنا سَعفات ^(٣) هَجَرَ لعلمت أننا على الحق وأنهم على الباطل ! » ثم قال : « من يبتغى رِضوانَ رَبِّه فلا يرجع إلى مال ولا ولد ! » فأتاه عصابة فقال : « اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عُثْمان ، والله ما أرادوا الطلبَ

(١) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير .

(٢) طبة السيف : طرفه وحده .

(٣) هكذا جاء فى تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير والاستيعاب وشرح ابن أبي الحديد لهج البلاغة والنهاية ولسان العرب ، قال صاحب النهاية : « السعات : جمع سعة ، بالتحريك وهى أغصان النخيل قيل : إذا يبست سميت سعة وإذا كانت رطبة فهى شطبة وإنما خص هجر للمباينة فى المسافة ولأنها موصوفة بكثرة النخيل (. وجاء فى النسخة (ن) : « شفاف » فى النسخة (ك) : « شهاب » .

بِدَمِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ ذَاقُوا الدُّنْيَا وَاسْتَحَبُّوا ، وَعِلِّمُوا أَنَّ الْحَقَّ إِذَا لَزِمَهُمْ
حَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَتَمَرَّغُونَ فِيهِ مِنْهَا ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةً (١)
يَسْتَحِقُّونَ بِهَا طَاعَةَ النَّاسِ وَالْوَلَايَةَ عَلَيْهِمْ ، فَخَذَعُوا أَتْبَاعَهُمْ أَنَّ
قَالُوا : إِمَامُنَا قُتِلَ مَظْلُومًا ، لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً مُلُوكًا ، فَبَلَقُوا
مَا تَرَوْنَ ، وَلَوْلَا هَذِهِ مَا تَبِعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رَجُلَانِ ، اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصُرْنَا
فَطَالَ مَا نَصَرْتَ ، وَإِنْ جَعَلْتَ لَهُمُ الْأَمْرَ قَادِحًا لَهُمْ بِمَا أَحْدَثُوا فِي عِبَادِكَ
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ! ثُمَّ مَضَى وَمَعَهُ تِلْكَ الْعِصَابَةُ ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ بَوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ
صِفِّينَ إِلَّا تَبِعَهُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
ثُمَّ جَاءَ إِلَى هَاشِمِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - وَهُوَ الْمِرْقَالُ - وَكَانَ
صَاحِبَ رَايَةٍ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ ، فَقَالَ : « يَا هَاشِمُ ، أَعَوْرًا وَجُبْنًا ؟
لَا خَيْرَ فِي أَعَوْرٍ لَا يَغْشَى الْبَاسُ ، ارْكَبْ يَا هَاشِمُ » . فَرَكِبَ مَعَهُ وَهُوَ
يَقُولُ (٢) .

أَعَوْرٌ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَـ_____أً

قد عالج الحياة حتى ملأ

لَا بُدَّ أَنْ يَقُلَ (٣) أَوْ يُفَلَّ

يَتْلَهُمْ (٤) بِذِي الْكُؤُوبِ (٥) تَلَا

وَعَمَّارٌ يَقُولُ : « تَقَدَّمَ يَا هَاشِمُ ، الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ،

(١) في تاريخ ابن جرير : « سابقة في الإسلام » .

(٢) انظر ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٩ ففيه زيادة .

(٣) يقل : يكسر

(٤) يتلهم : يصرعهم ، هكذا جاء (يتلهم) بالياء عند وابن جرير وابن الأثير ولم ينقط الحرف

الأول في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « تتلهم » بالتون .

(٥) ذو الكؤوب : الرمح .

والمَوْتُ [في] ^(١) أطراف الأسَل ، وقد فُتِحَتْ أبواب السماء ،
وَتَزَيَّنَتْ الحُورُ العِين ، اليَوْمَ أَلْقَى الْأَحْيَهُ ، مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ ^(٢) ! «
وتَقَدَّمَ حَتَّى دَنَا مِنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ لَهُ : « يَا عَمْرُو ،
يَعْتَ دِينَكَ بِمَصْر ! تَبًّا لَكَ ! تَبًّا لَكَ ! » فَقَالَ : لَا وَلَكِنْ أَطْلُبَ دَمَ
عُثْمَانَ . قَالَ : « أَشْهَدُ عَلَى عِلْمِي فَيْكَ إِنَّكَ لَا تَطْلُبُ بَشِيءًا مِنْ فِعْلِكَ
وَجَهَةِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تُقْتَلِ الْيَوْمَ تَمُتْ غَدًا ، فَانْظُرْ إِذَا أُعْطِيَ النَّاسُ
عَلَى نِيَّاتِهِمْ مَا نِيَّتُكَ ؟ لَقَدْ قَاتَلْتُ صَاحِبَ هَذِهِ الرَّايَةِ ثَلَاثًا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا الرَّابِعَةُ مَا هِيَ بِأَبْرَ وَلَا أَتَقَى ! » .

ثم قاتل عَمَّارُ فلم يرجع ، وقُتِلَ ، وقال قَبِيلُ أَنْ يُقْتَلَ : إِيْتُونِي
بِأَخِيرِ رِزْقِي لِي مِنَ الدُّنْيَا ! فَأُتِيَ بِضِيَّاحٍ مِنْ لَبَنٍ فِي قَدَحٍ ، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفَيْسَةَ الْبَاغِيَةَ ،
وَلِنْ آخِرِ رِزْقِهِ ضِيَّاحٌ مِنْ لَبَنٍ » (والضياح) : الممزوجُ بالماء من
اللبن ^(٣) .

قال : وَقَتَلَهُ أَبُو الْغَادِيَةِ ^(٤) ، وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ابْنُ حُوَيٍّ ^(٥)

(١) الزيادة من ابن جرير ، وجاء في الكامل : « تحت » ، وسقطت الكلمة من
المخطوطة .

(٢) يكتب هذا في بعض الكتب على أسلوب كعابة الشعر .

(٣) جاء في النهاية ولسان العرب : « في حديث صار : إن آخر شرية يشر بها ضياح ،
الضياح والضيج بالفتح : اللبن الخائر يعب فيه الماء ثم يخلط ، رواء يوم قتل بصفين وقد
جى بلبن يشر به » .

(٤) أبو الغادية اسمه يسار بن سجع الجهني .

(٥) قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٥ : « ولد السكسك بن أشرس بن
كننة ثمانية عشر ذكرا ، ولهم ثروة عظيمة بالشام ، منهم حوى بن مائع بن زرة بن ينحس بن
حبيب بن ثور بن خدش ، من بني عامر بن السكسك وهو قاتل صار بن ياسر » .

السَّكْسَكِيِّ ، وقد كان ذوالكَلَّاعَ سَمِيعَ عَمْرُو بن العاص يقول : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لِعِمَّارٍ « نَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ وَأَخْرُ شُرْبَةً تَشْرَبُهَا ضَبَّاحٌ مِنْ لَبَنٍ ^(١) » . فكان ذوالكَلَّاعَ يقول لعَمْرُو : ما هذا وَيَحْكُ يَا عَمْرُو ! فيقول : إِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْنَا ، فَقَتِلْ ذُو الْكَلَّاعِ فَبَلَ عَمَّارٌ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، وَأَصِيبَ عَمَّارَ بَعْدَهُ مَعَ عَلِيٍّ ، فَقَالَ عَمْرُو لِمُعَاوِيَةَ : « وَاللَّهِ مَا أَدْرَى بِقَتْلِ أَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا : بِقَتْلِ عَمَّارٍ أَوْ بِقَتْلِ ذِي الْكَلَّاعِ ، وَاللَّهِ لَوْ بَقِيَ بَعْدَ قَتْلِ عَمَّارٍ لَمَالَ بِعَامَّةِ أَهْلِ الشَّامِ إِلَيَّ عَلَى ! » . فَأَتَى جَمَاعَةً إِلَى مُعَاوِيَةَ ، كُلُّهُمْ يَقُولُ : « أَنَا قَتَلْتُ عَمَّارًا » ، فيقول عَمْرُو : فَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ؟ فَيَخْلِطُونَ ، فَأَتَاهُ ابْنُ حُوَيٍّ فَقَالَ : أَنَا قَتَلْتُهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ « الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَحْبَبَ ، مُحَمَّدًا وَحَزْبَهُ » . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَنْتَ صَاحِبُهُ . ثُمَّ قَالَ « رُؤَيْدًا ، وَاللَّهِ مَا ظَفَرْتُ بِدَاكِ ^(٢) » ، وَلَقَدْ أَشْخَطْتَ رَبِّكَ ! » .

وقيل : إِنَّ أَبَا الْغَادِيَّةَ قَتَلَ عَمَّارًا وَعَاشَ إِلَى زَمَنِ الْحَجَّاجِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُ الْحَجَّاجُ وَقَالَ : أَنْتَ قَتَلْتَ ابْنَ سُمَيَّةَ ؟ (يَعْنِي عَمَّارًا) قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ عَظِيمَ الْبَاعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا الَّذِي قَتَلَ ابْنَ سُمَيَّةَ . ثُمَّ سَأَلَهُ أَبُو الْغَادِيَّةِ حَاجَةً فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : نُوْطِي لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَا يَصِلُونَا مِنْهَا

(١) أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم لِعِمَّارٍ « تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ » فقد ورد في الحديث الصحيح بروايات مختلفة عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأم سلمة عند مسلم والترمذي وغيرهما . . . وأما « آخر شربة » فهو حديث رواه أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٨٠ عن عبد الله بن سلمة ، ونقله ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٣٨ . وانظر البداية والنهاية ص ٢٦٧ .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) وجاء في (ن) : « بذلك » .

ويزعم أئى عظيمُ الباع يوم القيامة ! [فقال الحجاج ^(١)] : أَجَلُ
والله من كان ضِرْمُهُ مِثْلَ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلَ جَبَلٍ وَرِقَانٍ ، وَمَجْلِسُهُ
مِثْلَ الْمَدِينَةِ وَالرَّبْدَةِ ، لَعَظِيمُ الْبَاعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ عَمَّارًا
قَتَلَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَلْخُلُوعِ كُلُّهُمْ لِلنَّارِ .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : لَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ دَخَلَتْ عُسْكَرُ مُعَاوِيَةَ
لَا تُنْظَرُ هَلْ بَلَغَ مِنْهُمْ قَتْلُ عَمَّارٍ مَا بَلَغَ مِنَّا - وَكُنَّا إِذَا تَرَكْنَا الْقِتَالَ
تَحَدَّثُوا إِلَيْنَا وَتَحَدَّثْنَا إِلَيْهِمْ - فَاِذَا مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو وَأَبُو الْأَعْوَرِ وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَمْرٍو يَتَسَابِرُونَ ، فَأَدَخَلْتُ فَرَسِي بَيْنَهُمْ لِثَلَاثٍ يَفْتَوْنِي مَا يَقُولُونَ ،
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ قَتَلْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ فِي يَوْمِكُمْ
هَذَا وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ مَا قَالَ ! قَالَ وَمَا قَالَ ؟ قَالَ : أَلَمْ يَكُنْ
الْمُسْلِمُونَ يَنْقُلُونَ فِي بِنَاءِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبْنَةً لَبْنَةً
وَعَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ ؟ فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ « وَيَحْكُ
يَا ابْنَ سُمَيَّةَ ! النَّاسُ يَنْقُلُونَ لَبْنَةً لَبْنَةً ، وَأَنْتَ تَنْقُلُ لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ
وَعَبَّةٌ فِي الْأَجْرِ ، وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ ! » . فَقَالَ
عَمْرُو لِمُعَاوِيَةَ : أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَمَا يَقُولُ ؟
فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَنْحَنُ قَتَلْنَاهُ ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ مَنْ جَاءَ بِهِ ! قَالَ
فَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ أَخْبِيَّتِهِمْ وَفَسَاطِيطِهِمْ يَقُولُونَ ^(٢) . إِنَّمَا قَتَلَهُ مَنْ
جَاءَ بِهِ . فَلَا أَذْرَى مَنْ كَانَ أَعْجَبَ ؟ : أَهْوَأُ أَمْ هُمْ ؟ .

قال : وَلَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ قَالَ عَلَى رُضَى اللَّهِ عَنْهُ لِرَبِيعَةَ : أَنْتُمْ دَرَجَتِي وَرُتْبَتِي .

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٨ حيث نقل المؤلف .

(٢) كلما جاء في (ن) ، وجاء في (ك) : « يقول » .

فانتدب له نحو من اثني عشر ألفا ، وتقدمهم علىً على بغلة ، فحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يَبْقَ لأهل الشام صيفٌ إلا انتَقَصَ ، وقتلوا كُلَّ من انتهوا إليه ، حتَّى بلغوا مُعاوية ، فناداه على : فقال علامٌ يُقتلُ الناسَ بيننا ؟ هلُمُّ أحاكمك إلى الله ، فأينا قتلَ صاحبه استقامت له الأمور . فقال عمرو : أنصفك . فقال مُعاوية لعُمرُو : ما أنصفت ، إنك لتعلم أنه لم يبرزُ إليه أحدٌ إلا قتله . فقال عمرو ما يحسنُ بك تركُ مبارزته ، فقال مُعاوية : طمعتَ فيها بعدى ! .

قال (١) : وكان أصحاب على قد وكلوا به رجلين يحفظانه ، لئلا يُقاتِلَ ، فكان يحول إذا غفلا فلا يرجع حتَّى يخضبَ سيفه ، وإنه حمل مرة فلم يرجع حتَّى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم ، وقال لولا أنه انثنى مارجعتُ إليكم . فقال الأعمش (٢) لأبي عبد الرحمن : هذا والله ضرب غير مُرتاب ! .

قال (٣) : وأما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فإنه دعا الناس عند المساء وقال : ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإلى . فأقبل إليه الناس ، فحمل على أهل الشام مرارا ، ويصبرون له ، وقاتل قتالا شديدا ، وقال لأصحابه : « لا يَهْولُنكم ماترون من صبرهم ، فوالله ما هو إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها ، وإنهم لعلّ الضلال وإنكم لعلّ الحق » ثم حرّض أصحابه ، وحمل في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديدا ، فقتل يومئذ تسعة أو عشرة ، وحمل عليه الحارث ابن المنذر التَّنُوخي ، فطعنه فسقط ، وأرسل إليه على : أن قدم

(١) ابن الأثير في الكامل .

(٢) الأعمش راوى هذا الحديث عن أبي عبد الرحمن السلمي .

(٣) كذا جاء عند ابن جرير وأن الأثير ؛ وجاء في المخطوطة (وهم لا يزالون) .

ليواءك ، فقال لرسوله : انظر إلى بطنى ! فنظر إليه ، فإذا هو قد انشق !
 قال ^(١) : ومَرَّ عَلَى بَكْتِيْبَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَرَأَاهُمْ لَا يَزُولُونَ
 [عَنْ مَوَاقِفِهِمْ] ^(٢) - وَهُمْ غَسَّانٌ - فَقَالَ : « إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَزُولُونَ
 إِلَّا بِطَعْنٍ » ^(٣) وَضَرَبَ يَفْلِقُ الْهَامَ وَيُطِيعُ الْعِظَامَ ، وَتَسْقُطُ مِنْهُ
 الْمَعَاصِمُ وَالْأَكْفُفُ ، وَحَتَّى تُقَرَّعَ جِبَاهُهُمْ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ، أَيْنَ أَهْلُ
 النَّصْرِ وَالصَّبْرِ وَطُلَّابُ الْأَجْرِ ؟ « فَأَتَاهُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَدَعَا
 ابْنَهُ مُحَمَّدًا فَقَالَ : « تَقَدَّمْ نَحْوَ هَذِهِ الرَّابِيةِ مَشْيًا رَوِيْدًا عَلَى هَيْئَتِكَ » ^(٤) ،
 حَتَّى إِذَا أَشْرَعْتَ فِي صُدُورِهِمُ الرَّمَا حَ فَامْسِكْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي » .
 ففعل ، وأعد [لَهُمْ] ^(٥) عَلَى مِثْلِهِمْ وَسَيَرِهِمْ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ،
 وَأَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَازَالَهُمْ ^(٦) عَنْ مَوَاقِفِهِمْ ، وَأَصَابُوا
 مِنْهُمْ رِجَالًا .

قال ^(٧) : ومَرَّ الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسِ الْمُرَادِيِّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ
 [الْمُرَادِي] ^(٨) وَهُوَ صَرِيْعٌ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَا أَسْوَدُ . قَالَ :
 لَبِيْكَ . وَعَرَفَهُ ^(٩) وَنَزَلَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : « عَزَّ عَلَى مَضْرَعِكَ !

(١) ابن الأثير في الكامل .

(٢) الزيادة من ابن جرير .

(٣) جاء في نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٨ « وإني لن يزولوا عن

مواقفهم دون طعن دواك » .

(٤) أى : على عادتك في السكون والرفق .

(٥) ثبتت في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٦) كذا جاء في (ك) وجاء في (ن) : فحملوا عليهم فازالوهم » .

(٧) ابن الأثير في الكامل .

(٨) الزيادة من الكامل وتاريخ ابن جرير والامتناع والإصابة .

(٩) عرفه بأخو رفق ، كما روى ابن جرير .

إِنْ كَانَ جَارُكَ لِيَأْمَنُ بِوَأَيْتِكَ^(١) ، وَإِنْ كُنْتُ لِعَيْنِ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا ! أَوْصِنِي رَحِمَكَ اللَّهُ ! » قَالَ : « أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تُنَاصِحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتُقَاتِلَ مَعَهُ الْمُخْلِينَ^(٢) ، حَتَّى يَظْهَرَ أَوْ يَلْحَقَ بِاللَّهِ ، وَأَبْلِغْهُ عَنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ : قَاتِلْ عَلَى الْمَرْكَةِ حَتَّى تَجْعَلَهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَصْبَحِ غَدًا وَالْمَرْكَةُ خَلْفَ ظَهْرِهِ كَانَ الْعَالِي . ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ مَاتَ ، فَأَقْبَلَ الْأَسُودَ إِلَى عَلَى فَأَخْبِرَهُ ، فَقَالَ : « رَحِمَهُ اللَّهُ ! جَاهِدْ عَدُوَّنَا فِي الْحَيَاةِ ، وَنَصَحْ لَنَا فِي الْوَقَاةِ ! » . وَقِيلَ : إِنْ الَّذِي أَشَارَ عَلَى عَلَى بِهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَنْبَلٍ الْجَمْحِيُّ .

قَالَ : فَاقْتَتَلَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ كُلُّهَا إِلَى الصَّبَاحِ ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ ، فَتَطَاعَنُوا حَتَّى تَقْصُفَتِ الرُّمَاحُ ، وَتَرَامَوْا حَتَّى نَفِدَ النَّبْلُ ، وَأَخْلَوْا السِّيُوفَ ، وَعَلَى يَسِيرٍ بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ ، وَيَأْمُرُ كُلُّ كَتِيبَةٍ أَنْ تَقْدَّمَ عَلَى الَّتِي تَلِيهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَالْمَرْكَةُ كُلُّهَا خَلْفَ ظَهْرِهِ ، وَالْأَشْتَرُ فِي الْمَيْمَنَةِ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، فِي الْمَيْسَرَةِ وَعَلَى فِي الْقَلْبِ ، وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) وَأَخَذَ الْأَشْتَرُ يَرْحَفُ بِالْمَيْمَنَةِ ، وَكَانَ قَدْ تَوَلَّاهَا عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَى ارْتِفَاعِ الضُّحَى ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : ارْخَفُوا قَيْدَ^(٣) هَذَا الرَّمْحِ . وَيَرْحَفُ بِهِمْ نَحْوُ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ

(١) رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ج ٢ ص ١٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأَيْتِهِ » قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهْائَةِ : أَيْ : غَوَائِلَهُ وَشُرُورَهُ ، وَاحِدُهَا بَائِقَةٌ وَهِيَ الدَّاهِيَةُ .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ بِالْحَاءِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَجَاءَ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْرٍ وَابْنِ الْأَثِيرِ (الْمُحَلِّينَ) بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٣) قَيْدٌ : قَدَرٌ .

بهم قال : ازحفوا قيدَ هذا القوس . فإذا فعلوه سألهم مثل ذلك ، حتى ملَّ أكثر الناس الإقدام ، فلما رأى الأشتر ذلك دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيّان بن هُوْذَة النخعي ، وخرج يسير في الكتابب ويقول : مَنْ يَشْرِي ^(١) نفسه ويقَاتِل مع الأشتر [حتى] ^(٢) يظهر أو يلحقَ بالله ؟ فاجتمع إليه جمع كثير ، فيهم حيّان بن هُوْذَة النخعي وغيره ، فرجع بهم إلى المكان الذي كان فيه ، وقال لهم : « شدُّوا شدة - فِدَى لَكُمْ خَالِي وَعَمِّي - تُرْضُونَ بِهَا الرَّبَّ ، وَتُعِزُّونَ بِهَا الدِّينَ » ثم نزل فضرب وجه دابَّته ، وقال لصاحب رايته : أَقْدِمْ بِهَا . وحمل بالقوم ^(٣) فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم ، فقاتلوه عند العسكر قتالا شديدا ، وقُتِل صاحب رايته ، لَمَّا رَأَى عَلَى الظَّفَر من ناحيته أمدَّ بالرجال .

فقال عمرو لِيُورْدَان ^(٤) : تَدْرِي مَا مَثَلِي وَمَثَلُكَ وَمَثَلُ الْأَشْتَرِ ؟ قال : لا . قال « كَالْأَشْقَرِ إِنْ تَقَدَّمَ عُقْرٌ وَإِنْ تَأَخَّرَ عُقْرٌ ^(٥) ! لَشَنْ تَأَخَّرْتَ لِأَضْرِبَنَّ عَنْقَكَ ! » قال : أَمَّا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لِأُورِدَنَّكَ حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَعْفَ يَدِكَ عَلَى عَاتِقِي . ثم جعل يتقدَّم ويتقدم ^(٦) ويقول : وَاللَّهِ لِأُورِدَنَّكَ حِيَاضَ الْمَوْتِ . واشتد القتال .

فلَمَّا رَأَى عمرو أَنَّ أَمْرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَدْ اشْتَدَّ ، وَخَافَ الْهَلَاكَ ،

(١) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « يشترى » .

(٢) الزيادة من ابن جرير .

(٣) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « وحمل على القوم » .

(٤) وردان : مولى عمرو بن العاص .

(٥) عند ابن جرير : « نحر » .

(٦) كذا جاء في المخطوطة . وجاء عند ابن جرير : « ثم جعل يتقدم وينظر إليه أحيانا » .

قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فُرقة ؟ قال : نعم . قال : « نرفع المصاحف ، ثم نقول لما فيها هذا : حكم الله بيننا وبينكم ، فإن أبي بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغي لنا أن نقبل . فتكون فُرقة بينهم ، فإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل » .

ذكر رفع أهل الشام المصاحف

وما نقرر من أمر التحكيم^(١) وكتاب القضية

قال : ولما أشار عمرو بن العاص على معاوية برفع المصاحف أمر برفعها ، فرُفعت بالرماح^(١) ، وقال^(٢) : « هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، من ليغور الشام بعد أهله ؟ من ليغور العراق بعد أهله ؟ » .

فلما رآها الناس قالوا : نجيب إلى كتاب الله ! فقال لهم على رضى الله عنه : « عباد الله ، امضوا على حقوقكم وصدقكم قتال عدوكم^(٣) ، فإن معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً^(٤) وابن أبي سرح والضحاك^(٥) ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، قد صحتبتهم أطفالاً ثم رجلاً ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ! ويحكم الله !

(١) قال نصر في وقته صفين و بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : « ربطت المصاحف في أطراف الرماح » .

(٢) كذا وقع في المخطوطة ، وعند ابن جرير وابن الأثير : « وقالوا » .

(٣) كذا جاء في رواية ابن جرير ج ٤ ص ٢٤ ، يقال « صلحوا القتال » إذا تصلبوا فيه واشتروا ، ووقع في المخطوطة : « وقاتل » .

(٤) عند ابن جرير : « وحبيب بن مسلمة » وعند ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٤ « وابن مسلمة » .

(٥) عند ابن جرير : « والضحاك بن قيس » .

مارفعوها إلا خديعةً ووهناً^(١) ومكيدة ! » فقالوا له : لا يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ! فقال لهم على رضى الله عنه : « فإبى إنما أقاتلهم ليدِينوا بحُكم الله^(٢) ، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، ونسوا عهده ، ونبدلوا كتابه ! » . فقال مسعربن فدكى التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك : « يا على ، أجب إلى كتاب الله عزوجل إذ دُعيت [إليه] ^(٣) ، وإلا دفعتك ^(٤) برُمَّتِكَ ^(٥) إلى القوم أو ونفعل بك كما فعلنا بإبن علفان ! » : قال : « فاحفظوا عني نهى إياكم ، واحفظوا مقاتلكم لي ، [فإن تُطيعوني فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا] ^(٦) ما بدا لكم ! » .

قالوا : ابعث إلى الأشتر فليأتك . فبعث على يزيد بن هاشم إلى الأشتر يستدعيه ، فقال : « ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني [فيها] ^(٧) عن مؤقفي : إني رجوت أن يفتح الله لي ! » .

(١) عند ابن جرير : « ودهنا » والتعني : إظهار خلاف المضمهر .

(٢) في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٦١ « الكتاب » ، وفي تاريخ ابن جرير « هذا الكتاب » ، وفي شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة : « القرآن » .

(٣) ثبتت في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

(٤) عند ابن جرير : « تدفلك » .

(٥) الأصل في هذا التعبير أن يقال عند تسليم الأسير ونحوه : والرمة : قطعة جبل يشد بها الأسير ، أى : يسلمونه إليهم بالجبل الذى شد به تمكيناً لهم منه ، ثم اتسع فيه حتى قالوا أخذت الشيء برمته ، أى : كله .

(٦) كذا جاء في الكامل لابن الأثير ، وفي تاريخ ابن جرير قريب منه ، وجاء في المخطوطة : « افعلوا » دون بقية الجملة الشرطية .

(٧) الزيادة من ابن جرير .

فرجع يزيد فأخبره ، وارتفعت ^(١) الأصوات ، وارتفع الرهج من ناحية الأشتير ، فقالوا : والله ما نراك إلا أمرته أن يُقاتل ! فقال : « هل رأيتموني سارزته ؟ أليس كلمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون ؟ » فقالوا : « ابعث إليه فليأتك ، وإلا والله اعتزلناك ! » فقال : « وذلك يا يزيد ! قل له أقبل إلى ، فإن الفتنة قد وقعت ! » فأبلغه ذلك ، فقال الأشتير : أليرفع المصاحف ؟ قال : نعم . قال : « والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافا وفُرقة ، إنها مشورة ابن العاص ، ألا ترى إلى الفتح ؟ ألا ترى ما يلقون ؟ ألا ترى ما صنع الله لنا ؟ أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم ؟ » فقال له يزيد : أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يُقتل ؟ قال : « لا والله ! سُبْحَانَ اللَّهِ ! » فأعلمه بقولهم ، فأقبل إليهم الأشتير وقال : « يا أهل العراق ، يا أهل الذلِّ والوهن ، أحيين عليوتكم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ؟ وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه ! فأمهلوني فوآقا ^(٢) فإني قد أحسنت بالفتح ، قالوا : لا . قال : أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت [في النصر] ^(٣) قالوا : إذن ندخل معك في خطيئتك ! قال : « فخبروني عنكم متى

(١) عبارة ابن جرير ٤ ص ٣٥ : « فارتفع الرهج وعلت الأصوات » ، وكذلك قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٦ وزاد : « وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام » .

(٢) في النهاية ولسان العرب : « فوآق الناقة » ، والفوآق - بفتح الفاء وضمة - ما بين الحلبتين من الراحة ، ولكن لسان العرب تصحفت فيه كلمة « الأشتير » : « الأسير » .

(٣) الزيادة من ابن جرير ج ٤ ص ٣٥ وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٦١ وابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٦ .

كنتم مُحِقِّين ؟ : أحين تُقاتلون وخيارُكم يُقتلون ؟ فأنتم الآن إذا
 أمسكتُم عن القتال مُبْطِلُونَ ! أم أنتم الآن مُحَقُّون ؟ فقتلُكم الذين
 لا تُنكرون فضلهم وهم خيرُ منكم في النار ! فقالوا : « دَعْنَا مِنْكَ
 يَا أَشْتَرُ ، قَاتِلْنَاهُمْ اللَّهُ ، وَنَدْعُ قِتَالَهُمْ اللَّهُ ! » فقال : « خُدْعَتُمْ فَاخْدَعْتُمْ
 وَدُعَيْتُمْ إِلَى وَضْعِ الْحَرْبِ فَأَجَبْتُمْ ، يَا أَصْحَابَ الْجِبَاوِ السُّودِ (١) ،
 كُنَّا نَنْظُرُ صِلَاتِكُمْ زَهَادَةً فِي الدُّنْيَا وَشَوْقًا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ ، فَلَا أَرَى مَرَادَكُمْ
 إِلَّا الدُّنْيَا ، أَلَا قَبَحًا يَا أَشْبَاهَ النَّيْبِ الْجَلَّالَةِ (٢) : مَا أَنْتُمْ بِرَائِيْنَ
 بَعْدَهَا عِزًّا أَبَدًا ، فَابْعَدُوا كَمَا بَعَدَ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ! » فسبوه وسبَّههم ،
 وضربوا وجهه دابته بسياطهم ، وضرب وجوه دوابهم بسنوطه ، فصاح
 به وبهم عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، فَكَبُّوا .

وقال الناس : قد قِيلْنَا أَنْ نَجْعَلَ الْقُرْآنَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَكَمًا .
 فجاء الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ لَهُ : أَرَى النَّاسَ قَدْ رَضُوا
 بِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حُكْمِ الْقُرْآنِ ، فَإِنْ شِئْتَ أَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ فَنَسَأَلْتُهُ مَا يَرِيدُ .
 قَالَ : إِيَّتِي . فَاتَّاهُ فَقَالَ : يَا مُعَاوِيَةُ لِأَيِّ شَيْءٍ رَفَعْتُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ ؟
 قَالَ : « لِنَرْجِعَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ ، تَبْعَثُونَ رِجَالًا
 تَرْضَوْنَ ، وَنَبْعَثُ رِجَالًا نَرْضَى بِهِ ، نَأْخُذُ عَلَيْهِمَا أَنْ يَعْمَلَا بِمَا فِي
 كِتَابِ اللَّهِ لَا يَخْدُوَانِهِ ، ثُمَّ نَتَّبِعُ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ » . فَقَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ :
 « هَذَا الْحَقُّ ، هَذَا الْحَقُّ » . فَعَادَ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ النَّاسُ :
 قَدْ رَضِينَا وَقِيلْنَا .

فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ : قَدْ رَضِينَا عَمْرًا . فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَأُولَئِكَ الْقَوْمُ

(١) ذكر ابن أبي الحديد أنهم « قد أسودت جباههم من السجود » .

(٢) النيب : النوق المسنة ، والجلالة التي تأكل البعر .

الذين صاروا خوارج : فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري . فقال علي رضي الله عنه : « قد عصيتُموني في أول الأمر ، فلا تعصوني الآن ، لا أرى أن أوتيَ أبا موسى » . فقال الأشعث وزيد بن حصين ^(١) ومُسْعَرُ بْنُ قُدْسِيٍّ : لا نرضى إلا به فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه ! قال علي « فإنه ليس [لي] ^(٢) بثقة » ، قد فارقني وخطل الناس عني ، ثم هرب مني حتى أمنتُه بعد أشهر ، ولكن هذا ابنُ عباس أوليُّه ذلك » . قالوا « والله ما زبالي أنت كُنت أم ابن عباس ، لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ^(٣) » . قال علي : فإني أجعل الأشتير . قالوا : وهل سَعَرُ ^(٤) الأرض غير الأشتير ؟ قال : قد أبيتم إلا أبا موسى . قالوا : نعم : قال : فاصنعوا ما أردتم ! فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض ^(٥) فأتاه مَوْئِي له فقال : إن الناس قد اصطلمحوا . فقال الحمد لله . قال : قد جعلوك حكما . قال : [إنا لله وإنا إليه راجعون ^(٦)] وجاء أبو موسى حتى دخل في العسكر .

وجاء الأشتير عليا فقال : أَلِزْنِي ^(٧) بعمرو بن العاص ، فوالله لأشُن ملأت عيني منه لأقتلنه !

(١) « حصن » كذا جاء هنا في المخطوطة ، وهو الموافق لما في الإصابة ج ١ ص ٥٦٥ ، وجاء فيما سبق « حصين » وهو الموافق لما عند الطبري وابن الأثير .

(٢) الزيادة من ابن جرير الطبري .

(٣) زاد ابن جرير : « ليس لي واحد منكأ بأدي منه إلى الآخر » .

(٤) سحر الأرض : أشعل فيها نار الحرب .

(٥) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٩ « وهو بارض من أرض الشام يقال لما عرض » .

(٦) من الآية ١٥٦ في سورة البقرة .

(٧) أَلِزْنِي : شلني وألصقني بعمرو بن العاص :

وجاء الأحنف بن قيس فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنك قد رُميت بِحَجَرِ الأرض ^(١) ، وإني قد عَجَمْتُ ^(٢) أبا موسى وَحَلَبْتُ أَشْطَرَهُ ^(٣) ، فوجدته كليل الشفرة ^(٤) قريب القمر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد عنهم حتى يصير بمنزلة النجم منهم ، فإن أبيت أن تجعلني حكما فاجعني ثانيا أو ثالثا ، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها ، ولا يحل عقدة أعقدها إلا عقدت [لك] ^(٥) أخرى أحكم منها ! » . فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب ، فقال الأحنف بن قيس : إن أبيتم إلا أبا موسى فأدفعوا ظهره بالرجال .

وحضر عمرو بن العاص عند علي لتكتب القضية بحضوره ، فكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماتقاضي عليه أمير المؤمنين » فقال عمرو : ^(٧) هو أميركم أمّا أميرنا فلا . فقال له الأحنف : لا تمنح اسم أمير المؤمنين فإني أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبداً ، لا تمنحها وإن قتل [الناس] ^(٨) بعضهم بعضا ، فأبى ذلك علي

(١) جاء في النهاية ولسان العرب : « في حديث الأحنف : قال لعل حين ندب معاوية عمرا للحكومة : لقد رميت بحجر الأرض ، أي : بداهية عظيمة تثبت ثبوت الحجر في الأرض »
(٢) عجمت : عرفت .

(٣) أي : اختبر أحواله من خير وشر وحلو ومر تشبها بحلب جميع أخلاف الذاقة ما كان منها حفلا وغير حفل ودارا وغير دار .

(٤) الكيل : الذي لا يقطع . الشفرة : المدية ، كما جاء في بعض الروايات .

(٥) روى ابن جرير هذه الكلمة في هذا الموضع وجاءت في المخطوطة بعد « أعقدها » .

(٦) في النسخة (ك) : « ليكتب » .

(٧) زاد ابن جرير وابن كثير في أول كلام عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم

أبيه .

(٨) الزيادة من ابن جرير ابن الأثير .

مَلِيًّا مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : افْحُ هَذَا الْاسْمَ . فَمُحِيَ ،
فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ! سُنَّةٌ بِسُنَّةٍ ، وَاللَّهُ لِمَنِّي لِكَاتِبٌ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَكُتِبْتُ : « مُحَمَّد
رَسُولُ اللَّهِ » فَقَالُوا : لَسْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْتُبُ اسْمَكَ وَاسْمَ
أَبِيكَ ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَحْوِهِ ، فَقُلْتُ :
لَا أَسْتَطِيعُ . فَقَالَ أَرْنِيهِ . فَأَرَيْتُهُ فَمَحَاهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : إِنَّكَ سَتُدْعَى
إِلَى مِثْلِهَا فَتُجِيبُ ! .. فَقَالَ عَمْرُو : « سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَنْشَبَهُ بِالْكُفَّارِ
وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ ؟ » فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا ابْنَ النَّابِغَةِ وَمَتَى لَمْ
تَكُنْ لِلنَّافِسِقِينَ وَلِيًّا وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَدُوًّا ؟ فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهُ لَا يَجْمَعُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَجْلِسَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا ! فَقَالَ عَلِيُّ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ
يَطْهَرُ اللَّهُ مَجْلِسِي مِنْكَ وَمِنْ أَشْبَاهِكَ .

وَكُتِبَ الْكِتَابُ : هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةُ
ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَاضِيٌّ عَلِيُّ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمِنْ مَعَهُمْ ، وَقَاضِيٌّ مُعَاوِيَةُ
عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَمِنْ مَعَهُمْ ، أَنَا نَزَلْتُ عِنْدَ حَكَمِ اللَّهِ وَكِتَابَهُ ، وَالْأَيُّ يَجْمَعُ
بَيْنَنَا غَيْرُهُ ، وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَنَا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ ، نُخْبِي
مَا أَحْيَا وَنُحْيِي مَا أَمَاتَ ، فَمَا وَجَدَ الْحَكَمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ - وَهُمَا
أَبُو مُوسَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - عِيْلَابَهُ ، وَمَا لَمْ
يَجِدَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَالْسُّنَّةُ الْعَادِلَةُ الْجَامِعَةُ غَيْرُ الْمَفْرُقَةِ . وَأَخَذَ
الْحَكَمَانِ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِنْ مُعَاوِيَةَ وَمِنْ الْجَنْدِ مِنَ الْيَهُودِ
وَالْمَوَائِقِ أَنَّهُمَا آمِنَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَأَهْلِهِمَا ، وَالْأُمَّةُ لَهُمَا أَنْصَارُ
عَلَى الَّذِي يَتَقَاضِيَانِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ عَهْدُ
اللَّهِ وَمِيشَاقُهُ أَنْ يَحْكُمَا بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَرُدَّاهَا فِي حَرْبٍ وَلَا فُرْقَةٍ حَتَّى

يعصيا ، وأجلا القضاء إلى رمضان ، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخره ، وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام . وشهد جماعة من الطائفتين .

وقيل للأشتر : لتكتب ^(١) فيها . فقال : « لا صحبتني يميني ولا نفعني بعدها شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة خط ! أولست على بينة من ربي من ضلال عدوي ؟ أولستم قد رأيتم الظفر ؟ » . فقال له الأشعث : ما رأيت ظفرا هلم إلينا فإنه لارغبة بك عنا . فقال : « بلى والله الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة ! ولقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت عندي خير منهم ولا أحرَم دما ! » .

قال : وخرج الأشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مر على طائفة من بني تميم ، فيهم عروة بن أدية (أخو أبي بلال) فقرأه عليهم ، فقال عروة : تحكمون في أمر الله الرجال ، لاحكم إلا الله . ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الأشعث ضربة خفيفة ، واندفعت الدابة ، وصاح به أصحاب الأشعث فرجع .

وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين . واتفقوا أن يكون اجتماع الحكمين يدومه الجندل ^(٢) ، أو بأذرح ^(٣) ، في شهر رمضان .

(١) في الكامل لابن الأثير . : « لتكتب » .

(٢) دومة الجندل : موضع بين الشام والمدينة المنورة .

(٣) أذرح : بلد في أطراف الشام ، كما قال ياقوت ، وقد كرر ذكر الخلاف في الموضعين ، وشارك في « ذكر اجتماع الحكمين » عبارة تفيد اتصال أذرح بدومة الجندل .

قال : وقيل لعلّي : إن الأشر لا يُقَرُّ بما في الصحيفة ولا يرى
 إلا قتال القوم . فقال على رضى الله عنه : « وأنا والله ما رُضيتُ
 ولا أُحببتُ أن ترَضُوا ، فإذا أبَيْتُمْ إلا أن ترَضُوا فقد رُضيتُ ، وإذا
 رُضيتُ فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار ، إلا أن
 يُعصى الله ويُتعدّي كتابه ، فتقاتلوا مَنْ ترك أمر الله . وأما الذى ذكرتم
 مِنْ تركه أمرى وما أنا عليه فليس من أولئك ، ولست أخافه على
 ذلك ، يالَيْتَ فيكم مثله اثنين ، يالَيْتَ فيكم مثله واحدا يري في
 عدوي ما أرى ، إذن لخَفْتُ على مؤنتكم ، ورجوت أن يستقيم لي بعض
 أودكم ^(١) ، وقد نهَيْتكم فعصَيْتموني ، فكنت أنا وأنتم كما قال
 أخو هوازن ^(٢) :

وهل أنا إلا من غَزِيَّةٍ إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن تَرُشِدَ غَزِيَّةٌ أَرُشِدِ
 والله لقد فعلتم فعلةً ضَعَضَعَتْ قُوَّةً ، وأسقطت مُنَّةً ، وأورثت وَهْناً
 وذُلَّةً ، ولما كنتم الأعْلَيْنِ ، وخاف عدوكم الاجْتِياحَ ، واستَحَرَّ ^(٣)
 بهم القتل ، ووجدوا أَلَمَ الجراح ، رفعوا المصاحف فدَعَوْكم إلى
 ما فيها لِيَقْتَنُوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب ، ويتربصوا بكم رَيْبَ

(١) الأود : الموج .

(٢) أخو هوازن : دريد بن الصمة معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن
 بكر بن علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، شاعر فارس
 جاهلي ، أدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج مع قومه هوازن في يوم حنين مظاهراً للمشركين ،
 وكان شيخاً كبيراً فانياً ليس فيه شيء إلا التَّيْمَنُ برأيه ومعرفته للحرب فقتل يومئذ على شركه ..
 واليبت من قصيدته الدالية الطويلة التي رثى بها أخاه عبد الله ، وهي في الأغاني ج ١٠ ص ٨-٩
 من طبع دار الكتب المصرية والحفاصة بشرح المروزقي ج ٢ ص ٨١٢ - ٨٢١ والأصمعيات
 ص ١١١-١١٥ وجمهرة أشعار العرب ص ٢٢٤-٢٢٧ ، وسيأتى تمثل بيت آخر من هذه القصيدة .
 (٣) استحر : اشتد وكثر .

الْمُنُون ، خَدِيعَةٌ وَمَكِيدَةٌ ، فَأَعْطَيْتُمُوهُمْ [مَسْأَلُوا] (١) ،
وَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تُذْهِبُوا وَتُجِيرُوا (٢) ، وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا أَظْنُكُمْ بَعْدَهَا تَوْفِقُونَ
لرشد ، ولا تصيبون بابَ حزم .

قال : ثم تراجع الناس عن صِفَيْنِ .

هذا ما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه ،
وهو الذي اعتمد عليه عز الدين علي بن محمد ابن الأثير الموصلی
في تاريخه (الكامل) ، من حرب (٣) صِفَيْنِ ، وقد أسقطنا بعض
ما أورده ، وأتينا بألفاظ . لم يأتيا بها نسبناها إلى من حكاهما ..
وأخبار أيام صِفَيْنِ كثيرة ، قد بسط أهل التاريخ فيها القول ، وذكروا
ما اتفق في أيامها يوماً يوماً ، رأينا ترك ذلك والإغضاء عنه أولى ،
وكنا نؤثر ألا نلزم بذكر أيام صِفَيْنِ ولا وقعة الجمل ، وإنما ضرورة
التاريخ دعت إلى ذلك .

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة بُسر بن أرطاة من كتابه
الاستيعاب (٤) : أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَمَرَ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةَ ، وَكَانَ
مَعَهُ بِصِفَيْنِ أَنْ يَلْقَى عَلِيًّا فِي الْقِتَالِ ، وَقَالَ لَهُ : « سَمِعْتُكَ تَتَمَنَّى
لِقَاءَهُ ، فَلَوْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ وَصَرَعَتْهُ حَصَلَتْ عَلَى دُنْيَا وَآخِرَةٍ » : وَلَمْ
يَزَلْ يَشْجَعُهُ وَيَمْنِيهِ ، حَتَّى رَأَاهُ فَقَصَدَهُ فِي الْحَرْبِ ، قَالَ : وَكَانَ

(١) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء عند ابن جرير ج ٤ ص ٤٠ « وتجاوزوا » وعند

ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٦٣ « وتجيروا » .

(٣) كذا جاء في النسخة (ك) . وفي النسخة (ن) : « خبر » .

(٤) ج ١ ص ١٦٠ .

بُسْر بن أَرْطَاةَ من الأبطال الطغاة ، فالتَقِيَ ، فصصره على ، وعرض له معه مثل ما عرض - فيما ذكر - لعلّ مع عمرو بن العاص . قال وذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبارِ صِفِّينَ أن بُسْر بن أَرْطَاةَ بارَزَ عليا يَوْمَ صِفِّينَ ، فطَعَنَهُ على فصرعه ، فانكشف له ، فكفَّ عنه ، كما عرض له - فيما ذكروا - مع عمرو بن العاص ، ولهم فيها أشعار مذكورة في موضعهم [ذاك] ^(١) الكتاب ، منها فيما ذكر ابن الكلبي والمدائني قول الحارث بن النضر السَّهْمِي ^(٢) - وكان غدوا لعمرو ابن العاص وبُسْر بن أَرْطَاة - :

أَفَى كُلِّ يَوْمٍ فَارَسٌ لَيْسَ يَنْتَهَى	وَعَوْرَتُهُ بَيْنَ الْعَجَاجَةِ ^(٣) بَادِيَةٍ
يَكُنُّ لَهَا ^(٤) عَنْهُ عَلَى سِنَانِهِ	وَيَضْحَكُ مِنْهُ ^(٥) فِي الْخَلَاءِ مُعَاوِيَةَ
بَدَتْ أَمْسٌ مِنْ عَمْرٍو فَقَنَعَ رَأْسَهُ	وَعَوْرَةُ بُسْرٍ مِثْلُهَا حَذَوُ حَازِيَةٍ
فَقُولَا لِعَمْرٍو ثُمَّ بُسْرٍ ^(٦) : أَلَا انْظُرَا	سَبِيلَكُمَا ، لَا تَلْقِيَا اللَّيْثَ ثَانِيَةَ
وَلَا تَحْمَدَا إِلَّا الْحَيَا وَخُصَاكُمَا	هُمَا كَانَتَا وَاللَّهِ لِلنَّفْسِ وَاقِيَةَ
وَلَوْلَاهُمَا لَمْ تَنْجُوا مِنْ سِنَانِهِ	وَتِلْكَ بَمَا فِيهَا عَنِ الْعَوْدِ نَاحِيَةِ
وَكُونَا ^(٧) بَعِيدَا حَيْثُ لَا تَبْلُغُ الْقَنَا	نُحُورَكُمَا إِنَّ التَّجَارِبَ كَافِيَةَ

(١) الزيادة من الاستيعاب ، والاشارة إلى كتاب ابن الكلبي .

(٢) شاعر من الصحابة ، انظر الإصابة ج ١ ص ٢٩١ .

(٣) العجاجة : ما أثر من الغبار حتى يكد وكل شيء جاء عليه ، ورعاع الناس .. وفي الاستيعاب : « وسط العجاجة » .

(٤) في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ٢ ص ٣٠١ : « بها » .

(٥) في لاستيعاب وشرح ابن أبي الحديد : « منها » .

(٦) عند ابن أبي الحديد : « فقرلا لعمرو وابن أوطاة : ابصرا » .

(٧) قبل هذا بيت عن ابن عبد البر وابن أبي الحديد ، وهو :

مَنْ تَلَقَّى الْخَيْلَ الْمَغِيرَةَ صَبِيحَهُ وَفِيهَا عَلَ فَاثَرُكَ الْخَيْلِ نَاحِيَةِ

قال أبو عمر : إنما كان انصراف عليّ عنهما وعن أمثالهما من مَضْرُوعٍ أو مُنْهَزِمٍ ؛ لأنه كان لا يرى في قتال الباغين عليه من المسلمين أن يتّبع مُذْبِرًا ولا يُجْهِزَ على جريح ولا يقتل أسيرًا ، وتلك عادته في حروبه في الإسلام ، رضى الله عنه .

وروي أبو عمر ابن عبد البر أيضا بسند يرفعه إلى يزيد ابن حبيب قال : اصطحب قَيْسُ بن خَرَّشَة ، وكعب الأحمار ، حتى إذا بلغا صِفِّينَ وَقَفَ كَعْبٌ ثم نظر ساعة فقال : « لا إله إلا الله ، لِيُهَرَّاقَنَّ هذه البُقْعَةُ من دماء المسلمين شيء لم يُهَرَّقَ ببُقْعَةٍ من الأرض » فغضب قَيْسٌ وقال : « وما يُدْرِيكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؟ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ » فقال كعب : ما من شَيْءٍ من الأرض إلّا وهو مكتوبٌ في التَّوْرَةِ التي أنزلَ اللهُ على نبيِّه موسى بن عمرانَ عليه السلام ما يكون عليه إلى يوم القيامة .

واختلف في عِدَّةٍ من شَهِدِ صِفِّينَ ، فقيل : كان جَيْشُ عليٍّ رضى الله عنه تسعين ألفا ، وجَيْشُ مُعَاوِيَةَ مِائَةً وَعِشْرِينَ ألفا ، وقيل : أقل من ذلك ^(١) .

وقُتِلَ من العِراق خمسة وعشرون ألفا ، منهم عَمَّارُ بن ياسر وخمسة وعشرون بَذْرِيًّا ، وقُتِلَ من عسْكَرِ مُعَاوِيَةَ خمسة وأربعون ألفا .

قال ، ولَمَّا رَجَعَ عليٌّ رضى الله عنه إلى الكوفة خالفه الحُرُورِيَّةُ وأنكروا تحكيمَ الرجال ، وكان من أمرهم ما نذكره إن شاء الله في أخبار

الخوارج عَلَى عَلِيٍّ ، وكان فيما بين رجوع عَلِيٍّ واجتماع الحَكَمَيْنِ
مانذكره إن شاء الله تعالى في حوادث السنين .

ذكر اجتماع الحكمين

قال . ولما جاء وقت اجتماع الحَكَمَيْنِ أُرسل عَلِيٌّ رضى الله عنه
أربعمئة رجل عَلَيْهِم شُرَيْحُ بن هَانِيء الحارثي ، وأُرسل عبد الله بن
عباس يصلى بهم وَيُكَلِّمُهم . ومعهم أَبُو موسى الأشعري . وأُرسل
مُعاوية عمرو بن العاص في أربعمئة من أهل الشام ، حتى تَوَافَوْا من
دُومَةِ الْجَنْدَلِ بِأَذْرَح (١)

وكان عمرو إذا أتاه كتاب من مُعاوية لا يَدْرِي أَحَدُ ما جاء فيه ،
ولا يَسْأَلُهُ أهل الشام عن شيء . وكان أهل العراق يَسْأَلُونَ ابنَ عَبَّاسٍ
عن كُلِّ كتاب يَصِلُ إِلَيْهِ من عَلِيٍّ ، فإن كتمه (٢) ظَنُّوا به الظُّنون
وقالوا : نراه كتب بكذا وكذا : فقال لهم ابنُ عَبَّاسٍ رضى الله عنه :
« أما تَعْقِلُونَ ، أما تَرَوْنَ رسولَ مُعاوية يَجِيءُ فلا يَعْلَمُ أَحَدُ ما جاء به
ولا يُسْمِعُ لهم صياح ؟ وأنتم عندي كُلُّ يوم تظنون الظُّنون » .

قال وحضر معهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق ، وعبد الله بن الزُّبَيْر ، وعبد الرحمن الحارث بن
هشام ، وعبد الرحمن بن عبد يَعُوثَ الزهري ، وأَبُو جَهْم بن حُذَيْفَةَ
الْعَدَوِي ، والمغيرة بن شُعْبَةَ . وكان سَعْدُ بن أَبِي وَقَّاصٍ على ماء
لبنى سُلَيْمٍ بالبادية ، فأتاه ابنه عمر فقال له : « إِنَّ أَبَا موسى وعمرًا

(١) انظر ما سبق في هذين الاسمين .

(٢) كما جاء في النسخة (ك) ، وجاء في (ن) « كتمهم » .

قد شهدتهم نفرٌ من قُرَيْشٍ فاحضر معهم ، فإنَّكَ صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأحدُ أصحابِ الشُّورى ، ولم تدخل في شيءٍ كرهته هذه الأمة ، وأنتَ أحقُّ الناس بالخِلافةِ « فلم يفعل ، وقيل : بل حضرهم سعد ونديم على حضوره ، فأحرم بعُمرته من بيت المقدس .

قال : ولما اجتمع الحكماء قال عمرو بن العاص : يا أبا موسى أَلستَ تعلم أنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مظلوماً ، قال أشهد . قال : أَلستَ تعلم أنَّ مُعَاوِيَةَ وآلَ مُعَاوِيَةَ أَوْلِيَاؤُهُ ؟ قال : بلى . . قال : « فما ^(١) يَمْنَعُكَ مِنْهُ وَبَيْتُهُ فِي قُرَيْشٍ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ ؟ فَإِنْ خِفْتَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ لَيْسَتْ لَهُ سَابِقَةٌ فَقُلْ : وَجَدْتُهُ وَلِيَّ عُثْمَانَ الْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ ، وَالطَّالِبِ بَدْمِهِ ، الْحَسَنَ السِّيَاسَةَ وَالتَّدْبِيرَ ، وَهُوَ أَخُو أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَكَاتِبِهِ ، وَقَدْ صَحِبَهُ « وَعَرَّضَ لَهُ عَمْرُو بِسُلْطَانٍ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : « يَا عَمْرُو ، اتَّقِ اللَّهَ ! أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَرَفِ مُعَاوِيَةَ فَإِنْ هَذَا لَيْسَ عَلَى الشَّرَفِ يُؤَلَّاهُ أَهْلُهُ ، وَلَوْ كَانَ عَلَى الشَّرَفِ لَكَانَ لَأَلِ أَبْرَهَةَ بْنِ الصَّبَّاحِ ، إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ، مَعَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ مُعْطِيَهُ أَفْضَلَ قُرَيْشٍ شَرَفًا أَعْطَيْتُهُ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ وَلِيٌّ دِمِ عُثْمَانَ فَوَلِّهِ هَذَا الْأَمْرَ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَوَّلِيهِ مُعَاوِيَةَ وَأَدَعَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَأَمَّا تَعْرِضُكَ لِي بِالسُّلْطَانِ ؛ فَوَاللَّهِ لَوْ خَرَجَ لِي مُعَاوِيَةُ مِنْ سُلْطَانِهِ كُلِّهِ مَا وَلَّيْتُهُ ، وَمَا كُنْتُ لِأَرْتَشِي فِي حُكْمِ اللَّهِ ،

(١) ذكر ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ٤٩ أن عمرا استشهد بقول الله تعالى : **وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلْيَبْرُزْ فِي الْقَتْلِ ، إِنَّهُ كَانَ مُتَصَوِّرًا** ثم قال فما يمنعك من معاوية . . الخ .

ولكنك إن شئت أن تُحِبِّي اسمَ عُمَرُ بن الخطاب ، قال له عمرو : (١)
 فما يمنعك من ابني عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه ؟ فقال له :
 إن ابنك رجل صدِّيق ، ولكنك قد غَمَسْتَهُ في هذه الفتنة . فقال عمرو :
 إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل ويُطعم . وكانت في ابن عمر
 غفلة ، فقال له : ابن الزبير : افطنْ وانتبه ، فقال : والله لا أَرشُو
 عليها شيئاً أبداً . وقال : يا ابن العاص إنَّ العرب قد أسندت إليك
 أمرها بعد ما تقارعوا بالسيوف فلا تردُّنَّهم في فتنة .

وكان عمرو قد عَوَّدَ أبا موسى أن يقدمه في الكلام ، يقول له :
 أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسْنُ مني فتكلم . فتعَوَّدَ
 ذلك أبو موسى ، وأراد عمرو بذلك كله أن يقدمه في خلع علي .
 فلما أراد عمرو علي ابنه وعلى معاوية فأبى ، وأراد أبو موسى عُمَرَ علي
 ابن عُمَرَ فأبى عمرو ، قال له عمرو : خبرني ما رأيك ؟ قال : « أرى أن
 نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى ، فيختار المسلمون لأنفسهم
 من أحبوا » . فقال عمرو : الرأي ما رأيته .

فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال عمرو : يا أبا موسى أعلمهم أن
 رأينا قد اتفق . فتكلم أبو موسى فقال : إن رأينا قد اتفق على أمر
 نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبر .
 تقدم يا أبا موسى . فتقدم أبو موسى : فقال له ابن عباس :
 « ويحك ! والله إني لأظنه قد خدعك ، إن كنتما قد اتفقتما على أمر
 فتقدمه فليتكلم به قبلك ، فإنه رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك

(١) ذكر ابن جرير في رواية أن عمرا قال لأبي موسى ! إن كنت تحب بيعة
 ابن عمر فما يمنعك . . . الخ .

الرَضَى بَيْنَكُمَا ، فَإِذَا قَمَتَ فِي النَّاسِ خَالَفَكَ ! » وَكَانَ أَبُو مُوسَى مُغْفَلًا ،
فَقَالَ : إِنَّا قَدْ اتَّفَقْنَا ، فَتَقَدَّمَ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا
فِي أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلَمْ نَرَ أَصْلَحَ لِأَمْرِهَا وَلَا أَلَمَ لَشَعْثِهَا مِنْ [أَمْرٍ] ^(١)
قَدْ أَجْمَعَ رَأْيِي وَرَأْيَ عَمْرُو عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَنْ نَخْلَعَ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ وَيُوَلِّيَ
النَّاسَ أَمْرَهُمْ مَنْ أَحْبَبُوا ، وَإِنِّي خَلَعْتُ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ ، فَاسْتَقْبِلُوا أَمْرَكُمْ
وَوَلُّوا عَلَيْكُمْ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ أَهْلًا » . ثُمَّ تَنَحَّيَ ، وَأَقْبَلَ عَمْرُو فَقَامَ وَقَالَ :
« إِنْ هَذَا قَدْ قَالَ مَا سَمِعْتُمُوهُ ، وَخَلَعَ صَاحِبِهِ ، وَأَنَا أَخْلَعُ صَاحِبِهِ
كَمَا خَلَعَهُ ، وَأُثْبِتُ صَاحِبِي مُعَاوِيَةَ ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ،
وَالطَّالِبُ بِدَمِهِ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ » ، فَقَالَ سَعْدُ : مَا أَضَعَفَكَ
يَا أَبَا مُوسَى عَنْ عَمْرُو وَمُكَايِدَةِ ! فَقَالَ أَبُو مُوسَى : فَمَا أَصْنَعُ ؟ وَافْقُنِي
عَلَى أَمْرٍ ثُمَّ تَنَزَّعَ عَنْهُ ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا ذَنْبَ لَكَ يَا أَبَا مُوسَى الذَّنْبُ
لِمَنْ قَدَّمَكَ فِي هَذِهِ الْمَقَامِ ! قَالَ : غَدَرَ فَمَا أَصْنَعُ ؟ قَالَ ابْنُ عَمْرٍو
[انظروا] ^(٢) إِلَى مَا صَارَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ : إِلَى رَجُلٍ لَا يَبَالِي مَا صَنَعَ
وَأَخْرَ ضَعِيفٌ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : لَوْ مَاتَ الْأَشْعَرِيُّ قَبْلَ
هَذَا الْيَوْمِ كَانَ خَيْرًا لَهُ . وَقَالَ أَبُو مُوسَى لِعَمْرُو : « لَا وَفَّقَكَ اللَّهُ ، غَدَرْتَ
وَفَجَرْتَ ، [إِنَّمَا مِثْلُكَ كَمِثْلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحَبَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكَهُ
يَلْهَثُ » فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : [^(٣) إِنَّمَا مِثْلُكَ كَمِثْلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا .
قَالَ : وَالتَّمَسَّ أَهْلُ الشَّامِ أَبَا مُوسَى فَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ

(١) كَذَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْرٍ ج ٤ ص ٥١ وَابْنُ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٦٨ وَجَاءَ
فِي النُّسَخَةِ (ك) (رَأَى) ، وَفِي النُّسَخَةِ (ن) : « رَأَى » .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ .

(٣) سَقَطَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنَ النُّسَخَةِ (ك) وَثَبَّتْ فِي النُّسَخَةِ (ن) . كَمَا جَاءَتْ عِنْدَ

عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح إلى علي رضي الله عنه ، فكان علي إذا صلى الغداة يقنّت فيقول : اللهم العن معاوية وعمراً وأبى الأعور وحبيبا وعبد الرحمن ابن خالد والضحاك بن قيس والوكيد . فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا قنّت لعن عليا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر .

وقيل : إن معاوية حضر الحكمين ، وأنه قام عشية في الناس فقال : أما بعد ، من كان متكلماً في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه . قال ابن عمر : فأطلقت خبوتى وأردت أن أقول : « يتكلم فيه رجال قاتلوك وأبأك على الإسلام » فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة ويُسفك بها دم ، فكان ما وعد الله في الجنان أحب إلي من ذلك ، فلما انصرفت إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال : مامنعك أن تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم ؟ قلت : أردت ذلك ثم خشيت . فقال حبيب : وقفت وعصمت . وقد ورد ذلك في الصحيح .

ذكر أخبار الخوارج

الذين خرجوا على عهد علي وما كان من أمرهم كان أول من خرج على علي رضي الله عنه حَسَكَة بن عَتَّاب الجبَطي ، وعِمْران بن فُضَيْل البُرْجُمي ، خرجا في صغاليك من العرب بعد الفراغ من وقعة الجمل ، حتى نزلوا زَالِقَ (١) من سِجِسْتَان ، وقد نَكَبُوا (٢) أهلها فأصابوا منها مالا ، ثم أتوا زَرْزَجَ (٣) وقد خافهم

(١) زالق : سواد سيجستان .

(٢) جهل في النسبة (ن) كما عند ابن الأثير : وقد نكث أهلها .

(٣) زرنج : قسبة سيجستان .

مرزبانها فصالحهم ودخلوها ، فبعث عليّ عبد الرحمن ابن جرّو الطائي فقتله حَسَكَةً ، فكتب عليّ إلى عبد الله بن عباس يأمره أن يولي سجستان رجلا ، ويسيره إليها في أربعة آلاف ، فوجّه رُبَيْعِي^(١) بن كَاس العنبري ، ومعه الحصين بن أبي الحرّ العنبري ، فلما ورد سجستان قاتلهم حَسَكَةً فقتلوه وضبط. ربّعي البلاد .

قال ابن الأثير^(٢) وكان قَيْرُوز حُصَيْن ينسب إلى الحصين ابن أبي الحرّ هذا ، وهو من سجستان .

ذكر خبرهم^(٣) بعد صفين

قد ذكرنا في وقعة صفين أنه لما رُفِعَت المصابف ، تكلم أولئك القوم مع عليّ بما ذكرناه ، وأبوا إلا ترك الحرب والرجوع إلى كتاب الله ، وموافقة عليّ رضي الله عنه لهم فيما رأوه ، على كُره منه . فلما رجع عليّ من صفّين بعد كتابة الصحيفة ، خالفت عليه الحرورية^(٤) وأنكروا تحكيم الرجال ، ورجعوا على غير الطريق الذي أقبلوا فيه ، أخذوا على طريق البرّ وعادوا وهم أعداء متباغضون ، يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط ، يقول الخوارج : يا أعداء الله أذهنتم في أمر الله ! ويقول الآخرون : فارقم إمامنا وفرقتم جماعتنا ! فلما انتهى عليّ إلى الكوفة فارقه الخوارج وأنت حروراء^(٥) فنزل بها

(١) ربّعي بن كاس : كاس أنه وهى من أشراف العرب ، وهو ربّعي بن عامر التيمي .

(٢) في الكامل ج ٣ ص ١٣٥ .

(٣) كذا جاء في ك ، ، وجاء في (ن) : « سيرهم » .

(٤) زاد ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٦٣ : « وخرجت ، وكان ذلك أول ما ظهرت » .

(٥) نقل ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١٥ عن كتاب صفين : « خرجوا إلى صحراء » .

بالكوفة تسمى حروراء .

[منهم^١] (١) اثنا عشر ألفا ، ونادى مُناديهم : « إن أمير القتال شَبَّثُ بن رُبْعَى التَّمِيمِي ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكَوَّاء اليَشْكُرِي ، والأمْرُشُورِي بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . فلما سمع عليُّ رضي الله عنه وأصحابه ذلك ، قامت إليه الشَّيْعَةُ فقالوا له : « في أعناقنا بَيْعَةٌ ثابتة (٢) نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت » . فقالت الخوارج : « استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كَفَرَسْتِمْ هَـنَا ، بايع أهل الشام مُعاويةَ على ما أحب (٣) وكرهوا ، وبايعتم أنتم علينا أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى » فقال لهم زِيَاد بن النَّضَر : « والله ما بَسَطَ عليُّ يده فبايعناه قط . إلاَّ على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا : نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت ، ونحن كذلك ، وهو على الحق والهدى ، ومن خالفه ضال مُضِل » . قال : وبعث عليُّ رضي الله عنه عبد الله بن العباس إلى الخوارج^٤ ، وقال له : لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك . فخرج إليهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم ، فقال : « مانقمت من الحكمين ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ (٤) فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ » . فقالت الخوارج : « أما ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزَّائِي مائة جلدة ، وفي

(١) الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) عند ابن جرير وابن الأثير : « ثانية » .

(٣) عند ابن جرير وابن الأثير : « أحبوا » .

(٤) من الآية ٣٥ في سورة النساء .

السارق القطع ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا . قال ابن عباس :
 فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) فقالوا : وتجعل
 الحكم في الصيد والحديث بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين ؟
 وقالوا له : أَعَدَلُ عِنْدَكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ بِالْأَمْسِ يِقَاتِلُنَا ؟ فَإِنْ كَانَ
 عَدْلًا فَلَسْنَا بِعَدُول ، وَقَدْ حَكَّمْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ ، وَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ
 حُكْمَهُ فِي مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَرْجِعُوا ، وَقَدْ كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا وَجَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ الْمَوَادَعَةَ ، وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ الْمَوَادَعَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
 وَأَهْلِ الْحَرْبِ مِنْذُ نَزَلَتْ « بَرَاءَةٌ » إِلَّا مَنْ أَقْرَبَ بِالْجُزْيَةِ .

وبعث على رضى الله عنه زياد بن النضر فقال : انظُرْ بِأَيِّ رِعْوسِهِمْ
 هُمْ أَشَدُّ لُطَافَةً . فَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُمْ عِنْدَ رَجُلٍ أَكْثَرَمَنَّهُمْ عِنْدَ يَزِيدَ
 ابْنِ قَيْسٍ ، فَخَرَجَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّاسِ حَتَّى أَتَى فُسْطَاطَ يَزِيدَ
 ابْنِ قَيْسٍ ، فَدَخَلَهُ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، وَأَمَرَهُ عَلَى أَصْبِهَاَنِ وَالرَّيِّ ،
 ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَخَاصِمُونَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ لَهُ :
 أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ كَلَامِهِمْ ؟ ثُمَّ تَكَلَّمَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَذَا مَقَامٌ مِنْ يَفْلُجٍ
 فِيهِ كَانَ أَوَّلُ بِالْفَلْجِ ^(٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ . [ثُمَّ] ^(٣) : قَالَ لَهُمْ : مَنْ زَعِمَ كُمْ ؟
 قَالُوا : ابْنُ الْكَوَّاءِ قَالَ : فَمَا أَخْرَجَكُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : حُكُومَتَكُمْ
 يَوْمَ صِفِّينَ . قَالَ : « أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ حَيْثُ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ ،
 وَقَلَّمْتُمْ : نَحْيِبُهُمْ ، قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي أَعْلَمُ بِالْقَوْمِ مِنْكُمْ ، لَأَنَّهُمْ لَيْسَلُوا
 بِأَصْحَابِ دِينٍ ! » وَذَكَرَ مَا كَانَ قَالَ لَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ « وَقَدْ اشْتَرَطْتُ

(١) من الآية ٩٥ في سورة المائدة .

(٢) الفلج - يفتح الفاء وضمها - : الفوز ، وفي الكامل ج ٢ ص ١٦٦ : « من يفلح فيه
 كان أول بالفلاح » .

(٣) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير .

على الحَكَمَيْنِ أَنْ يُخَيِّبَا مَا أَحْيَى الْقُرْآنَ وَأَنْ يُبَيِّنَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ ،
فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ، وإن أبينا فنحن من
حكمهما برآء . قالوا : فخبّرنا أترأه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟
فقال : « إنما لسنّا حكمنا الرجال ، إنما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن
إنما هو خطّ مسطوربين دفتين ، لا ينطق ، إنما يتكلم به الرجال »
قالوا : فأخبرنا عن الأجل لِمَ جعلته بينكم ؟ قال : « ليعلم
الجاهل ، ويثبت العالم ، ولعلّ الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة
هذه الأمة ، ادخلوا مصركم رحمكم الله » ، فدخلوا من عند آخرهم .

ذكر خبرهم عند توجيه الحكمين

قال (١) : لما أراد على رضي الله عنه أن يبعث أبا موسى للحكومة
أتاه رجلان من الخوارج ، وهما زُرْعَة بن بُرْج الطائي وخرْقُوص
ابن زُهَيْر السعدي ، فقالا له : لا حكم إلا لله تعالى ، فقال على رضي
الله عنه : لا حكم إلا لله تعالى ، قال خرْقُوص : « تُب من خطيئتك ، وارجع
عن قضيتك ، وارجع بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا » .
فقال على : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبين
القوم كتابا ، وشرطنا شروطا ، وأعطينا عليها عهدا ، وقد قال
الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ (٢) فقال خرْقُوص :
ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه . فقال على رضي الله عنه : ما هو ذنب
ولكنه عجز من الرأي ، وقد نهيتكم ، فقال زُرْعَة : يا على لئن لم

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ١٦٩ وأصله عند ابن جرير الطبري في تاريخه

ج ٤ ص ٥٢ .

(٢) من الآية ٩١ في سورة النحل .

تداع تحكيم الرجال لأفَاتِلَنكَ أطلب وجه الله . فقال على : « بؤساً لك !
 ما أشقاك ! كأتى بك قتيلاً تَسْفِي (١) عليك الرياح ! » قال : وددت .
 لو كان ذلك ، فخرجنا من عنده يُحَكِّمَان .

وخطب على رضى الله عنه يوماً ، فحكمت (٢) المحكِّمة في جوانب
 المسجد ، فقال على : « الله أكبر ! كلمة حق أريد بها باطل (٣) » ان سكتوا .
 غَمَمْنَاهُمْ (٤) ، وإن تكلموا حَجَّجْنَاهُمْ وإن خرجوا علينا قاتلناهم . فوثب
 يزيد بن عاصم المحاربى فقال : « الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه ،
 اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيَّة في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين
 إذهان في أمر الله وذُلُّ راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على أبا القتل
 تُخَوِّفُنَا ؟ أما إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مُضَفَّحات ،
 ثم لتعلم أينما أولى بها ضليلاً » . ثم خرج هو وإخوة له ثلاثة ، فأصيبوا
 مع الخوارج بالنَّهْرَوَان ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة .

ثم خطب على رضى الله عنه يوماً آخر ، فقام رجل فقال : لاحكم
 إلا لله ، ثم توالى عِدَّة رجال يحكِّمون ، فقال على : « الله أكبر
 كلمة حق أريد بها باطل ، أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحَّيتمونا :
 لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفئء

(١) سفت الريح التراب تسفيه : فوزه أو حمله .

(٢) أى قالوا : « لاحكم إلا الله » .

(٣) جاء في نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١٤ : ومن كلام له
 عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم « لاحكم إلا الله » قوله عليه السلام : كلمة حق يراد
 بها باطل ، نعم إنه لاحكم إلا لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلا لله ، وإنه لا بد
 للناس من أمير ير أو فاجر ، يعمل في إمرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر . . . وفي رواية
 أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال : حكم الله أنتظر فيكم ! .
 (٤) غممناهم : غطيناهم وسترناهم ، وفى (ك) : « غممناهم » .

مادامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا ، وإنما ننظر فيكم أمر الله . ثم رجع إلى مكانه من الخطبة .

ذكر اجتماع الخوارج بعد الحكمين

وتوليتهم أمرهم عبد الله بن وهب وخروجهم عن الكوفة وانضمام خوارج البصرة إليهم ، وما كاتبهم على به وجوابهم وغير ذلك

قال : ولما كان من أمر الحكمين ما ذكرناه ، لقي بعض الخوارج بعضا واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فخطبهم ، فزهدهم في الدنيا ، وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكبين لهذه البدع المضلة ، فقال حرقوص بن زهير : « إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تدعوا نكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ، فإن الله ^(١) مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وقال حمزة بن سنان الأسدي : « يا قوم ، إن الرأي ما رأيتم فولوا أمركم ^(٢) رجلا منكم ، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها ، وترجعون إليها » فعرضوها على زيد بن حصين ^(٣) الطائي فأبى ، وعرضوها على حرقوص فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشريح

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في (ن) : « فاته » .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في (ن) : (أمورك) .

(٣) كذا جاء في المخطوطة ، وهذا الاسم يقال فيه « حصن » كما ذكره ابن حجر في الإصابة ، ويقال فيه « حصين » كما ذكره الطبري وابن الأثير ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك

ابن أَوْفَى العَبْسِيُّ فَأَبَيَا ، وعرضوها على عبد الله بن وَهَبٍ فقال :
« هاتوها ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أَخْذُهَا رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَدْعُهَا فَرَقًا مِنَ الْمَوْتِ »
فبايعوه لعشر خَلَوْنٍ مِنْ شَوَالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ : وَكَانَ يُقَالُ : لَهُ
ذُو الثَّفِينَاتِ (١) .

ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ شَرِيحِ بْنِ أَبِي أَوْفَى (٢) الْعَبْسِيُّ ، فَقَالَ ابْنُ وَهَبٍ :
اشْخَصُوا (٣) بَنَّا إِلَى بَلَدَةٍ نَجْتَمِعُ فِيهَا لِإِنْفَازِ حُكْمِ اللَّهِ فَإِنَّكُمْ أَهْلُ
الْحَقِّ . قَالَ شَرِيحٌ : « نَخْرُجُ إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَتَنْزِلُهَا ، وَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ،
وَنُخْرِجُ مِنْهَا سُكَّانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَيَقْدُمُونَ
عَلَيْنَا » . فَقَالَ زَيْدُ بْنُ حَصْنٍ : « إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مَجْتَمِعِينَ تُتَبِعْتُمْ ،
وَلَكِنْ أَخْرِجُوا وَحْدَانًا مُسْتَحْظِينَ ، فَأَمَّا الْمَدَائِنُ فَإِنْ بَهَا مِنْ يَمْنَعَكُمْ ،
وَلَكِنْ سَيَرُوا حَتَّى تَنْزِلُوا مِنْ جَسَرِ (٤) النَّهْرَوَانِ ، وَتَكْتُبُوا إِخْوَانَكُمْ
مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ » . قَالُوا : هَذَا الرَّأْيُ .

وَكُتِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ إِلَى مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنْهُمْ يُعَلِّمُهُمْ مَا اجْتَمَعُوا
عَلَيْهِ ، وَيُحِثُّهُمْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ ، وَسِيرِ الْكِتَابِ إِلَيْهِمْ ، فَأَجَابُوا .

قَالَ : وَلَمَّا غَزِمَ مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَى الْخُرُوجِ ، تَعَيَّلُوا
لَيْلَتَهُمْ - وَكَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ - وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَسَارُوا يَوْمَ السَّبْتِ ،
فَخَرَجَ شَرِيحُ بْنُ أَوْفَى الْعَبْسِيُّ وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَخَرَّجَ

(١) كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ قَدْ أَثْرَطَ السُّجُودَ فِي ثَفَنَاتِهِ ، وَالثَّفَنَاتُ : جَمْعُ ثَفْنَةٍ .
وَهِيَ الرُّكْبَةُ . . . وَهَنَّاكَ مِنْ غَيْرِ الْخَوَارِجِ « ذُو الثَّفَنَاتِ » زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ
عَلِيٍّ وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « شَرِيحُ بْنُ أَوْفَى » .

(٣) اشْخَصُوا : افْهَمُوا .

(٤) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) ، وَفِي (ك) : « مَر » .

مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبُّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ
تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)

قال : وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي ، فأتبعه أبوه
ليرده فلم يقدر عليه ، فانتهى إلى المدائن ثم رجع .

وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل على المدائن يُحذِّره
أمرهم ، فحذّر ، وأخذ أبواب المدائن ، وخرج في الخيل ، واستخلف
بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد ، وسار في طلبهم فأخبر عبد الله
ابن وهب خبره ، فترك طريقه وسار على بغداد ، ولحقهم سعد بن
مسعود بالكرج في خمسمائة فارس عند المساء ، [فانصرف إليهم
عبد الله في ثلاثين فارسا ، فاقتتلوا ساعة] (٢) وامتنع القوم منهم ،
وقال أصحاب سعد لسعد . « ماتريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم
أمر ، خلّهم فليذهبوا ، واكتب إلى أمير المؤمنين ، فإن أمرك باتباعهم
فاتّبعهم ، وإن كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك » فأبى عليهم ،
فلما جنّ عليهم الليل عبّر عبد الله بن وهب دجلة إلى أرض جَوْخَى (٣) ،
وسار إلى النهروان ، فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه .

وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم ،
فردّهم أهلهم كرها ، منهم القَعْقَاع بن قيس الطائي عم الطَّرمَاح
ابن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي .

(١) الآيتان ٢١ ، ٢٢ من سورة القصص .

(٢) سقطت هذه الجملة من النسخة (ك) ، وجاءت في (ن) والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٠
وتاريخ ابن جرير ج ٤ ص ٥٦ .

(٣) جَوْخَى مقصور الآخر مع فتح الجيم أَوْضَمَهَا : نهر عليه كورة واسعة في سواد
بغداد .

قال : ولما خرجت الخوارج من الكوفة آتياً علياً أصحابه وشيعته فبايعوه ، وقالوا : نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت . فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل ، وجعلوا عليهم مسعربن فدكبي التميمي ، فعلم بهم ابن عباس ، فأتبعهم أبيا الأسود الدؤلي ، فلحق بهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأذلق^(١) مسعرباً أصحابه ، وسار حتى لحق بعبد الله ابن وهب .

قال : ولما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الأشعري إلى مكة ، وردَّ عليُّ ابن عباس رضي الله عنهما إلى البصرة ، قام عليُّ بالكوفة خطيباً فقال : « الحمد لله وإن آتى الدهر بالخطب الفادح والحديثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أما بعد ، فإن المعصية تورث الحسرة ، وتُعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمرى ، ونَحَلْتُكُمْ^(٢) رأيي ، لو كان لقصير^(٣) أمر ، ولكن أبيتم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخوه أوزان^(٤) : أمرتهمو أمرى بمنعرج اللوى^(٥) فلم يستعينوا الرشيد إلا ضحى الغد

(١) أذلق : سار بالليل .

(٢) نَحَلْتُكُمْ : أعطيتكم .

(٣) هو قصير بن سعد صاحب جذيمة الأبرش ، وله قصة مع الزباء ذات أمثال ، والمثل المراد هنا : « لا يطاع لقصر أمر » .

(٤) أخوه أوزان هو دريد بن الصمة ، والبيت من قصيدته الدالية الطويلة التي رثي بها أخاه عبيد الله ، وقد سبق ذكر دريد وقصيدته .

(٥) منعرج اللوى : منهطف الرمل .

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حَكَمَيْن ، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هُدى من الله ، فحكمما بغير حُجَّة بينة ولا سُنَّة ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشُداً ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح^(١) المؤمنين ، استعبدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام ، وأصبحوا في معسكرهم إن شاء الله يوم الاثنين . ثم نزل .

وكتب إلى الخوارج بالنَّهْرَوَان : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زيد بن حصن وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس ، أمَّا بعدُ فإن الرجلين اللذين ارتضينا حَكَمَيْن قد خالفا كتاب الله تعالى ، واتبعا أهواءهما بغير هُدى من الله ، فلم يعملوا بالسُنَّة ، ولم يُنفِذا للقرآن حكما ، فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون ، فإذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا ، فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذي كنَّا عليه . »

فكتبوا إليه : « أمَّا بعدُ فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين . »

فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس [حتى يناجز أهل الشام] ^(٢) فقام في أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أمَّا بعدُ فإنه من ترك الجهاد في الله ودأهَن في أمره كان

(١) كذا جاء في النسخة (ك) . وجاء في (ن) : « وصالحو » .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) وسقطت من (ك) .

على شفاهاً ملكة ، إلا أن يتداركه الله بنعمته ، فاتقوا الله تعالى ، وقَاتِلُوا من
حَادَّ الله ، وحاول أن يطفئ نور الله ، وقَاتِلُوا الخاطئين الضالين القاسطين ،
الذين ليسوا بقرءاء القرآن ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء بالتأويل ،
ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو وُكِّوا عليكم لعملوا
فيكم بأعمال كِسْرَى وهِرْقُل ، تيسروا ^(١) للمسير إلى عدوكم من أهل
المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ،
فإذا اجتمعتم شخصنا إن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وكتب إلى ابن عباس رضى الله عنه : « أَمَا بَعْدُ فَإِنَّا خَرَجْنَا
إِلَى مَعْسَكِرْنَا بِالنُّخَيْلَةِ ، وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ،
فاشخص إلى الناس حتى يأتيك رسولى ، وأقم حتى يأتيك أمرى ،
والسلام عليك . »

فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس ، وندبهم مع الأحنف ابن
قيس ، فشخص ألف وخمسمائة ، فخطبهم ^(٢) وقال : « يَا أَهْلَ
البصرة ، أتانى كتاب أمير المؤمنين ، فأمرتكم بالنفير ^(٣) إليه ،
فلم يشخص منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم ستون ألف مقاتل مِوْى
أبنائكم وعبيدكم . أَلَا انْفِرُوا مع جارية ^(٤) بن قدامة السعدي ،
ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلا ، فأئني موقع بكل من وجدته متخلفا

(١) تيسروا : تهبوا .

(٢) ذكر ابن جرير في روايته لسبب الخطبة ج ٤ ص ٨٠ أن ابن عباس استقبلهم ، وأداهم قليلا .

(٣) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : « بالنفر » .

(٤) وقع في المخطوطة « حارثة » بالحاء المهملة ، والصواب « جارية » كما نص عليه
بالجيم ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١١٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ وله ترجمة في حرف الجيم من
من الاستيعاب ج ١ ص ٢٤٥ وأمد الناية ج ١ ص ٢٦٣ والإصابة ج ١ ص ٢١٨ .

عن دعوته ، عاصيا لإمامه ، فلا يُلَوَّمَن رجل إلا نفسه » . فخرج جارية واجتمع إليه ألف وسبعمائة ، فوافوا عليا وهم ثلاثة آلاف ومائتان .

فجمع على رضى الله عنه رموس أهل الكوفة ورموس الأشباع ^(١) ووجوه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « يا أهل الكوفة ، أنتم إخواني وأنصارني وأعواني على الحق ، وأصحابي إلى جهاد المخلين ^(٢) ، بكم أضرب المُنْذِر ، وأرجو تمام طاعة المُقْبِل ، وقد استنفرت أهل البصرة ، فأُتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان ، فليكتب لي رئيس كل قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة [وأبناء المقاتلة] ^(٣) الذين أدركو القتال ، وعُبدان عشيرته ومواليهم ، ويرفع ذلك إلينا .

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعا وطاعة ، أنا أول الناس أجاب بما طلبت . وقام معقل بن قيس ، وعدي بن حاتم ، وزباد بن خصفة ، وحجر بن عدي ، وأشراف الناس والقبائل ، فقالوا مثل ذلك ، وكتبوا له ما طلب ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم [ومواليهم] ^(٤) أن يخرجوا معهم ، فرفعوا له أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الأبناء ممن أدرك ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ، فكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفا ، سوى أهل البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل .

(١) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨١ : « وكانت الكوفة يومئذ أسباعا وأسباع جمع سبع بضم السين ، وقد مضت الإشارة إلى هذا فيما سبق .

(٢) (المخلين) جاء بالحاء المعجمة في (ك) ، وبالحاء المهملة في (ن) ، وقد سبقت الإشارة إلى مثل هذا .

(٣) ثبتت هذه العبارة في (ن) . وسقطت من (ك) .

(٤) الزيادة من ابن جرير الطبري ، ويأتي ما يناسبها .

وكتب إلى سعد بن مسعود بالمداخن يأمره بإرسال من عنده من المقاتلة ، وبلغ علياً رضي الله عنه أن الناس يقولون : « لوساربنا إلى قتال هذه الحرورية فإذا فرغنا منهم توجهنا إلى قتال المخليين » . فقال لهم : « بلغني أنكم قلتم كَيْتَ وكَيْتَ ! وإن غير هؤلاء الخارجيين أهم إلينا ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم ، كيما^(١) يكونوا جبارين ملوكا ، ويتخذوا عباد الله خولا .. »

فناداه الناس أن سربنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت . وقام إليه صيفى بن نُسَيل^(٢) الشيباني فقال : « يا أمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نعادي من عاداك ، ونشايع من أناب إلى طاعتك ، فسرربنا إلى عدوك من كانوا وأينما كانوا ، فإنك إن شاء الله لن تؤثني من قلة عدد ، ولا ضعف نية أتباع » . وقام إليه محرز بن شهاب التميمي فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن قلب شيعتك كقلب رجل واحد في الاجتماع على نصرتك ، والجد في جهاد عدوك ، فأبشر بالنصر ، وسرربنا إلى أي الفريقين أحببت ، فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب ، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال .. »

وأجمع على المسير [على]^(٣) إلى الشام ، فشغله عن ذلك أمر الخوارج وقتالهم على ما ذكره .

(١) كذا جاء في النسخة (ن) ، ووقع في النسخة في (ك) : « كما » .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وعند الطبري : « فسيل » .

(٣) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

ذكر قتال الخوارج

قيل : كان سبب ذلك أن الخوارج من البصرة لما دنوا من من النهروان رأوا رجلا يسوق بامرأة على حمار ، فدعوه وانتهروه فافزعوه ، وقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا له : أفزعناك ! قال : نعم قالوا لاروع عليك ، حَدَّثْنَا عن أبيك حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا به ، فقال : حَدَّثَنِي أَبِي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : تكون فتنة يموت فيها قلبُ الرجل كما يموت فيها بدنه ، يُمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ، ويصبح مؤمنا ويُمسي كافرا ، قالوا : لهذا الحديث سألتك ، فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فَأُثِنِي عليهما خيرا . فقالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محققا في أولها وآخرها ، قالوا : فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : أقول إنه أعلمُ بالله منكم ، وأشدُّ توقيفا على دينه ، وأنفذ بصيرة . قالوا : إنك تتبع الهوى وتوالى الرجال على أسمائها لأعلى أفعالها ، والله لنقتلنك قِتْلَةً ماقتلناها أحدا ، فأخذوه وكتفوه ، ثم أقبلوا بامرأته وهي حُبْلَى مُتِمٌّ (١) حتى نزلوا تحت نخل مَوَاقِر ، فسقطت رُطْبَةٌ ، فأخذها أحدهم فتركها في فيه ، فقال له آخر : أَخَذْتُهَا بغير حلها وبغير ثمن . فألقاها ، ثم مر بهم خنزير لأهل الذمة ، فضربه أحدهم بسيفه ، فقالوا له : هذا فساد في الأرض . فليَقَى صاحب الخنزير فأرضاه . فلما رأى عبد الله

(١) حبل مَم : قرية الوضع .

ابن خَبَاب ذلك منهم قال : « إن كنتم صادقين فيما أَرَى فما على منكم من بُأس ، إني مسلم ما أحدثتُ في الإسلام حدثاً ، ولقد أمنتُموني ، فقتلتم : لأرُوع عليك » فأضجعوه فذبحوه ، وأقبلوا إلى المرأة فقالت : أنا امرأة ، ألا تتقون الله . فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طييء ، وقتلوا أُم سنان الصيداوية .

فلما بلغ علياً رضي الله عنه ذلك بعث إليهم الحارث بن مُرة العبدى ليأتيهم ، وينظر ما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه ، فلما دنا منهم يسألهم قتلوه . وأتى الخبر إلى علي ، فقال له الناس : « يا أمير المؤمنين علام نَدَع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا ! سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام » . فأجمع على رضي الله عنه على ذلك ، وخرج وسار إليهم . فأرسل إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب ، فلعل الله يقبل بقلوبكم ^(١) ، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه [من أمركم] ^(٢) فقالوا : كلنا قتلهم ، وكلنا مُستحلٌ لدمائكم ودمائهم . فراسلهم مرة بعد أخرى .

وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة ، فكلّمهم ونصحهم ، وأشار عليهم بالمراجعة والدخول فيما خرجوا منه ، فأبَوْا . وخطبهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه وحذّرهم تعجيل الفتنة . وأتاهم على رضي الله عنه فكلّمهم ووعظهم وذكرهم . فتنادوا : « لاتخاطبوهم

(١) كذا جاء في المخطوطة . مثل الكامل لابن الأثير ، وجاء في ابن جرير الطبري

« يقبل قلوبكم » .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) . وسقطت من (ك) .

ولانكلموهم ، وتهيئوا للقاء الله ، الروح الروح إلى الجنة ، .
فعاد علىّ عنهم .

ثم إن الخوارج قصدوا الجسر ، فقال أصحاب علىّ له : إنهم
عبروا النهر ، فقال : لن يعبروه ، فأرسلوا طليعة ، فعاد . وأخير^(١)
أنهم عَبَرُوا النهر ، وكان بينهم وبينه عَظْفَةٌ من النهر ، فلخوف
الطليعة منهم لم يقربهم فعاد ، فقال : قد عبروا النهر . فقال علىّ رضى
الله عنه : « والله ماعبروه ، وإن مصارعهم لدون الجسر ، والله لا يُقْتَلُ
منكم عشرة ، ولا يَسْلَمُ منهم عشرة » . وتقدم علىّ إليهم فرآهم عند الجسر
لم يعبروه ، وكان الناس قد شكَّوا في قوله وارتاب به بعضهم ، فلما
رأوهم لم يعبروا كَبَرُوا وأخبروا عليّاً رضى الله عنه بحالهم ، فقال
والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ .

ثم عبأ أصحابه ، فجعل على ميمينته حُجْر بن عديّ ، وعلى ميسرته
شَبِث بن رِبْعَى أو مَعْقِل بن قَيْس الرِّياحى ، وعلى الخيل أبا أيوب
الأنصارى رضى الله عنه ، وعلى الرُّجالة أبا قتادة الأنصارى رضى الله
عنه ، وعلى أهل المدينة - وهم سبعمائة أو ثمانمائة . قيس بن سعد
ابن عُبادة رضى الله عنه .

وعبأت الخوارج فجعلوا على ميمينتهم زيد بن حصن الطائى ، وعلى
الميسرة شُرَيْح بن أَبَى أَوْفَى العبسى ، وعلى خيلهم حمزة بن سنان
الأسدى ، وعلى رجالتهم حُرْقُوص بن زُهَيْر السَّعْدَى .

وأعطى علىّ رضى الله عنه أبا أيوب الأنصارى راية أمان ، فناداهم

(١) كذا جاء في النسخة (ن) وهو المناسب لما يأتي بعده ، وفي النسخة (ك) : . فعادوا
وأخبروا . .

أبو أيوب فقال : « من جاء هذه الراية فهو آمن ممن لم يقتل ولم يتعرض ، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، لاحاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دماءكم » . فقال قروة بن نوفل الأشجعي : « والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليا ؟ : أري أن أنصرف حتى تتضح لي بصيرتي في قتاله ، أو أتابعه » . فانصرف في خمسمائة فارس ، حتى نزل البندنجين^(١) والدشكرة ، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة .

وخرج إلى علي رضي الله عنه نحو مائة ، وكان الخوارج في أربعة آلاف ؛ فبقى مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة ، فزحفوا إلى علي رضي الله عنه وكان قد قال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤكم . فتنادوا . الرواح إلى الجنة . فحملوا على الناس فافتרכת خيل علي فرقتين : فرقة نحو الميمنة ، وفرقة نحو الميسرة : فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل ، وعظفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا أن أناموهم ، فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه أن انزلوا ، فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس ، وجاءتهم الخيل من نحو علي فأهلكوا في ساعة ، فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا .

قال : وأخذ علي مائتي عسكرهم من شيء ، فأما السلاح والدواب

(١) كذا جاء عند الطبري وابن الأثير وياقوت وغيرهم . قال ياقوت : هي بلدة مشهورة في طرف البهروان من ناحية الجبل . وفي المخطوطة : « البندجين » .

وما شهَرَ^(١) عليه فقسمه بين المسلمين ، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه رده على أهله حين قدم .

وطاف عدي بن حاتم في القتل على ابنه طرفة ، فدفنه ، ودفن رجال قتلاهم ، فقال على حين بلغه ذلك تقتلونهم ثم تدفنونهم ! ارتحلوا . فارتحل الناس ولم يُقتل من أصحاب على إلا سبعة ؛ منهم يزيد بن نوبرة وله صحبة^(٢) وسابقة .

وهؤلاء الخوارج هم الذين ورد في أمرهم في الصحيح [الحديث]^(٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن قوما يخرجون يَمْرُقُونَ من الدين كما يَمْرُق السهم من الرمية^(٤) علامتهم رجل مُخْدَج اليد^(٥) » فالتمسه على في القتل فوجده ، فنظر في عضده فإذا لحم مجتمع كئدي المرأة ، وحلّمة عليها شَعَرَات سُود ، فإذا مُدَّت امتدت حتى تُحَاذِي يده الطولي ، ثم تُترك فتعود إلى مَنْكِبِهِ . وكان على رضى الله عنه يحدث الناس بهذا الحديث قبل وقعة الخوارج^(٦) .

(١) كذا جاء في المخطوطة ، مثل ما في الكامل لابن الأثير : وجاء في تاريخ الطبري « وما شهدوا به عليه الحرب » .

(٢) انظر الاستيعاب ج ٣ ص ٦٥٥ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٢٢ والإصابة ج ٣ ص ٦٦٤ .

(٣) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) وسقطت من (ك) .

(٤) أي يجوزونه ويخزونه ويمتلونه كما يخرق السهم الشيء المرمى به ويخرج ت .

(٥) مخدج اليد : ناقص اليد .

(٦) انظر في صحيح البخاري « كتاب استتابة المرتدين » ومن أبوابه « باب قتل الخوارج والملاحين بعد إقامة الحجة عليهم » و « باب من ترك قتال الخوارج لتألف وأن ينفر الناس عنه » وقد روى بسنده عن علي رضى الله عنه الحديث « سيخرج قوم . » وروى أيضا بسنده عن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما « أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا أدري ما الحرورية ؟ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم »

وقيل كانت هذه الواقعة في سنة ثمان وثلاثين .

قال : ولما فرغ على رضى الله عنه من هذه الواقعة حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله قد أحسن بكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم . قالوا : « يا أمير المؤمنين ، نفدت سهامنا ، وكلفت سيوفنا ، ونصّلت ^(١) أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا ^(٢) ، فارجع إلى مصرنا . فلنستعد [بأحسن عدتنا] ^(٣) . ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا فإنه أقوى لنا على عدونا » . وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس ،

فأقبل حتى نزل النخيلة ، فأمر الناس أن يلزوا عسكرهم ، ويوطّنوا على الجهاد لعدوهم أنفسهم ، وأن يقلوا زيارة آبائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم . فأقاموا فيه أياما ثم تسلّوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجلا من وجوه الناس وترك العسكر خاليا . فلما رأى على ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رآيه في المسير . وخطبهم مرة بعد أخرى ، وحشّهم على الخروج إلى الشام فلم يتهيبا له ذلك . وحيث

= وسلم يقول: يخرج في هذه الأمة - ولم يقل : منها - قوم تحقرون صلاحكم مع صلاحهم يقرءون القرآن لا يجاوز حلقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » وروى أيضا بسنده عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال (. . . آيتهم رجل إحدى يديه أوقال ثديه مثل ثني المرأة أوقال مثل الیضة تدور ، يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد : أشهد أني سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه ، جىء بالرجل على التمت الذي تمته النبي صلى الله عليه وسلم » وانظر حديث (ذي التدية) عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٥ وانظر في النهاية ولسان العرب شرحه في المواد : خ د ج ، ودن ، ث دن ، ث دى ، م وق ، رمى ، دودر .

(١) نصّلت : غرجت .

(٢) قصدا : قطعا .

(٣) الزيادة من رواية ابن جرير الطبري .

ذكرنا أخبار الخوارج فلنذكر أخبار من خرج بعد أصحاب النهروان .
والله الموفق للصواب .

ذكر أخبار من خرج بعد أصحاب النهروان

قال : ولما قُتِلَ أهلُ النهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني على رضى الله عنه بالدممكة في مائتين ، ثم سار إلى الأنبار فوجه إليه على رضى الله عنه الأبرش بن حسان في ثلثمائة فواقعه ، فقتل الأشرس في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين .

ثم خرج هلال بن علقمة^(١) من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد ، فأتى ماسبذان ، فوجه إليه على معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين ، وكان قتلهم في جمادى الأولى منها .

ثم خرج الأشهب بن بشر ، وقيل الأشعث ، وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلا ، فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلى عليهم ، ودفن من قدر عليه منهم ، فوجه على إليه جارية بن قدامة السعدي ، وقيل حُجر بن عدى ، فاقتتلوا بجرجرايا^(٢) من أرض جوحى فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة منها .

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي من تيم الله بن ثعلبة في شهر رجب بالبندبيجين ومعه مائتا رجل ، فأتى دزرجان^(٣) وهى من المدائن

(١) ابن الأثير : « الكامل » ٣ ص ١٨٣ .

(٢) جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل ، بين واسط وبغداد من الجانب الشرق .

(٣) هكذا جاءت الكلمة في معجم البلدان لياقوت ، وقد وردت هذه الكلمة في النسخة (ن)

غير منقوطة الرابع والخامس ، وفي (ك) جعلناه فجيا ، وعند ابن الأثير جعلنا فوجيا .

على فرسخين ، فخرج إليهم مجيعدين^(١) مسعود فقتلهم في الشهر المذكور .

ثم خرج أبو مريم السعدي التميمي فأتى شهرذور وأكثر من معه من الموالي .

وقيل : لم يكن معه من العرب غير خمسة نفر ، واجتمع معه مائتا رجل ، وقيل : أربعمائة . وجاء حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة ، فأرسل على إليه يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة ، فلم يفعل ، وقال : ليس بيننا غير الحرب ، فبعث إليه شريح بن هاني في سبعمائة ، فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقي شريح في مائتين ، فأنحاز إلى قرية فرجع إليه بعض أصحابه : ودخل الباقون الكوفة ، فخرج على بنفسه ، وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي ، فدعاهم جارية إلى طاعة على وحذرهم القتل ، فلم يجيبوا ، ودعاهم على أيضا فأبوا عليه ، فقتلهم أصحاب على ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فأمّتهم . وكان في الخوارج أربعون رجلا [جرحى]^(٢) فأمر على بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برثوا . وكان قتلهم في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وثلاثين .

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٨ : « سعد بن مسعود » وقد سبق في هذا الجزء أنه كان « على سبع قيس سعد بن مسعود الثقفي » .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : (فراجع) .

(٣) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

ذكر خلاف الخريت بن راشد التميمي

وبني ناجية على علي رضي الله عنه وما كان من أمرهم

قال (١) وفي سنة ثمان وثلاثين أظهر الخريت بن راشد الناجي الخلاف على علي رضي الله عنه ، وكان قد شهد مع علي الجمل وصفيين في ثلثمائة من بني ناجية خرجوا إليه من البصرة ، وأقاموا معه بالكوفة إلى هذه السنة ، فجاء إلى علي في ثلاثين راكبا ، فقال له : « يا علي والله لا أطيع لك أمرا ، ولا أصلي خلفك ، وإني غدا مفارق لك » . فقال له علي : « ثكلتك أمك ! إذا تعصى ربك ، وتنكث عهدك ، ولا تضر إلا نفسك ؛ خبرني لم تفعل ذلك ؟ » قال : « إنك حكمت الرجال ، وضعت عن الحق ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا ، فأنا عليك زار وعليهم ناقم ، ولكم جميعا مبين » . فقال له علي : « هلم أدارسك الكتاب : وأناظرك في السنن ، وأفاتحك أمورا أنا أعلم بها منك ، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منك » . قال : فإني عائد إليك . قال : « لاتستهوينك الشياطين ، ولا يستخفنك الجهال : والله لئن استرشدتني وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد » . فخرج من عنده متصرفا إلى أهله ، وسار من ليلته هو وأصحابه .

فقال زياد بن خصفة البكري : « يا أمير المؤمنين ، إنه لم يعظم علينا فقدهم فنأسى عليهم ، إنهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا ، ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ، ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة

كثيرة ممن يقدمون عليه^(١) من أهل طاعتك ، فأذن لي في اتباعهم حتى أردّهم عليك . فقال : تدري أين توجهوا ؟ قال : لا ، ولكني أسأل وأتبع الأثر ، فقال له : اخرج برحمتك الله ، وأنزل دَيْرَ أَبِي موسى ، وأقم حتى يأتنيك أمرى .

فخرج زياد فأتى داره وجمع أصحابه من بكر وائل ، وأعلمهم الخبر فسار [معه]^(٢) منهم مائة وثلاثون رجلاً . فقال : حسبي . ثم سار فأتى دَيْرَ أَبِي موسى فنزله ينتظر أمر على .

وأتى عليا كتاب من قرظة بن كعب الأنصاري يخبره أنهم توجهوا نحو ، نِفَر^(٣) ، وأنهم قتلوا رجلاً من الدهاقين ، كان قد أسلم ، فأرسل على رضي الله عنه إلى زياد يأمره باتباعهم ويخبره خبرهم ، وأنهم قتلوا رجلاً مسلماً ، ويأمره بردهم إليه ، فإن أبوا يناجزهم . وسير الكتاب مع عبد الله بن وائل ، فاستأذنه في المسير مع زياد ، فأذن له ، وسار بالكتاب إلى زياد .

وساروا حتى أتوا نِفَرَ ، ففيل : إنهم ساروا نحو جَرْجَرَايا ، فتنبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمذاد^(٤) وهم نزول ، قد أقاموا يومهم وليالتهم واستراحوا ، فأتاهم زياد وقد تقطع أصحابه وتعبوا ، فلما رأوهم ركبوا خيولهم ، وقال لهم الخريت : أخبروني ماتريدون ؟ فقال له زياد - وكان مجرباً رفيقاً - : « قد تربي ما بنا من التعب ، والذي جئناك

(١) كذا جاء في المخطوطة ، مثل ما في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٨٨ ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٣ : « عليك » .

(٢) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) وسقطت من (ك) -

(٣) نفر : قرية بالمراق .

(٤) المذار : بلد بالمراق .

له لا يصلحه الكلام علانية ، ولكن ننزل ثم نخلو جميعا ، فنتذاكر أمرنا ، فإن رأيت ماجئناك به حظا لنفسك قبلته ، وإن رأينا فيما نسمع منك أمرا نرجو فيه العافية لم نرده عليك » . قال : فانزل . فنزل زياد ومن معه على ماء هناك ، فأكلوا شيئا وعلفوا دوابهم ، ووقف زياد في خمسة فوارس بين أصحابه وبين القوم وقال : **إِنَّ عِدَّتَنَا كِعِدَّتِهِمْ ، وَأَرَى أَمْرَنَا يَصِيرُ إِلَى الْقِتَالِ فَلَا تَكُونُوا أَعْجَزَ الْفَرِيقَيْنِ .** وخرج زياد إلى الخُرَيْتِ ، فسمعهم يقولون : **جاءنا القوم وهم كاللُّونَ تَعِيُونَ** فتركناهم حتى استراحوا ، هذا والله سوء الرأي . فدعا زياد وقال : **ما الذي نَقَمْتَهُ ^(١) عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَيْنَا حَتَّى فَارَقْتَنَا ؟** فقال : **« لَمْ أَرْضَ صَاحِبَكُمْ إِمَامًا ، وَلَا سِيرَتَكُمْ سِيرَةً ، فَرَأَيْتَ أَنْ أَعْتَزَلَ وَأَكُونَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشُّورَى »** . فقال له زياد : **« وهل يجتمع الناس على رجل يُدَانِي صَاحِبَكَ الَّذِي فَارَقْتَهُ عِلْمًا بِاللَّهِ وَسُنَّتِهِ وَكِتَابِهِ .** مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته في الإسلام ؟ **فَقَالَ [لَهُ] ^(٢) : « ذَلِكَ مَا قَالَ لَكَ »** . فقال له زياد : **فَقِيمَ قَتْلَكَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ ؟** قال : **« مَا أَنَا قَتَلْتُهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ (طَائِفَةٌ مِنْ) ^(٣) أَصْحَابِي .** قال : **فَادْفَعَهُمْ إِلَيْنَا .** قال : **« مَا إِلَيَّ ذَلِكَ سَبِيل .** فدعا زياد أصحابه ، ودعا الخُرَيْتِ أصحابه ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فتطاعنوا بالرماح حتى لم يبقَ رمح : وتضاربوا بالسيوف ، حتى انحنى ، وعُتِرَتِ عَامَةُ خَيْوَلِهِمْ ، وكثرت الجراحة فيهم ، وقتل من أصحاب

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : « نَقَمْتُ » .

(٢) ثُبِتَتِ الْكَلِمَةُ فِي (ن) وَسَقَطَتْ مِنْ (ك) .

(٣) ثُبِتَتِ هَذِهِ الْمُبَارَةُ فِي النسخة (ن) وَسَقَطَتْ مِنْ (ك) .

زياد رجلان ، ومن أولئك خمسة ، وجاء الليل فحجز بينهم ، وقد كره بعضهم بعضا ، وجرح زياد . فسار الخريت من الليل ، وسار زياد إلى البصرة .

وأناهم خبر الخريت أنه أتى الأهواز فنزل بجانب منها ، وتلاحق به ناس من أصحابه فصاروا نحو مائتين ، وكتب زياد إلى علي رضي الله عنه بخبرهم ، وأنه مقيم يداوي الجرحى وينتظر أمره .

فلما قرأ علي كتابه قام معقل بن قيس فقال : « يا أمير المؤمنين ، كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد عشرة ، فإذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم ، فأما أن يلقاهم عددهم فلعمري ليصبرن لهم ، فإن العدة تصبر للعدة » . فقال علي تجهز يامعقل إليهم ، وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن معقل^(١) الأزدي

وكتب علي إلى ابن عباس يأمره أن يبعث من أهل البصرة رجلا شجاعا معروفا بالصلاح في ألفي رجل إلى معقل ، وهو أمير أصحابه حتى يأتي معقلا ، فإذا لقيه كان معقل الأمير ، وكتب إلى زياد بن خصفة يشكره ويأمره بالعود .

قال : واجتمع على الخريت علوج كثير من أهل الأهواز أرادوا كسر الخراج ، ولصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه ، وطمع أهل الخراج [في كسره]^(٢) ، فكسروه ، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس

(١) كذا جاء في المخطوطة : وجاء في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٩٣ :

« المغفل » بالفتن المجمة والفاء ، وانظر مايتان ..

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٥ .

(وكان عادلاً لعليّ في قول من يزعم أنه لم يمت في سنة سبع وثلاثين) .
فقال ابن عباس لعليّ : أنا أكفيك فارس بزياد ، يعني ابن أبيه ،
فأمره بإرساله إليها ، فأرسله في جمع كثير ، فوطىء بلاد فارس ،
فأدوا الخراج واستقاموا .

قال : وسار معقل بن قيس ، وقدم الأهواز ، وأقام ينتظر مدد
البصرة ، فأبطلوا عليه ، فسار يطلب الخريّث ، فلم يسر يوماً حتى
أدركه المدد مع خالد بن معدان الطائي ، فساروا جميعاً فلحقوهم
بقرب جبل من جبال رامهرمز ، فصَفَّ معقل أصحابه ، فجعل على
مِئمنته يزيد بن المغفل^(١) ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبيّ من
أهل البصرة . وصَفَّ الخريّث أصحابه ، فجعل من معه من العرب مِئنةً ،
ومن معه من أهل البلد والعُلُوج^(٢) ميسرة ومعهم الأكراد ، فحرَّكَ
معقل دابّته^(٣) مرتين ، ثم حمل في الثالثة ، فصبروا له ساعة ثم
انهزموا ، فقتل أصحاب معقل منهم سبعين من بني ناجية ومن
معه من العرب ، وقتلوا نحواً من ثلاثمائة من العُلُوج والأكراد .

وانهزم الخريّث فلحق بأسيايف البحر وبها جماعة كبيرة من قومه ،
فمازال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ ، ويخبرهم أن الهدى في
حربه ، حتى اتبعه منهم ناس كثير .

وأقام معقل بأرض الأهواز ، وكتب إلى عليّ رضي الله عنه بالفتح
فقرأ عليّ الكتاب على أصحابه واستشارهم ، فقالوا كلهم : نرى

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي النسخة (ن) : « معقل » ، وانظر سابق .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : « العُلُوج » دون واو قبلها .

(٣) كذا جاء في المخطوطة ، وجله في الكامل : « رأسه » ، وفي تاريخ الطبري
« رايته » .

أَنْ تَأْمُرَ مَعْقِلًا يَتَّبِعَ آثَارَ الْفَاسِقِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَنْفِيَهُ ، فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ النَّاسُ . فَكُتِبَ إِلَى مَعْقِلٍ يُثْنَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِاتِّبَاعِهِ وَقَتْلِهِ أَوْ نَفْيِهِ .

فَسَأَلَ مَعْقِلٌ عَنْهُ فَأَخْبَرَ بِمَكَانِهِ بِالْأَسْيَافِ ، وَأَنَّهُ قَدْ رَدَّ قَوْمَهُ عَنْ طَاعَةِ عَلِيٍّ وَأَفْسَدَ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَمَنَائِرِ الْعَرَبِ . وَكَانَ قَوْمُهُ قَدْ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ عَامَ صَرَفَيْنَ وَذَلِكَ الْعَامَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مَعْقِلٌ وَأَخَذَ عَلَى فَارِسٍ فَانْتَهَى إِلَى أَسْيَافِ الْبَحْرِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْخَرِيتَ بِمَسِيرِهِ قَالَ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِجِ : أَنَا عَلَى رَأْيِكُمْ وَإِن عَلِيًّا لَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ . وَقَالَ لِلْآخَرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ : إِنَّ عَلِيًّا حَكَمَ وَرَضِيَ فَخَلَعَهُ حَكْمُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ . وَقَالَ بَسْرًا لِلْعُمَانِيَةِ . أَنَا وَاللَّهُ عَلَى رَأْيِكُمْ ، قَدْ وَاللَّهِ قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُومًا . فَأَرْضَى كُلُّ صَنَفٍ مِنْهُمْ . وَقَالَ لِمَنْ مَنَعَ الصَّدَقَةَ : شُدُّوا أَيْدِيَكُمْ عَلَى صِدْقَاتِكُمْ ، وَصَلُّوا بِهَا أَرْحَامَكُمْ ، وَكَانَ فِيهَا نَصَارَى كَثِيرٌ قَدْ أَسْلَمُوا ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ قَالُوا : وَاللَّهِ لَدِينِنَا الَّذِي خَرَجْنَا مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِ هَؤُلَاءِ الَّذِي لَا يَنْهَاهُمْ دِينُهُمْ عَنْ سَفَكِ الدَّمَاءِ ، فَقَالَ لَهُمُ الْخَرِيتُ ، وَيْلَكُمْ ^(١) ، لَا يُنْجِيَكُمُ مِنَ الْقَتْلِ إِلَّا قِتَالُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَالصَّبْرُ ، فَإِنَّ حَكْمَهُمْ فِيمَنْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ أَنْ يُقْتَلَ وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ تَوْبَةً وَلَا عُذْرًا . فَخَدَعَهُمْ وَجَمَعَهُمْ وَأَتَاهُمْ مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي نَاجِيَةٍ وَغَيْرِهِمْ خَلَقَ كَثِيرٌ .

فَلَمَّا انْتَهَى مَعْقِلٌ إِلَيْهِ نَصَبَ رَايَةَ أَمَانَ ، وَقَالَ : « مَنْ أَتَاهَا مِنَ النَّاسِ فَهُوَ آمِنٌ إِلَّا الْخَرِيتَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ حَارَبُونَا أَوَّلَ مَرَّةٍ » . فَتَفَرَّقَ عَنِ الْخَرِيتَ جُلٌّ مِنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ . وَعَبَّأَ مَعْقِلٌ

(١) كَلَّمَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) ، وَفِي (ن) : « وَيَحْكُمُ » .

أصحابه ، وزحف بهم نحو الخُرَيْتِ ومعه أصحابه مسلمهم ونصرانيهم
ومانع الزكاة منهم ، وحرّض كلُّ واحد منهما أصحابه ، ثم حمل
مُعقل ومن معه فقاتلوا قتالاً شديداً وصبروا ، ثم إن النُّعمان بن
صُهَيْبان [الراسبي] ^(١) بصُرَّ بالخُرَيْتِ ، فحمل عليه فطعنه ، فصُرَّ
عن دابته ، ثم اختلفا ضربتين ، فقتله النُّعمان ، وقتل معه في
المعركة سبعون ومائة رجل ، وذهب الباقون يميناً وشمالاً ، وسبى
مُعقل من أدركه من حريمهم وذرائعهم ، وأخذ رجالاً كثيراً ،
فأما من كان مسلماً فخلّاه وأخذ بيعته وترك له عياله ، وأما من كان
ارتدّ فعرض عليهم الإسلام ، فرجعوا ، فخلّى سبيلهم وسبيل عيالهم ،
إلا شيخاً نصرانياً منهم يقال له الرَّماحِس لم يُسلم فقتله .

وجمع من منع الصدقة ، وأخذ منهم صدقة عامين .

واحتمل الأسارى وعيالهم وأقبل بهم ، وشيعهم المسلمون ، فلما
ودّعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم إلى بعض حتى رحمهم الناس .
ثم مرّ بهم حتى أقبل على مَصْقَلَةِ بن هُبَيْرَةَ الشَّيباني ، وهو عامل على
على أَرْدَشِير ^(٢) خُرّة ، وهم خمسمائة إنسان ، فبكى النساء والصبيان
وصاح الرجال : « يا أبا الفضل ، يا حامي الرجال ، ومأوى العُصب ^(٣) »
وفكّك العُناة ^(٤) ، امنن علينا فاشترينا وأعتقنا . فقال مَصْقَلَةُ :
أقسم بالله لأنتصدقن عليكم إن الله يجزي المتصدقين ^(٥) . فاشتريهم

(١) الزيادة جاءت في النسخة (ن) وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) أَرْد شير خره : اسم كورة من أعظم كور فارس : وهو اسم مركب معناه : بهاء
أَرْد شير ، وأَرْد شير ملك من ملوك الترس .

(٣) العُصب : جمع الأعصب ، وهو من لا ناصر له .

(٤) العُناة : جمع العاني ، وهو الأسير .

(٥) مأخوذ من الآية ٨٨ في سورة يوسف .

من مَعْقِلٍ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ : عَجِّلِ الْمَالَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
فَقَالَ أَنَا بَاعْتُ الْآنَ بَعْضَهُ ثُمَّ [أَبْعَثْ كَذَلِكَ] ^(١) حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ
شَيْءٌ ، وَأَقْبَلِي مَعْقِلٌ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبِرَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فَاسْتَحْسَنَهُ .
وَبَلَغَ عَلِيًّا أَنَّ مَضْقَلَةَ أَعْتَقَ الْأَسَارِي وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ أَنْ يُعِينُوهُ بِشَيْءٍ ،
فَقَالَ : مَا أَظُنُّ مَضْقَلَةَ إِلَّا قَدْ تَحْمِلُ حَمَالَةً سَتَرُونَهُ عَنْ قَرِيبٍ مِنْهَا
مُبِلْدًا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِحَمْلِ الْمَالِ أَوْ يَحْضُرُ عِنْدَهُ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ ، وَحَمَلَ مِنْ
الْمَالِ مِائَتِي أَلْفٍ .

قَالَ ذُهْلُ بْنُ الْحَارِثِ : فَاسْتَدْعَانِي مَضْقَلَةَ لَيْلَةَ فَطَعَمْنَا ، ثُمَّ قَالَ :
إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُنِي هَذَا الْمَالَ ^(٢) وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ :
وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ مَا مَضَتْ جُمُعَةٌ حَتَّى تَحْمِلَهُ . فَقَالَ : « وَابْنُ مَا كُنْتُ
لَأُحْمِلَهَا قَوْمِي ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ هُنْدَ ^(٣) مَا طَالَبَنِي بِهَا ، وَلَوْ كَانَ ابْنُ
عَفَّانَ لَوْهَبَهَا لِي » . قَالَ فَقُلْتُ : إِنْ هَذَا لَا يَرَى ذَلِكَ الرَّأْيَ ، لَا يَتْرَكَ
مِنْهَا شَيْئًا . فَهَرَبَ مَضْقَلَةَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَلَحِقَ بِمَعَاوِيَةَ .

وَبَلَغَ عَلِيًّا ذَلِكَ فَقَالَ : مَا لَهُ أَقْرَحَهُ اللَّهُ ! فَعَلَّ فِعْلَ السَّيِّدِ وَقَرَّرَ فِرَارَ
الْعَبِيدِ ، وَخَانَ خِيَاظَةَ الْفَاجِرِ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ أَقَامَ فَعَجَزَ مَا زِدْنَا عَلَى دِينِهِ ^(٤) ،
فَإِنْ وَجَدْنَا ^(٥) لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَاهُ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُ » . ثُمَّ سَارَ عَلِيٌّ إِلَى دَارِهِ
فَهَدَمَهَا ، وَأَجَازَ عِتْقَ السَّبْيِ ، وَقَالَ : أَعْتَقْتُهُمْ مُبْتَاغِيَهُمْ وَصَارَتْ أَعْمَانُهُمْ
دِينَنَا عَلَى مُعْتَقَتِهِمْ .

(١) زيادة تؤخذ من ابن جرير ، وفي المخطوطة : « لذلك » .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) ، وفي النسخة (ك) : « فلا » .

(٣) ابن هند : معاوية بن أبي سفيان .

(٤) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : « حبه » .

(٥) كذا جاء في النسخة (ن) ، وفي (ك) : « تها » .

وكان أخوه نعيم بن هُبَيْرَة شيعَة لعلّى ، فكتب إليه مَصْقَلَة من الشام مع رجل من نصارى تَغْلِب ، اسمه حُلْوَان يقول له : « إن معاوية قد وعدك الإمارة والكرامة ، فأقبل ساعة يلقاك رسولى والسلام [عليك] ^(١) » فأخذه مالك بن كعب الأرحبى فسرّحه إلى على رضى الله عنه ، فقطع على يده ، فمات . وكتب ^(٢) نعيم إلى أخيه يلومه على لحاقه بالشام ، ومافعله من هربه .. وأتاه ^(٣) التغلبيون فطلبوا منه دية أصحابهم فودّاه لهم . وقال مَصْقَلَة :

لَعَمْرى لَشَن عاب أهل العراق على انتعاش بنى ناجية
لأعظم من عتقهم رقهم وكفى بعقهمو حالية ^(٤)
وزايدت فيهم لإطلاقهم وغاليت إن العلا غالية ^(٥)
وحيث ذكرنا من أخبار على ما قدمناه ، فلنذكر ماوقع في مدة خلافته خلاف ذلك على حكم السنين .

(١) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

(٢) انظر الشعر الذى كتبه نعيم إلى أخيه في تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٠٤ والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٧ .

(٣) أى أتى التغلبيون مصقلة ، لأنه الذى بعث التغلب فكان سببا في هلاكه .

(٤) كنا جله في النسخة (ن) ، وفى (ك) : « عليه » .

(٥) كنا جله في النسخة (ن) ، وفى (ك) « وغاليت إن العلا عالية » .

ذكر ما اتفق في مدة خلافته

رضى الله عنه

خلاف ما قدمنا ذكره على حكم السنين بما هو متعلق به خاصة ،
خلاف ما هو مختص بمعاوية فإننا نذكره في أخباره إن شاء الله تعالى
سنة ست وثلاثين

ذكر ولاية قيس بن سعد مصر

وما كان بينه وبين معاوية من المكاتبه وما أشاءه معاوية عنه
حتى عزله على رضى الله عنه عن مصر واستعمل محمد بن أبي بكر
الصديق رضى الله عنهما .

قال : وفي سنة ست وثلاثين في ثالث صفر بعد ، على رضى
الله عنه قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر ، وقال له : « سر
إلى مصر قد وُكِّيتُكها واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ومن
أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أَرعبُ لعدوك
وأعزُّ لوليك ، وأحسن ^(١) إلى المحسن ، وأشدُّ على المريب ، وارفُق
بالعامَّة والخاصَّة ، فإن الرفق يُمن » . فقال له قيس : « أما قولك أخرج
إليها بجند فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند آتيتها به من المدينة لا أدخلها
أبداً ، فأنا أدع ذلك الجند لك ، فإن كنت احتجت إليهم كانوا قريباً
منك وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عُدة » .

وخرج قيس حتى دخل مصر ^(٢) في سبعة من أصحابه كما ذكرنا
ذلك . ولما قدم صعد المنبر وجلس عليه ، وأمر بكتاب على رضى الله عنه
فقراء على أهل مصر بإمارته عليهم ، وبأمرهم بمتابعته ومساعدته

(١) كما جاء في النسخة (ن) ، وفي (ك) : « فالحسن » .

(٢) في النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٦ أنه وصل إليها في مستهل شهر ربيع الأول

وإعانتة على الحق . ثم قام قيس فقال : « الحمد لله الذي جاء بالحق ، وأمات الباطل وكبّت الظالمين ، أيها الناس : إنا قد بايعنا خيراً من نعلم بعد نبينا ، فقوموا أيها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن نحن لم [نفعل] ^(١) لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم » . فقام الناس فبايعوه .

واستقامت مصر ، وبعث قيس عليها عمّالَه إلا قرية يقال لها خربتاً ^(٢) فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان ، عليهم رجل من بني كنانة ثم من بني مُذَلِّج اسمه يزيد بن الحارث . وكان مُسَلِّمة بن مُخَلَّد أيضاً قد أظهر الطلب بِدَمِ عُثْمَانَ ، فأرسل إليه قيس : « ويحك ! أعلّ تَنِيب ؟ ! فوالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأنى قتلتك » . فبعث إليه مُسَلِّمة : « إني كاف عنك مادمت أنت وإلى مصر . وبعث قيس إلى أهل خربتاً إني لا أكرهكم على البيعة ، وإني أكف عنكم . فهاذهم وجبى الخراج ، ليس أحد ينازعه .

فكان قيس أثقل خلق الله على معاوية ، لقربه من الشام ومخافة أن يُقبِلَ على أهل العراق ، وقيس في أهل مصر ، فيقع بينهما ؛ فكتب معاوية إلى قيس : « سلام ^(٣) عليكم ؛ أما بعد ؛ فإنكم نَقَمْتُم ^(٤) على عثمان ضربة بسوط ، أو شتمة لرجل ، أو تسيير آخر ، أو استعمال فتى ، وقد علمتم أن دمه لا يحلّ لكم ؛ فقد ركبتم عظيماً

(١) كذا جاء عند الطبري ج ٣ ص ٥٥١ وابن الأثير ج ٣ ص ١٧٣ ، وجاء في المخطوطة : « تعلم » .

(٢) انظر في أوائل هذا الجزء في (ذكر تفريق على عماله) الكلام في هذا اللفظ وهل هو « خربتاً » أو « خربتاً » ؟ .

(٣) كذا جاء في المخطوطة ، وعند ابن الأثير : « عليك » .

(٤) كذا جاء في المخطوطة ، وفي النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٩ : « فإنكم إن كنتم نقمتم » .

وجثتم أمراً إذا ، فتب إلى الله ياقيس ، فإنك من المُجْلِبِينَ على عثمان ،
فأما صاحبك ، فإذا استيقنا أنه أغرَى به الناس ، وحملهم حتى
قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه عَظْمُ قومك ، فإن استطعت ياقيس
أن تكون ممن يَطْلُب بدم عثمان فافعل ، وتابعنا على أمرنا ، ولك
سلطان العراقيين إذا ظهرت مابقيت ، ولن أحبيت من أهلك سلطان
الحجاز مادام لي سلطان ، وسَلْنِي ما شئتَ فإني أعطيكه ، واكتب
إليّ برأيك .

فلما أتاه الكتاب أحب أن يدافعه ولا يبدي له أمره ، ولا يتعجل
إلى حربه ، فكتب إليه : « أما بعد ، فقد [بلغني كتابك و] ^(١)
فهتمُ مذكركه [فيه ، فأما ما ذكرت] ^(٢) من قتل عثمان ، فذلك
شيء لم أأقارقه : وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرَى به حتى قتلوه
فهذا ما لم أطلع عليه ، وذكرت أن عَظْمُ عشيرتي لم تسلم [من
دم عثمان] ^(٣) فأول الناس كان فيها قياما عشيرتي ، وأما ما عرضته
من متابعتك فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة ، وليس هذا مما يُسرع
إليه ، وأنا كافٌ عنك ، وليس يأتيتك من قبلي ما تكرهه حتى ترى ونرى
إن شاء الله تعالى .

فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقاربا مباعدا ^(٢) ، فكتب إليه :
« أما بعد ، فقد قرأت كتابك فلم أركَ تدنو فأعدك سِلْما ، ولا تتباعد
فأعدك حربا ، وليس مثلي يُصانِع المخادِع وينخدع للمكايد ومعه عَدَدُ
الرجال وأعنة الخيل ، والسلام .

(١) الزيادة من النجوم الزاهرة .

(٢) « فلم يأتني مكره ومكيته » كما في النجوم الزاهرة .

فلما قرأ قيس كتابه ورأى أنه لا تنفيد معه المدافعة والمماثلة أظهر له مافي نفسه ، فكتب إليه : « أما بعد ، فالعجب من اغترارك بي وطمعك في ، واستسقاطك رأيي ، أتسومني الخروج من طاعة أوكي الناس بالإمارة ، وأقولهم بالحق ، وأهداهم سبيلا ، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة ، وتأمرني بالدخول في طاعتك ، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقولهم بالزور ، وأضلهم سبيلا ، ولد ضالين مضلين ، طاغوت من طواغيت إبليس . وأما قولك : إني ماني عليك مصر خيلا ورجلا^(١) ، فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون أهم إليك إنك لذو وجد^(٢) ، والسلام .

فلما رأى معاوية كتابه أيس منه ، وثقل عليه مكانه ، ولم تنجع حيله فيه فكاده ، من قبل علي ، فقال لأهل الشام : لا تسبوا قيس بن معد ، ولا تدعوا إلى غزوه ، فإنه لنا شيعة ، تأتينا كتبه ورساله ونصيحته لنا سرا ، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خربتنا ، يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، ويحسن إليهم . وافقتل كتابا^(٣) عن قيس بالطلب بدم عثمان : والدخول معه في ذلك ، وقرأه على أهل الشام .

فتبلغ ذلك عليا فأعظمه وأكبره ، ودعا ابنه وعبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك ، فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، دع ما يربيك إلى

(١) في النجوم الزاهرة : « وأما قولك : معك أنة الخيل وأعداد الرجال » .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل وغيره . « إنك للوجد » والجد : الحظ

(٣) انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٥٤ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠١ .

إلى مالايريك^(١) اعزل قيسا عن مصر . فقال : والله إني لأصدق بهذا عنه . فقال عبد الله : اعزله ، فإن كان هذا حقاً لا يعتزل لك .

فبينما هم كذلك إذ جاء كتاب قيس يخبر بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم ، فقال ابن جعفر : ما أخوفني أن يكون ذلك مملاًة منه ، فمره بقتالهم ، فكتب إليه يأمره بقتالهم ، فأجابه : « أما بعد ، فقد عجبت لأمرك ! تأمرني بقتال قوم كافين عنك ، مُفرغيك لعدوك ومتى حادذناهم ساعدوا عليك عَدُوُّكَ ؟ فأطعني يا أمير المؤمنين ، واكفف عنهم ، فإن الرأي تركهم ، والسلام .

فلما قرأ الكتاب قال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ ابعث محمد ابن أبي بكر^(٢) على مصر واعزل قيسا . فبعث محمداً إلى مصر - وقيل : بعث الأشقر النخعي فمات بالطريق فبعث محمداً - فقدم محمد على قيس بمصر ، فقال له قيس : « ما بال أمير المؤمنين ؟ ما غيره ؟ أدخل أحد بيني وبينه ؟ » قال : لا ، وهذا السلطان سلطانك . قال ، لا : والله لأقيم .

وخرج إلى المدينة وهو غضبان ، فأخافه مروان بن الحكم فخرج من المدينة هو وسهيل بن حنيفة إلى علي رضي الله عنه فشهدا معه صفين ، فبعث معاوية إلى مروان يتغيط عليه ويقول له : لو أمددت علينا مائة ألف مقاتل كان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه .

(١) د ع مايريك إلى مالا يريك - حديث رواه الترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل من الحسن بن علي وأبى مالك وعبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢) قال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٢٩ : « وكان ابن جعفر أخا محمد أبي بكر لأمه » .

ولما قدم قيس على عليّ وأخبره الخبر ، علم أنه كان يقاسى أمورا عظاما من المكاييد وعَظُم محلّ قَيْسٍ عنده وأطاعه في الأمر كله .

قال . وأما محمد بن أبي بكر فإنه لما قدم مصر قرأ كتاب عليّ رضى الله عنه إلى أهل مصر عليهم ، ثم قام فقال : « الحمد لله الذي هدانا وإياكم لهذا اختُلف فيه من الحقّ ، وبصرنا وإياكم كثيرا مما كان عَمِيَ عنه الجاهلون ، ألا إنّ أمير المؤمنين ولّاني أمركم ، وعهد إليّ ما سمعتم ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، فإن يكن ماترون من إمارتى وأعمالى طاعةً لله فأحمدوا الله على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادى له ، وإن رأيتم عاملاً لى بغير الحقّ فارفعوه إلى وعابى فيه ، فإنى بذلك أسعد وأنتم جديرون ، وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته » . ثم نزل .

فلم يلبث إلا شهرا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادَعَهُم قَيْسُ بن سعد ، فقال لهم : إما أن تدخلوا فى طاعتنا وإما أن تخرجوا عن بلادنا . فأجابوه : إنّنا لا نفعل ، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير أمرنا إليه ، ولا نَعَجَل بحربنا . فأبى عليهم ، فامتنعوا وأخلوا جذرهم ، وكانت وقعة صِفِّين وهم هائبون لمحمد ، فلما رجع على معاوية وصار الأمر إلى التحكيم طمعوا فيه ، وأظهروا له المبارزة ، فبعث محمد الحارث بن جُهمان ^(١) الجُعْفَى إلى أهل خربنا فقاتلهم فقتلوه ، فبعث إليهم رجلا من كَلْب يُدعى ابن مضاهم فقتلوه . ثم كان من خبر محمد بن أبي بكر ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) كذا جده فى النسخة (ك) ، بد (ن) : « جهنم » مثل ابن جرير وابن الأثير .

وفي هذه السنة قدم أبراز مرزيان مرو إلى علي رضي الله عنه بعد الجمل
مقرا بالصلاح ، فكتب له كتابا إلى دهاقين مرو والأساورة ومن يبرو ،
ثم إنهم كفروا وأغلقوا نيسابور ، فبعث علي خُليد بن قرة - وقيل :
ابن طريف - اليربوعي إلى خراسان .

جزء معين التاريخ لأهل التاريخ

وفيها مات حذيفة بن اليمان قبل وقعة الجمل .
وفيها مات سلمان الفارسي في قول بعضهم ، وكان عمره مائتين
 وخمسين سنة هذا أقل ما قيل فيه ، وقيل : ثلاثمائة وخمسين
 سنة ، وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام .
 وفيها استعمل علي رضي الله عنه علي الرئي يزيد بن حُجبة
 التيمي (تيمم اللات) فكسر من خراجها ثلاثين ألفا ، فكتب
 إليه علي يستدعيه ، فحضر فسأله عن المال ، وقال : أين ما غلّته من
 المال ؟ فقال : مأخذت شيئا ؛ فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ،
 فوكل به سعدا مولاه فهرب منه يريد الشام ، فسوغه معاوية المال ، فكان
 ينال من علي ، وبقي بالشام إلى أن اجتمع الأمر لمعاوية ، فسار معه إلى
 العراق فولاه الرئي . وقيل : إنه شهد مع علي الجمل وصفيين والنهروان ،
 ثم ولّاه بعد ذلك الرئي وهو الصحيح .

سنة سبع وثلاثين

فيها بعث علي رضي الله عنه جعدة بن هُبيرة المخزومي إلى خراسان
 بعد عودته من صفين ، فانتهى إلى نيسابور ، وقد كفروا وامتنعوا

فرجع إلى عليّ ، فبعث خُليد بن قرّة اليربوعي ، فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مرو .

وحجّ بالناس في هذه السنة عُبيد الله بن عباس ^(١) رضي الله عنهما .

سنة ثمان وثلاثين

في هذه السنة ملك عمرو بن العاص مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر عليّ ما ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار معاوية .

ذكر خبر عبد الله بن الحضرمي

حين بعث معاوية إلى البصرة وما كان من أمره إلى أن قتل

وفي هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر بعث معاوية عبد الله ابن عمرو الحضرمي إلى البصرة ، وقال له : إنَّ جُلَّ أهلها يرون رأينا في عثمان ، وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم لذلك حيقون يودّون أن يأتيهم من يجمعهم ، وينهض بهم في الطلب بشأهم ودم إمامهم ، فانزل في مضرو تودّد للأزد فإنهم كلهم معك ، وأدع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم ؛ لأنهم تُرابية ^(٢) كلهم وأحذرهم .

فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة ، وكان ابن عباس قد خرج إلى علي بالكوفة ، واستخلف زياد ابن أبيه على البصرة ، فنزل ابن الحضرمي في بني تميم ، فأتاه العثمانية وحضره غيرهم ، فخطبهم وقال : « إن إمامكم إمام الهدي قُتل مظلوما ، قتله عليّ فطلبتم بدمه ، فجزاكم الله خيرا » .

(١) قال ابن الأثير في الكامل : « وكان عامل على علي بن الحسين » .

(٢) أي من شيعة « أب تراب » وتلك كنية علي رضي الله عنه .

فقام الضحاك بن قيس ^(١) الهلالي وكان على شرطة ابن عباس فقال : قَبَّحَ اللَّهُ ما جئتنا به ، وما تدعوننا إليه ، وسبَّه ، وذكر فضل علي رضي الله عنه ، .

فقال عبد الله بن خازم ^(٢) السلمي للضحاك : اسكت ، فليست بأهل أن تتكلم ، ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال : نحن أنصارك ويدك ، والقول قولك ، اقرأ كتابك . فأخرج كتاب معاوية إليهم يذكُرهم فيه آثار عثمان ، ويدعوهم إلى الطلب بدمه ، ويضمن أنه يعمل فيهم بالسنة ، ويعطيهم عطاءين في كل سنة .

فلما فرغ من قراءته قام الأحنف ، فقال : لاناقتي في هذا ولاجملي . واعتزل القوم .

وقام عمرو بن مرجوم ^(٣) العبدى ^(٤) فقال : أيها الناس ، الزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة . وكان العباس بن صُحار العبدى مخالفا لقومه في حب علي ، فقام وقال : لننصرنك بأيدينا وألسنتنا . فقال له المشي بن مُخَرَّبَة ^(٥) العبدى : والله لئن لم ترجع إلى المكان الذي جئتنا منه لنجاهدك بأسياقنا ورماحنا ، ولا يفرنك هذا الذي تكلم . (يعني ابن صُحار) .

(١) كلما جاء في النسخة (ن) ، وفي (ك) : « زيد » .

(٢) بالهاء المعجمة والزاي ، كما نص عليه ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٨٣ .

(٣) بالجيم كما نص عليه صاحب الإصابة ، وجاء في النسخة (ن) « ومرجوم »

وفي النسخة (ك) « محروم » .

(٤) من عبد القيس ، قال ابن سعد : قدم في وفد عبد القيس ، .

(٥) بضم الميم وفتح الهاء المعجمة وكسر الراء المشددة وآخره بالموحدة ، كما نص عليه ابن الأثير في الكامل .

فقال ابن الحضرمي لَصَبْرَةَ بن شَيْمَانَ : أنت نابٌ من أنياب العرب فانصرفني . فقال : لو نزلت في داري لنصرتك .

فلما رأى زياد ذلك خاف ، فاستدعى حُضَيْنَ بن المنذر ومالك ابن مِشْمَع ، وقال : أنتم يا معشر بكر بن وائل أنصار أمير المؤمنين وثقاته ، وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون ، وأتاه من أتاه ، فامنعوني حتى يأتني [أمر] ^(١) أمير المؤمنين . فقال حُضَيْنُ بن المنذر : نعم . وقال مالك - وكان يميل إلى بني أمية - . هذا أمر لي فيه شركاء أستشير فيه وأنظر ^(١) .

فلما رأى زياد تشاقل مالك أرسل إلى صَبْرَةَ بن شَيْمَانَ الحداني الأزدي يطلب أن يُجيره وبيت مال المسلمين ، فقال : إن حملته إلى داري أجرتكما ، فنقله إلى داره بالحدان ونقل المنبر ، فكان يُصلّي الجمعة بمسجد الحدان .

وكتب زياد إلى عليّ رضي الله عنه بالخبر ، فأرسل إليه أَعْيَنَ ابن ضُبَيْبَةَ المجاشعي ثم التميمي ، ليفرق قومه عن ابن الحضرمي ، فإن امتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه ، وكتب إلى زياد يعلمه ذلك . فقدم أَعْيَنَ فأتى زيادا فنزل عنده ، وجمع رجالا وأتى قومه ، ونهض إلى ابن الحضرمي ومن معه فدعاهم فشتموه ، وواقفهم نهاراً ، ثم انصرف عنهم ، فدخل عليه قوم ، قيل : إنهم من الخوارج ، وقيل : وضعهم ابن الحضرمي على قتله ، فقتلوه غيلةً ، فلما قُتِلَ أَعْيَنَ أراد زياد قتالهم ، فأرسلت تميم إلى الأزدي : إنا لم نتعرض لجاركم

(١) الزيادة من ابن الأثير .

فما تريدون إلى جارنا ؟ فكرهت الأزد قتالهم ، وقالوا : إن عرضوا لجارنا منعناه .

وكتب زياد إلى علي بخبر أعين وقتله ، فأرسل عليّ جارية بن قدامة السَّعدِيّ وهو من بني سعد من تميم ، وبعث معه خمسين رجلاً من تميم ، وقيل : خمسمائة رجل ، وكتب إلى زياد يأمره بمعونته والإشارة عليه .

فقدم جارية البصرة ، فحذَّره زياد ما أصاب أعين ، فقام جارية في الأزد وجزاهم خيراً ، وقال : عرفتم الحقَّ إذ جهله غيركم . وقرأ كتاب عليّ إلى أهل البصرة يُوبِّخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعددهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء . فقال صَبْرَة ابن شَيْمان : سمعاً لأمر المؤمنين وطاعة : نحن حرب لمن حاربه ، وسلم لمن ساله . وصار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب عليّ رضي الله عنه ووعدهم ، فأجاباه أكثرهم .

فسار إلى ابن الحضرميّ ومعه الأزد ومن تبعه من قومه ، وعلى خيل ابن الحضرميّ عبد الله بن حازم السُّلَميّ ، فاقتتلوا ساعة ، وأقبل شريك ابن الأعور فصار مع جارية ، فانهزم ابن الحضرميّ فتحصن بقصر سنْبِيل ومعه ابن حازم ، [فأتته] ^(١) أمه عَجَلِيّ وكانت حبشمية ، فأمرته بالنزول فأتى ، فقالت : والله لتنزلنَّ أو لأنزعنَّ ثيابي . فنزل ونجا ، وأحرق جارية القصر بمن فيه ، فهلك ابن الحضرميّ وسبعون رجلاً منهم معه ، وعاد زياد إلى القصر .

(١) في الأصل : فأمر أمه عَجَلِيّ الخ .

وما أئنتاه من ابن الأثير .

قال وكان قصر سننيل لفارس وصار لسننيل السعدى ، وحوله خندق .
وكان فيمن احترق دراع بن بدر أخو حارثة بن بدر ، فقال عمرو بن
العرندس :

رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ وَجَارُ تَمِيمٍ دُخَانًا ذَهَبُ
لَحَا اللَّهُ قَوْمًا شَوْوًا جَارَهُمْ وَلَمْ يَذْفَعُوا عَنْهُ حَرَّ اللَّهَبِ
وقال جرير (١) :

غَدَرْتُمْ بِالزُّبَيْرِ فَمَا وَفَيْتُمْ وَفَاءَ الْأَزْدِ إِذْ مَنَعُوا زِيَادًا
فَأَصْبَحَ جَارُهُمْ بِنَجَافٍ عِزُّ وَجَارُ مُجَاشِعٍ أَمْسَى رَمَادًا
فَلَوْ عَاقَدْتَ حَبْلَ أَبِي سَعِيدٍ لَدَا الْقَوْمِ مَا حَمَلَ النَّجَادَا
وَأَذْنَى الْخَيْلِ مِنْ رَهَجِ الْمَنَابِيا وَأَغْشَاهَا إِلَّا سِنَّةً وَالصُّعَادَا (٢)

قال (٣) : وَحَجَّ بالناس في هذه السَّنة قُتُمُ بن العباس من قبل
علي (٤) رضى الله عنهم .

سنة تسع وثلاثين

في هذه السَّنة بَثَّ معاوية سراياه في بلاد على رضى الله عنه ،
فكان من خبرهم ما ذكره إن شاء الله تعالى في أخبار معاوية .
وفيهما استعمل على رضى الله عنه زياد بن أبيه على كِزْمان وفارس
فضبطها بعد أن اضطربت أمورها (٥) .

(١) انظر ديوان جرير ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) الصعا : الرماح ، والصعدة - في الأصل - : القناة المستوية .

(٣) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٨٨

(٤) وكان قُتُمُ عاملاً لعل هل مكة ، كما قال ابن الأثير .

(٥) قال ابن الأثير : سبب ذلك أنه لما قتل ابن الحنفية واختلف الناس هل طمع

أهل فارس وكرمان في كسر الحراج فطمع أهل كل ناحية وأخرجوا عاملهم . الخ

وَحَجَّ بالناس في هذه السَّنة عُبيد الله بن عباس من قبل عليّ ، وقيل :
قُتِمَ بن العباس ، وقيل : إن معاوية بعث يزيد بن شجرة الرهاوي ليحجَّ
[بالناس فاختلف هو وعبيد الله بن عباس ، ثم اتفقا على أن يحجَّ] ^(١)
بالناس شَيْبَةَ بن عثمان فَحَجَّ . والله أعلم .

وفيهما تَوَجَّه الحارث بن مُرَّة العبدى إلى بلاد السُّند غازيا متطوعا
بأمر عليّ رضى الله عنه فغنم وأصاب سبيا كثيرا ، وقسم في يوم واحد ألف
رأس وبقي غازيا إلى أن قُتِل بأرض القيقان هو ومن معه [إلا قليلا] ^(٢)
في سنة اثنتين وأربعين .

سنة أربعين

في هذه السَّنة بعث معاوية بُشَربنِ أَرْطاة إلى الحجاز واليَمَن ،
ففعل من الأفعال القبيحة وسفك من الدماء المحرمة مانذكركه في أخبار
معاوية .

وفيهما جرت مهادنة بين عليّ ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع
الحرب ، ويكون لعلى العراق وللمعاوية الشام لا يدخل أحدهما بلد الآخر
بغارة ، واتفقا على ذلك .

وفيهما فارق عبد الله بن عباس البصرة ولحق بمكة في قول أكثر
أهل التاريخ ، وسبب ذلك أنه مر ببائى الأسود فقال له : « لو كنت
من البهائم لكنت جَمَلًا ، ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى » .
فكتب أبو الأسود إلى عليّ رضى الله عنه : « . . . إن ابن عمك قد أكل

(١) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) وبها يظهر وجه الكلام ، وسقط من النسخة (ك)

(٢) الزيادة من ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩١ .

ماتحت يده بغير علمك ، ولم يسعني كتمانك رحمك الله ، فانظر فيما هناك وكتب إلي برايك فيما أحببت والسلام .

فكتب إليه علي : « أما بعد فمثلك من نصيح الإمام والأمة ، ووالى على الحق ، وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتُ إلي ، ولم أعلمه بكتابك فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ، وهو حق واجب عليك والسلام .

وكتب إلى ابن عباس في ذلك ، فكتب إليه ابن عباس : « أما بعد فإن الذي بلغك باطل ، وإني لما تحت يدي ضابط ، وله حافظ ، فلا تُصدّق الظنّين ^(١) والسلام . فكتب إليه علي : أما بعد ، فأعلمني ما أخذت من الجزية ، ومن أين أخذت ، وفيما وضعت .

فكتب إليه ابن عباس : « أما بعد ، فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أني ^(٢) رزأته من أهل هذه البلاد ، فابعث إلي عملك من أحببت فأني ظاعن عنه والسلام .

واستدعى أخواله بنى هلال بن عامر ، فاجتمعت معه قيس كلها ، فحمل مالا وقال : هذه أرزاقنا اجتمعت ، فتبعه أهل البصرة ، فلحقوه بالطفّ يريدون أخذ المال فقال قيس : والله لا يوصل إليّ وفيما عين تطرف . فقال صبرة بن شيمان الحدّاني : « يامعشر الأزد إن قيسا إخواننا وجيراننا وأعواننا على العدو ، وإن الذي يصيبكم من هذا المال القليل ، وهم لكم خير من المال . فأتاعوه ، فأنصرفوا وأنصرف معهم بكر وعبد القيس .. وقاتلهم بنو تميم فنهاهم الأحنف ، فلم يسمعوا

(١) كذا جاء في النسخة (ن) مثل الكامل ، وجاء في (ك) : « الضنين » .

(٢) رزأه ماله : أصابه منه شيئا .

منه ، فاعتزلهم ، وقتلهم بنو تميم فحجز الناس بينهم .. ومضى ابن عباس إلى مكة المشرفة .

وقيل بل أقام بالبصرة إلى أيام الحسن - رضى الله عنه وأرضاه ، وشهد صلح الحسن ومعاوية .

والأول أصح ، والذي شهد الصلح عبید الله بن عباس .

ذكر مقتل علي بن أبي طالب

رضى الله عنه وشيء من سيرته

كان مقتله في شهر رمضان سنة أربعين ليلة الجمعة . قيل : لسبع عشرة ليلة خلت منه ، وقيل : لإحدى عشرة ليلة . وقيل : في شهر ربيع الآخر . والأول أصح .

وقاتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي ثم التَّجُوبِي (١) ، وأصله من حَمِير ، ولم يختلفوا (٢) في أنه حليف لمُرَاد ، وعداده فيهم .

وكان سبب قتله أن عبد الرحمن هذا ، والبرك بن عبد الله التَّمِيمِي الصَّرِيمِي واسمه الحجاج ، وعمرو بن بكر التَّمِيمِي السَّعْدِي وهم من الخوارج ، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس ، وعابوا ولأنهم ، ثم ذكروا أهل النُّهْرَوَان ، وقالوا : « ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شَرَيْنَا نفوسنا ، وقتلنا أئمة الضلالة ، وأرحنا منهم البلاد ! » . فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم عليا . وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية .

(١) في القاموس « تجوب : قبيلة من حمير » وانظر في الاستيعاب ج ٣ ص ٥٦ سبب

التسمية .

(٢) هذا من كلام ابن عبد البر في الاستيعاب .

وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا على ذلك ، وسموا سيوفهم واتعدوا لسبع عشرة من رمضان ، وقصد كل منهم الجهة التي يريدونها .

فأما البرك بن عبد الله فإنه توجه إلى معاوية ، فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف فوق في أليته ، وأخذ فقتل . وقيل : لم يقتله وإنما قطع يده ورجله . وبعث معاوية إلى الساعدي ، وكان طبيبا ، فقال له : « اختر إما أن أحمل حديدة فأضعها موضع السيف ، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد » . فقال : « أما النار فلا صبر لي عليها ، وأما الولد ففي يزيد وعبد الله ماتقرُّ به عيني . فسقاه شربة فبرئ ولم يولد له بعدها .

وأما عمرو بن بكر - فإنه جلس لعمرو بن العاص في تلك الليلة ، فما خرج لشكاية نالته في بطنه ، فأمر خاتمة ابن حبيبة - وكان صاحب شرطته - أن يصلي بالناس ، فخرج ليصلي ، فشده عليه وهو يرى أنه عمرو بن العاص فقتله . فأثني به إلى عمرو فقال : من هذا ؟ قالوا : عمرو . قال ومن قتلت ؟ قالوا : خاتمة . قال : أما والله ما ظننته غيرك . فقال : أردتني وأراد الله خاتمة ؛ وقتله عمرو . هكذا نقل ابن الأثير في تاريخه الكامل ^(١) في هذه الواقعة في القاتل والمقتول .

وقال أبو عمر بن عبد البر^(١) : إن القاتل اسمه زادويه رجل من بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، قال وقيل : مولى لبني العنبر . وفي المقتول إنه خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد ابن عويج بن عدى بن كعب القرشي العدوي ، وأمه فاطمة بنت عمرو بن بجرة العدوية . وقال في ترجمته : كان أحد فرسان قريش ، يقال : إنه كان يعدل بألف فارس ، قال : وذكر بعض أهل النسب والأخبار أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر ليمنه بثلاثة آلاف فارس ، فأمدّه بالزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وخارجة بن حذافة هذا ، وقال : إنه لما قُتل وأدخل القاتل على عمرو فقال : من هذا الذي تدخلوني عليه ؟ فقالوا : عمرو بن العاص ، فقال : ومن قتله ؟ قيل : خارجة ، فقال : أردت عمراً وأراد الله خارجة ، وقيل : إن ذلك من كلام عمرو كما تقدم . وفي ذلك يقول عبد الجيد بن عبدون : وليتها إذ قَدَتْ عَمراً بخارجة قَدَتْ عليا بمن شاءت من البشر وأما عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله تعالى آمين - فإنه أتى الكوفة واشترى سيفاً بألف ، وسقاه السم حتى لقطه ، وكان في خلال ذلك يأتي علياً رضي الله عنه فيسأله فيعطيه ، ويستحمله فيحمله ، إلى أن وقعت عينه على قطّام بنت علقمة ، وهي تيمم الرباب ، وقيل هي منى بنى عجل بن لُجيم ، وكانت ترى رأي الخوارج ، وكان على قد قتل أباه وإخوتها بالنهروان ، وكانت امرأة رائعة جميلة ، فأعجبه وأخذت بمجامع قلبه ، فخطبها ، فقالت : لقد آليت أن لا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواد . فقال : وما هو ؟ فقالت : ثلاثة آلاف

درهم وعبد وقينة وقتل على بن أبي طالب . فقال : « والله لقد قصدت لقتل على بن أبي طالب والفتك به ، وما أقدمنى إلى هذا المصير غير ذلك ، ولكنى لما رأيتك أثرت تزويجك » . فقالت : ليس إلا الذى قتلت لك . فقال لها : « وما يغنيكك أو يعينى ^(١) منك قتل على ؟ وأنا أعلم أنى إن قتلته لم أقت » . فقالت : « إن قتلته ونجوت فهو الذى أردت ، تبلغ شفاء نفسى ويهنيك العيش معى ، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها » . فقال لها : لك ما اشترطت ففى ذلك يقول ابن ملجم :

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينةٌ وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وإن غلا ولا فتك لإدون فتك ابن ملجم
[وقد رويت هذه لغيره ، وأولها :] ^(٢)

فلم أر مهرا ساه ذو سباحة كمهر قطام من فصيح وأعجم
وقالت قطام له : إني سألتمس لك من يشد ظهرك . فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد ، فأجابها .

ولقى ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعى فقال له : يا شبيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما هو ؟ قال : تساعدنى على قتل على بن أبي طالب ، فقال : « شكرتكم أمك ! لقد جئت شيئا إدا ، كيف تقدر على ذلك ؟ » قال : « إنه رجل لا حرص له ، ويخرج إلى المسجد منفردا دون من يحرسه ، فنكمن له فى المسجد ،

(١) كذا جاء فى المخطوطة ، وجاء فى الاستيعاب ج ٣ ص ٥٨ والرياض النضر ج ٢ ص ٢٤٦ وما يغنى وماذا يغنى منك . بالغين المعجمة فى الكلمتين .
(٢) ثبتت هذه الزيادة فى النسخة (ن) ، ولم تثبت فى النسخة (ك) . وقد روى ابن جرير الأبيات الثلاثة لابن مياس المراهى .

فإذا خرج إلى الصلاة قتلناه ، فإن نجونا نجونا ، وإن قتلنا ساعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة . فقال : « ويلك ! إنني عليا ذو سابقة في الإسلام وقُضِل ، والله ما تنشرح نفسى لقتله . قال : « ويلك ! إنه حَكَمَ الرجال في دين الله ، وقتل إخواننا الصالحين ، فنقتله ببعض من قُتِل ، فلا تشكَّن في دينك . فأجابه ، وأقبل حتى دخلا على قَطَام ، وهى معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لنفسها ، فدعت لهم .

وأخذوا أسيافهم وجلسوا قِبالة السُّدَّة التى يخرج منها على رضى الله عنه ، فخرج إلى صلاة الصبح يوم الجمعة ، فبدره شبيب فضربه فأخطأه ، ووقع سيفه بعُضادة الباب ، وضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه ، وقال : الحكم لله يا على ! لك ولا لأصحابك . فقال على رضى الله عنه : قُزْتُ ورب الكعبة ! لا يفوتنكم الكلب !

وهرب شبيب خارجا من باب كِنْدَةَ ، فلحقه رجل من حَضْرَمَوْت يُقال له : عُوَيْمَر ، فصصره ، وأخذ سيفه ، وجلس على صدره فصاح الناس : عليكم بصاحب السيف ، فخاف عويمر على نفسه فتركه ونجا ، فهرب شبيب في غمار الناس .

وهرب وَرْدَان إلى منزله ، فأتاه رجل من أهله ، فأخبره وَرْدَان بما كان ، فانصرف وجاء بسيفه وقتل وردان .

وأما ابن ملجم فإنه لما ضرب عليا حمل على الناس ، فأفرجوا له ، فتلقاه المغيرة بن الحَكَم بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، فرمى عليه قُطَيْفَةً واحتمله وصصره وقعد على صدره .

واختلفوا : هل ضربه في الصلاة ؟ أو قبل الدخول فيها ؟ وهل استخلف من أتم بهم الصلاة أو هو أتمها ؟ قال أبو عمر بن عبد (١) البر : والأكثر أنه استخلف جعدة (٢) بن هبيرة ، فصلّى بهم تلك الصلاة .

قال : (٣) ثم قال على رضى الله عنه لأصحابه حين أخذوا ابن ملجم : احبسوه فإن ميتاً فاقتلوه ولا تمثلوا به ، وإن لم أمت فالأمر إلى في العفو أو القصاص .

وقيل (٤) : إنه قال لهم : « النفس بالنفس ، إن هلكت فاقتلوه وإن بقيت رأييت فيه رأيي ، يابني عبد المطلب لا ألفيتكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون : قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يقتلن إلا قاتلي » . وأنت (٥) أم كلثوم ابنة على رضى الله عنهما إلى ابن ملجم وهو مكتوف فقالت : « أى عدو الله ، إنه لا بأس على أبى ، والله مخزبك » . قال : فعلى من تبكين ؟ والله لقد شريته بألف وسممته بألف ، ولو كانت الضربة بأهل مصر مابقى منهم أحد .

قال : ثم أوصى على رضى الله عنه أولاده بتقوى الله ، ولم ينطق إلا بقول « لا إله إلا الله » حتى مات رضى الله عنه وأرضاه .

روى (٦) عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى

(١) في الاستيعاب ج ٣ ص ٥٩ .

(٢) أم جعدة هى أم هانئ أخت على بن أبي طالب .

(٣) أبو عمر ابن عبد البر .

(٤) انظر الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٩٦ .

(٥) انظر تاريخ ابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١١٢ والكامل .

(٦) انظر لهذه الرواية وما بعدها الاستيعاب ج ٣ ص ٦٠ - ٦١ .

رضى الله عنه : من أشقى الأولين ؟ قال : الذى عقر الناقة . قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال ؟ لا أدرى . قال : « الذى يضربك على هذا » يعنى يافوخه ، « فيخضب هذه » يعنى لحيته .

وعن ثعلبة الجُماني قال : سمعت على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه (يعنى لحيته) من دم هذا (يعنى رأسه) .

وروى النسائي من حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أشقى الناس الذى عقر الناقة والذى يضربك على هذا - ووضع يده على رأسه - حتى تخضب هذه ، (يعنى لحيته) .

وعن ابن سيرين عن عبيدة قال : كان على بن أبي طالب رضى الله عنه إذا رأى ابن ملجم قال ^(١) :

أريد حياته ^(٢) ويريد قتلى عذيرك ^(٣) من خليلك من مراد

(١) قال على رضى الله عنه هذا البيت متصلاً به ، وهو من قصيدة لمرو بن معد يكرب الزبيدي قالها لابن أخته قيس بن مكشوح المرادى ، وكان بينهما تباعد وتنافس فكان مما قاله قيس :

فلو لاقيتى لاقيت قرناً وودعت الأحبة بالسلام
وما قاله عمرو بن معد يكرب :

غنائى ليلقانى قيس ووددت وأينما منى وداوى
« قيس » تصغير « قيس » . ويروى « أبى » .

أريد حياته ويسريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد ولو لاقيتى ومعى سلاحى تكشف شمع قلبك عن سواد وقوله (أريد حياته ويريد قتلى) مماثر التمثل به وإدخاله فى الشعر : فقد تمثل به عبيد الله بن زياد كما سيأتى وتمثل به غيرهما .

(٢) هكذا جاء فى بعض الروايات : وجاء فى بعض الروايات « حياه » والحياء : العطية ، قال البغدادى فى خزائن الأدب ج ٤ ص ٢٨١ : « يقول : أريد نفعه وحياءه مع إرادته قتل وتعميه موقى فمن يذوق منه ؟ » ويروى : أريد حياته .

(٣) فى خزائن الأدب : البيت من شواهد سيبويه : قال الأعلام : الشاهد فيه نصب عذيرك =

وكان على رضى الله عنه كثيرا ما يقول: ما يمنع أشقاها - أو ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذا - ويشير إلى لحيته ورأسه - خِضَابَ دَمٍ لَا خِضَابَ عِطْرٍ وَلَا عَبِيرٍ ؟ .

وروى عمر بن شبة عن أبي عاصم النبيل ^(١) وموسى بن إسماعيل عن سُكَيْنَ بن عبد العزيز العبدى ، أنه سمع أباه يقول : جاء عبد الرحمن [بن ملجم] ^(٢) يستحمل عليا فحمله ، ثم قال :

أُرِيدَ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ أَمَا إِنْ هَذَا قَاتَلَنِي . قِيلَ : فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْنِي بَعْدُ .

وَأَتَى عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : ابْنُ مُلْجَمٍ يَسُمُّ سَيْفَهُ ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ سَيْفَتِكَ بِهِ فَتَكَّةٌ يَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : لَمْ تَسُمِّ سَيْفَكَ ؟ قَالَ لَعْدَوِي وَعَدُوُّكَ . فَخَلَّى عَنْهُ .

وفى كلام على رضى الله عنه يقول بكر بن حماد ^(٣) :

وَهَزَّ عَلَى بِالْعَرَاقَيْنِ لَحِيَّةً مَصِيبُهَا حَلَّتْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
فَقَالَ : سَيَأْتِيهَا مِنَ اللَّهِ حَادِثٌ وَيَخْضِبُهَا أَشَقَى الْبَرِيَّةِ بِالْدَمِ
فَبَاكَرَهُ بِالسَّيْفِ شُلَّتْ يَمِينُهُ لِسُؤْمِ قَطَامٍ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِ مُلْجَمٍ
فِيَا ضَرْبَةً مِنْ خَاسِرٍ ضَلَّ سَعْيُهُ تَبَوَّأَ مِنْهَا مَقْعَدًا فِي جَهَنَّمَ

= ووضعه موضع الفعل بدلًا منه ، والمعنى هات عذرك ، والتقدير : اعدرفى منه طرا ، واختلف فى العذير ، فمنهم من جعله مصدرًا بمعنى العذر ، وهو ملعب سبيويه ، ومنهم من جعله بمعنى عاذر كليم وعامه . وانظر سبيويه ومنه الأعلام فى الكتاب ج ١ ص ١٣٩ .

(١) أبو عاصم النبيل : الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيبى .

(٢) الزيادة من الاستيعاب ج ٣ ص ٦٠ حيث نقل المؤلف .

(٣) فى الاستيعاب ج ٣ ص ٦٦ فيها .

ففاض أمير المؤمنين بحفظه وإن طرقت فيه الخطوب بمعظم
ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة حلاوتها شيبت^(١) بصاب وعَلَقَم

وحكى عن عثمان بن المغيرة قال : لما دخل رمضان ، كان على رضى
الله عنه يتعشى ليلة عند الحسن رضى الله عنه ، وليلة عند الحسين ،
وليلة عند ابن جعفر رضى الله عنهم ، لا يزيد على ثلاث لُقَم ، ثم
يقول رضى الله عنه : يأتينى أمر الله وأنا خبيص^(٢) ، وإنما هى
ليلة أو ليلتان ، فلم يمض قليل حتى قتل .

وقال الحسن (٣) ابن كثير عن أبيه قال : خرج على رضى الله
عنه^(٤) من الفجر ، فأقبل الإوز يصحن فى وجهه ، فطردوهن
عنه ، فقال : ذروهن فإنهن نوائح ، فضربه ابن ملجم فى ليلته .

وقال الحسن بن على رضى الله عنهما يوم قُتل على : خرجت البارحة
وأبى يصلى فى مسجد داره ، فقال لى : « يابنى إني بت أوقظ .
أهلى لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر^(٥) فملكتنى عيناي فمنت ،
فستح^(٦) لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول
الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللد^(٧) ، فقال لى : ادع
عليهم ، فقلت : اللهم أبدلنى بهم من هو خير منهم وأبدلهم بى من هو

(١) شيب : مزجت .

(٢) خبيص : جائع .

(٣) كلما جاء فى النسخة (ن) ، وفى الرياض النضرة : « الحسين بن كثير » ، وفى النسخة

(ك) : « الحسن بن كرب » .

(٤) فى الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٤٥ حيث ذكر هذا الحديث : « إلى الفجر » .

(٥) ذكر ابن عبد البر فى آخر روايته لهذا الحديث فى الاستيعاب ج ٣ ص ٦٢ وذلك

فى صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان : صبيحة بدر .

(٦) ستح : مرض .

(٧) جلفى هاشم النسخة (ك) : « الأود : العوج ، واللد : الخسومة » .

شر مني « فجاء ابن النِّبَّاح ^(١) فأَذَنَّهُ بالصلاة فخرج ، وخرجت خلفه ، فضربه ابن ملجم فقتله .

وروى أبو عمر ابن عبد البر بسنده إلى عبد الله بن مالك قال :
جُمِعَ الْأَطْبَاءُ لَعَلَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ جُرْحٍ ، وَكَانَ أَبْصَرُهُم بِالطَّبِّ أَثِيرُ بْنُ
عُمَرَ السَّكُونِيَّ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَثِيرُ بْنُ عَمْرِيَا ، وَكَانَ صَاحِبَ
كِسْرَى يَتَطَبَّبُ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُنسَبُ إِلَيْهِ صَحْرَاءُ أَثِيرٍ ^(٢) ، فَأَخَذَ
أَثِيرُ رُثَّةً [شاة] ^(٣) حَارَّةً ^(٤) ، فَتَتَبَعَ عِرْقًا مِنْهَا فَاسْتَخْرَجَهُ فَأَدْخَلَهُ فِي
فِي جِرَاحَةٍ عَلَى ، ثُمَّ نَفَخَ الْعِرْقَ فَاسْتَخْرَجَهُ فَإِذَا عَلَيْهِ بَيَاضٌ دِمَاجٍ .
وَإِذَا الضَّرْبَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اعْهَدْ عَهْدَكَ
فِيَاكَ مَيِّتٌ .

وفي ضربة ابن ملجم يقول عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ الْخَارِجِيُّ بِمَدْحِ ابْنِ
مُلْجَمٍ :

لِلَّهِ دَرُّ الْمُرَادِيِّ الَّذِي سَفَكَتْ	كَفَّاهُ مُهْجَةً شَرَّ الْخَلْقِ إِنْسَانًا
أَمْسَى عَشِيَّةً غَشَّاهُ بِضَرْبَتِهِ	مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْآثَامِ عَرِيَانًا
يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقَى مَا أَرَادَهَا	إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسِبُهُ	أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا

(١) في الاستيعاب والرياض النضرة : ه ثم اتبه ، وجاءه مؤذنه بالصلاة ، واسم مؤذنه : عامر بن النباح .

(٢) بالكوفة .

(٣) الزيادة من الاستيعاب حيث نقل المؤلف ، ومن معجم البلدان لياقوت .

(٤) أى : حديدة اللبح .

فقال بكر بن حماد التاهرتي (١) معارضاً له :

قل لابن ملجَم والأقدارُ غالبَةٌ هدمتَ ويحك للإسلام أركاناً
قتلتَ أفضلَ من يمشي على قدم وأولَ الناسِ إسلاماً وإيماناً
وأعلمَ الناسِ بالقرآن ثم بما سنَّ الرسولُ لنا شرعاً وتبياناً
صهرَ النبيِّ ومولاهُ وناصره أضحت مناقبُه نوراً وبرهاناً
وكان منه على رغم الحُودِ له مكان هارون من موسى بن عمران
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً ليثاً إذا لقي الأقرانُ أقراناً
ذكرتُ قاتله والدمعُ مُنحدرٌ فقلتُ: سبحانَ ربِّ الناسِ سبحاناً
إني لأحسبه ما كان من بشر يخشى العاد ولكن كان شيطاناً
أشقى مُرادٍ إذا عُدَّتْ قبائلُها وأخسرَ الناسِ عند الله ميزاناً
كعاقرِ الناقةِ الأولى التي جلبت على ثمودَ بأرضِ الحجرِ خُسراناً
قد كان يخبرهم أن سوف يَخْضِبُها قبلَ النسيئةِ أزماناً فازماناً
فلا عفا الله عنه ما تحمَّلَه ولا سقى قبرَ عمرانَ بنِ حِطَّاناً
لقوله في شقى ظل مُجْتَرماً ونال ما ناله ظلماً وعدواناً :
« يا ضربةً من تقى ما أراد بها إلّا ليبلغَ من ذى العرشِ رِضواناً »
بل ضربةً من غوى أوردته لظى فسوف يلقي بها الرحمن غُضباناً
كانه لم يُرِدْ قِصداً بضربته إلّا ليضلَّ عذابَ الخُلدِ نيراناً

(١) التاهرتي : منسوب إلى « تاهرت » بفتح الهاء وسكون الراء ، مدينة ببلاد المغرب ، وكان أبو عبد الرحمن بكر بن حماد من حفاظ الحديث بهذه المدينة ، وهو القائل :
ما أغشن البرد وريمانه وأطرف الشمس بتاهرت !
تيلو من الغيم إذا مايلت كأنما تنثر من تحت
فتعن في بحر بلا لجة تجري بنا الريح على ست
وأياها التوبة التي ذكرها المؤلف تجدها في الاستيعاب ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣ ومروج الذهب ج ٢ ص ٤٣ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٩٩ .

وقالت أم الهيثم بنت العريان النخعية ، ومنهم من يروها
لأبي الأسود الدؤلي^(١) :

ألا يا عينُ وَيَحْكُ أَسْعِدِينَا أَلَا تَبْكِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
تُبْكِي أُمَ كُلثُومٍ عَلَيْهِ بَعْبَرْتَهَا فَقَدْ رَأَتْ الْيَقِينَ
أَلَا قُلْ لِلخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا فَلَا قَرَّتْ عَيُونُ الشَّامَتِينَ
أَفَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَجَعَعْتُمُونَا بِخَيْرِ النَّاسِ ضُرًّا أَجْمَعِينَ
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَذَلَّلَهَا وَمَنْ رَكَبَ السُّفِينَا
وَمَنْ لَبَسَ النِّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِيَّ وَالْمَبِينَا^(٢)
وَكُلُّ مَنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِيهِ وَحُبُّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ حَيْثُ كَانَتْ بِأَنَّكَ خَيْرُهُمْ حَمِيمَا وَدِينَا
إِذَا أَسْتَقْبَلْتَ وَجْهَ أَبِي تَرَابٍ^(٣) رَأَيْتَ الْبَذْرَ فَوْقَ النَّاضِرِينَ
وَكُنَّا قَبْلَ مَقْتَلِهِ^(٤) بِخَيْرٍ تَرَى مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ فِينَا
يُقِيمُ الْحَقُّ لَا بَرْتَابَ فِيهِ وَيَعْدِلُ فِي الْعِدَا وَالْأَقْرَبِينَ

(١) عبارة الاستيعاب ج ٣ ص ٦٦ حيث نقل المؤلف : « وقال أبو الأسود الدؤلي ، وأكثرهم يروها لأم الهيثم بنت العريان النخعية » ، والشعر منسوب إلى أبي الأسود في ديوانه ص ١٧٤ - ١٧٥ وفي إنباء الرواة ج ١ ص ١٩ والأغاني ج ١٢ ص ٣٢٩ بعد أن ذكر خطبة أبي الأسود إثر مقتل علي وأن معاوية كتب إليه ودرس إليه رسولا يعلو ويمنع فقال هذه الأبيات ، ونسبها أبو الفرج الأصبهاني نفسه في كتابه (مقاتل الطالبين) ص ٤٣ إلى أم الهيثم بنت الأسود النخعية . وما ينظر إليه ذكر الهيثم بن الأسود بن العريان في البيان والتبيين ، وهو غممي ، قال صاحب الإصابة ج ٣ ص ٦٢١ يكنى « أبا العريان » .

(٢) المبين : القرآن ، وفيه إشارة إلى الآية ١٠ من سورة الحجر .

(٣) في الاستيعاب « أبي حسين » .

(٤) كلما جاء في النسخة (ن) والاستيعاب ، وفي النسخة (ك) : « موته » .

وليس بركاتهم علماً لدينه ولم يُخلَق من المتجبرين
كانَّ الناس إذ فقدوا علياً نعاماً حاراً في بلدٍ سينينا
فلاتشمت معاوية بن صخر فإن بقيت الخلفاء فينا

قال : ولما مات علي رضي الله عنه غسله ابنه الحسن والحسين
وعبد الله بن جعفر ، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ،
وصلى عليه ابنه الحسن ، وكبر سبع^(١) تكبيرات .

قال : ولما قبض رضي الله عنه بعث الحسن رضي الله عنه إلى
ابن ملجم فأحضره ، فقال للحسن : « هل لك في خصلة ؟ إني
والله أعطيت الله عهداً أن لا أعاهد عهداً إلا وفيت به ، وإني عاهدت
الله عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فإن شئت
خليت بيني وبينه ، ولك عهد الله على أني إن لم أقتله أو قتلته
ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك » . فقال له الحسن :
لا والله . ثم قدمه فقتله ، فأخذته الناس فأدرجوه في بوارى^(٢)
وحرّقه بالنار .

واختلف في موضع قبر علي رضي الله عنه ، فقيل : دفن في قصر
الإمارة بالكوفة ، وقيل : في رجة الكوفة ، وقيل : دفن بنجف

(١) كذا جاء في المخطوطة والكمال لابن الأثير ٣٠ ص ٩٧ ، وجاء في تاريخ ابن
جرير ج ٤ ص ١١٤ : « تسع تكبيرات » ، وجاء في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٤٧
« أربع تكبيرات » .

(٢) البوارى : جمع البورى وهو الحصير المنسوج من القصب .

الحيرة في موضع بطريق الحيرة ، وقيل : عند مسجد الجماعة ^(١) ، وقال الواقدي : دُفن ليلاً وأُخفي قبره .

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل : أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام ، وقيل : وثلاثة أيام ، وقيل : وأربعة عشر يوماً .

وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : خمساً وستين ، وقيل : تسعاً وخمسين ، والأول أصح .

وأما سيرته رضي الله عنه في خلافته فقد تقدم من فضائله ما قدّمناه في صدر هذا الفصل .

وكان من سيرته رضي الله عنه أنه يسير ^(٢) في الفئء بسيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في القسم ، وإذا ورد عليه مال لم يُبق منه شيأ إلا قسمه ، ولا يترك في بيت المال إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ، ويقول : يادنيا غرّى غيرى ، ولم يكن يستأثر من الفئء بشيء ، ولا يخص به حميماً ولا قريباً .

وروى أبو عمر ^(٣) بسنده إلى مُجمّع التميمي ^(٤) أن علياً رضي الله عنه قسم مافي بيت المال بين المسلمين ، ثم أمر به فكُنس ، ثم صُلّي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة ^(٥) .

(١) جاء في تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ١١٧ : « ودفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة » .

(٢) انظر الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر ج ٣ ص ٤٧ .

(٣) في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٩ وكذلك ما بعده .

(٤) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الاستيعاب : « التميمي » .

(٥) وانظر الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٩ .

ويسنده إلى سُفيان عن عاصم بن كُلَيْب عن أبيه قال : قدم على عليٍّ المالُ من أَضْبُهَان ، فقسمه سبعة أسباع ، ووجد فيه رغيفا فقسمه سبع كِسَر ، وجعل على كل جزء كِسرة ، ثم أَقْرَعَ بينهم : أَيُّهم يُعْطَى أولاً .

وعن مُعَاذ ^(١) بن العلاء عن أبيه عن جده قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : ما أَصِبتُ فيكم ^(٢) إلا هذه القَارُورَةُ أَهداها إلى الدهقَان ، ثم نزل إلى بيت المال ففرَّق كُلَّ ما فيه ، ثم جعل يقول : أَفْلَح من كانت له قوصرة ^(٣) يأكل منها كل يوم ثَمَره ^(٤)

وعن عنثرة الشيباني قال : كان علي رضي الله عنه يأخذ الجزية والخراج من أهل كل صناعة من صناعته وعمل يده ، حتى يأخذ من أهل الإبر والمسال والخيوط . والحبال ، ثم يقسمه بين الناس ، ولا يدع في بيت المال مالا يبيت فيه حتى يقسمه ، إلا أن يغلبه شغل ، فيصبح إليه وهو يقول . يا ذُنْيا لا تُغْرِينِي وغرِّي غيري .

وكان ^(٥) رضي الله عنه لا يخصص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات ، وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه : ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٦) ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ ^(٧) ﴿ وَلَا تَبْخُسُوا

(١) رواه أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٩ .

(٢) في الاستيعاب : « من فيكم » .

(٣) قوصرة بشد الراء وتخفف : وعاء للتمر ، وانظر اللسان .

(٤) ويروى : مره .

(٥) انظر الاستيعاب ج ٣ ص ٤٧ .

(٦) من الآية في ٥٧ سورة يونس .

(٧) من الآية ١٥٢ في سورة الأنعام .

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴿١﴾ إذا أتاك كتابي هذا
فاحتفظ . بما في يديك من عملنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك .
ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول : اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم
خلقك ولا بترك حَقِّك .

ومواعظه رضى الله عنه ووصاياه لعماله إذ كان يخرجهم إلى أعماله (٢)
كثيرة مشهورة ، وقد قدّمنا منها في الباب الرابع ، من القسم الخامس ،
من الفن الثاني ، من كتابنا هذا ، ماتقف عليه هناك ، وهو في السفر
السادس من هذه النسخة (٣) .

قال أبو عمر بن عبد البر (٤) : قد ثبت عن الحسن بن عليّ
رضى الله عنهما من وجوه أنه قال : لم يترك أبى إلا ثمانمائة درهم
أو سبعمائة درهم فَضَلَّتْ من عطائه ، كان يعدّها لخادم يشتريها لأهله
وأما نقّشفه في لباسه ومطعمه ، فكان من ذلك على الغاية القصوى .
روى (٥) عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : رأيت عليا رضى الله عنه خرج
وعليه قميص غليظ . دارس ، إذا مدّكّه بلغ إلى الظفر ، وإذا أرسله
صار إلى نصف الساعد . وعن الحسن بن جرموز عن أبيه قال :
رأيت علي بن أبي طالب رضى الله عنه يخرج من مسجد الكوفة وعليه
قَطْرِيَّتَانِ ، مؤتزرًا بالواحدة مُرْتَدِّبًا بالأخرى ، وإزاره إلى نصف
الساق ، وهو يطوف في الأسواق ، ومعه دِرَّةٌ يأمرهم بتقوى الله وصدق

(١) من الآيتين ٨٥ ، ٨٦ في سورة هود .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) وسقط من النسخة (ك) .

(٣) انظر ج ٦ ص ١٩ - ٢٢ من « نهاية الأرب » المطبوع .

(٤) في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٨ .

(٥) هنا وما بعده من الاستيعاب .

الحديث ، وحسن البيع ، والوفاء بالكيل والميزان . وعن [إسحاق بن] كعب بن عجرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « على مخشوشن^(٢) في ذات الله تعالى .

ذكر أزواج علي

رضي الله عنه وأولاده وكاتبه وقاضيه وحاجبه

أول زوجة تزوجها فاطمة^(٣) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، ولدت له الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وقد قيل : إنها ولدت ابناً اسمه مخشين توفي صغيراً ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى . وتزوج بعدها أم البنين ابنة حرام^(٤) الكلابية ، فولدت له العباس وجعفر وأبي عبد الله وعثمان ، قُتِلوا مع الحسين بالطَّفِّ .

وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية ، فولدت عبيد الله وأباً بكر قتلا مع الحسين ، وقيل : إن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد .

(١) الزيادة من الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البرج ٣ ص ٥١ حيث نقل المؤلف ، لأن الصحابي الراوي للحديث هو كعب بن عجرة .

(٢) ذكر صاحب الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٥ رواية أبي عمر عن كعب بن عجرة ، وذكر قبلها رواية أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اشتكى الناس علياً يوماً ، فقام رسول الله فينا فخطبنا فسمعتة يقول : « أيها الناس ، لا تشكوا علياً ، فوالله إنه لأعشن في ذات الله عز وجل » أو قال : « في سبيل الله » ، ثم قال صاحب الرياض في شرحه : الأعشن مثل الخشن ، واخشوشن للمبالغة ، أي : اشتدت خشوته .

(٣) قال ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ١١٨ وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩٩ « لم يتزوج عليها حتى توفيت عنه » .

(٤) حرام : ذكره ابن حجر في باب الحاء والراء من القسم الثالث في الإصابة ج ١ ص ٣٧٥ فقال : حرام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب ... الخ ووقع في المخطوطة : « حزام » .

وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية ، فولدت له محمداً الأصغر ويحْيَى ، وقيل : إن محمداً لأم ولد ، وقيل : إنها ولدت عَوْناً .

وله من الصَّهْبَاء بنت ربيعة التغلبية - وهى من السَّبْي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعَيْن التَّمَر في خلافة أبي بكر - عُمَر ورقية ، فَعَمْرُ هذا حتَّى بلغ خمسا وثمانين سنة ، وحاز نصف ميراث على رضى الله عنه ، ثم مات بينبُع .

وتزوج على رضى الله عنه أُمَامَة بنت أبي العاص بن الربيع ، وأُمها زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، فولدت له محمداً الأوسط .
وله محمد الأكبر ، وهو ابن الحنفية ، أُمُه خَوْلَة بنت جعفر ، من بنى حَنِيفَة .

وتزوج أم سعيد ابنة عروة بن مسعود فولدت له أم الحسن ورَمْلَة الكبرى .

وكان له بنات من أمهات شتى ، وهُنَّ : أم هانئ وميمونة وزينب الصَّغْرَى ورَمْلَة الصَّغْرَى وأم كُلثُوم الصَّغْرَى وفاطمة وأُمَامَة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجُمَانَة ونَفِيسَة ، وكلهن لأمهات أولاد .
وتزوج محياة ^(١) ابنة امرئ القيس ^(٢) بن عَدِي الكلبية ، فولدت له جارية هلكَتْ صغيرة .

(١) « محياة » كذا جاء عند الطبرى في تاريخه ج ٤ ص ١١٩ وعند ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ١١٣ : ولم تنقط هذه الكلمة في النسخة (ن) ، ووضعت نقطة خاء في النسخة (ك) .

(٢) هو امرؤ القيس بن عدى بن أوس بن جابر الكلبي . كان أميراً على من أسلم بالشام من قضاة في عهد عمر بن الخطاب ، وقد خطب إليه حيثل على وابناه الحسن والحسين ، فزوجهم بَنَاتِه . فكانت سلمى زوجة الحسن . والرياب زوجة الحسين .

فجميع أولاد علي رضي الله عنه خمسة عشر ذكرا ، وهم : الحسن
والحسين ومُحَسِّن - علي خلاف فيه - والعبّاس وجعفر وعبد الله وعثمان
وعُبَيد الله وأبو بكر ومحمد بن الحنفية ومحمد الأوسط . ومحمد الأصغر
ويحيى وعون وعمر ، النسل منهم للحسين والحسن [ومحمد بن الحنفية
والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية] ^(١)

ومن البنات تسع عشرة ، وهن : زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى
ورقية وأم الحسن ورملة الكبرى وأم هاني وميمونة وزينب الصغرى
ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمّامة وخديجة وأم الكرام
وأم سلمة وأم جعفر وجُمّانة ونفيسة وجارية ابنة الكلبيّة ،
وكان كاتبه عبد الله ^(٢) بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ على
وسلم ، وكتب له سعد بن زِمْرَان الهمْدَانِي :

قاضيهِ شُرَيْحُ بن الحارث .

صاحب شرطته معقل بن قيس الرياحي ، وقيل : سليمان بن
صُرْد الخزاعي .

حاجبه قُنْبَرُ مولاة ، وكان قبله بِشْرُ مولاة .

نقش خاتمه : الملك لله الواحد القهار .

وتقدم ذكر عُماله . .

(١) كذا ثبت هؤلاء في النسخة (ن) ، كما ثبتوا في الكامل لابن الأثير ج ٣
ص ٢٠٠ ، وسقطوا من النسخة (ك) .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الإصابة ج ٤ ص ٦٧ في أولاد أبي رافع
القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عبيد الله» ، وجاء في الكامل لابن الأثير
ج ٣ ص ٢٠٠ «كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعل على
المال» .

ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب

رضى الله عنهما

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ،
وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسنذكر إن شاء الله نبذة من فضائله وأخباره عند ذكرنا لوفاته ،
ونذكر في هذا الموضع ما يختص بالخلافة دون غيره .

بويع له يوم وفاة أبيه في شهر رمضان سنة أربعين ، وأول
من بايعه قيس بن سعد بن عبادة ، وقال له : ابسط . يدك أبياعك على
كتاب الله وسنة رسوله وقتال المحلّين . فقال له الحسن : على كتاب
الله وسنة رسوله ، فإنهما بآتيان على كل شرط . فبايعه الناس ،
وكان الحسن يشرط عليهم : « إنكم سامعون مطيعون ، تسامون
من سالت ، وتحاربون من حاربت » . فارتابوا بذلك وقالوا : ما هذا لكم
بصاحب وما يريد هذا إلا القتال .

وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، لما ضربه ابن ملجم دخل
عليه جندب بن عبد الله فقال : « إن فقدناك - ولا نفقدك - أفنبايع
الحسن ؟ » فقال علي رضى الله عنه : « ما أمركم ولا أنهاكم ، أنتم
أبصر » . فلما مات بايعه الناس ، ولم تطل مدته حتى سلّم الأمر لمعاوية
ابن أبي سفيان رضى الله عنه ؛ لأسباب نذكرها إن شاء الله تعالى

ذكر تسليم الحسن بن علي الخلافة

إلى معاوية بن أبي سفيان

قال (١) : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت ، وتجهز لقصد الشام لقتال معاوية فقتل قبل ذلك .

فلما بايع الناس الحسن تجهز هذا الجيش ، وسار من الكوفة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وذلك عند ما بلغه مسير معاوية إليه في أهل الشام .

ووصل الحسن إلى المدائن ، وجعل قيس بن سعد بن عباد بن علي مقدمته في اثني عشر ألفاً ، وقيل : بل كان الحسن قد جعل علي مقدمته عبيد الله (٢) بن عباس ، فجعل عبيد الله (٢) علي مقدمته في الطلائع قيس بن سعد .

ووصل معاوية مسكين (٣) .

فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد في العسكر : أَلَا إِنَّ قَيْسَ ابْنِ سَعْدٍ قُتِلَ فَاغْتَفَرُوا . فَنَفَرُوا . وَأَتَوْا سُرَّادِقَ الْحَسَنِ ، وَانْتَهَبُوا (٤)

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٠٣

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٣ : « عبيد الله » ، وانظر ما سبق في فراق عبد الله بن عباس البصرة .

(٣) في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٧ : « وذلك بموضع يقال له يسكن من أرض السواد بناحية الأنبار » . وسيأتي نقل المؤلف لذلك .

(٤) تبع المؤلف ابن جرير وابن الأثير في قصة الانتهاب ، وروي أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين ص ٦٣ أن الحسن لما نزل ساباط خطيب خطبة قال فيها : « إنما يكرهونه في الجماعة خير لكم مما تجبون في الفرقة » فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : ما تروونه يريد بما قال ؟ وركبهم الظنون ، وثاروا ، فثلثوا على فسطاطه فانتهبوه ... الخ ، وكذلك ذكر بن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ج ٤ ص ١٠ .

مافيه ، حتَّى نازعوه بِسَاطَا كان تحته ، وأخذوا رداءه من ظهره ،
 ووُثِب عليه رجل من الخوارج من بنى أَسَد يقال له ابن أَقْبِصِر (١)
 بخنجر مسموم قطعنه به في آلِيته ، ووُثِب الناس على الأسدى فقتلوه .
 فازداد لهم بغضا ومنهم ذُغرا ، ودخل المقصورة البيضاء
 بالمدائن (٢) ، وكان الأمير على المدائن بسعد بن مسعود الثقفى ،
 عم المختار بن أبى عُبَيْد ، فقال له المختار وهو شاب : هل لك فى
 الغنى والشرف ؟ قال : وماذا ؟ قال : تستوثق (٣) من الحَسَن وتشتأمن
 به إلى مُعاوية . فقال له عمه : « عليك لعنة الله ! أثب على ابن بنت
 رسول الله وأوثقه ؟ بثس الرجل أنت ! »

فلما رأى الحسن رضى الله عنه [تفرق الناس عنه] (٤) كتب
 إلى معاوية وشرط شروطا ، وقال : إن أعطيتنى هذا فأنا سامع مطيع ،
 وعليك أن تَفِى لى به . وقال لأخيه الحسين وعبد الله ابن جعفر : إننى
 قد أرسلت إلى مُعاوية فى الصلح . فقال له الحسين : أنشدك الله
 أن لا تُصدِّقَ أُحدوثَ معاوية وتكذبَ أُحدوثَ أبيك ! فقال له الحسن :
 اسكت أنا أعلم بالأمر منك .

(١) كذا جاء فى المخطوطة : وجاء فى مقاتل الطالبين ص ٦٤ : فقام إليه رجل
 من بنى أَسَد من بنى نصر بن قعين يقال له « الجراح بن سنان » فلما مر فى مظلم سايما
 قام إليه فأخذ بلجام بقلته ويده ممول : ثم طعته ، فوقعت الطعنة فى فخذ ... الخ ، ويشبهه
 ما جاء فى جمهرة أنساب العرب ص ١٨٤ حيث ذكر ابن حزم بنى نصر بن قعين بن الحارث
 بن ثعلبة بن دودان بن أَسَد ومنهم « جراح بن سنان الذى وجأ الحسن بن على رضى الله
 عنه بالخنجر فى مظلم سايما » .

(٢) وأقام عند أميرها يعالج نفسه .

(٣) كذا جاء فى المخطوطة مثل الكامل لابن الأثير ، وفى تاريخ ابن جرير :
 « فوثق الحسن » .

(٤) ثبتت هذه العبارة فى النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك)

فلما انتهَى كتاب الحسن إلى معاوية^١ أمسكه ، وكان قد أرسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سُمرة بن جندب إلى الحسن قبل وصول الكتاب إليه ، ومعهما صحيفة ، بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه : أن اشترط. في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ماشئت فهو لك . فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط. أضعاف الشروط. التي سأل معاوية قبل ذلك ، وأمسكها عنده .

فلما سلم الحسن رضى الله عنه الأمر لمعاوية ، طلب الحسن أن يعطيه الشروط التي اشترطها في الصحيفة [التي ختم عليها معاوية] ^(١) فأبى ذلك ، وقال : قد أعطيتك ما كتبت تطلب .

قال : ولما اصطلحا قام الحسن رضى الله عنه في أهل العراق فقال : « يا أهل العراق إنه سخطى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى وطعنكم إياى وانتهابكم متاعى ... »

قال : وكان الذى طلب الحسن من معاوية أن يعطيه مائ بيت مال الكوفة (ومبلغه خمسة آلاف ألف . وقيل : سبعة آلاف ألف) وخراج دَارَ بَجَرْد (من فارس) وأن لا يُشتم على^٢ . فلم يُجبه إلى الكف عن شتم على^٣ : فطلب أن لا يُشتم وهو يسمع ، فأجابه إلى ذلك ، ثم لم يَفِ له به أيضا . فأما خراج داربجرد فإن أهل البصرة منعه منه وقالوا : هوفيتنا ، لا نعطيه أحدا . وقيل : كان منهم بأمر معاوية أيضا . وقيل : إن معاوية أجرى على الحسن رضى الله عنه بعد ذلك في كل سنة ألف ألف درهم .

(١) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) مثل الكامل : وسقطت من النسخة (ك) .

وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين . وقيل : في شهر ربيع الآخر . وقيل : في جمادى الأولى في النصف منه .

وقيل : إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية ؛ لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم ، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر ، فشيببت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع ، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دُنْيَاكُمْ ، وأصبحتم اليوم ودُنْيَاكُمْ أمام دينكم ، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين : قتيل بصفتين تمكون له ، وقتيل بالنهر وإن تطلبون ثأره ، وأما الباقي فخاذل ، وأما الباكي فثائر ، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفه ، فإذا أردتم الموت ردّدناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظُبا السيوف ، فإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا » . فناداه الناس من كل جانب : البقية البقية ، فأَمْضَى (١) الصلح .

فلما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال : « أيها الناس ، إنما نحن أُمَرَاؤُكُمْ وضيغانكم ، ونحن أهل بيت نبيكم عليه الصلاة والسلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير » وكرر ذلك حتى مابقى في المجلس إلا من بكى حتى سُمع نَشِيجُهُ ، وأرسل إلى معاوية وسَلَّمَ إليه الأمر .

فكانت خلافة الحسن على قول من يقول [١] « سَلَّمَ الأمر في ربيع

(١) في الكامل ج ٣ ص ٢٠٤ « وأَمْضَى الصلح » .

الأول « خمسة أشهر ونصف شهر ، وعلى قول من يقول « في ربيع الآخر »
سته أشهر وأياما ، وعلى قول من يقول ^(١) [« في جمادى الأولى »
سبعة أشهر وأياما .

وحكى أبو عمر بن عبد البر ^(٢) رحمه الله أن الحسن رضى الله عنه
لما [قُتل أبوه بايعه أكثر من أربعين ألفا ، كلهم قد كانوا بايعوا أباه
عليا قبل موته على الموت ، ثم ^(٣)] خرج لقتال معاوية وخرج معاوية
لقتاله ، فلما تراءى الجمعان - وذلك بموضع يقال له مشكين من أرض
السواد بناحية الأنبار - علم أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب
أكثر الأخرى ، فكتب إلى معاوية أنه يصير الأمر إليه ، على أن يشترط.
عليه أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء مما
كان في أيام أبيه ، فأجابه معاوية وكاد يطير فرحا إلا أنه قال : أما عشرة
أنفس فلا أو منهم : فراجع الحسن فيهم ، فكتب إليه يقول : إني
أليتُ أنى متى ظفرت بقميس بن سعد أن أقطع لسانه ويده . فراجع
الحسن : أنى لا أبايك أبدا وأنت تطلب قيسا أو غيره بتبعية قلتُ
أو كثرت ، فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال : اكتب
ما شئت فيه وأنا ألتزمه . فاصطلحا على ذلك ، واشترط . عليه الحسن
رضى الله عنه : أن يكون له الأمر من بعده ، فالتزم ذلك كله معاوية ،
فقال له عمرو بن العاص : إنه قد انقل ^(٤) حدهم وانكسرت

(١) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) مثل الكامل ، وسقطت من النسخة (ك)

(٢) في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٣) الزيادة من الاستيعاب

(٤) انقل : انظم وانكسر ، والحد : اليأس والقوة .

شؤكتهم . فقال له معاوية : « أما علمت أنه قد بايعَ علياً أربعون ألفاً على الموت ؟ فوالله لا يُقتلون حتى يُقتل أعدادهم من أهل الشام ، والله ما في العيش خيراً بعد ذلك » . فاصطلحا على ما ذكرناه .

وكان الحسن رضي الله عنه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ابني هذا سيدٌ يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ^(١) » قال : ولما بايع الحسن معاوية كان أصحاب الحسن يقولون له : يا عار المؤمنين . فيقول : العار خير من النار .

وروى أبو عمر بسنده ^(٢) إلى أبي الغريف ^(٣) قال : كنا في مقدمة الحسن بن علي رضي الله عنهما على اثني عشر ألفاً بمسكين مستميتين ، تقطر أسيافنا من الجِدِّ ^(٤) والحرص على قتال أهل الشام ، وعلينا أبو العمره ^(٥) ، فلما جاءنا صلح الحسن كأنما كُسرت ظهورنا من الغيظ والحزن ، فلما جاء الحسن رضي الله عنه الكوفة أتاه شيخٌ منا يُكنى أبا عامر سيفان بن ليلي ، فقال : السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين . فقال : « لا تُقِلْ هذا يا أبا عامر ، فإني لم أذل المؤمنين ، ولكنني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك » .

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه - رقم ٣٥٠٠ - عن أبي بكره سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح ... الخ ، انظر شرح الكرماني ج ١٥ ص ٢١ ورواه أيضاً الترمذي وغيره .

(٢) في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ .

(٣) أبو الغريف : هو عبيد الله بن خليفة الهمداني .

(٤) كذا جاء « الجِد » في النسخة (ك) بالجيم ، وجاء في (ن) « الحد » بالخاء .

(٥) في جمهرة أنساب العرب ص ٤٠١ : « أبو العمره صير بن يزيد بن عمرو ابن شراحيل بن التهمان بن المنذر بن مالك بن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرثد ، شامي ، قاتل مع حجر بن عدي : وول ابنه الحسين بن أبي العمره شرطة الحجاج » .

قال أبو عمر : ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخِلافة لمعاوية حيّانة ، لا غير ، ثم تكون له من بعده ، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك الوقت ، ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها ، وإن كان عند نفسه أحقّ بها .

قال (١) : ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن بن علي فيخطب الناس ، فكره ذلك معاوية وقال : لا حاجة لنا بذلك : فقال عمرو : « ولكني أريد ذلك ليبثوا للناس عيّه ، فإنه لا يدري هذه الأمور ما هي » ولم يزل بمعاوية حتى أمر (٢) الحسن رضي الله عنه أن يخطب ، وقال له : يا حسن قم فكلّم الناس فيما جرى بيننا . فقام الحسن رضي الله عنه فتشهد وحمّد الله وأثنى عليه ، ثم قال في بديته : أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ اللَّهَ هَدَاكُمْ بِأَوَّلِنَا وَحَقَّنَ دَمَاءَكُمْ بِآخِرِنَا ، وَإِنَّ لِهَذَا الْأَمْرَ مَدَّةً ، وَالْدُّنْيَا دُولٌ : وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَإِنْ أَذْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ . إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَذْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (٣) . فلما قالها ، قال له معاوية : اجلس . ثم قام معاوية فخطب الناس ، ثم قال لعمرو : هذه من رأيك .

ومن رواية (٤) عن الشعبي أن الحسن خطب فقال : « الحمد لله

(١) أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن ابن شهاب ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢) انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٥٢ ومقاتل الطالبين ص ٧٢ والكمال لابن الأثير

ج ٣ ص ٢٠٤ .

(٣) من الآيات ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ في سورة الأنبياء .

(٤) في الاستيعاب ج ١ ص ٢٧٤

الذى هذا بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم ، ألا إن أكيس الكيس
التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه أنا
ومعاوية إما أن يكون أحق به منى ، وإما أن يكون حقى فتركه الله
تعالى وإصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم .
ثم التفت إلى معاوية فقال : ﴿ وَإِنْ أَذْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَتَنَاعُ إِلَى
حِينٍ ﴾ . ثم نزل ، فقال معاوية لعمر : ما أردت إلا هذا . وحقدها
معاوية على عمرو .

ولحق الحسن رضى الله عنه بالمدينة ، بأهل بيته وحشمه ،
والناس يبيكون عند مسيرهم من الكوفة .

والحسن رضى الله عنه آخر الخلفاء حقيقة ، لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « الخلافة ثلاثون ثم تكون ملكا وملوكا » (١)
فكانت هذه المدة من خلافة أبى بكر رضى الله عنه وإلى آخر أيام الحسن .
ولم يزل الحسن رضى الله عنه مقبلا بالمدينة إلى أن مات على
ما ذكره إن شاء الله فى حوادث سنة تسع وأربعين .

وحيث ذكرنا الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، وذكرنا أخبار
من مات أو استشهد من العشرة ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى أثناء أخبار الخلفاء ، فلنصل هذا الباب بذكر من بقى من العشرة ،
وهما : سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد ، ليكمل عدة العشرة فى هذا
الباب ، وإن كانت وفاتهما فى غير أيام الخلفاء .

(١) الحديث الذى رواه أحمد وغيره : « الخلافة يعنى فى أمى ثلاثون سنة : ثم
ملك بعد ذلك » وفى رواية : « ثم يكون ملكا بعد ذلك » ، وجاء فى النهاية ثم « يكون ملك
عضوض » بفتح العين ، أى يصيب الرعية فيه عسف وظلم ، ثم جاءت فيها رواية أخرى : « ثم
يكون ملوك عضوض » بضم العين جمع عض وهو الحبيث الشرس .

ذكر أخبار سعد بن أبي وقاص ووفاته

رضى الله عنه

هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري .
كان رضى الله عنه سابع سبعة في الإسلام ، أسلم بعد ستة ، وهو ابن تسع عشرة سنة .

وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأحد الستة الذين جعل عمر رضى الله عنه الشورى فيهم ، وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وهو عنهم راضٍ .
وكان رضى الله عنه مُجاب الدعوة مشهوراً بذلك ، تُخاف دعوته وترجى لاشتهار إجابتها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « اللهم سدّد سهمه وأجب دعوته (١) » .

وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وذلك في سرية عبدة ابن الحارث ، وقد تقدم ذكره في السيرة النبوية في الغزوات والسرايا . (٢)
وجمع رسول الله عليه الصلاة والسلام له بين أبويّه في قوله صلى الله عليه وسلم « ارم فداك أبي وأُمّي » ولم يقل ذلك إلاّ له وللزبير بن العوام .
وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش (٣) ، وهو الذي كوّف

(١) وروى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » .
(٢) جاء في نهاية الأرب المطبوع ج ١٧ ص ٢ : « ذكر سرية عبدة بن الحارث ابن الخطاب إلى بطن رابغ ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجرة في ستين رجلاً من المهاجرين . . . » ثم جاء في الصفحة التالية : « فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف ، ولم يعطفوا للقتال ، وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله » .
(٣) زاد أبو عمر في الاستيعاب ج ٢ ص ٢١ : « الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيه » .

الكوفة ونفى الأعاجم وتولى قتال الفرس^(١) كما تقدم ذكر ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان أميراً على الكوفة ، فشكاه أهلها ورموه بالباطل ، فدعا على الذى واجهه بالكذب دَعْوَةً ظهرت إجابته فيها .

ولما جعله عمر بن الخطاب فى أصحاب السُّورى قال : إن وليها سعد فذاك وإلا فليستعن به الوالى فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة . وكلمه ابنه عمر بن سعد أن يدعوا لنفسه بعد مقتل عثمان فإنى .

وكان رضى الله عنه ممن لزم بيته وقعد فى الفتنة ، وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام ، فطمع معاوية فيه وفى عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة ، فكتب إليهم^(٢) يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان ، ويقول لهم إنهم لا يكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك ، وقال : إن قتله وخذله سواء ، فى نشر ونظم كتب به إليهم ، فأجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به من ذلك ، ويُنكر عليه مقالته ، ويعرفه أنه ليس بأهل لما يطلبه ، وكان فى جواب سعد :

مُعَاوِيَ دَاوُكَ الدَّاءَ الْعِيَاءَ وليس بما تَجِيءُ به دَوَاءُ
أَيَّدَعُونِي أَبْرَ حَسَنَ عَلِيٍّ فلم أَرَدُّدُ عَلَيْهِ ما يَشَاءُ
وَقُلْتُ لَهُ أَعْطِنِي سَيْفًا قَصِيرًا تَمَازُ بِهِ الْعِدَاوَةُ وَالْوَلَاءُ

(١) عبارة أبى عمر : « وتولى قتال فارس ، أمره عمر بن الخطاب على ذلك ، ففتح الله على يديه أكثر فارس ، وله كان فتح القادسية وغيرها » .

(٢) انظر شرح ابن أبى الحديد لنهج البلاغة ج ١ ص ٢٦٠ .

فَإِنَّ الشَّرَّ أَصْغَرُهُ كَبِيرٌ وَإِنَّ الظَّهْرَ مُنْقَلِبُهُ (١) الدَّمَاءُ
 أَنْطَمَعُ فِي الَّذِي أَعْيَا عَلِيًّا عَلَى مَا قَدْ طَمَعْتَ بِهِ الْعَفَاءُ !
 لِيَوْمٍ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا أَذِنَ لِلْمَرْءِ الْفَيْدَاءُ
 وَأَمَّا أَمْرُ عُثْمَانَ فَدَعَا لَهُ فَإِنَّ الرَّأْيَ أَذْهَبَهُ الْبَلَاءُ
 وَكَانَتْ وَفَاةُ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَصْرِهِ بِالْعَقِيقِ ، عَلَى عَشْرَةِ
 أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ ، وَدُفِنَ بِالْبُقْعِ
 وَصَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَاخْتُلِفَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ ، فَقَالَ الْوَاقِدِيُّ :
 تَوَفَّى فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ، وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَقَالَ
 أَبُو نَعِيمٍ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ وَالْحَسَنُ بْنُ عُثْمَانَ
 وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الْغَلَّاسُ : تَوَفَّى فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ
 وَسَبْعِينَ ، وَذَكَرَ أَبُو زُرْعَةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تَوَفَّى وَهُوَ
 ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا بِخَلْقٍ جُبَّةَ لَهُ مِنْ صُوفٍ ،
 فَقَالَ : كَفَّنُونِي فِيهَا فَإِنِّي كُنْتُ لَقَيْتُ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ [وَهُوَ
 عَلَى] (٢) وَلَمَّا كُنْتُ أَخْبَرُهَا لِهَذَا الْيَوْمِ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَوَفَاتِهِ .

هُوَ أَبُو الْأَعْوَرِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَدْرِ بْنِ ثُقَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ
 رِيَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْظٍ بْنِ رَزَّاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ
 ابْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ . وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ بَعْجَةَ بِنْتُ مُلَيْحِ الْخَزَاعِيَّةِ .

(١) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ ، وَفِي الْإِسْتِمْبَاطِ ح ٢ ص ٢٥ « يُنْقَلِبُهُ » .

(٢) ثَبَتَ هَذِهِ الْمُبَارَةُ فِي النُّسخَةِ (ن) مِثْلَ الْإِسْتِمْبَاطِ ، وَسَقَطَتْ مِنْ (ك) .

وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصهره ، كانت تحته فاطمة ابنة الخطاب أخت عمر ، وكانت أخته عاتكة بنت زيد تحت عمر .

وكان سعيد رضى الله عنه من المهاجرين الأولين ، قديم الإسلام ^(١) لم يشهد بدرًا ، وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسبه وأجره ، وقد قدمنا ذكر ذلك في غزوة بدر ^(٢) ، وشهد ما بعد بدر من المشاهد ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

وكان أبوه زيد بن عمرو يطلب دين الحنيفية - دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام - قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يذبح للأنصاب ، ولا يأكل مما ذبح لها ، ولا يأكل الميتة ولا الدم ، وخرج في الجاهلية يطلب الدين هو وورقة بن نوفل ، فعرضت عليهما اليهود دينهم فتهوؤ ورقة ، ثم إقياً النصراني فترك ورقة اليهودية وتنصر ، وأبى زيد أن يأتي شيئاً من ذلك ، وقال : ما هذا إلا كدين قومنا تُشركون ويُشركون ، ولكنكم عندكم من الله ذكر ولا ذكر عندهم . فقال له راهب : إنك تطلب ديناً ما هو على الأرض اليوم . قال وما هو ؟ قال : دين إبراهيم عليه السلام .

(١) في الاستيعاب ج ٢ ص ٢ والإصابة ج ٢ ص ٤٦ والرياض النخلة ج ٢ ص ٣٠٢ أن إسلامه كان قديماً قبل عمر بن الخطاب وكان إسلام غير عنه في بيته .

(٢) تقدم في نهاية الأرب ج ١٧ ص ٣٦ أن طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل كانا قد بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام يحضنان له خير العير ، فقدمتا بعد غزوة بدر ، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما ، قال : يا رسول الله ، وأجرنا . قال : وأجركما .. وكذلك جاء في « ذكر مقتل طلحة » من هذا الجزء .

قال : وما كان عليه إبراهيم ؟ قال : كان يعبد الله لا يشرك به شيئا ، ويصلى إلى الكعبة . فكان زيد على ذلك حتى مات . .

ومن رواية أخرى قال : خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرّا بالشام ، فأما ورقة فتنصر ، وأما زيد فقبل له : إن الذى تطلب أمامك ، فانطلق حتى أتى الموصل فإذا هو براهب فقال : من أين أقبل صاحب الرحلة ؟ قال من بيت إبراهيم . قال : ما تطلب ؟ قال : الدين . قال : فعرض عليه النصرانية ، فقال : لا حاجة لى فيها ، وأبى أن يقبل ، فقال : إن الذى تطلب سيظهر بأرضك . فأقبل وهو يقول :

لبيك حقا حقا . تعبدوا ورقا .

[وقال] : (١) .

مهما تجشعنى فىانى جاشم . عذت بما عاذ به إبراهيم .

قال : وأتى سعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له . قال عليه الصلاة والسلام : « نعم ، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » فاستغفر له . قال أبو عمر : وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه قد أقطع سعيد بن زيد أرضا بالكوفة فنزلها وسكنها إلى أن مات ، وسكنها من بعده من بنيهِ الأسود بن سعيد .

وكانت وفاة (٢) سعيد فى سنة خمسين أو سنة إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة رضى الله عنه وأرضاه .

(١) انزيادة من الاستيعاب ج ٢ ص ٤٠ حيث نقل المؤلف هذه الرواية كما نقل مابقيها .

(٢) توفي بأرضه بالمعيق ، وحمل إلى المدينة ودفن بها .

الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الخامس

في أخبار الدولة الأموية

أول من ملك من ملوك هذه الدولة معاوية بن أبي سفيان ، هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، يجتمع نسبه ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف بن قصي .

وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

ولى معاوية دمشق عاملاً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، في سنة ثمانى عشرة ^(١) كما ذكرنا ذلك في خلافة عمر ، [وأقام بقية أيام عمر] ^(٢) وأيام عثمان بن عفان رضى الله عنهما بكما لها إلى أن قُتل . فلما بُويع على رضى الله عنه امتنع من مبايعته ، وكان بينهما من الحروب ما ذكرناه في خلافة على .

وسُلم عليه بالإمارة ^(٣) بعد اجتماع الحكّمين في سنة سبع

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣ ص ٣ ص ٣٩٥ : « ولاد عمر على الشام بعد موت أخيه يزيد » ثم ذكر أن ذلك كان في سنة سبع عشرة .

(٢) ثبتت هذه الجملة في النسخة (ب) وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) المعروف أنه صار أميراً على الشام يجعله عليلاً للخليفة هناك ، قال أبو عمر في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٨ : « كان أميراً بالشام نحو عشرين سنة وخليفة مثل ذلك » وأما بعد اجتماع الحكّمين فقد سلم عليه أصحابه وأهل الشام خاصة بالخلافة ، قال ابن جرير الطبري في تاريخ سنة ٢٧ بعد اجتماع الحكّمين ج ٤ ص ٥٣ : « ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة » . ويصريح المؤلف بهذا في (ذكر ملك عمرو ابن العاص مصر) .

وثلاثين ، وبويع له بعد وفاة علي رضي الله عنه في ذي الحجة سنة أربعين
ببيت المقدس ، قاله أبو بشر الدؤلابي ^(١) رحمة الله عليه ، ثم بويع
له البيعة العامة بالكوفة بعد أن خلص له الأمر وتسلمه من الحسين بن
علي رضي الله عنهما ، على ما تقدم ، في سنة إحدى وأربعين ، في
شهر ربيع الأول لخمس بَقِين منه [وقيل : في ربيع الآخر] ^(٢) .
وقيل : جُمَادَى الأولى . .

ولنبداً من أخباره بما كان منها في خلافة علي رضي الله عنه ، مما لم
نذكره هناك ، ثم نذكر من أخباره بعد أن خلص له الأمر ، فنبدأ
هناك بما وقع في أيامه من الغزوات والفتوحات ، ثم نذكر أخبار الخوارج
عليه ، ثم حوادث السنين خلاف ذلك على نحو ما قدمناه في أخبار
غيره ، إن شاء الله تعالى .

ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية وصلحه معه

كان عمرو بن العاص قد فارق المدينة وقدم إلى فلسطين في آخر
أيام عثمان ، فأقام هناك حتى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ،
وقد ذكرنا في خلافة عثمان سبب خروج عمرو ، فلما أتاه الخير بقتل
عثمان قال : « أنا أبو عبد الله ، أنا قتلته وأنا بوادي السبع » ^(٣)

(١) هو محمد بن أحمد بن حنبل بن سعيد الرازي النولابي . ولعل بعض أجداده
نسب إلى عمل النولاب الذي يستق به للماء : وهناك بعض المواضع يسمى « النولاب »
فهل نسب أبو بشر إليه مع كونه من الرى ؟

(٢) ثبت هذه الجملة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) السبع يسكون الياء وقصعها ، قال ياقوت : السبع : ناحية في فلسطين بين
بيت المقدس والكرك ، فيه سبع آبار ، سمي للموضع بذلك ، وكان ملكاً لعمرو بن العاص ،
أقام به لما اعتزل الناس ، وأكثر الناس يروى هذا الموضع يفتح الياء .

إن يل هذا الأمر طلحة فهو فتى العرب سيبا ، وإن يله ابن أبي طالب ،
فهو أكره من يليه إلى ! » .

فأتاه الخبر ببينة على ، فاشتد عليه ، فأقام ينتظر ما يصنع الناس ،
فأتاه خبر مسير عائشة وطلحة والزبير ، فأقام ينتظر ما يصنعون :
فأتاه خبر وقعة الجمل ، فأرتج عليه .

فسمع أن معلوية امتنع من بيعة على رضى الله عنه وأنه يعظم شأن
عثمان ، فدعا ابنه^(١) ، فاستشارهما ، وقال : « ما تريان ؟
أما على فلا خير عنده ، وهو يدل بسابقته ، وهو غير مشركى فى أمره » .
فقال له ابنه عبد الله : « يا أبت ، توفى النبي صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون ، فأرى أن تكف يدك وتجلس فى
بيتك حتى يجتمع الناس » . وقال له محمد : « يا أبت ، أنت ناب^(٢)
من أنياب العرب ، ولا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه
صوت »^(٣) . فقال عمرو : « أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هو خير لى
فى دينى ، وأما أنت يا محمد فأمرتنى بما هو خير لى فى دنياى وشئ لى فى
آخرى » .

ثم خرج معه ابنه حتى قدم على معاوية (وقيل : إنه ارتحل من
فلسطين وهو يبكى كما تبكى المرأة ، ويقول : واعثماناه ! أتعى الحياء
والدين ، حتى قدم دمشق) فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم

(١) فى الكامل لابن الأثير - حيث نقل المؤلف - ج ٣ ص ١٤١ : « فدعا
ابنه عبد الله : ومعه » وقد ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ج ٣ ص ٣٤٦ قول الواقى :
محمد بن عمرو بن العاص شهد صفين وقايل فيها ولم يقاتل أخوه عبد الله : وقال الزبير مثل ذلك .
(٢) الناب : سيد القوم . وفى الإصابة ج ٣ ص ٣٨١ « أنت فارس آليات العرب »
(٣) كذا جاء فى المخطوطة والكامل لابن الأثير : « وجاء فى الإصابة : « ذكر »

عثمان . فقال لهم : أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم . ومعاوية لا يلتفت إليه ، فقال له ابنه : ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إليك ، انصرف إلى غيره ، فدخل عليه فقال : « والله لعجب لك أنى أرفدك بما أرفدك وأنت مُعرض عني ، إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس مافيها ، حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقربته ، ولكننا إنما أردنا هذه الدنيا » . فصالحه معاوية وعطف عليه واقتدى بآرائه ، وشهد عمرو معه صفين ، وحكمه ، وكان من أمره معه ما تقدم ، والله أعلم .

ذكر مقتل محمد بن أبي حذيفة

وشيء من أخباره

كان أبوه حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتل يوم اليمامة وترك ابنه محمدا هذا ، فكفله عثمان وأحسن تربيته . وكان فيما قيل قد أصاب شرابا فحده عثمان ، ثم تنسك بعد ذلك وأقبل على العبادة .

وطلب من عثمان أن يؤكبه عملا فقال له : لو كنت أهلا لذلك لوئيتك ، فقال له : إني قد رغب^(١) في غزو البحر فأذن لي في إتيان مصر . فأذن له وجهزه ، فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظموه . وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصواري^(٢) ، وكان محمد

(١) كما جاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٥ ، ولم تبين الكلمة في (ن) ، وجاء في (ك) : « ركب » .

(٢) غزوة الصواري أو « ذات الصواري » كان سببها أن المسلمين لما انتصروا في أفريقية خرج الروم في جمع كبير ، وخرج المسلمون للدفاع والجهاد ، وكان عليهم في هذه الحرب البحرية عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، جاء في النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٠ ، ٩١ و ثم غزا في البحر من ناحية الإسكندرية ، فلقية قسطنطين بن هرقل في ألف مركب ، وقيل : =

يعيب ابن سعد ، ويعيب عثمان بتوليته^(١) ، ويقول : استعمل رجلا
أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه .

وكتب عبد الله إلى عثمان : إن محمدا قد أفسد على البلاد هو
ومحمد بن أبي بكر .

فكتب عثمان رضى الله عنه إليه : أما ابن أبي بكر فإنه يوهب
لأبيه ولعائشة ، وأما ابن أبى حذيفة فإنه ابنى وابن أخى وتربيته
وهو فرخ قریش .

فكتب إليه : إن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن
يطير .

فبعث عثمان إلى ابن أبى حذيفة ثلاثين ألف درهم ومحملا عليه
كسوة . فوضعها محمد فى المسجد وقال : يا معشر المسلمين ألا ترون
إلى عثمان يخادعنى عن دينى ويرشونى ، عليه . فازداد أهل مصر تعظيما له
وطعنا على عثمان ، وبابيعوه على رئاستهم .

فكتب إليه عثمان يذكره بربه به وتربيته إياه وقيامه بشأنه ،
ويقول له : كفرت إحسانى أحوج ما كنت إلى شكرك . فلم يردّه
ذلك عن ذمه وتأليب الناس عليه ، وحثهم إلى المسير إلى حصره
ومساعدة من يريد ذلك .

= فى سبائة ، والمسلمون فى مائى مركب ، وتقاتلا ، فانتصر أمير مصر عبد الله وهزم الروم ،
وانما سميت غزوة ذات الصوارى لكثرة صوارى المركب واجتماعها . ويقال : إنها سميت
بذات الصوارى لأن هذا الاسم كان لإقليم يجلب منه قداماء المصريين الخشب لبناء سفنهم . وقد أحسنت
الجمهورية العربية المتحدة فى اختيارها ذكرى هذه المعركة البحرية فى احتفالها بيوم البحرية .
(١) كان أول ما تكلم به محمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر فى حق عثمان فى
غزوة الصوارى .

فلما سار المصريون إلى عثمان أقام هو بمصر ، وخرج عنها عبد الله ابن سعد بن أبي سرح ، فاستَوَى عليها وضبطها ولم يزل مقيماً بها حتى قُتل عثمان وبُويع على رضى الله عنه ، واتفق معاوية وعمر بن العاص [على خلاف على] ^(١) ففسار عمرو بن العاص إليه وقتله .

وقد اختلف في قتله ، فمن المؤرخين من قال : إن عمرو بن العاص سار إلى مصر هو ومعاوية قبل مقدم قيس بن سعد إليها ، وأراد دخول مصر فلم يقدر على ذلك ، فخدعا محمدا حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها ، فنصبا عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتل . وهذا القول ليس بشيء يُعتمد عليه ، وهو بعيد جدا ، لأن على بن أبي طالب استعمل قيس بن سعد على مصر أول ما بويع ، ولو كان قتل محمد بن أبي حذيفة [قبل وصول قيس بن سعد إلى مصر] ^(٢) لاستَوَى معاوية على مصر ، ولا خلاف أن استيلاء معاوية على مصر كان بعد صِفِّين ، وإنما ذكرنا هذا القول لتبيين بطلانه ، وقد علَّله بعض المؤرخين بنحو هذا التعليل ، واستدل على بطلانه ^(٣) .

وقد قيل غير ذلك : وهو أن محمد بن أبي حذيفة سِيرَ المصريين إلى عثمان ، فلما حضروه ^(٤) أخرج محمد عبد الله بن سعيد بن أبي سرح عن مصر وهو عامل عثمان [واستولى] ^(٥) عليها ، فنزل عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمر عثمان ، فطلع عليه راكب ، فسمَّاه ،

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٥ حيث نقل المؤلف .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) انظر ابن الأثير في تاريخه الكامل ج ٣ ص ١٣٥ .

(٤) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل ج ٣ ص ١٣٦ : « حضروه » .

(٥) الزيادة من الكامل .

فأخبره بقتل عثمان وببيعة على رضى الله عنه ، فاسترجع ، وأخبره بولاية قيس بن سعد على مصر ، وأنه قادم بعده فقال عبد الله : « أبعد الله محمد بن أبي حذيفة ! فإنه بنى على ابن عمه وسعى عليه ، وقد كفه ورباه وأحسن إليه ، فأساء جواره ، وجهز إليه الرجال ، حتى قُتل ، ثم ولي على ^(١) من هو أبعد منه ومن عثمان ، ولم يُمتعه بسلطان بلاده شهرا ولم يره لذلك أهلا . » وخرج عبد الله هاربا حتى قَدِم على معاوية ^(٢) .

وقيل : إن عمرو بن بن العاص سار إلى مصر بعد صفين ، فلقيه محمد بن أبي حذيفة في جيش كثير ، فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل إليه فاجتمعا ، فقال له عمرو : « إنه قد كان ماترى ، وقد بايعت هذا الرجل - يعنى معاوية - وما أنا راض بكثير من أمره ، وإني لأعلم أن صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقَدَمًا ، وأولى بهذا الأمر ، فواعدني موعدا ألتقى معك فيه في غير جيش ، تأتي في مائة وآتي في مثلها ، وليس معنا إلا السيوف في القُرب » . فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش ، ورجع عمرو إلى معاوية فأخبره الخبر ، فلما جاء الأجل سار كل واحد منهما في مائة ، وجعل عمرو جيشا خلفه ، فلما التقيَا بالعريش ، قدم جيش عمرو [على أثره] ^(٣) فعلم محمد أنه قد غدر به ، فدخل قصرا بالعريش فتحصن به ، وحصره عمرو ، ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيرا ، فبعث به إلى معاوية فسجنه ، وكانت

(١) كذا جاء في النسخة (ن) : وجاء في النسخة (ك) : « عليه » .

(٢) عقب ابن الأثير في الكامل هذا بقوله : « وهذا القول يدل على أن قيساً ولي مصر

ومحمد بن أبي حذيفة حى ، وهو الصحيح . . .

(٣) الزيادة من الكامل لابن الأثير .

ابنة^(١) قرظة امرأة معاوية ابنة بن محمد عمة أبي حذيفة ، أمها فاطمة بنت عتبة ، فكانت تصنع له طعاما ترسله إليه ، فأرسلت إليه يوما في الطعام مَبَارِد ، فَبَرَدَ بها قِيودَه ، وهرب ، فاختنفى في غار ، فأُخذ وقُتل .

وقيل : إنه بقى محبوساً إلى أن قُتل حُجْر بن عَدِي ، ثم هرب فطلبه مالك بن هبيرة السَّكُونِي ، فظفر به فقتله غضباً لحُجْر ، وكان مالك قد شفع إلى معاوية في حجر فلم يُشفعه .

وقيل : إن محمد بن أبي حذيفة - لما قتل محمد بن أبي بكر - خرج في جَمْع كثير على عمرو ، فأَمَنه عمرو ، ثم غدر به ، وحمله إلى معاوية ، فحبسه ، ثم إنه هرب ، فأظهر معاوية لاس أنه كره هربه ، وأمر بطلبه فسار في طلبه عبيد الله بن عمر^(٢) بن ظلام الخزاعي فأدركه بخوارن في غار ، وجاءت حُمُر تدخل الغار ، فلما رأت محمداً نفرت منه ، وكان هناك ناس يحصدون ، فقالوا : والله إن لنفرة هذه الحُمُر لَشَأنا ، فذهبوا إلى الغار فرأوه ، وخرجوا من عنده ، فوافقهم عبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم ، فقالوا : هو في الغار ، فأخرجه ، وكره أن يأتي به معاوية فيخلى سبيله ، فضرب عنقه . والله أعلم .

(١) هي فاختة ابنة قرظة .

(٢) عند ابن جرير وابن الأثير : عمرو .

ذكر ملك عمرو بن العاص مصر

ومقتل محمد بن أبي بكر ووفاة الأشتر وما يتصل بذلك

قد ذكرنا في أخبار علي رضي الله عنه استعماله محمد بن أبي بكر على مصر ، وما كان بينه وبين أهل خربنا^(١) وقتلهم ابن مضاءهم ، ثم خرج معاوية بن حذيج السكوني ، ودعا إلى الطالب بدم عثمان فأجابه ناس وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ ذلك عليا ، فاستدعى الأشتر ، وكان قد توجه إلى نصيبين بعد صفين ، فحضر إليه فأخبره خبير أهل مصر ، وقال له : « ليس لها غيرك ، فأخرج إليها ، فإني لو لم أوصك اكتفيت برأيك ، فاستعن بالله ، واخطئ الشدة باللين ، وارفق ما كان الرفق أبلى ، وتشدد حين لا يغني إلا الشدة »

فخرج الأشتر إلى مصر ، فبلغ معاوية ذلك ، فعظم عليه ، وكان قد طمع في مصر ، فعلم أن الأشتر إن قدمها كان عليه أشد من محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، فبعث معاوية إلى المقدم على أهل الخراج بالقلزم وهو الجابستار^(٢) وقال له : إن الأشتر وقد ولي مصر فإن كفيئته لم آخذ منك خراجا ما بقيت وبقيت . فخرج الجابستار حتى أتى القلزم وأقام به .

وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول ، فنزل عنده ، فأتاه بطعام فأكل وأتاه بشربة من عمل قد جعل فيه سما فسقاه إياه ، فلما شربها مات .

(١) أنظر ما سبق في « خربنا » .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٧١

« الجابستار » .

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام : إِنَّ عَلِيًّا قد وجه الأشر إلى مصر فادعوا الله عليه فكانوا يدعون عليه (١) .

وأقبل الذى سقاه إلى معاوية فأخبره بمُهلِكَ الأشر ، فقام معاوية خطيباً ، ثم قال : أَمَّا بَعْدُ ، فإنه كانت لعلِّ يَمِينان ، قُطعت إحداهما يَوْمَ صَفِّين - يعنى عَمَّار بن ياسر - ، وقُطعت الأخرى اليوم - يعنى الأشر - .

فلما بلغ ذلك عليا قال : لِلْيَدَيْنِ وَلِلفَمِّ (٢) ! [وكان ثقل عليه لأشياء نُقلت عنه ، وقيل : إنه لما بلغه قتلُه] (٣) استرجع (٤) وقال : « مَا لِكَ ! وما مَا لِكَ ؟ وهو موجود مثل ذلك ؟ لو كان من حديد لكان قَيْداً ، أو من حجر لكان صَلْدًا ، على مثله فَلَتَبِكَ البَوَاكى ! » (٥) . ثم كتب إلى محمد بن أبى بكر باستقراره على عمله ، وأوصاه . وقيل : إنه إنما ولى الأشر بعد قتل محمد بن أبى بكر .

قال : ولما كان من الحَكَمَيْنِ ما كان ، وبابِع أهل الشام معاوية بالخلافة ، لم يكن له همٌّ إلَّا مصر ، وكان يَهَابُ أهلها [لِقُرْبِهِمْ منه و] (٦) لشدَّتْهم وما كان من رأيهم فى عثمان ، وكان يرجو أنه إذا ظهر (٧) عَلَيْهَا ظهر على حرب على رضى الله عنه لعِظَم خراجها ، فدعا

(١) ذكر ابن جرير وابن الأثير أنهم كانوا يدعون الله عليه كل يوم .

(٢) هذه كلمة يقال للرجل إذا دعى عليه بالسوء ، معناه : كَبِهَ الله لوجهه ، أى خراب إلى الأرض على يديه وفيه .

(٣) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٨ .

(٤) استرجع : قال « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

(٥) قال ابن الأثير فى الكامل عقب هذا : « وهذا أصح ، لأنه لو كان كارها

له لم يوله مصر » .

(٦) الزيادة من الكامل .

(٧) ظهر : غلب .

معاوية عمرو بن العاص ، وحبيب بن أبي مسلمة ، وبشر بن أرطاة ،
والضحاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد ، وأبا الأعور والسلمي ،
وشرحبيل بن السمط الكندي ، فقال لهم : أنذرون لم جمعتمكم ؟
فإني جمعتمكم لأمر لي مهم . فقالوا : لم يُطلع الله على الغيب أحدا ، ولم
نعلم ما تريد .

فقال عمرو بن العاص : لتسألنا عن رأينا في مصر ، فإن كنت
جمعتمنا لذلك ، فاعزم واصبر ، فتعم الرأي رأيت في افتتاحها ،
فإن فيه عزك وعز أصحابك ، وكبت عدوك ، وذلك أهل الشقاق عليك .
فقال معاوية : أهملك يا بن العاص ما أهملك . وذلك أن عمرا صالح
معاوية على قتال على رضى الله عنه على أن له مصر طعمة ما بقى .

وأقبل معاوية على أصحابه وقال : أصاب أبو عبد الله ، فما ترون ؟
قالوا : ما نرى إلا ما رأى عمرو .

ثم كتب معاوية إلى مسلمة ابن مخلد ومعاوية بن حديج السكوني
- وكانا قد خالفا عليا - يشكرهما على ذلك ، ويحثهما على الطلب
بدم عثمان ، ويعبدهما المواساة في سلطانه . وبعثه مع مولاه سبيع .

فلما وقفا عليه أجاب مسلمة بن مخلد الأنصارى عن نفسه وعن ابن
حديج : « أما بعد ، فإن الأمر الذى بذلنا له أنفسنا ، واتبعنا
أمر الله نرجو به ثواب ربنا ، والنصر على من خالفنا ، وتعجيل
النقمة على من سعى على إمامنا ، وأما ما ذكرت من المواساة في سلطانتك ،
فبإلله إن ذلك أمر ماله نهضنا ، ولا إياه أردنا ، فعجل علينا ^(١) بخيلك

(١) كذا جاء في المخطوطة وتاريخ ابن جرير الطبري ، وجاء في الكامل : « إلينا » .

ورجالك ، فإن عدونا قد أصبحوا لنا هائبين ، فإن يأتنا مدد يفتح الله عليك ، والسلام .

فجاءه الكتاب وهو بفلسطين ، فدعا أولئك النفر وقال لهم : ماتروُن ؟ قالوا : نرى أن تبعث جندا . فأمر عمرو بن العاص ليتجهز إليها ، وبعث معه ستة آلاف رجل ، وأوصاه بالتؤدة وترك العجلة . وسار عمرو حتى نزل أداني أرض مصر ، فاجتمعت العثمانية إليه ، فأقام بهم ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر : « أما بعد ، فتَنَحَّ عَنِّي بِلَمَك يا بن أبي بكر ، فأني لا أحب أن يصيبك مني ظُفر ، إنَّ الناس بهذه البلاد قد أجمعوا على خلافتك وهم مسلموك فاخرج منها ، إني لك من الناصحين » وبعث إليه [بكتاب معاوية] في المعنى ، ويتهدده بقصده حصار عثمان .

فأرسل محمد الكتابين إلى علي رضي الله عنه ، ويخبره بنزول عمرو بأرض مصر ، وأنه رأى التشاقل من عنده ، ويستتمده . فكتب إليه يأمره أن يضم شيعته إليه ، ويعده إنفاذ الجيوش إليه ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله .

وقام محمد في الناس فندهم إلى الخروج إلى عدوهم مع كنانة بن بشر ، فانتدب معه ألفان ، وخرج محمد بن أبي بكر بعده في ألفين ، وأبلى عمرو نحو كنانة ، فلما دنا منه سرح الكتاب كتيبة بعد كتيبة ، فجعل كنانة لانأتيه كتيبة لإحمل عليها ، فألحقها بعمرو ، فلما رأى ذلك بعث إلى معاوية بن خديج ، فأتاه في مثل الدَّهْم ^(١) ،

فأحاطوا بكنانة وأصحابه ، واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب ، فنزل كنانة عن فرسه ونزل معه أصحابه ، فقاتل بسيفه حتى قُتل ، وبلغ قتله محمد بن أبي بكر ، فتفرق عنه أصحابه ، وأقبل عمرو بجمع ، ولم يبق مع محمد أحد .

فخرج محمد يمشى في الطريق ، فانتهى إلى خربة فأوى إليها ، وسار عمرو بن العاص حتى دخل القسطنطينية ، وخرج معاوية بن حُديج في طلب محمد بن أبي بكر ، فانتهى إلى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه ، فقال أحدهم : دخلت تلك الخربة فرأيت فيها رجلا جالسا ، فقال ابن حُديج : هو هو . فدخلوا فاستخرجوه وكاد يموت عطشا ، وأقبلوا به نحو القسطنطينية .

ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهم إلى عمرو وكان في جنده ، وقال : أيقتل أخى صبيرا ؟ ابعث إلى ابن حُديج فأنهه عنه . فبعث إليه يأمره أن يأتبه بمحمد ، فقال : قتلتم كنانة بن بشر وأخلى أنا محمدا ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ ^(١) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ !

فقال لهم محمد بن أبي بكر رضى الله عنه : اسقوني ماء . فقال ابن حُديج : « لَاسْقَايَ اللَّهُ إِنْ سَقَيْتُكَ قَطْرَةً أَبَدًا ؛ إِنْكُمْ مَنَعْتُمْ عِثْمَانَ شُرْبَ الْمَاءِ ، وَاللَّهُ لَا قَتْلَ لَكَ حَتَّى يَسْقِيَكَ اللَّهُ مِنَ الْحَيِّمِ وَالْغَسَّاقِ » . فقال له محمد : « يَا ابْنَ الْيَهُودِيَةِ النَّسَاجَةِ ، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ ، إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ ، يَسْقِي أَوْلِيَائِهِ ، وَيُظْمِئُ أَعْدَاءَهُ ؛ أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ ، أَمَّا وَاللَّهُ لَوْ كَانَ

سيفى بيدي مابلغتم منى هذا . قال له : أتدرى ما أصنع بك ؟
أدخلك جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار . فقال محمد : « إن فعلت
بى ذلك فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله ، وإنى لأرجو أن يجعلها الله
عليك وعلى أوليائك ومعوية وعمرو نارا نلظى ، كلما خبئت زادها الله
سعيرا . فغضب منه وقتله ، ثم ألقاه فى جيفة حمار ، ثم أحرقه
بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة رضى الله عنها جزعت عليه جزعا شديدا ،
وقننت فى وتر^(١) الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، وأخذت عيال
محمد إليها ، وامتنعت عائشة بعد ذلك أن تأكل شواء حتى ماتت .
وقد قيل : إن محمد بن أبى بكر قاتل عمرا ومن معه قتالا شديدا ، فقتل
كنانة وانهزم محمد ، فاختربا عند جبلة بن مسروق ، فذل عليه معاوية
ابن حديج ، فأحاط به ، فخرج إليه محمد فقاتل حتى قُتل . وكان
ذلك فى سنة ثمان وثلاثين .

قال : وأما على رضى الله عنه ، فإنه لما أتاه كتاب محمد ندب
الناس إلى الخروج ، فتشاقلوا فخطبهم وحشهم على الخروج ووبخهم
على التناقل ، فقام إليه كعب بن مالك الأرحبي^(٢) فقال : يا أمير
المؤمنين : اندب الناس ؛ لهذا اليوم كنت أدخر نفسى ، ثم قال :
أيها الناس ، اتقوا الله وأجيبوا إمامكم ، وانصروا دعوته ، وقاتلوا

(١) كذا جاء فى المخطوطة ، وجاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ج ٤ ص ٧٩ والكمال
لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٠ « فى دبر الصلاة » .

(٢) كذا جاء فى المخطوطة والكمال لابن الأثير . وجاء فى تاريخ ابن جرير ج ٤
ص ٨١ - ٨٢ « مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي » وسيأتى قريبا أن عين التمر
فها « مالك بن كعب » .

عدوه وأنا أسير إليه ، فخرج معه ألفان . فقال له على رضى الله عنه :
 سر فوالله ما أظنك تدرکہم حتى ينقضى أمرهم ، فسار بهم خمسا .
 ثم قدم الحجاج بن غزيرة من مصر فأخبره بالخبر ، وأتاه عبد
 الرحمن بن شبيب الفزارى من الشام وكان عينه هناك فأخبره أن
 البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور أهل الشام بقتله ،
 فقال على : أما إن حزننا عليه بقدر سرورهم به ، لابل يزيد أضعافا :
 وأرسل إلى الجيش فأعادهم .

وقام فى الناس خطيبا فقال : « أَلَا إِنْ مِصر قد افتتحها الفَجْرة
 أولو الجور والظلم ، الذين صدوا عن سبيل الله ، وبَغَوْا الإسلام
 عوجا ، أَلَا وَإِنْ محمد بن أبى بكر استشهد ، فعند الله نَحْتَسِبُهُ ،
 أما والله إنه كان - ما علمت - لَمَنْ ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ،
 ويبغض شكل الفاجر ، ويحب هَدْى المؤمن ، والله لا ألوم نفسى على
 تقصير ، وإنى بمقاساة الحرب لجد خبير ، وإنى لأُتَمِّمُ عَلَى الأمر ،
 وأعرف وجه الحزم ، وأتوم فيكم بالرأى المصيب ، وأستصرخكم
 .ملنا ، وأنا دِيعُكم نداء المستغيث ، فلا تسمعون لى قولا ، ولا تطيعون
 لى أمرا ، حتى تصير الأُتُور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القوم لا يُذْرَكُ
 بكم الدار ، ولا تنقض بكم الأوتار ، ودعوتكم إلى غياث إخوانكم
 مُنْذُ بضع وخمسين ليلة ، فتَجَرَّجْتُمْ جَرْجَرة ^(١) الجمل الأشدق ،
 وفتناقلتم إلى الأرض تناقلَ مَنْ ليست له نية فى جهاد العلو ، ولا اكتساب

(١) المجررة : صوت يردده البعير فى حنجرته : والمراد الفجعة والصياح .

الأجر ، ثم خرج إلى منكم جُنَيْدٌ مُنْذَائِبٌ ^(١) ، كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَأُفُّ لَكُمْ ١١ . ثم نزل رضى الله عنه .

ذكر سرايا معاوية الى بلاد علي بن أبي طالب رضى الله عنه

لَمَّا كَانَ مِنْ أَسْرِ الْحَكَمِيِّينَ مَا ذَكَرْنَا ، وَمَلِكِ مُعَاوِيَةَ مِصْرَ ، اسْتَشْرَفَتْ
نَفْسُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ بَثَّ سَرَايَاهُ فِي
أَطْرَافِ بِلَادِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَبِعَثَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فِي أَلْفٍ رَجُلٍ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ ^(٢) وَفِيهَا
مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ مَسْلُوحَةٌ لِعَلِيٍّ فِي أَلْفٍ رَجُلٍ ، وَكَانَ مَالِكٌ قَدْ أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ
فَأَتَوْا الْكُوفَةَ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا مِائَةُ رَجُلٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ خَبَرَ النُّعْمَانِ كَتَبَ إِلَى
عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَعِذُّهُ ، فَغَدَبَ النَّاسُ إِلَى الْخُرُوجِ ، فَتَشَاقَبُوا ، وَوَاقَعَ
مَالِكُ النُّعْمَانِ ، وَجَعَلَ وَرَاءَ الْقَرْيَةِ فِي ظَهْرِ أَصْحَابِهِ ، وَكَتَبَ مَالِكٌ إِلَى
مُخَنَفِ بْنِ مُلَيْمٍ يَسْتَعِذُّهُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ ، فَوَجَّهَ مُخَنَفُ ابْنَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فِي خَمْسِينَ رَجُلًا ، فَانْتَهَوْا إِلَى مَالِكٍ وَقَدْ كَسَرُوا جُفُونَ سَيُوفِهِمْ
وَاسْتَقْتَلَوْا ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَاتَلُوا قِتَالًا تَمِيدًا ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ أَهْلُ
الشَّامِ انْهَزَمُوا بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَظَنُّوا أَنَّ لَهُمْ مَدَدًا ، وَتَبِعَهُمْ مَالِكٌ فَقَتَلَ
مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ .

وَبِعَثَ سَفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ فِي سِتَّةِ آلَافٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ هَيْتَ ^(٣)

(١) جاء في النهاية : وفي حديث علي رضي الله عنه : خرج منكم إلى جنيد
منذائب ضعيف ، المنذائب : المضطرب من قولهم : تذاوبت الرياح : أي اضطرب هبوبها
(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة .
(٣) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار .

فيقطعها ، ثم يأتي الأنبار والمداين فيوقع بأهلها ، فأتي هيت فلم يجد بها أحدا ، ثم أتى الأنبار وفيها مسلحة على تكون خمسمائة رجل ، وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا مائتا رجل ، وكان سبب تفرقهم أن أميرهم كميل^(١) بن زياد بلغه أن قوما بقرقيسيا^(٢) يريدون الغارة على هيت ، فسار إليهم ، فأتي أصحاب سفيان وكميل غائب ، فقاتل سفيان من وجد هناك فصبروا له ، ثم قتل صاحبهم وهو أشرم ابن حسان البكري وثلاثون رجلا ، واحتمل أصحاب سفيان ما في الأنبار من أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية ، وبلغ الخبر عليا فأرسل في طلبهم فلم يذكروا .

وبعث عبد الله ابن مسعدة بن حكيم بن مالك بن بدر الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء^(٣) وأمره أن يأخذ صدقة من مرّبه من أهل البوادي ويقتل من امتنع ، ففعل ذلك ، وبلغ مكة والمدينة ، واجتمع إليه بشر كثير من قومه . وبلغ ذلك عليا فأرسل المسيّب بن نجبة الفزاري في ألفي رجل ، فلحق عبد الله بتيماء فاقتتلوا قتالا شديدا حتى زالت الشمس ، وحمل المسيّب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله ، ويقول له : النجاء النجاء . فدخل ابن مسعدة وجماعة من أصحابه الحصن وهرب الباقيون نحو الشام ، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة وحصره ثلاثة

(١) هو كميل بن زياد بن نهيك النخعي .

(٢) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور ، وعندها مصب الخابور في الفرات ، فهي في مثلث بين الخابور والفرات ، كما ذكره ياقوت

(٣) تيماء : موضع في أطراف الشام ، بين الشام ووادئ القرى

أيام ، ثم ألقى الحطب في الباب وحرقه ، فلما رأوا الهلاك أشرفوا عليه وقالوا : قَوْمَكَ يَامَسِيَّبُ ! : فَرَّقْ لَهُمْ وَأْمُرْ بِالنَّارِ فَأُطْفِئْتُ ، وقال لأصحابه : قد جاعني عيون فأخبروني أن جندا قد أتوكم من الشام .

وبعث معاوية أيضا الضحَّاك بن قيس في ثلاثة آلاف رجل ، أمره أن يمر بأسفل واقصة^(١) ، ويغير على كل من مر به من هو في طاعة علي من الأعراب ، فسار وقتل الناس وأخذ الأموال ، ومضى إلى الثعالبية^(٢) فأغار على مسلحة علي وانتهى إلى القُطْقُطَانَةِ^(٣) ، فلما بلغ ذلك عليا أرسل حُجْر بن عدي إليه في أربعة آلاف وأعطاهم خمسين درهما ، فلحق الضحَّاك بقتل من أصحابه^(٤) تسعة عشر رجلا ، وقتل من أصحابه رجلا ، وحجز بينهما الليل فهرب الضحَّاك وأصحابه ، ورجع حُجْر ومن معه .

وسار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم رجع .
وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي^(٥) إلى مكة لأخذ البيعة له ، وإقامة الحج بالناس ، ومعه ثلاثة آلاف ، فسار إلى مكة وبها قُثم بن العباس من قبل علي ، فأراد مفارقتها^(٦) ، واللحاق ببعض شعابها ، فنهأه

(١) واقصة : موضع بطريق مكة من الكوفة .

(٢) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة ، بعد الشقوق وقبل الخزمية وسيت

بشعبة بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء كما ذكره ياقوت .

(٣) القُطْقُطَانَةُ : موضع قرب الكوفة من جهة البرية .

(٤) في الكامل ج ٣ ص ١٨٩ « قتل منهم »

(٥) قال ابن الأثير : الرهاوي : منسوب إلى الرها ، قبيلة من العرب ، وقد ضبطه

عبدالله بن سعيد بفتح الراء ، قبيلة مشهورة ، وأما المدينة فبضم الراء . انظر القاموس .

(٦) لما سمع قُثم بن العباس بمسير يزيد بن شجرة خطب أهل مكة وأعلمهم بمسير

البايعين ودعاهم إلى حربهم ، فلم يجيبوه بشيء فغزم على مفارقة مكة .

أبو سعيد الخدرى ، وكتب قُثم إلى علي يستمده ، ووصل يزيد إلى مكة قبل التَّروية بيومين ، فما تعرض للقتال ، ونادى في الناس : أنتم آمنون بالأمن قاتلنا ونازعنا . واتفق قُثم ويزيد أن يعتزلا الصلاة بالناس ، واختارا شَيْبَةَ بن عثمان ، فصلَّ بالناس وحجَّ بهم ، ولما انقضى الحج رجع يزيد إلى الشام ، وأقبلت خيل علي مَدَدًا لِقُثْم ، وفيهم الرِّيان ابن ضَمْرَةَ الحنفى ، وأبو الطُّفَيْل ، وعليهم مَعْقِل بن قيس ، فتبعوه فادركوه وقد دخل وادى القرى ، وظفروا بنفر من أصحابه فأخذوهم أسارى ورجعوا بهم إلى علي ، ففادى بهم أسارى كانت لهم عند معاوية .

وبعث معاوية عبد الرحمن بن قَبَاث بن أَشِيم إلى بلاد الجزيرة وبها شبيب بن عامر بنَصِيبين^(١) ، فكتب إلى كُمَيْل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم ، فسار كُمَيْل إليهم نَجْدَةً له في ستمائة فارس ، فادركوا عبد الرحمن ومعه مَعْن بن يزيد السُّلَمي فقاتلها كُمَيْل فهزمها ، وغلب على عسكرهما ، وأكثر القتل في أهل الشام ، وقتل من أصحاب كُمَيْل رجلان ، وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كُمَيْلا قد أوقع بالقوم فهناه بالظفر ، وأتبع الشاميين فلم يدركهم ، فعبر الفُرات وبثَّ خيله فأغارَت على أهل الشام حتى بلغ بَعْلَبَك^(٢) ، فوجه إليه معاوية حبیب بن مَسْلَمَة فلم يدركه ، ورجع شبيب فأغار على نواحي الرِّقَّة^(٣) ، فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ، ولاخيلا

(١) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على طريق القوافل من الموصل إلى الشام . كما ذكره ياقوت .

(٢) بعلبك : مدينة قديمة بالشام مشهورة بآثارها .

(٣) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات .

ولا سلاحا إلا أخذه ، وعاد إلى نصيبين . وكتب إلى علي رضي الله عنه فكتب إليه ينهاه عن أخذ أموال الناس إلا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به ، وقال : رحم الله شبيباً ، لقد أبعد الغارة ، وعجل الانقصار .

ولما فعل شبيب ذلك وقدم يزيد بن شجرة على معاوية بعث معاوية الحارث بن نمر التثؤني إلى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة علي ، فأخذ من أهل دارا^(١) سبعة نفر من بني تغلب ، وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا علياً إلى معاوية فسألوه في إطلاق أصحابهم فلم يفعل فاعتزلوه أيضاً ، وفادى معاوية بهم من كان أسرهم معقل بن قيسر من أصحاب ابن شجرة .

وبعث معاوية زهير بن مكحول العامري إلى السماوة^(٢) ليأخذ صدقات الناس ، فبلغ ذلك علياً فبعث ثلاثة نفر ، وهم : جعفر بن عبد الله الأشجعي ، وعروة بن العشبة والجلاس بن عمير الكلبيين^(٣) ، ليأخذوا صدقه من في طاعته من كلب وبكر بن وائل ، فوافوا زهيراً فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب علي رضي الله عنه ، وقتل جعفر ، ولحق ابن العشبة بعلي فعنفه وعلاه بالدرة ، فغضب ولحق بمعاوية . وأما ابن الجلاس فإنه مرّ براع فأخذ جُبته وأعطاه جبة خز فأدركته الخيل ،

(١) دارا : مدينة بين نصيبين وماردين .

(٢) بادية السماوة : بين الكوفة والشام .

(٣) كذا جاء في المخطوطة ، والظاهر هنا « الكليان » بالرفع ، وجاء بالنصب في

الكامل لأنه لم يجر فيه « وهم » فكانت الأسماء منصوبة .

فقالوا : أين أخذ هؤلاء الترابيون^(١) ؟ فأشار إليهم : أخذوا ها هنا .
ثم أقبل إلى الكوفة .

وبعث أيضا مسلم بن عتبة المُرِّي إلى دومة الجندل ، وكان أهلها
قد امتنعوا من بيعة عليٍّ ومعاوية جميعا ، فدعاهم إلى طاعة معاوية
وبيعته ، فامتنعوا ، وبلغ ذلك عليا ، فبعث مالك بن كعب الهمداني
في جمع إلى دومة الجندل ، فلم يشعر مسلم إلا وقد وافاه مالك ،
فاقتتلوا يوما ثم انصرف مسلم منهزما ، وبقي مالك أياما يدعو أهل دومة
الجندل إلى بيعة عليٍّ ، فأبوا وقالوا : لانبايع حتى يجتمع الناس على
إمام ، فانصرف عنهم وتركهم .

ذكر مسير بسر بن أرطاة

إلى الحجاز واليمن وما فعله

وفي سنة أربعين بعث^(٢) معاوية بُسر بن أرطاة بن أبي أرطاة -
واسم أبي أرطاة عُمير ، وقيل^(٣) عُويمر الشَّامي^(٤) من بني عامر بن
لؤي - إلى الحجاز واليمن في ثلاثة آلاف فارس ، فسار من الشام
حتى قدم المدينة ، وعامل المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري من قبل
عليٍّ رضي الله عنهما ، ففرَّ أبو أيوبَ ولحق بعليٍّ ، ودخل بُسر المدينة
ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى : يا دينار ، يا نجار ، يا زُرَيْق

(١) أي أتباع أبي تراب على بن أبي طالب .

(٢) وذلك بعد فتحكم الحكمين ، كما في تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٠٦ والاستيعاب
ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) كذا جاء في المخطوطة مثل الاستيعاب ج ١ ص ١٥٤ ، وجاء في جمهرة أنساب
العرب ص ١٦١ والإصابة ج ١ ص ١٤٧ « واسم أبي (أرطاة) عُمير بن عويمر » .

(٤) كذا جاء في النسخة (ن) ، وقد قال أبو عمر في الاستيعاب « يمد بسر بن أرطاة
في الشاميين » . وجاء في النسخة (ك) : « الشيباني » ، ومن المعروف أنه عامري قرشي .

(وهذه بطون من الأنصار) شَيْخِي شَيْخِي ، عهدته ههنا بالأمس ، فأين هو ؟! (يعني عثمان) . ثم قال : والله لولا ماعهد إلي معاوية ما تركتُ بها مُحْتَلِماً إِلَّا قَتَلْتَهُ . ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية ، وأرسل إلى بني سلمة ^(١) فقال : مالكم عندي أمان ولا مَبَايعة حتَّى تباثوني بجابر بن عبد الله . فَأَخِيرَ ، فأنطلق إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : « ما ذا تريين ؟ فإني خشيت أن أقتل ، وهذه بيعة ضلاله ! » فقالت : « أرى أن تُبايع ، وقد أمرتُ ابنتي عُمَرُ بن أبي سلمة وَحَتَّى بَنَ زَمْعَةَ أَنْ يُبايعا » ، وكانت ^(٢) ابنتها زينب تحت ابن زَمْعَةَ ^(٣) ، فأتى جابر إلى بسر فبايعه لمعاوية ، وهدم بسر دورا بالمدينة . ثم انطلق حتَّى أتى مكة ، وفيها أبو موسى الأشعري ، فخافه أبو موسى على نفسه أن يقتله ، فهرب ، ففيل ذلك لبُسر ، فقال : ما كنتُ لأُطلبه وقد خلع عليا . ولم يطلبه .

ومكتب أبو موسى إلى اليَمَن : أن خَيْلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس ممن أتى أن يقرَّ بالحكومة .

ثم مضى بُسر إلى اليَمَن ، وعاملُ اليمن من قِبَلِ علي رضي الله عنه عُبَيْدُ الله بن عباس ، فلما بلغه أَمْرُ بُسر فرَّ إلى الكوفة حتَّى أتى

(١) قال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩٣ « بكر اللام ، بطن من الأنصار » وهم بنو سلمة بن سعد بن حل بن أسد بن ساردة بن قريظ بن جشم بن الخزرج ، ومن بني أسد جابر بن عبد الله ، هو وأبوه صحابيان .

(٢) جاء بهله الجملة ليشرح معنى « الختن » .

(٣) ابن زَمْعَةَ : عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد المزى بن قصي القرشي الأسدي ، أمه : قريظة بنت أبي أمية ، أخت أم سلمة ، وزوجته : ابنة خاله زينب بنت أبي سلمة .

عليًا ، واستخلف على اليمَن عبد الله بن عبد المَدان الحارثي^(١) ،
فأتاه بُسر فقتله وقتل ابنه^(٢) ، ولقي ثَقَل^(٣) عُبَيد الله بن العباس
رضي الله عنه وفيه ابنان صغيران عُبيد الله بن العباس فقتلهما ،
وهما عبد الرحمن وقُثم .

وقيل : إنهما كانا عند رجل من بني كِنانة بالبادية ، فلما أراد
قتلهما قال له الكِناني : « لِمَ تقتل هذين ولا ذنب لهما ؟ فإن
كنت قاتِلَهُما فاقتلني معهما ! » ، فقتله ، وقتلهما بعده .

وقيل : إن الكِناني أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول :

اللَّيْثُ مِنْ يَمْنَعِ حَافَاتِ الدَّارِ .

ولا يزال مصلتا دُونَ الجَارِ .

وقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَأَخَذَ بُسْرُ الْغَلَامَيْنِ فذَبَحَهُمَا ، فخرج نسوة
من بني كِنانة ، فقالت امرأة منهن : « ما هذا ؟ قتلْتَ الرجالَ فَعَلَامَ
تقتل الولدان ؟ والله ما كانوا يُقتَلُونَ في جاهلية ولا إسلام ! والله إن
سُلطانا لا يقوم إلَّا بقتل الضَّرْعِ^(٤) الصغير والشيخ الكبير ويرفع
الرحمة وعقوق الأرحام لسُلطانٍ سوء ! » فقال لها بُسر : والله لقد

(١) عبد الله بن عبد المَدان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني الحارث بن كعب ،
فقال له : من أنت قال : أنا عبد الحجر . قال : أنت عبد الله . فأسلم وباع . وأبو
عبد المَدان اسمه عمرو . وجده الديان اسمه يزيد .

وكان عبيد الله بن عباس قد تزوج عائشة بنت عبد الله بن عبد المَدان واستأن أباهما
عبد الله على اليمَن .

(٢) مالك بن عبد الله بن عبد المَدان .

(٣) الثَقَل : متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مضمون .

(٤) الضرع : الضميف .

هَمَمْتُ أَنْ أَضَعَ فِيكَ السَّيْفَ . فَقَالَتْ لَهُ : تَاللهِ إِنَّمَا لِأُخْتِ الَّتِي
صَنَعْتَ وَمَا أَنَا لَهَا مِنْكَ بِأَمِينَةٍ ! ثُمَّ قَالَتْ لِلنِّسَاءِ [الَّتِي ^(١) حَوْلَهَا] :
وَيَحْكُنُّ ! تَفَرَّقْنَ ! .

وَقَتْلُ بُسْرٍ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ بِالْبَيْعِ .

وَبَلَغَ عَلِيًّا الْخَبْرَ ، فَأَرْسَلَ جَارِيَةَ بْنَ قُدَّامَةَ فِي الْفَتَيْنِ ، وَوَهَبَ
ابْنَ مَسْعُودٍ فِي الْفَتَيْنِ ، فَسَارَ جَارِيَةُ . حَتَّى آتَى نَجْرَانَ ، فَقَتَلَ بِهَا
نَاسًا مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ ، وَهَرَبَ بُسْرٌ مِنْهُ ، وَاتَّبَعَهُ جَارِيَةُ إِلَى مَكَّةَ ،
فَقَالَ : بَايَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالُوا : قَدْ هَلَكَ فَلِمَنْ نُبَايِعُ ؟ قَالَ :
لِمَنْ بَايَعَ لَهُ أَصْحَابُ عَلَى فَبَايَعُوا خَوْفًا مِنْهُ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى آتَى الْمَدِينَةَ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَصَلِّيُ بِالنَّاسِ ، فَهَرَبَ
مِنْهُ ، فَقَالَ جَارِيَةُ : لَوْ وَجَدْتُ أَبَا سِنُورٍ لَقَتَلْتُهُ . ثُمَّ قَالَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ :
بَايَعُوا الْحَسْنَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَبَايَعُوا ، وَأَقَامَ يَوْمَهُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ ،
وَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَصَلِّيُ بِهِمْ .

وَكَانَتْ أُمُّ ابْنِي عُبَيْدِ اللهِ أُمُّ الْحَكَمِ جَوِيرِيَّةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ قَارِظٍ ،
وَقِيلَ : عَائِشَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ ، فَلَمَّا قُتِلَ وَلَدُهَا وَلِكِهَتْ ^(٢)
عَلَيْهَا ، فَكَانَتْ لَا تَعْقِلُ وَلَا تُصْغِي ، وَلَا تَزَالُ تَنْشُدُهُمَا فِي الْمَوَاسِمِ
وَتَقُولُ :

(١) يبدأ من هنا مقدار كبير سقط من النسخة (ك) وثبت في النسخة (ن) .

(٢) ولدت : اشتد حزنها وذعب عقلها .

ها (١) مَنْ أَحْسَ بُنْيَى الَّذِينَ هَمَا
كَالدَّرَتَيْنِ تَشْطَى (٢) عَنْهُمَا الصَّدْفُ

هَامَنْ أَحْسَ بُنْيَى الَّذِينَ هَمَّا
سَمْعِي وَعَقْلِي فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُخْتَنَفُ
هَامَنْ أَحْسَ بُنْيَى الَّذِينَ هَمَّا
مُخَّ الْعِظَامِ فَمُخِّي الْيَوْمَ مُزْدَهَفُ (٣)
مَنْ ذُلَّ وَالْهَةِ حَيْرَى مُدْلَهَةِ (٤)

عَلَى صَبِيئِينَ ذَلًّا إِذْ غَدَا السَّلَفُ
نُبِثْتُ بُسْرًا وَمَا صَدَّقْتُ مَا زِعَمُوا
مَنْ قَتَلَهُمْ وَمَنْ الْإِثْمَ الَّذِي اقْتَرَفُوا
أَخْنَى عَلَى وَدَجَى (٥) إِبْنَى (٦) مُرْهَفَةٍ
مَشْحُودَةً وَكَذَاكَ الْإِثْمُ يُقْتَرَفُ

قال (٧) : فَلَمَّا سَمِعَ عَلَى بَقْتَلَهُمَا جَزَعًا شَدِيدًا ، وَدَعَا عَلَى
بُسْرٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اسْلُبْهُ دِينَهُ وَعَقْلَهُ . فَأَصَابَهُ ذَلِكَ ، وَفَقَدَ عَقْلَهُ ،
فَكَانَ يَهْدِي بِالسُّيْفِ وَيَطْلُبُهُ ، فَيُؤْتِي بِسَيْفٍ مِنْ خَشَبٍ ، وَيُجْعَلُ

- (١) «ها» كذا جاء في المخطوطة موافقا للاستيعاب ج ١ ص ١٥٦ ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٩٣ : «يا» ، وكذلك أولا البيتين التاليين .
(٢) تشطى : انشق .
(٣) مزدحف : ملهوب به .
(٤) المدلته : السامية القلب الداهية العقل .
(٥) الودج : عرق في العنق يقطعه الذابح فلا يبق معه حياة .
(٦) همزة «اين» همزة وصل ، ولكنها صارت إلى القطع هنا لضرورة شعر .
(٧) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩٣ .

بين يَدَيْهِ زِقٌّ منفوخ ، فلا يزال يضربه ، فلم يزل كذلك إلى أن مات .
 قال (١) : ولما استقرَّ الأمر لمُعاوية دخل عليه عُبيد الله بن عباس
 وعنده بُسر ، فقال لبُسر : ودِدْتُ أن الأرض أنبتتني عندك حين
 قتلتَ ولدِي . فقال بُسر : هاك سيفِي . فأهوى عُبيد الله ليتناوله ،
 فأخذه مُعاوية وقال لبُسر : « أخزأك الله شيخا قد خرفت ! والله لو تمكَّن
 منه لبدأني ! » قال عُبيد الله : أجل ثم ثنيتُ به .

وقيل : إن مَسِير بُسرٍ إلى الحجاز كان في سنة اثنتين وأربعين ،
 وإنه أقام بالمدينة شهرا يستعرض الناس ، لا يقال له عن أحد « إنه
 شريك في دم عثمان » إلا قتلَه .

وحكى أبو عُمر بن عبد البر (٢) عن أبي عمرو الشيباني قوله :
 لما وجه مُعاوية بن أبي سفيان بُسرَ بنَ أرطاة الفهري لقتل شيعة علي ، قام
 إليه معن أو (٣) عمرو بن يزيد بن الأخنس السلمي وزيد (٤) بن
 الأشهب الجعدي فقالا : « يا أمير المؤمنين نسألك بالله والرحم ألا
 تجعل لبُسرٍ على قيس سلطانا ، فيقتل قيسا بما قتلت بنو سليم من
 بني فهر وكنانة يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة » .
 فقال له مُعاوية : يا بُسر ، لا أمرك على قيس . فسار حتى أتى المدينة
 فقتل ابنِي عُبيد الله بن عباس ، وقرأ أهل المدينة ودخلوا الحرَّة : حرَّة بنو سليم .

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩٣ .

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ١٥٦ .

(٣) المشهور في هذه النسبة « معن بن يزيد بن الأخنس السلمي » ، وقد بايع النبي
 صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنهم ثلاثهم شهلوا بدرا مسلمين .

(٤) كان زياد بن الأشهب بن أدر بن عمرو بن ربيعة بن جعدة العامري الجعدي من
 أشراف أهل الشام عظيم المنزلة عند معاوية .

هكذا قال الشيباني : إنه قتل ابني عبيد الله بالمدينة . والأكثر أنه قتلها باليمن على ما ذكرنا .

قال (١) : وفي هذه الخرجة أغار بُسرٌ على همدان وقتل وسبي نساءهم ، فكنَّ أولَ مسلماتٍ مُسَيَّنٍ في الإسلام . وقتل أحياء من بني سعد .

وروى أبو عمر (٢) بسنده عن أبي الرباب وصاحب له أنهما سمعا أبا ذر يدعو ويتعوذ في صلاة صلاتها طال قيامها وركوعها وسجودها ، قال : فسألناه : مِمَّ تعوذتَ ؟ وفيهمَ دعوتَ ؟ فقال : تعوذتُ بالله من يوم البلاء أن يدركني ويوم العورة أن أدركه . فقلنا : وما ذاك ؟ فقال : أما يوم البلاء فتلتقي فتتان من المسلمين فيقتل بعضُهم بعضا ، وأما يوم العورة فإن نساء من المسلمات يُسَبِّنَ فيكشفُ عن سَوْقِهِنَّ فَأَيَّتُهُنَّ كانت أعظمَ ساقا اشترِيتَ على عِظَمِ ساقها ، فدعوتُ الله ألا يدركني هذا الزمان ولعلكما تدركانه . قال : فقتل عثمان ثم أرسل معاوية بُسرَ بن أُرطاة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق .

هذا ما كان من أخياره في خلافة علي رضي الله عنه مما يدخل فيما نحن بصددّه ، فلنذكر الآن ما اتفق له في مدة ولايته بعد أن خلاص له الأمر ، ونبدأ بالغزوات والفتوحات .

(١) أبو حريز عبد البر في الاستيعاب .

(٢) في الاستيعاب .

ذكر الغزوات والفتوحات

في أيام معاوية بعد أن استقل بالأمر

في سنة اثنتين وأربعين كان غزو الروم ، فهُزِموا ، وقُتل جماعة كبيرة من بطارقتهم .

وفيهما كان غزو اللان^(١) .

وفي سنة ثلاث وأربعين غزا بُسرُ بن أرطاة الروم حتى بلغ القُسطنطينية ، وشَتَّى بأرضهم ، حكاة الواقدي ، وأنكره غيره وقال : لم يُشَتَّ بُسرُ بأرض الروم قط . ، وكان بُسرُ إذ ذاك يلي البصرة من قبل معاوية على ما ذكره في حوادث السنين .

وفيهما استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سُمرة على سجستان ، فاتاها ، فكان يغزو البلد وقد كفر أهله فيفتحه ، حتى بلغ كابل ، فحصرها أشهراً ، ونصب عليها مجانيقاً فثلَّمت سُورها ثُلْمة عظيمة ، فبات عليها عباد بن الحُصَيْن الحَبْطِيُّ ليلة - وكان على الشرطة - فما زال يطاعن المشركين حتى أصبح ، فلم يقدرُوا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزَمهم المسلمون ، ودخلوا البلد عَذْوَةً^(٢) . وساروا إلى زَرَاوَن ، فهرب أهلها ، فغلب عليها ، ثم سار إلى خُشْك ، فصالحه أهلها . ثم أتى الرُّخَج ، فقاتلوه ، فظفِر بهم وفتحها ، ثم صار إلى زَابُلِستان - وهي غَزَنَة وأعمالها - وكانوا قد نكثوا ففتحها . وعاد إلى كابل ، وقد نكث أهلها ففتحها .

(١) اللان : بلاد واسعة في طرف أرمينية .

(٢) زاد ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢١٧ - حيث نقل المؤلف - قوله :

« ثم صاروا إل بست ففتحها عذوة » .

ذكر غزو السند

قال : وفي سنة ثلاث وأربعين استعمل عبد الله بن عامر - وكان على البصرة وخراسان وسجستان - عبد الله بن سوار العبدى على ثغر السند^(١) - ويقال : بل كان ابن سوار من قبلى معاوية - فغزا القيقان ، فأصاب مَغْنَمًا ، ووفد على معاوية وأهدى له خَيْلاً^(٢) ، ثم غزا القيقان مرة ثانية ، فاستمجدوا بالترك ، فقتلوه وكان كريماً ، لم يوقد أحد في عسكره ناراً^(٣) ، فرأى ذات ليلة في عسكره ناراً ، فقال : ماهذه ؟ قالوا : امرأة نُقَسَاء يُعْمَل لها الخَنْبِيص ، فأمر أن يُطْعَم الناس الخَنْبِيص ثلاثة أيام .

وفي سنة أربع وأربعين دخل المسلمون بلاد الروم مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وشتوا بها . . . وغزا بُسْر بن أَرْطَاة في البحر .

وفيهما غزا المهلب بن أبي صُفْرَةَ ثغر السند ، وقتلهم ، ولقى المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، فقتلوا جميعاً .

وفي سنة ست وأربعين كان مَسْشَتَى مالك بن عبد الله^(٤) بأرض

(١) كان قد توجه إلى ثغر السند في سنة ٣٨ وأول سنة ٣٩ الحارث بن مرة العبدي متطوعاً بإذن علي بن أبي طالب ، فظفر وأصاب مغنماً ، ثم قتل في سنة ٤٢ بأرض القيقان .

(٢) خيلاً قيقانية ، كما قال ياقوت في معجم البلدان .

(٣) ناراً غير ناره ، كما قال ياقوت .

(٤) مالك بن عبد الله بن سنان بن سرح بن وهب بن الأقيصر الخثمي ، وكان يعرف بمالك الرايا .

الروم ، وقيل : بل كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل : بل كان مالك بن هُبَيْرَةَ السَّكُونِي^(١) .

وفي سنة سبع وأربعين كان مَشْتَى مالك بن هُبَيْرَةَ بأرض الروم ومَشْتَى أبي عبد الرحمن القَيْنِي^(٢) بِأَنْطَاكِيَّة .

وفيها غزا الحَكَم بن عمرو بعض جبال الترك ، ومعه المهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ فغنموا ، وأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق ، فمبى الحَكَم بالأمر فيلِّي المهَلَّب الحرب ، فلم يزل المهَلَّب يحتال حتى أخذ عظيمًا من عظماء الترك ، فقال له : إِمَّا أَنْ تُخْرِجَنَا مِنْ هَذَا الْمَضِيقِ أَوْ أَقْتَلَكَ ، فقال له التركي : « أَوْقِدِ النَّارَ حِيَالَ طَرِيقٍ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ وَسَيَّرِ الْأَثْقَالَ نَحْوَهُ ، فَإِنَّهُمْ سَيَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيُخْلُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ ، فَيَاذِرُهُمْ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ ، فَمَا يَدْرِكُونَكُمْ حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهُ » . ففعل ذلك ، فسلم الناس بما معهم من الغنائم^(٣) .

وفيها أيضا سار الحَكَم أيضا إلى بلاد الغور فغزا من بها وكانوا قد ارتدوا ، فأخذهم عُنْوَ بالسيف ، وفتحها ، وأصاب منها مغنم كثيرة وسبايا ، ولما رجع الحَكَم من هذه الغزاة مات^(٤) بِمَرْو ،

(١) مالك بن هُبَيْرَةَ بن خالد بن مسلم بن الحارث بن المخِصَف بن مالك بن الحارث ابن بكر بن ثعلبة بن عطية بن السكون كان شريفا بالشام .

(٢) أبو عبد الرحمن بن كعب بن ثعلبة بن القوي ، كان مدروفا بكنية ، ويقال له « ذُو الشَّكْوَةِ » لأنه كانت له شكوة إذا قاتل ، والشكوة : وعاء من جلده للماء والبن . وهو من بني القين وهو النعمان بن جسر من قضاة .

(٣) ذكر الطبري هذه القصة في سنة إحدى وخمسين .

(٤) انظر تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٨٦ حيث قال : وفي هذه السنة كانت وفاة الحَكَم بن عمرو الغفاري ، ورو منصرفه من غزوة أهل جبل الأشل . الخ : وانظر ترجمة الحَكَم في الاستيعاب ج ١ ص ٣١٤ والإصابة ج ١ ص ٣٤٦ .

في قول بعضهم ، وكان الحَكَم قد قطع النهر في ولايته ولم يفتح ،
وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم ، اغترف بترسه فشرب ،
وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين ، وكان أول المسلمين
فعل ذلك .

وفي سنة ثمان وأربعين كان مَشْتَى عبد الرحمن القَيْنِي بَانْطَاكِيَّة
وصائفة عبد الله بن قيس الفزارى ، وغزوة مالك بن هُبَيْرَة السَّكُونِي
البحر ، وغزوة عَقْبَة بن عامر الجهني بأهل مصر في البحر وبأهل المدينة .

ذكر غزوة القسطنطينية

وفي سنة تسع وأربعين - وقيل : في سنة خمسين - بعث معاوية
جيشا كثيفا إلى بلاد الروم عليهم سُفْيَان بن عوف وكان في هذا الجيش
عبد الله بن عباس وعبد الله بن عُمر وعبد الله بن الزُّبَيْر وأبو أيُّوب
الأنصاري ، وعبد العزيز بن زُرَّارة الكلابي^(١) وغيرهم .

وأمر معاوية ابنه يزيد بالغزاة معهم ، فتشاقل واعتل ، فأسلك
عنه أبوه ، فأصاب الناس في غزاتهم جوعٌ ومرض شديد ، فقال يزيد :

ما إنْ أبالي بما لاقت جموعُهُمْ

بِالْعَذْقُونَةِ^(٢) مِنْ حِمَى وَمِنْ مُومٍ^(٣)

(١) كان عبد العزيز بن زُرَّارة رجلا شريفا ذا مال كثير ، فأشرف حبة فواجه المال
فأصابه ، فقال زُرَّارة : اللهم في أشبهك أني حبست نفسي وأهل ومال في سبيك ثم أتى أباه
فأخبره بذلك ، فقال : ارتحل على بركة الله . فتوجه نحو الشام . وشهد غزاة القسطنطينية .

(٢) كذا جاء هذا الاسم - وهو اسم بلد - في موضعين من معجم البلدان لياقوت
معرفا كما حُرف في نسخ الكامل لابن الأثير .

(٣) الموم : نوع من الحمى ومن الجندى .

إِذَا انْكَأَتْ عَلَى الْأَنْمَاطِ مُرْتَفَقًا
بَدِيرٌ مُرَّانٌ عِنْدِي أُمُّ كُلْثُومِ

(وأم كلثوم : امرأته ، وهى ابنة عبد الله بن عامر) فبلغ معاوية شجره ، فأقسم عليه : لِيَلْحَقَنَّ بِسُفْيَانَ فِي أَرْضِ الرُّومِ لِيُصِيبَهُ مَا أَصَابَ النَّاسَ^(١) . فسار معه جمع كثير أضافهم إليه أبوه ، فلحق بهم . وأوغل المسلمون في بلاد الروم ، حتى بلغوا القُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَالتَّقَوْا بِالرُّومِ ، وَاقْتَتَلُوا فَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَّارِهِ يَتَعَرَّضُ لِلشَّهَادَةِ ، فَلَمْ يَمُتْ ، فَانْشَأَ يَقُولُ :

قَدْ عِشْتُ فِي الدَّهْرِ أَطْوَارًا عَلَى طُرُقِ
شَتَّى ، فَصَادَفْتُ مِنْهَا اللَّيْنَ وَالْبَشْعَا
كُلًّا يَلْكُوتُ : فَلَا النَّعْمَاءَ تُبْطِرُنِي
وَلَا تَخْشَعْتُ مِنْ لَأْوَاهَا جَزْعًا^(٢)
لَا يَمْلَأُ الْأَمْرُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ
وَلَا أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ : فَقَتَلَ فِيهِمْ ، وَانْغَمَسَ بَيْنَهُمْ ، فَشَجَرَهُ^(٣)
الرُّومُ بِرِمَاحِهِمْ ، حَتَّى قَتَلُوهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَبَلَغَ قَتْلَهُ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ

(١) جاء في معجم البلدان أن معاوية قال : ه لا جرم يلحقن بهم ويصيبه ما أصاب ولا خلته . . .
(٢) يبطرون : يجلى ألقى واتكبر . والأواء : الشدة والمحنة .
(٢) شجره : طعنه .

لأبيه : هَلَكَ وَاللَّهِ فَتَى الْعَرَبِ ! فَقَالَ : ابْنِي أَوْ ابْنُكَ ! قَالَ ابْنُكَ
فَأَجْرَكَ اللَّهُ ! فَقَالَ (١) :

فَلَنْ يَكُنَّ الْمَوْتُ أَوْدَى بَنِيهِ
وَأَصْبَحَ مُخُ الْكَلَابِيِّ رِيْرًا (٢)
فَكُلُّ فِتَى شَارِبٌ كَأَسُهُ
فَلَمَّا صَغِيرًا وَلَمَّا كَبِيرًا

قال : ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الشَّامِ ، وَتَوَفَّى أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ عِنْدَ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَدُفِنَ بِالْقَرْبِ مِنْ سُورِهَا ، فَأَهْلُهَا يَسْتَسْقُونَ بِهِ .

وَفِي سَنَةِ خَمْسِينَ غَزَا بُشَيْرُ بْنُ أَرْطَاةَ وَسُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ
أَرْضَ الرُّومِ ، وَغَزَا فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ فِي الْبَحْرِ .

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ كَانَ مَشْتَى فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ
الرُّومِ ، وَغَزَاةَ بُشَيْرِ بْنِ أَرْطَاةَ الصَّائِفَةَ .

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ غَزَا سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ الرُّومَ ،
وَشَتَى بِأَرْضِهِمْ ، وَتَوَفَّى بِهَا فِي قَوْلٍ ، فَاسْتَخْلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودَةَ
الْفَزَارِيَّ ، وَقِيلَ : إِنْ الَّذِي شَتَى فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِأَرْضِ الرُّومِ بُشَيْرُ بْنُ
أَرْطَاةَ وَمَعَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ . وَغَزَا الصَّائِفَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ .

(١) فِي الْإِصَابَةِ ج ١ ص ٤٧ هـ أَنَّهُ امْتَرَجَعَ ، أَيْ قَالَ : « إِنَّا قَدْ وُثِقَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

(٢) مَخْ دِير : ذَائِبٌ فَاسِدٌ مِنَ الْمَزَالِ .

ذكر فتح جزيرة أرواد

وفي سنة أربع وخمسين فتح المسلمون يقدمهم جُنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد بالقرب من القسطنطينية ، وأقاموا بها سبع سنين ، فلما مات معاوية ووليَّ ابنه يزيد أمرهم بالعودة فعادوا .

وفيهما كان مَشْتَى محمد بن مالك بأرض الروم ، وصائفة مَعْن ابن يزيد السلمي .

وفيهما استعمل معاوية عُبَيْدَ اللَّهِ بن زياد بن أبيه على خراسان ، فقطع النهر إلى جبال بُخَارَى على الإبل ، فكان أولَ من قطع جبال بخارى في جيش ، ففتح رَامْنِي ، ونَسَفَ ، وبيكَنْدُ . وسندكر ذلك إن شاء الله في حوادث سنة أربع وخمسين .

وفي سنة خمس وخمسين كان مَشْتَى سُفْيَان بن عَوْف الأزدی بأرض الروم ، في قول ، وقيل : بل شَتَى في هذه السنة عمرو بن محرز ، وقيل : عبد الله بن قيس الفزارى ، وقيل : بل مالك بن عبد الله . وفي سنة ست وخمسين كان مَشْتَى جُنادة بن أبي أمية بأرض الروم ، وقيل : عبد الرحمن بن مسعود ، وقيل : غز افيهما في البحر يزيد بن شجرة وفي البرِّ عِيَاض بن الحارث .

وفيهما قطع سعيد بن عثمان بن عَفَّان النهر إلى سَمَرْقَنْد ، فخرج إليه [أهل] ^(١) الصَّغْد ، فقَاتَاهُم ، وسندكر ذلك إن شاء الله في حوادث سنة ست وخمسين .

(١) الزيادة من تاريخ الطبري كما يأتي ، والصغْد : قرى متصلة خلال الأشجار والبياتين من سمرقند إلى قريب من بخارى .

وفي سنة سبع وخمسين كان مَشْتَى عبد الله بن قيس بأرض الروم .
وفي سنة ثمان وخمسين غزا مالك بن عبد الله الخثعمي أرض
الروم ، وعمرو بن زيد الجهني في البحر ، وقيل : جُنَادَة بن أبي أمية
وفي سنة تسع وخمسين كان مَشْتَى عمرو بن مرة الجهني بأرض
الروم في البر ، وغزا في البحر جُنَادَة بن أبي أمية ، وقيل لم يكن في
البحر غزاة في هذه السنة .

وفيها غزا المسلمون حصن كَمْنَح ومعهم عُمَيْر بن الحُبَاب السلمي
فصعد عُمَيْر السُّور ، ولم يزل يقاتل عليه وخذَه . حتَّى كَشَفَ الرومَ
وصعد المسلمون ، ففَتَحَهُ بِعُمَيْر .

وفي سنة ستين كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ، ودخولُ
جُنَادَة رُودِس ، وهدمه مدينتها في قول بعضهم .

فهذه الغزوات والفتوحات التي كانت في أيام معاوية .
فلنذكر أخبار الخوارج عليه وما كان من أمرهم .

ذكر أخبار الخوارج

في أيام معاوية وما كان من أمرهم

كان أول من خرج بعد أن استقل معاوية بالأمر قُرُوءَة بن نوفل
الأشجعي ، وكان قد اعتزل في خمسمائة من الخوارج ، وسار إلى
شَهْرَزُور ، وترك قتال عليّ والحسن .

فلما ولي معاوية قال : « جاء الآن مالا شك فيه ، سيزووا إلى معاوية
فجَاهِدُوهُ » . فسار بهم حتى نزل النخيلة (عند الكوفة) .

وكان الحسن بن عليّ قد سار يريد المدينة ، فكتب إليه معاوية بدعوه إلى قتال قُرّة بن نوفل ، فلحقه رسوله بالقادسية ، أو قريباً منها ، فلم يرجع ، وكتب إلى معاوية يقول : « لو آثرتُ أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأتُ بقتالك ، فإنّي تركته ^(١) لصالح الأمة وحقن دماؤها ، فأرسل إليهم معاوية جمعاً من أهل الشام ، فقاتلوهم ، فانهزم أهل الشام .

فقال معاوية لأهل الكوفة : والله لا أمانَ لكم عندي حتّى تكفونيهم ! فخرج أهل الكوفة إليهم ، فقاتلوهم ، فقالت الخوارج لهم : « أليس معاوية عدونا وعدوكم ؟ دعونا حتّى نقاتله ، فإن أصبناه كنّا قد كفيناكم عدوكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا » . فقالوا : لأبد لنا من قتالكم . فأخذتُ أشجعُ صاحبهم قُرّة ^(٢) ، فوعظوه ، فلم يرجع ، فأدخلوه الكوفة قهراً .

فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوّاء (رجل من طيّ) فقاتلهم أهل الكوفة ، فقتلوهم في شهر ربيع الأول ، أو ربيع الآخر ، سنة إحدى وأربعين . وقُتل ابن أبي الحوّاء ^(٣) ، وكان حينئذٍ أمر الخوارج قد خوّف من السلطان أن يصلبه إذا ظفر بهم ، فقال :

(١) كذا جاء في المخطوطة ، أى : تركت القتال ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٥ : « تركتك » .

(٢) لأن قُرّة أشجى .

(٣) الذى قتل ابن أبي الجوّاء هو خالد بن مرفعة ، كما جاء في الاستيعاب ج ١ ص ٤١٤ والإصابة ج ١ ص ٤١٠ ، وسيأتى له ذكر .

مَا إِنْ أَبَالَى إِذَا أَرَوَّاحُنَا قُبِضَتْ
 مَاذَا فَعَلْتُمْ بِأَوْصَالٍ وَأَبْشَارٍ
 تَجْرِي الْمَجْرَةُ وَالنَّشْرَانِ عَنْ الْقَدَرِ
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ السَّارَى بِمَقْدَارٍ
 وَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ
 أَنْ السَّعِيدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

ثم خرج حوثرة بن وداع ، وذلك أنه لما قُتل ابن أبي الحوساء
 اجتمع الخوارج فقولوا أمرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الأسدي ، فقام
 فيهم ، فعاب فروة بن نوفل في شكّه في قتال عليّ رضي الله عنه ،
 ودعا الخوارج وسار بهم من بَرَّازِ الرُّوزِ - وكان بها - حتى قَدِمَ النُّخَيْلَةَ في
 مائة وخمسين ، وانضمَّ إِلَيْهِمْ قُلُوبُ ابْنِ أَبِي الْحَوْسَاءِ ، وهم قليل .

فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له : اخْرُجْ إِلَى ابْنِكَ لَعَلَّه يَرْقُ إِذَا
 رَأَاكَ . فخرج إليه وكَلَّمَهُ وناشده وقال له : أَلَا آتِيكَ بِابْنِكَ لَعَلَّكَ إِذَا
 رَأَيْتَهُ كَرِهْتَ فِرَاقَهُ ! فقال : أَنَا إِلَى طَعْنَةِ بَرْمَجٍ مِنْ يَدِ كَافِرٍ أَتَقَلَّبُ
 فِيهِ سَاعَةً أَتَشَوِّقُ مِنِّْي إِلَى ابْنِي ! فرجع أبوه فأخبر معاوية بمقالته .
 فسير إليه عبد الله بن عوف بن أحمر (١) في ألفين ، وخرج أبو حوثرة فيمن
 خرج ، فدعا ابنه إلى البراز ، فقال له : يَا أَبَتِ لَكَ فِي غَيْرِي سَعَةٌ .

(١) كذا جاء في المخطوطة وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٦ : ه عبد الله
 ابن عوف الأحمر .

فقاتله ابنُ عوف وقتله مُبارزة ، وقتل أصحابه إلاَّ خمسين رجلاً
دخلوا الكوفة ، وذلك في جُمادى الآخرة من السنة (١)
ورأى ابنُ عوف بوجه حوثره أثر السجود ، وكان صاحب عبادة
فندِم على قتله ، وقال :

قتلتُ أخا بني أسد سفاهاً
لعمُر أبي فما لقيتُ رُشدي
قتلتُ مُصلباً مخياها ليل
طويل الحزن ذا برٍّ وقصد
قتلتُ أخا تقي لأنالَ دُنْبا
وذاك لشقوتي وعشارِ جَدِي
فهيب لي توبة ياربِّ واغفر
لما قارفتُ من خطأ وعَمْد

ثم خرج قُرُوة بن نُوَفل الأشجعي على المغيرة بن شُعْبة ، وذلك
بعد مسير معاوية ، فوجه إليه المغيرة خيلاً عليها شَبَثُ بن رُبَيْع ،
وقيل : مَعْقِل بن قَيْس ، فلقبه بشَهْرَزُور ، وقيل بالسواد .

وخرج شبيب بن بَحْرَة ، وكان شبيب مع ابنِ مُلْجَم حين قتل علياً ،
كما ذكرنا ، فلما دخل معاوية الكوفة أتاه شبيب كالمُتقرب إليه ،
فقال : أنا وابنُ مُلْجَم قتلنا علياً . فوثب معاوية مذعوراً من مجلسه

حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى أَشْجَعِ^(١) وَقَالَ : « لَتُنْ رَأَيْتُ شَيْبَا أَوْ بَلَغْنِي أَنَّهُ بَبَابِي لِأَهْلِكُنَّكُمْ [١] »^(٢) أَخْرَجُوهُ عَنْ بِلْدِكُمْ ! » .

فَكَانَ شَيْبَابٌ إِذَا جَنُّ عَلَيْهِ^(٣) اللَّيْلُ خَرَجَ فَلَمْ يَلْقَ^(٤) أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ . فَلَمَّا وَلَّى الْمَغِيرَةَ خَرَجَ عَلَيْهِ بِالطُّفِّ (بِقَرَبِ الْكَوْفَةِ) ، فَبَعَثَ الْمَغِيرَةَ خِيَلًا . عَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ^(٥) ، وَقَيْل : مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقَتَلَ شَيْبَابٌ وَأَصْحَابَهُ .

وَبَلَغَ الْمَغِيرَةَ أَنَّ مُعَيْنَ^(٦) بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ مَجَارِبَ - يَرِيدُ الْخُرُوجَ ، فَأَخَذَهُ وَجَسَهُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ يُخْبِرُهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : « إِنَّ شَهْدَ أُنَى خَلِيفَةٍ فَخَلَّ سَبِيلَهُ . فَأَحْضِرْهُ الْمَغِيرَةَ ، فَإِنَّهُ أَنْ يَشْهَدَ بِخِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ^(٧) » ، فَقَتَلَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو مَرْثَمَ مَوْلى بَنَى الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ : قَطَامٌ وَكَحِيلَةُ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخْرَجَ مَعَهُ النِّسَاءَ ، فَعَابَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَبُو بِلَالٍ بْنُ أُدَيَّةَ ، فَقَالَ : « قَدْ قَاتَلَ النِّسَاءَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّامِ ، وَسَارَدُهُمَا فَرَدَّهُمَا . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ »

(١) كَانَ شَيْبَابٌ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ ، كَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ الْخَارِجِي أَشْجَعِيًا ، انْظُرْ تَارِيخَ ابْنِ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيِّ ج ٤ ص ١١١ .

(٢) إِلَى هُنَا يَقْتَضِي مَسْقُطٌ مِنَ النُّسخَةِ (ك) وَثَبِتَ فِي النُّسخَةِ (ن) مَعَ مُرَاجَعَتِهِ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) : (يَأْتِ) .

(٤) خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ بْنُ أَبِرْهَةَ بْنِ سَنَانٍ هُوَ الَّذِي قَتَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْحَوْسَلَةِ الْخَارِجِيَّ فِيمَا سَبَقَ .

(٥) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٢٠٦ : كَانَ اسْمُهُ « مَعْنَا » فَصَفَرُ .

(٦) وَقَالَ مُعَيْنٌ : أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ .

المغيرة جابرًا البجلي ، فقاتله ، فقتل أبو مريم وأصحابه يبادورًا .
 وخرج أبوليلي - وكان أسود طويلًا - ومعه ثلاثون من الموالى
 فبعث إليه المغيرة معقل بن قيس الرياحي ، فقاتله بسواد الكوفة في
 سنة اثنتين وأربعين .

وخرج سهم بن غالب الهجيمي في سنة إحدى وأربعين بالبصرة
 على عبد الله بن عامر ، في سبعين رجلا ، منهم الخطيم الباهلي واسمه
 زياد ^(١) بن مالك ، وإنما قيل له « الخطيم » لضربة ضربها على
 وجهه . فنتزلوا بين الجسرين والبصرة ^(٢) ، فمر بهم عبادة بن
 قرص ^(٣) الليثي ، وقد انصرف من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه ، فقال لهم
 الخوارج : من أنتم ؟ قالوا : قوم مسلمون . قالوا : كذبتم .
 قال عبادة : « سبحان الله ! اقبلوا منا ما قيل النبي صلى الله عليه وسلم مني ،
 فإني كذبتُه وقاتلته ، ثم أتيتُه فأسلمتُ ، فقبل ذلك مني » .
 قالوا : أنت كافر ، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه ، فخرج إليهم ابن
 عامر فقاتلهم ، فقتل منهم عدة ، وانحاز بقيتهم إلى أجمة ، وفيهم
 سهم والخطيم ، فأمنهم ابن عامر ورجعوا ، وكتب إلى معاوية ،
 فأمره بقتلهم ، فلم يقتلهم ، وكتب إلى معاوية : إني جعلتُ لهم
 ذمتك .

(١) كذا جاء في المخطوطة كما في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٢ ، وجاء في الكامل
 لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٩ : « يزيد » .
 (٢) كذا جاء في المخطوطة كما في الكامل ، وجاء في الاستيعاب أنهم خرجوا « بتاحية
 جسر البصرة » .

(٣) في الإصابة ج ٣ ص ٢٦٩ : « عبادة بن قرط أو قرص بن عروة بن بجير بن
 مالك ... والصحيح أنه ابن قرص بالصاد » وفي الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥١ : « عبادة ابن
 قرص الليثي ، ويقال : ابن قرط ، والصواب عند أكثرهم : « قرص » .

فلما آتى زياد بن أبية البصرة فى سنة خمس وأربعين هرب الخَظيم إلى الأهواز ، واجتمع إلى سهم جماعة ، فأقبل بهم إلى البصرة ، فتنفرق عنه أصحابه ، فاخْتَفَى ^(١) وطلب الأمان ^(٢) ، فلم يؤمنه زياد ، وبحث عنه وأخذة فقتله وصلبه فى داره . . وقيل : إنه لم يزل مستخفيا حتى مات زياد ، فأخذه عبْد الله بن زياد وصلبه فى سنة أربع وخمسين ، فقال رجل من الخوارج :

فإن تكُن الأحزابُ باءُوا بِصَلْبِهِ

فلا يُبعدنَّ اللهُ سهمَ بنَ غالب

وأما الخَظيم فإن زيادا سأله عن قتل عبادة ، فأنكره ، فسيره إلى البحرين ، ثم أعاده ^(٣) بعد ذلك ، وقيل : إنه قتله ^(٤) .

ذكر خبر المستورد الخارجى

وفى سنة اثنتين وأربعين تحرك الخوارج الذين كانوا انحازوا عمن قُتل يوم النهروان ، واجتمعوا فى أربعمائة وأمروا عليهم المُستورد بن عُلْفَة التيمى ، من تيم الرُّباب ، وبايعوه فى جُمادى الآخرة ، واتعدوا للخروج فخرجوا فى غُرّة شعبان سنة ثلاث وأربعين .

فبلغ المغيرة أنهم اجتمعوا فى منزل حيان بن ظبْيَان السُلَمى وتواعدوا للخروج ، فأرسل صاحب شُرطته ، وهو قبيصة بن الدُمون ،

(١) قيل : إنهم تفرقوا عند استخفافه .

(٢) ظن أنه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر .

(٣) كذا ذكره ابن الأثير فى الكامل .

(٤) كذا ذكره أبو عمر ابن عبد البر فى الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٢ .

فأحاط. بدارحيّان ، وإذا عنده مُعاد بن جُوَيْن وهو من رهوس الخوارج ونحو عشرين رجلاً ، وثارت امرأته وهي أُمّ وَكْد كانت له [كارهة] ^(١) فأخذت سيوفهم وألقَتْها تحت القراش ، [وقاموا ليأخذوا سيوفهم] ^(٢) فلم يجدوها فاستسلموا ، فجىء بهم إلى المغيرة ، فحبسهم بعد أن قرّره فلم يعترفوا بشيء قالوا : وإنما اجتمعنا لقراءة القرآن ، ولم يزلوا في السجن نحو سنة ، وسمع إخوانهم فحذروا .

وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة ، واختلف الخوارج إليه ، ثم تحول إلى دار سليم بن مخلوع العبدى ، وهو مهره .

وبلغ المغيرة الخبر وأنهم عزموا على الخروج في تلك الأيام ، فجمع الرؤساء فخطبهم وقال لهم : « لِيَكْفِنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قَوْمَهُ ، وَإِلَّا وَاللَّهِ تَحَوَّلْتُ عَمَّا تَعْرِفُونَ إِلَى مَا تَنْكُرُونَ ، وَعَمَّا تَحِبُّونَ إِلَى مَا تَكْرَهُونَ » . فرجعوا إلى قومهم فناشدوهم الله والإسلام إلاّ دلوهم على من يريد تهيبج الفتنة .

فبلغ المستورد ذلك فخرج من دار سُليْم بن مَخْلُوع ، وأرسل إلى أصحابه فأمرهم بالخروج فخرجوا متفرقين ، واجتمعوا في نحو ثلاثمائة رجل وساروا إلى الصرّة ^(٣) .

وبلغ المغيرة بن شعبة خبرهم ، فندب معقل بن قيس في ثلاثة آلاف فارس اختارهم من الشيعة .

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢١٢ .

(٢) الزيادة من الكامل .

(٣) الصرّة : نهر بالمراق .

وأما الخوارج فإنهم ساروا إلى أن بلغوا المذار^(١) فأقاموا بها .
 وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم ، فندب شريك بن الأعور الحرثي ،
 وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس أكثرهم من ربيعة ، فسار بهم إلى المذار .
 وسار معقل وقدم أمامه أبا الرواغ في ثلاثمائة ، فأتى بهم إلى المذار
 وقاتل الخوارج عامة نهاره وهم يهزمون ويعود إلى القتال ، ثم أدركه
 معقل في سبعمائة من أهل القوة ، فجاء وقد غربت الشمس فصلوا
 المغرب ، وحملت الخوارج عليهم فانهزم أصحاب معقل ، وثبت هو في
 نحو مائتين ونزل إلى الأرض فترجع إليه أصحابه وأتاه بقية الجيش .
 فبينما هم على ذلك بلغ الخوارج أن شريك بن الأعور قد أقبل
 من البصرة في ثلاثة آلاف ، فأشار المستورد على أصحابه بالرجوع
 من حيث جاءوا ، وقال : « إنا إذا رجعنا نحو الكوفة لم يتبعنا أهل
 البصرة ، ويرجعوا عنا فنقاتل طائفة أسهل من قتال طائفتين » .
 فانهاز بأصحابه إلى البيوت ، وخرج من الجانب الآخر وسار ليلته ،
 ولم يعلم الجيش بمسيرهم ، ويات معقل وأصحابه يتحارسون^(٢)
 إلى الصباح ، فأتاهم خبر مسيرهم .

وجاء شريك ، فدعاه معقل أن يسير معه ، فأتى أصحاب
 شريك أتباعهم^(٣) ، فاعتذر إليه لمخالفة أصحابه ورجع .

(١) المذار : بلد بين واسط والبصرة .

(٢) كان معقل قد بحث من يأتيه بخبر الخوارج حين لم ير سوادهم ، فعاد إليه يخبره
 بسيرهم ، فخاف معقل أن تكون مكيدة منهم ليأتوا جيشه ليلا ، فاحتاط هو وأصحابه وتحارسوا .

(٣) قالوا لشريك : لا والله لا نفعل ، إنما أقبلنا نحو هؤلاء لتفهم من أرضنا
 ونمنعهم من دخولها ، فإذا كفانا الله مؤثرهم فإننا منصرون إلى مصرنا ، وفي أهل
 الكوفة ما يمنون به بلادهم من هؤلاء الأكلب .

ودعا معقل أبا الرواغ ، وأمره باتباعهم ، في ستمائة فارس ، فاتبعهم ، فأدركهم نحو جَرَجَرَايا مع طلوع الشمس ، فحمل المستورد على أبي الرواغ ، فانهزم أصحابه وثبت في مائة فارس وقتلهم طويلا ، ثم عطف أصحابه من كل جانب ، وصدّقوهم القتال ، فلما رأى المستورد ذلك علم أن معقلا إن أتاهم بمن معه هلكوا ، فمضى بأصحابه وعبر دجلة إلى بَهْرَسِير ، وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم إلى ساباط . فقال المستورد : هؤلاء حماة معقل وفرسانه ولو علمت أني أسبقهم إليه بساعة لَسَرْتُ إليهم فواقعتهم ، ثم ركب بأصحابه حتى انتهى إلى جسر ساباط . فقطعه ، ووقف أبو الرواغ ينتظرهم للقتال وقد عبأ أصحابه . وسار المستورد حتى أتى دَيْلَمَانَ ، وبها معقل ، فلما رآهم نصب رايته [ونزل] ^(١) وقال : يا عباد الله الأرض الأرض ! فنزل معه نحو مائتي رجل ، فحملت الخوارج عليهم ، فاستقبلوهم بالرماح جثاة على الركب ، فلم يقدرُوا عليهم ، فتركوهم ، وعدلوا إلى خيولهم [فحالوا بينهم وبينها] ^(٢) وقطعوا أعنتها فذهبت ، ثم رجعوا إلى معقل وأصحابه فحملوا عليهم ، واشتد الأمر على معقل ومن معه .

فبينما هم كذلك أقبل أبو الرواغ بمن معه ، وكان سبب عودته أنه أقام ينتظر عودة الخوارج إليه ، فلما أبطأوا عليه أرسل من يأتيه بخبرهم فرأوا الجسر مقطوعا ففرحوا بذلك ظنا منهم أن الخوارج فعلوا ذلك هيبة ، فرجعوا إلى أبي الرواغ فأخبروه أنهم لم يروهم ، وأن الجسر قد قطعه هيبة لهم ، فقال أبو الرواغ : « لعمرى ما فعلوا هذا

(١) الزيادة من ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ١٥٦ .

(٢) الزيادة من ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢١٦ .

إلا مكيدة ، وما أراهم إلا قد سبقوكم إلى معقل حيث علموا أن فرسان أصحابه معي ، وقد قطعوا الجسر ليُشغلوكم به عن لحاقهم ، فالتجأ النجاء في الطلب » ثم أمر أهل القرية بفقدوا الجسر ، فعبّر عليه ، وأتبع الخوارج ، فلقية أوائل الناس منهزمين ، فصاح بهم : إلى إلى : فرجعوا . إليه ، وأخبروه الخبر وأنهم تركوا معقلا يقاتلهم ، وما يظنونهم إلا قتيلا ، فجذّ في السير ، وردّ معه من لقيه من المنهزمين ، وانتهى إلى العسكر ، فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون ، فحمل أبو الرواغ وأصحابه على الخوارج فأزالهم غير بعيد .

ووصل أبو الرواغ إلى معقل فإذا هو متقدّم يحرض أصحابه ، فشدوا على الخوارج شدة منكرا ، ونزل المستورد ومن معه إلى الأرض ونزل أصحاب معقل أيضا ، ثم اقتتلوا طويلا من النهار بالسيوف أشد قتال ، ثم إن المستورد نادى معقلا ليبرز إليه ، فبرز إليه ، فمنعه أصحابه ، فلم يقبل [منهم] ^(١) وكان معه سيفه ومع المستورد رمحه ، فقاتل أصحاب معقل له : خذ رمحك . فأبى ، وأقدم على المستورد ، فطعنه المستورد برمحه ، فخرج السنان من ظهره ، وتقدم معقل والرمح فيه إلى المستورد ، فضربه بسيفه فخالط دماغه فماتا جميعا .

وكان معقل قال لأصحابه : إن قُتِلت فأميركم عمرو بن مُحرز بن شهاب التميمي ، فلما قُتل معقل أخذ عمرو الراية ، وحمل هو وأصحابه

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ولم يثبت في النسخة (ك) ، وقد قال معقل لأصحابه : لا والله لا يدعوني رجل إل مبارزة أبدا فأكون أنا الباكي .

على الخوارج فقتلوهم ، فلم ينجُ منهم غير خمسة أو ستة ، وانكفَت^(١) الخوارج بعد ذلك مُدَّة ولاية زياد بن أبيه إلى سنة خمسين .

فخرج قُرَيْب الأزدى وزخَّاف الطائي بالبصرة وهما ابناخالة ، وكان زياد يومئذ بالكوفة ، وسَمُرَة بالبصرة^(٢) فأتى الخوارج بنى ضُبَيْعَة^(٣) وهم سبعون رجلا فقتلوا منهم شيخا ، فاشتد زياد في أمر الخوارج فقتلهم وأمر سَمُرَة بذلك ، فقتل منهم بشرا كثيرا ، وخطب زياد على المنبر فقال : « يا أهل البصرة والله لتكفئننى هؤلاء . أو لأبذأنَّ بكم ، والله لئن أفلت رجل منهم لاتأخذون العام من عطاياكم درهما » فसार الناس إليهم فقتلوهم .

ثم خرج زياد بن خراش العجلي في سنة اثنتين وخمسين في ثلاثمائة فأتى أرض مسكين من السَّواد ، فسرح إلبد زيادُ بن أبيه خيلا عليها سعد بن حذيفة ، أو غيره ، فقتلوهم وقد صاروا إلى ماه (٤) وخرج رجل من طيء اسمه مُعَاذ في ثلاثين رجلا^(٥) فبعث إليه زياد من قتله وقتل أصحابه ، ويقال بل حلَّ ليواءه واستأمن .

وخرج طَوَّاف بن غَلَّاق في سنة ثمان وخمسين بالبصرة ، وكان سبب خروجه أن قوما من الخوارج بالبصرة كانوا يجتمعون إلى رجل اسمه

(١) انكفوتوا : انصرفوا عن الخروج للقتال .

(٢) كان معاوية قد كتب يبعث زياد على الكوفة والبصرة ، فاستخلف زياد على البصرة سمره بن جندب ، وشخص إلى الكوفة ، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة وستة أشهر بالبصرة .

(٣) كان بنو ضبيعة بالبصرة لمحلة هناك سميت « ضبيعة » باسمهم .

(٤) ماه : قصبة الكوفة ، لأن « مسكن » موضع بالكوفة ، وماه قصبة البلد ، فارسية .

كما في القاموس .

(٥) أتوا نهر عبد الرحمن بن أم الحكم ، ولئلك قيل لهم « أصحاب نهر عبد الرحمن » .

حراز^(١) فيتحدثون عنده ويعيبون السلطان ، فأخذهم عبيد الله بن زياد فحبسهم ، ثم أحضرهم ، وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضا ويخلى سبيل القاتلين ، ففعلوا ، فأطلقوا ، وكان طواف ممن قُتل ، فعَدَّ لهم أصحابهم وقالوا : قتلتم إخوانكم ، قالوا أكرهنا وقد يُكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان ، وندم طواف وأصحابه ، وقال أما من توبة ؟ فكانوا يبنكون ، وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية ، فأبوا قبولها ، وعرضوا عليهم القود ، فأبوا .

ولقى طواف الهُثَّاثَ بن ثور السدوسي ، فقال له : ما ترى لنا من توبة ! فقال : ما أجد لك إلا آية في كتاب الله عزَّ وجل : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .^(٢) فدعا طواف أصحابه إلى الخروج على أن يفتكوا بابن زياد ، فبايعوه في هذه السنة ، وهم سبعون رجلا من عبد القيس بالبصرة ، فسعى بهم رجل من أصحابهم إلى ابن زياد ، وبلغ ذلك طوافا فعجل الخروج ، فخرجوا من ليلتهم ، فقتلوا رجلا ، ومضوا إلى الجَلْحَاءِ^(٣) ، فندب ابنُ زياد الشرط والبُخَّارية^(٤) فقاتلوهم ، فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة ، واتبعوهم ، وذلك يوم الفِطْرِ فكأثرهم الناس ، فقاتلوا فقتلوا ، وبقي طواف في ستة نفر

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « حراز » ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٨٧ « جدار » .

(٢) الآية ١١٠ من سورة النحل .

(٣) الجَلْحَاء : موضع على فرسخين من البصرة .

(٤) البُخَّارية : طائفة من بخارى ، سباهم عبيد الله بن زياد ونقلهم إلى البصرة ، وبني لم فيها سكة خاصة نسبت إليهم ، وهم يلبغون الألفين ويمجدون الرمي بالنشاب ، فغرض لهم عبيد الله صله وإسكانهم تلك السكة .

وعطش فرسه ، فاقتحم به الماء ، فرماه البُخَّارِيَّةُ بالنُّشَابِ حَتَّى قَتَلُوهُ
وَأَخَذَ فُصْلَبَ ، ثُمَّ دَفَنَهُ أَهْلُهُ .

ذِكْرُ عُرْوَةَ بْنِ أَدِيَّةَ وَأَخِيهِ مِرْدَاسِ بْنِ أَدِيَّةَ

وغيرهما من الخوارج

قال : وفي سنة ثمان وخمسين اشتدَّ عُبيدُ الله بن زياد على
الخوارج ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، منهم عُرْوَةُ بْنُ أَدِيَّةَ

وكان سبب قتله أن عُبيدَ الله بن زياد خرج في رِهانٍ له ، فلما
جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس إليه ، وفيهم عُرْوَةُ بْنُ أَدِيَّةَ وهو أخو
مِرْدَاسِ بْنِ أَدِيَّةَ ، وأَدِيَّةُ أمهما وأبوهما ، جدير^(١) وهو نعيمى ، فأقبل
عُرْوَةُ على زياد يعظه ، فكان ممَّا قال له : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ
وَتَتَخَلَّفُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾^(٢)
قال : فلما قال له ذلك ظنَّ ابن زياد أنه لم يقبله إلاَّ ومعه جماعة^(٣)
فركب وترك رِهانَهُ ، فقبل لعروة : لَيْقَتُنْكَ . فاختمى ، فطلبه ابن
زياد فأتى الكوفة ، فأخذ وأتى به إلى ابن زياد ففُطِعَ يَدَيْهِ وَرَجُلِيهِ
وقتلَه^(٤) وقتل ابنته .

وأما أخوه أبو بلال مِرْدَاسُ فكان عابداً مجتهداً عظيم القدر في الخوارج

(١) هكذا بالجميع يكتبه بعضهم . ويراه بعضهم بالهاء (جدير) . وفي جمهرة أنساب
العرب ص ٢١٢ : « وأبوها جرير بن عامر بن عبيد بن كعب بن ربيعة » وذكر أنها من
بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) الآيات ١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٣٠ من سورة الشعراء .

(٣) لما رأى فيه من الجرأة .

(٤) لما قطعت يداه ورجلاه دعا به ابن زياد وقال له : كيف ترى قال : أرى

أنك أفدت دنياي وأفدت آخرتك ، فقتله .

وشهد صنفين مع على فأنكر التحكيم (١) ، وشهد النهرؤان مع الخوارج ، وكانت الخوارج كلها تتولاه .

وكانت البشجاء امرأة من بنى يربؤوع - تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته ، وكانت من المجتهديات ، فذكرها ابن زياد ، فقال لها أبو بلال : إن التقيّة (٢) لا بأس بها فتغيبى فإن هذا الجبار قد ذكرك . فقالت : أخشى أن يلقي أحد بسببى مكروها ، فأخذها ابن زياد فمقطع يديها ورجليها وربماها في السوق ، فمر بها أبو بلال فعرض على لحبته وقال : « لهذه أطيب نفسا بالموت منك يا مرداس ! ما ميتة أموتها أحب إلى من ميتة البشجاء ! » .

ومر أبو بلال ببغير قد طلى بقطران فغشى عليه ، ثم أفاق فتلا : ﴿ سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَّى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴾ (٣) .

ثم إن ابن زياد ألح في طلب الخوارج حتى ملأ منهم السجون .

وحبس أبا بلال مرداس بن أدية (٤) ، فرأى السجنان عبادته ، فأذن له كل ليلة في إتيان أهله ، فكان يأتيهم ليلا ويعود إلى السجن مع الصبح ، وكان لمرداس صديق يسامر ابن زياد ، فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم [إذا أصبح] (٥) ، فانطلق صديق مرداس إليه وأعلمه الخبر ، وبات السجنان بليلة سوء خوفا أنه لا يرجع ،

(١) قيل : إن أبا بلال أول من قال « لا حكم إلا لله » على ملعب الخوارج يوم صفين .

(٢) التقيّة : الحذر .

(٣) الآية ٥٥ في سورة إبراهيم .

(٤) حبس أبا بلال قبل أن يقتل أخاه عروة بن أدية .

(٥) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٢٣٢ .

فعاد على عادته ، فقال له السَّجَّان : أما بلغك ما عزم عليه الأمير ؟
قال : بلى ، قال : وكيف أتيت ؟ قال : لم يكن جزاؤك مع إحسانك
أن تعاقب [بسببي] (١) وأصبح ابن زياد فقتلهم ، فلما أحضر مرداس
قام السَّجَّان - وكان ظمراً (٢) لعبيد الله - فشفع فيه وقص عليه قصته ،
فوهبه له وخلق سبيله .

ثم تخاف من ابن زياد ، فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز ، فكان
إذا اجتاز به مالٌ لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ، ثم يردُّ
الباقى ، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم أسلم (٣) بن زُرعة
الكلابي ، وقيل : أبو الحُصَيْن التيمي ، وكان الجيش ألفى رجل ، وذلك
في سنة ستين ، فلما أتوه ناشدهم أبو بلال الله أن ينصرفوا عنه ،
فأبَوْ ودعاهم أسلم إلى مُعاوِدة الجماعة ، فقالوا أتردُّنا إلى ابن
زياد الفاسق ؟ فرمى أصحاب أسلم رجلاً من الخوارج فقتلوه ،
فقال أبو بلال : قد بدعوكم بالقتال . فشدَّ الخوارج على أسلم
وأصحابه شدة رجل واحد ، فهزموهم ، فقدموا البصرة ، فلامه
ابن زياد على ذلك ، وقال : « هزمك أربعون وأنت في ألفين ؟ لا خير
فيك ! » فقال : لأن تلومنى وأنا حى خيرٌ من أن تُشنى على وأنا ميتٌ
وكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به : « أبو بلال وراءك » . فشكا
ذلك إلى ابن زياد ، فنهاهم ، فانتهوا .

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبرى .

(٢) ثمره : زوج مرضته . والأصل في لفظ « الظم » أن يطلق على المرضعة لغير
أولادها ، ثم أطلق على زوج المرضعة .

(٣) ذكر ياقوت في معجم البلدان أنه « معبد بن أسلم الكلبي » .

وقال رجل (١) من الخوارج :

أَلْفَا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَقْتُلُهُمْ بِأَسْكَ (٢) أَرْبَعُونَ
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمْ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يَنْصُرُونَا
هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ ، فَلْنَذْكُرْ حَوَادِثَ السَّنِينَ .

ذكر الحوادث في أيام معاوية بن أبي سفيان

غير ما تقدم ، على حكم السنين منذ خلاص له الأمر
إلى أن توفى إلى رحمة الله

سنة إحدى وأربعين

في هذه السنة خلاص الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ؛ بمبايعة الحسن
ابن علي رضي الله عنهما له كما تقدم ، فسمى هذا العام « عام الجماعة »
وذلك لاجتماع الناس على إمام واحد ، وهو معاوية .

وروى أنه لما سار الحسن رضي الله عنه عن الكوفة عرض له
رجل فقال : يَا مُسَوِّدُ وَجْوهَ الْمُؤْمِنِينَ . فقال : لَا تَعْذِلْنِي فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى (٣) بَنِي أُمَيَّةَ يَنْتَزُونَ عَلَى مَنْبِرِهِ رَجُلًا رَجُلًا ،
فَسَاءَ ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (٤) ﴾ وهو نهر
في الجنة ، و ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

(١) هو عيسى بن قاتك الخطي ، أحد بني تميم الله بن ثعلبة كما ذكره باقوت في معجم
البلدان ، وذكر سبعة أبيات .

(٢) أسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أرجان .

(٣) في المنام .

(٤) الآية الأولى من سورة الكوثر .

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ^(١) يملكها بعدك بنو أمية ، وقد
 خَرَجَ هذا الحديث ^(٢) أهل الصحة . وكانت دولة بني أمية ألف
 شهر .

ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد بن عبادة

في هذه السنة تَمَّ الصلح بين معاوية وقيس بن سعد ، وكان
 قيس قد خرج على مقدمة الحسن في اثني عشر ألفاً كما ذكرنا .
 وقيل: إن عُبيد الله بن عباس كان على مقدمته ، وكان قيس بن سعد
 على مقدمة عبيد الله ، فلَمَّا علم عُبيد الله ما عزم عليه الحسن من تسليم
 الأمر إلى معاوية كتب إليه يسأل الأمان لنفسه وعلى ما أصاب من مال
 وغيره ، فأجابته إلى ذلك ، وفارق عُبيد الله جنده وتركهم بغير أمير ،
 فأَمَرُوا عليهم قيس بن سعد ، وتعاهدوا على قتال معاوية حتى يشترط.
 له ولهم على ما أصابوا من الدماء والأموال ، فراسله معاوية في الدخول
 في طاعته ، وأرسل إليه بسجّل وختم أسفله ، وقال: اكتب فيه ما شئت
 فهو لك ، فاشتراط. لنفسه ولشيعته على الأمان على ما أصابوا من الدماء
 والأموال ، ولم يشترط مالا ، فأعطاه ذلك ، ودخل قيس في طاعة
 معاوية .

(١) الآيات ١ ، ٢ ، ٣ من سورة القدر .

(٢) هذا الحديث رواه الترمذي في تعليقات ج ١٢ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ عن محمود
 ابن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن القاسم بن الفضل الحداقي عن يوسف بن سعد ، ثم قال :
 « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وقد قيل عن
 القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن ، والقاسم بن الفضل الحداقي هو ثقة ، وثقة يحيى ابن
 سعيد وهب الرحمن بن مهدي ، ويوسف بن سعد رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث على =

ذكر استعمال معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة

وفي هذه السنة استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة .
وكان قد استعمل عليها عبد الله بن عمرو بن العاص ، فاتاه المغيرة
وقال : « استعملت عبد الله على الكوفة ، وأباه بمصر ، فتكون أميراً
بين نائي أمد » . فعزله ، واستعمل المغيرة .

وبلغ عمرو بن العاص ما قاله المغيرة ، فدخل على معاوية وقال :
« استعملت المغيرة على الخراج ، فيغتال المال ، ولا تستطيع أن تأخذه
منه ، استعمل على الخراج رجلاً يخافك ويتقيك » فعزله عن الخراج
وأقره على الصلاة (١) .

ولما ولي المغيرة استعمل كثير بن شهاب على الرى ، وكان يُكثر سب
على بن أبي طالب رضى الله عنه على المنبر .

ذكر استعمال بسر بن أرطاة

على البصرة وعزله ، واستعمل عبد الله ابن عامر عليها

وفي هذه السنة استعمل معاوية بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة على
البصرة ، وكان سبب ذلك أن الحسن لما صالح معاوية وثب حُمران
ابن أبان على البصرة ، فأخذها وغلب عليها ، فبعث إليه معاوية
بسر بن أرطاة ، وأمره بقتل بنى زياد بن أبيه . وكان زياد على

= هذا اللفظ إلا من هذا الوجه . ، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره ج ٣٠ ص ١٤٣
وإن كان لم يرجحه . ورواه الحاكم والطبراني والبيهقي في الدلائل ، وذكر الآلوسى في
تفسيره ج ٣٠ ص ١٨٨ قول المزي في : « حديث منكر » ثم يرد في هذا القول .
(١) وبعد ذلك لى المغيرة عمرو بن العاص فقال له : أنت المشير على أمير المؤمنين
بما أشرت به في عبد الله قال : نعم ، قال : هذه بتلك .

فارس ، قد أرسله عليها على بن أبي طالب رضى الله عنه كما تقدم .
فلما قدم بُسْر البصرة خطب على منبرها فشم عليها ، ثم قال :
نَشَدْتُ الله رجلاً يعلم أنى صادق إلا صدقنى أو كاذب إلا كذبنى ،
فقال أبو بكر^(١) : اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً ! فأمر به فخنق ،
فقام أبو لؤلؤة الضبى فرمى نفسه عليه فمنعه ، فأقطعه أبو بكر مائة
جريب^(٢) ، وقيل لأبي بكر : ماحملك على ما قلت ؟ فقال : يُناشدنا
الله ثم لا نصدقه .

وكان معاوية قد كتب إلى زياد : أن فى يدك ما لا من مال الله
فأد ما عندك منه . فكتب إليه زياد : « أنه لم يبق عندى شيء ،
وقد صرفت ما كان عندى فى وجهه ، واستودعت بعضه لنازلة إن نزلت ،
وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله تعالى » . فكتب إليه معاوية
أن أقبل ننظر فيما وليت ، فإن استقام بيننا أمر وإلا رجعت إلى
مأمك . فامتنع زياد .

فأخذ بُسْر أولاده الأكابر ، منهم عبد الرحمن وعبيد الله وعباد
وكتب إليه : لتقدمن على أمير المؤمنين أو لأقتلن بئيك ، فكتب إليه
زياد : لست بآرحاً مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك ، وإن قتلت
ولدى فالصير إلى الله تعالى ، ومن ورائنا الحساب ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ

(١) أبو بكر : نفيع بن الحارث أو سروح ، وكان قد بدل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فكناه صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، واشتهر بهذه الكنية .

(٢) الجريب فى المساحة : قيل : عشرة آلاف ذراع ، وقيل : ثلاثة آلاف وسبعمائة ذراع ، وقالوا : يختلف مقدارها بحسب اصطلاح أهل الأقاليم ، والجريب فى الطعام أزيمة أفقرة . انظر المصباح .

ظلموا أي منقلب ينقلبون^(١) فأراد بسر قتلهم وأتاه أبو بكر^(٢) فقال له : قد أخذت ولد أخى بلا ذنب ، وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب على رضى الله عنه حيث كانوا ، فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل ، وأجله أياماً حتى يأتى بكتاب معاوية ، فركب أبو بكر إلى معاوية وهو بالكوفة ، فلما أتاه قال له : يا معاوية إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال ! قال : وماذا يا أبا بكر ؟ قال : بسر يريد قتل بنى أخى زياد ، فكتب إليه بتخليتهم ، فأخذ كتابه وعاد ، فوصل البصرة يوم الميعاد ، وقد أخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ، ينتظر بهم الغروب ليقتلهم ، واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون أبا بكر ، إذ رفع على نجيب أوبرذون يكده^(٣) ، فوقف فنزل عنه والآح بثوبه ، وكبر وكبر الناس معه ، وأقبل يسعى على رجله ، فأدرك بسر قبل أن يقتلهم ، فدفع إليه الكتاب ، فأطلقهم .

وكان زياد قد تحصن بالقلعة التى تسمى « قلعة زياد » .

وأما بسر فلم يطل مقامه بالبصرة ، بل عزله معاوية فى بقية سنة إحدى وأربعين ، وأراد أن يستعمل عتبة بن أبى سفيان^(٤) ، فكلمه ابن عامر وقال له : إن لى بالبصرة ودائع وأموالا ، فإن لم تولنى عليها ذهبت . فولاه البصرة ، فقدمها فى آخر سنة إحدى وأربعين ، وجعل إليه خراسان وسجستان ، فجعل على شرطته حبيب بن شهاب

(١) آية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

(٢) سياتى فى « ذكر استلحاق معاوية بن أبى سفيان زياد بن أبيه وهو ابن سمية » أن سمية أم زياد ولدت أبا بكر - واسمه نفيح - عند الحارث بن كلدة الطيب النضى .

(٣) يكده : يستجله .

(٤) أى : أراد معاوية بن أبى سفيان أن يستعمل أخاه عتبة بن أبى سفيان على البصرة .

وعلى القضاء عَميرة بن يَثْرَبِى أَنَا عمرو ، وقد تقدم فى وقعة الجمل
أن عَميرة قُتِلَ فيها ، وقيل : المقتول عمرو ^(١) .

واستعمل ابنُ عامر قَيْسَ بنَ الْهَيْثَمِ على خُرَاسان ، وكان أهلُ بَادَغِيْسٍ
وَهَرَاةَ وبوشَنج ^(٢) قد نكثوا ، فسار إلى بَلْخَ ، فَأَخْرَبَ نُوبَهَا رَهَا ^(٣) ،
وكان الذى تولى ذلك عطاء ^(٤) بن السائب مولى بنى لَيْث ، واتخذ قناطر
على ثلاثة أَنهَارٍ من بَلْخَ على فرسح ، فقيل : قناطر عطاء ، فسأل أهلُها
الصلح ومراجعة الطاعة ، فصالحهم قَيْسُ ، وقيل : إِنَّمَا صالحهم الربيع
ابن زياد سنة إِحدى وخمسين ، ثم قَدِمَ قَيْسُ على ابن عامر فضربه
وحبسه ، واستعمل عبد الله بن خازم ، فأرسل إليه أهلُ هَرَاةَ وبَادَغِيْسٍ
وبوشَنج يطلبون الأمان والصلح ، فصالحهم وحمل إلى ابن عامر مالا .

وفيهما ولد على بن عبد الله بن العباس ، وقيل : ولد سنة أربعين
قبل قتل على رضى الله عنه ، والأول أصح .

وحج بالناس فى هذه السنة عُتْبَةُ بنُ أَبِي سفيان ، وقيل : عُنْبَسَةُ بن
أَبِي سفيان .

(١) الراجح أن المقتول فى وقعة الجمل هو عمرو بن يَثْرَبِى أخو عميرة بن يَثْرَبِى ،
انظر الإصابة ج ٣ ص ١١٩ وجمهرة أنساب العرب ص ١٩٥ والقاموس .

(٢) بوشنج : بلدة خصبة من نواحي هَرَاةَ ، وكذلك « بادغيس » من نواحي هَرَاةَ .

(٣) نوبهار يبلغ بناء : كان أهلها يظلمونه تعظيما ، وتفسير النوبهار : النهار الجديد ، وكان
من عادتهم أنهم إذا بنوا بناء يمتنون به كلوه بالريحان وتوخوا لذلك أول ريحان يطلق فى ذلك
الوقت ، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان ، فكان البهار ، فسمى
« النوبهار » لذلك .

(٤) وكان يقال له « عطلة الخشك » لأنه أول من دخل من المسلمين باب هَرَاةَ الذى
يقال له « خشك » .

سنة اثنتين وأربعين

في هذه السنة ولَّى معاوية مروان بن الحكم المدينة ، وخالد بن العاص بن هشام مكة ، فاستقضى مروان عبد الله بن الحارث ابن نوفل ^(١) .

ذكر قدوم زياد بن أبيه

على معاوية بن أبي سفيان

في هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية ، وكان معاوية قد كتب إليه يتهدده ، حين قُتل على رضى الله عنه ، فقام زياد خطيبا فقال : العجب من ابن آكلة الكبود ^(٢) ، وكهف النفاق ، ورئيس الأحزاب يتهددنى وبينى وبينه ابناعم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى ابن عباس والحسن بن علي رضى الله عنهم - في سبعين ألفا ، واضعى سيوفهم على عواتقهم ، أما والله لئن خلص إلى ليجدنى أحمر ضربا بالسيف ^(٣) .

فلما صالح الحسن معاوية اعتصم زياد بقلعته كما تقدم ثم ، كان من خبر بنييه مع بُسر بن أرطاة ما ذكرناه ، فأتمم معاوية أمره ، وكان زياد قد استودع عبد الرحمن بن أبي بكره ماله ، فبلغ معاوية ذلك ،

(١) عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، وأمه هى هند بنت أبي سفيان ، فكان معاوية خاله ، وكان مرغيا ظاهرا للصلاح .

(٢) كانت هند بنت حبة - وهى أم معاوية - فى جيش المشركين يوم أحد وقد شقت عن بطن حمزة بن عبد المطلب وأخرجت كبده ، وجعلت تلو كها ، فلم تستطع أن تسيبها ، فلفظتها . انظر نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٠١ .

(٣) أحمر : شديدا . ثم انظر ما يأتى قريبا فى ذكر استلحاق معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبيه .

فبعث إلى المغيرة بن شعبه لينظر في أموال زياد ، فأخذ عبد الرحمن فقال له لئن كان أبوك أساء إلي لقد أحسن عمك ^(١) - يعنى زيادا - فكتب إلى معاوية : إني لم أجد في يد عبد الرحمن مالا يحل لي أخذه . فكتب إليه معاوية : أن عذَّب عبد الرحمن . فقال لعبد الرحمن : احتفظ بما في يدك ، وألقى على وجهه حريرة ^(٢) ونضحها بالماء فغشي عليه ، فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم خلَّاه ، وكتب إلى معاوية : إني عذَّبته فلم أجد عنده شيئا .

ثم دخل المغيرة على معاوية فقال له ^(٣) : ذكرت زيادا واعتصامه بفارس فلم أتم ليلتي . فقال المغيرة : ما زياد هناك ؟ فقال معاوية : « داهية العرب ! معه أموال فارس ، يدبُّ الحيل ، مايؤمّني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هم قد أعادوا الحرب جذعة ! » واستكتمه معاوية ذلك ، فقال المغيرة : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه ؟ قال : نعم وتلطَّفْ له ، فتأد المغيرة وقال له : إن معاوية استخفّه الوجَل حتى بعثنى إليك ، ولم يكن أحدٌ يمدُّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن ، وقد بايع فخذ لنفسك قبل التَّوطين فيستغنى معاوية عنك .

(١) كان اليهود على المغيرة عند عمر بن الخطاب أربعة : أبو بكره ونافع وشل ابن معبد وزياد ، وكلهم أولاد سبية ؛ إلا أن زيادا لم يقطع الشهادة ، فلم المغيرة من الجلد بسبب زياد .

(٢) يطلق « الحريرة » على ما طبخ من اللقيق واللحم ، وعلى قطعة الحرير .

(٣) قال معاوية للمغيرة حين نظر إليه :

إنما موضع سر المرء إن ياح بالسر أخوه المتصح
فإذا بحث بر فإل ناصح يستره أولا تبح

فقال : يا أمير المؤمنين إن تستودعني تستودع ناصحا شقيقا وزها وثيقا فما ذاك يا أمير المؤمنين قال : ذكرت زيادا الخ .

قال : أَشِرُّ عَلَى وَازِمِ الْغَرَضِ الْأَقْصَى فَإِنِ الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنٌ . فقال
المغيرة : أَرَى أَن تَصِلَ حَبْلَكَ بِحَبْلِهِ وَتَشْخَصَ إِلَيْهِ . [قال : أَرَى] ^(١)
ويقضى الله . وكتب إليه معاوية بآمانه بعد عود المغيرة عنه .

فخرج زياد من فارس نحو معاوية ، ومعه المنجاب بن راشد
الضبي ، وحارثة بن بدر ، وقدم على معاوية فسأله عن أموال فارس
فأخبره بما حمل منها إلى علي رضي الله عنه ، وما أنفق منها في الوجوه
التي تحتاج إلى النفقة ، وما بقي عنده وأنه مودع للمسلمين ، فصدقه
معاوية فيما أنفق وفيما بقي عنده وقبضه منه ، وقيل : إن زيادا
لما قال لمعاوية : قَدْ بَقِيََتْ بَقِيَّةٌ مِنَ الْمَالِ ، وقد أودعتها [قوما] ^(٢)
فمكث معاوية يروده ، فكتب زياد كتباً إلى قوم يقول : قد علمت ما لي
عندكم من الأمانة ، فتدبروا كتاب الله ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ الآية ^(٣) فاحتفظوا بما عندكم .
وسمى في الكتب المال الذي أقربيه لمعاوية ، وأمر رسوله أن يتعرض
لبعض من يُبْلَغُ ذلك معاوية ، ففعل رسوله ، وانتشر ذلك ، فقال
معاوية لزياد حين وقف على الكتب : أخاف أن تكون مكرت بي فصالحنى
على ماشئت ، فصالحه على ألفي ألف درهم ، وحملها زياد إليه ،
واستأذنه زياد في نزول الكوفة فأذن له ، فكان المغيرة يكرمه ويعظمه ،
وكتب معاوية إلى المغيرة ليُلْزَمَ زيادا وحُجْرَ ابن عدى وسليمان بن

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١٣٥ .

(٢) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١٣٦ .

(٣) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب .

صُرِدَ وشَيْبِيبُ بْنُ رَبِيعٍ وَابْنُ الْكَوَّاءِ ^(١) وَابْنُ الْحَمِقِ ^(٢) بِالصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ ، فَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَعَهُ الصَّلَاةَ ^(٣) .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنِّيَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ .

سنة ثلاث وأربعين

فِيهَا اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ عَلَى سَجِسْتَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ عَلَى خِرَاسَانَ وَعَزَلَ قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ عَنْهَا ^(٤) وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ . وَفِيهَا تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

مَعِينُ التَّارِيخِ
لَأَهْلِ التَّارِيخِ

ذكر وفاة عمرو بن العاص

وَشَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِ وَاسْتَعْمَالَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو عَلَى مِصْرَ

كَانَتْ وَفَاتِهِ بِمِصْرَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْأَصْحَحِ وَكَانَ لَهُ يَوْمَ مَاتَ تِسْعُونَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِالْمَقْطَمِ مِنْ نَاحِيَةِ السَّفْحِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْعِيدِ .

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ فِرْسَانَ قَرِيْشٍ وَأَبْطَالُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَةِ مَذْكُورًا بِذَلِكَ فِيهِمْ .

(١) ابْنُ الْكَوَّاءِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ ، ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ج ٤ ص ١٦٢ وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٢ ص ٢١٩ .

(٢) عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ ، كُنَّا ذَكَرَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ج ٤ ص ١٤٧ .

(٣) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٢ ص ٢١٦ : « وَإِنَّمَا أَلْزَمَهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ شَيْعَةِ عَلٍ » .

(٤) انْظُرْ مُقَاتِلَ فِي سَبَبِ ذَلِكَ فِي تَارِيخِ ابْنِ جُرَيْرٍ ج ٤ ص ١٦٠ وَالْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٢ ص ٢١٨ .

وكان حسن الشعر ، فمن شعره يخاطب عُمارة بن الوليد بن المغيرة عند النَّجَاشِيِّ :

إذا المرء لم يترك طعاماً يُحبُّه ولم يَنْهَ قلباً غاوياً حيثُ يَمَّا
فَقَى وطراً منه وغادَرَ سُبَّةً إذا ذُكِرتُ أمثالها تملأُ الفما

وكان أَحَدَ الدُّهَّاءِ في أمور الدنيا المقدمين في الرأي ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا استضعف رجلاً في رأيه قال : أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد . يريد خالق الأضداد .

حكى أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص وهو على المنبر عن أمه ، فسأله ، فقال : أُمِّي سَلِمَى بَنَتْ حَرَمَلَةً تَلْقَبُ النَّابِغَةَ مِنْ بَنِي عَنَزَةَ ، ثم أحد بنى جَلَانَ ، أصابَتْها رِمَاحُ الْعَرَبِ ^(١) فَبِيعَتْ بِعُكَّازٍ . فاشترها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جُدعان ، ثم صارت لى العاص بن وائل فولدت له ، فأنجبت ، فإن كان جُعِلَ لك شيء فخذ .

قالوا : ولما حضرته الوفاة قال : « اللهم أمرتني فلم آتمر ، وزجرتنى فلم أنزجر » ووضع يده في موضع الغُلِّ ثم قال : « اللهم لا قوى فأنْتَصِر ، ولا برىء فاعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، لا إله إلا أنت » . فلم يزل يرددُها حتى مات .

وروى أبو عمر ابن عبد البر ^(٢) بسنده إلى الشافعى رضى الله عنه أنه قال . دخل ابن عباس رضى الله عنهما على عمرو بن العاص في مرضه فسَلَّمَ عليه وقال : كيف أصبحتَ يا أبا عبد الله ؟ قال : « أصبحتُ وقد أصلحتُ من دُنياى قليلاً ، وأفسدتُ من دينى كثيراً ، فلو كان

(١) سبت وهي من بنى جَلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) في الاستيعاب ج ٢ ص ٥١٣ .

الذى أصلحتُ هو الذى أفسدتُ ، والذى أفسدتُ هو الذى أصلحتُ
لَفُزْتُ ، ولو كان ينفعنى أن أطلب طلبت ، ولو كان يُنجينى أن أُهْرَبَ
هَرَبْتُ ، فصرتُ كالمُتَجَنِّيقِ بين السماء والأرض ، لا أرقى بيديَّين
ولا أميط برجليَّين ، فِعِظْنِي بِعِظَةِ أَنْتَفَعُ بِهَا يَا بِنَ أَخِي . فقال ابن
عباس : « هيهات يا أبأ عبد الله ، صار ابن أخيك أخاك ، ولانشاء
أن تبكى لإلابكيت ، كيف يؤمر برحيل من هو مقيم ؟ » . فقال عمرو
على حينها من حين ابن بضع وثمانين سنة تُقَنِّطُنِي مِنْ رَحْمَةِ رَبِّي ،
اللهم إن ابنَ عباس يقنِّطُنِي مِنْ رَحْمَتِكَ فَخُذْ مِنِّي حَتَّى تَرْضَى ، فقال
ابن عباس : هيهات يا أبأ عبد الله أَخَذْتَ جَدِيداً وَتَعْطَى خَلْقاً ، قال :
مالى ولك يا ابن عباس ما أُرسل كلمة إلا أُرسلت نقيضها .

وروى ^(١) بسنده إلى يزيد بن أبي حبيب : أن عبد الرحمن بن
ثُمَّاسَةَ حَدَّثَهُ قَالَ : لما حضرتُ عمرو بن العاص الوفاءُ بَكَيْتُ ، فقال
له ابنه عبد الله : « لم تبكى ؟ أجزعا من الموت ؟ » قال : لا والله ولكن
لما بعده ، فقال له : لقد كنتَ عَلَى خَيْرٍ ، وجعل يذْكُرُهُ صُحْبَةُ رَسُولِ
الله صلى الله عليه وسلم وَفُتُوْحَهُ الشَّامَ . فقال له عمرو : « تركتَ
أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، إِنِّي كُنْتُ عَلَى ثَلَاثَةِ
أَطْبَاقٍ ^(٢) ، لَيْسَ مِنْهَا طَبَقٌ إِلَّا عَرَفْتُ نَفْسِي فِيهِ ، كُنْتُ أَوَّلَ شَيْءٍ
كَافَرًا ، فَكُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلَوُمْتُ
حِينَئِذٍ وَجِبْتُ لِي النَّارُ ، فَلَمَّا بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم
كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْهُ ، فَمَا مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله

(١) في الاستيعاب ج ٢ ص ٥١٤ .

(٢) الأطباق : المراد بها الأحوال .

عليه وسلم حياء منه ، فلو مت يومئذ قال الناس : هنيئاً لعمره
أسلم وكان على خيرٍ ومات على خير أحواله فترجى له الجنة ، ثم
تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري أعلى أم لى ؟ فإذا مت
فلا تبكين على باكية ، ولا يتبعنى ماح ولا زار ، وشئوا على إزاري
فإني مخاصم ، وشئوا على التراب فإن جنبي الأيمن ليس بأحق من
جنبي الأيسر ، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني
فاقعدوا عندي فقدر نحر جزور وتقطيعها ^(١) بينكم [أستأنس
بكم !] . ولما مات استعمل معاوية بعده على مصر ابنه عبد الله بن عمرو .

سنة أربع وأربعين

في هذه السنة حج معاوية بالناس .

وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة ، وهو أول من عملها
بالمدينة ، وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجي .

ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة

واستعمال الحارث بن عبد الله

في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وسبب ذلك
أنه كان كريماً حليماً ليناً لا يأخذ على أيدي السفهاء ، ففسدت
البصرة في أيامه ، فشكا ذلك إلى زياد ، فقال له : جرد [فيهم] ^(٢)
السيف ، قال : إني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي ! .

فلما علم معاوية حال البصرة أراد عزل ابن عامر ، فأرسل إليه

(١) الزيادة من الاستيعاب .

(٢) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١٦٢ .

يَسْتَزِيرُهُ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ ، فَرَدَّهُ إِلَى ^(١) عَمَلِهِ ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ :
 « إِنِّي سَأَلْتُكَ ثَلَاثًا [فَقُلْ : هُنَّ لَكَ .] » ^(٢) قَالَ : هُنَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ أُمِّ حَكِيمٍ ^(٣)
 فَقَالَ : تَرُدُّ عَلَيَّ عَمَلِي وَلَا تَغْضَبُ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَتَهَبُ لِي
 مَالَكَ بِعَرَفَةٍ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَتَهَبُ لِي دُورَكَ بِمَكَّةَ . قَالَ
 قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَصَلَّتْكَ رَحِمُ ! قَالَ ابْنُ عَامِرٍ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِنِّي سَأَلْتُكَ ثَلَاثًا ، فَقُلْ هُنَّ لَكَ » . قَالَ هُنَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ هِنْدَ ،
 قَالَ : تَرُدُّ عَلَيَّ مَالِي بِعَرَفَةٍ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَلَا تَحَاسِبْ لِي
 عَامِلًا وَلَا تَتَّبِعْ لِي أَثَرًا . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَتُنْكَحُنِي ابْنَتُكَ
 هِنْدَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .

وَيُقَالُ : إِنْ مَعَاوِيَةُ قَالَ لَهُ : « اخْتَرِ إِمَّا أَنْ أَتَّبِعَ أَثَرَكَ وَأَحَاسِبُكَ بِمَا
 صَارَ إِلَيْكَ وَأَرُدُّكَ إِلَى الْعَمَلِ ، أَوْ أَعَزِّلَكَ وَأَسْوِغُكَ مَا أَصَبْتُ » .
 فَاخْتَارَ الْعَزْلَ وَأَنْ يَسْوِغَهُ مَا أَصَابَ ، فَعَزَّلَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ الْحَارِثَ
 ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيَّ ، وَكَانَ ابْنُ عَامِرٍ قَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَى خُرَاسَانَ ، قَبْلَ
 مَقْدَمِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْخٍ الْيَشْكُرِيَّ ، وَقِيلَ : بَلِ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا حَاقِقِيلُ بْنُ
 عَوْفٍ الْيَشْكُرِيَّ .

(١) عند الطبري وابن الأثير « حل » .

(٢) الزيادة من ابن جرير في تاريخه وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢١٩ .

(٣) كانت أم عامر والد عبد الله هي أم حكيم اليضاه بنت عبد المطلب بن هاشم .

ذكر استلحاق معاوية بن أبي سفيان

زياد بن أبيه وهو ابن سُمَيَّة

وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن أبيه، وقد ذكر عز الدين أبو الحسن على بن الأثير في تاريخه الكامل^(١) سبب ذلك وكيفيته، وابتدأ حال سُمَيَّة فقال: كانت سُمَيَّة أم زياد لِدِهْقَان زَنْدَوْرَد^(٢)، بَكْسَكْرَ فمرض الدهقان، فدعا الحارث بن كَلْدَةَ الطبيب الثقفي، فعالجه، فبرأ، فوهبه سُمَيَّة، فولدت عند الحارث أبا بكرة واسمه قُفَيْع، فلم يُقَرِّبه، ثم ولدت نافعاً فلم يُقَرِّبه أيضاً، فلما نزل أبو بكرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين حضر^(٣) الطائف، قال الحارث لنافع: أأنت ولدي، وكان قد زوج سُمَيَّة من غلام له اسمه عُبَيْد^(٤)، وهو رومي، فولدت له زيادا.

قال: وكان أبو سفيان بن حرب سار^(٥) في الجاهلية إلى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولى - وأسلم أبو مريم^(٦) بعد ذلك، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم - فقال أبو سفيان لأبي مريم: قد اشتبهت السماء فالتمس لي بَغِيًّا، فقال هل لك في سُمَيَّة؟ فقال: هاها على طول ثدييها وذفر بطنها. فاتاه بها، فوقع

(١) ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢١.

(٢) زَنْدَوْرَد: بلد قرب واسط. وكسكر: كورة صارت قصبتها واسط.

(٣) كذا جاء في النسخة (ك)، وجاء في النسخة (ن): «حصر» ... هذا

وقد روى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نازلاً بالطائف، فنادى مناديه: «من خرج إلينا من صيلم فهو حر» فخرج إليه نافع ونقيع - يعنى أبا بكرة وأخاه - فاعتقهما، وانظر نهاية الأربع ج ١٧-٣٣٧. وانظر تسمية «أبي بكرة» فيما سبق من هذا الجزء.

(٤) انظر خزائن الأدب ج ٢ ص ١٧.

(٥) كذا جاء في النسخة (ك)، وجاء في النسخة (ن): «سار».

(٦) أبو مريم السلولى: مالك بن ربيعة، وهو مشهور بكنته.

عليها ، فعَلِقَتْ بزياد ، ثم وضعت سنة إحدى (١) من الهجرة .
فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الأشعري حين ولي البصرة .
ثم إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استكفى زيادا أمرا ،
فقام فيه مقاما مرضيا ، فلما عاد إليه حضر وعند عمر المهاجرون
والأنصار ، فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلا ، فقال عمرو بن العاص :
«لله در هذا الغلام . لو كان أبوه من قريش لساق العرب الناس بعصاه» .
فقال أبو سفيان وهو حاضر : والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في
رحم أمه . فقال له علي بن أبي طالب : ومن هو يا أبا سفيان ؟ قال :
أنا . قال : «مهلا يا أبا سفيان ، اسكت ، فإنك تعلم أن عمر
لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعا » .

وروى أبو عمر ابن عبد البر (٢) بسنده إلى ابن عباس : أن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه بعث زيادا في إصلاح فساد وقع باليمن ، فرجع من
وجهه ، وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها (وذكر كلام عمرو بن العاص
ومقالة أبي سفيان وكلام علي رضى الله عنه بنحو ما تقدم) قال : فقال
أبو سفيان :

أما والله لو لا خوفُ شخص يَرَانِي بِأَعْلَى مِنَ الْأَعْنَادِ
لأظهر أمره صخر بن حرب ولم يكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملي ثقيفا وتركبي فيهمو ثمر القواد

(١) كذا جاء في الأصل . يريد السنة الأولى من الهجرة ، وهذه إحدى الروايات
في ميلاد زياد . وفي الاستيعاب وأمد الغاية : ولد عام الهجرة ، وقيل : قبل الهجرة .
وقيل : يوم بدر ، وفي الطبقات : ولد عام الفتح ، وهو ستة ثمان من الهجرة .
(٢) في الاستيعاب ج ١ ص ٥٦٩ .

نعود إلى ما حكاه ابن الأثير قال : فلما ولي علي رضي الله عنه الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحَمَى قِلاعها ، واتصل الخبر بمعاوية فسأه ذلك ، فكتب إلى زياد يتهَدِّده ، ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه ، فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس فقال : « العَجَبُ ^(١) كُلُّ العَجَب من ابن آكلة الأكباد ^(٢) ، ورأس النفاق ، يخوفني بقصده إِيَّايَ وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار . أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر مخشياً ^(٣) ضراباً بالسيف . » وبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فكتب إليه : « إني قد وَلَّيْتُكَ ماوليتك وأنا أراك له أهلاً ، وقد كان من أبي سفيان فلتة من أمانى الباطل وكَذِب النفس ، لا توجب له ميراثاً ولا تحل لك نسباً ، وإن معاوية يأتى الإنسان من بين يَدَيْهِ ومن خَلْفٍ ، وعن يمينه وعن شماله فاحذَرْ ثم احذَرْ ، والسلام .. »

فلما قُتِلَ علي رضي الله عنه وكان من أمر زياد ومصالحة معاوية ما ذكرناه ، وضع زياد مَضَقْلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشيباني ، وضمن له عشرين ألف درهم ، ليقول لمعاوية : « إن زيادا قد أكل فارس برا وبحرا ، وصالحك على أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، والله ما أرى الذى يُقال إلَاحَقًا ، فإذا قال لك يقال : وما يقال ؟ فقل : إنه ابن أبي سفيان . ففعل مَضَقْلُ ذلك . »

(١) انظر ما سبق في « ذكر قنوم زياد بن أبيه على معاوية بن أبي سفيان » .

(٢) آكلة الأكباد : أمه ، أكلت كبد حمزة رضي عنه حين قتل يوم أحد ، والمراد بأكليها أنها لاكنها ، انظر نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) يخشاه الناس .

ورأى معاوية أن يستصفي مودته باستلحاقه ، فاتفقا على ذلك ، وأحضر الناس وحضر من شهد لزياد ، وكان فيمن حضر أبو مريم السلولى ، فقال له معاوية : بم تشهد يا أبا مريم ؟ فقال : أشهد أن أبا سفيان حضر عندى وطلب منى بغيًا ، فقلت ليس عندى إلا أسميّة فقال : ايتنى بها على قدرها ووَضَرها . فَأَتَيْتَها ، فخلا معها ، ثم خرجت من عنده وإن إسكتيها ليقطران منيًا . فقال له زياد : مهلا أبا مريم إنما بعثت شاهدة ولم تُبعث شاتمًا . فاستلحقه معاوية .

وكان استلحاقه أول ما رُدَّت فيه أحكام الشريعة علانية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالولد للفراس وللعاشر الحجر .

قال (١) : وقد اعتذر الناس عن معاوية في استلحاقه لزياد ، فقالوا : إن أنكيحة الجاهلية كانت أنواعا ، منها أن الجماعة يجامعون البغي فإذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم ، فلما جاء الإسلام حرم هذا النكاح ، إلا أنه أقرَّ نسب كل ولد إلى من كان ينسب إليه من أى نكاح كان ، فتوهم معاوية أن ذلك جائز له ، ولم يفرق بين ما استلحق في الجاهلية والإسلام .

قال أبو عمر ابن عبد البر (٢) : ولما ادعى معاوية زيادا دخل عليه بنو أمية ، وفيهم عبد الرحمن بن الحَكَم ، فقال : يا معاوية لولم تجد إلا الزَّنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة ، فأقبل معاوية على مروان ، وقال : أخرج عنا هذا الخليع ، فقال مروان : والله إنه لخليع ما يطاق . فقال معاوية : « والله لولا حلمى وتجاوزى لعلمت أنه لا يطاق ،

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٢١ .

(٢) في الاستيعاب ج ١ ص ٥٧٠ - ٥٧١ .

ألم يبلغني شعره في وفي زياد ؟ . ثم قال لمروان أسمعني ، فقال :

أَلَا بَلَغَ ^(١) مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ لَقَدْ ضَاقَتْ بِمَا تَأْتِي الْيَدَانِ .
أَتَغَضِبُ أَنْ يُقَالَ : أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ : أَبُوكَ زَانِي ؟
فَأَشْهَدُ أَنْ رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ كَرَحِمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ
وَأَشْهَدُ أَنَّهَا حَمَلَتْ زِيَادًا وَصَخْرٌ مِنْ سُمْبَةٍ غَيْرِ دَانَ

قال (٢) : وهذه الأبيات تروى ليزيد بن ربيعة بن مُفَرَّغ ^(٣)

الْحِمَيْرِي الشاعر ، وَمَنْ رواها له جعل أولها :

أَلَا بَلَغَ ^(٤) مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ مُغْلَغَلَةً مِنْ الرَّجُلِ الْيَمَانِي

قال أبو عمر : وروى عمر بن شبة وغيره أن ابن مُفَرَّغ لما شَفَعَتْ فيه اليمانية إلى مُعَاوِيَةَ أو ابنه يزيد ، وكان قد لقي من عباد بن زياد وأخيه عبيد الله ما لقي من النكال مما يطول شرحه ، فلما وصل إلى معاوية بكى وقال : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَكِبَ مِنِّي مَالٌ يُرَكَّبُ مِنْ مُسْلِمٍ قَطٌّ ، عَلَى غَيْرِ حَدَّثٍ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا خَلْعٍ يَدٍ مِنْ طَاعَةِ » . وكان عبيد الله ابن زياد قد أمر به فُسِّقَى دواء ، ثم حمل على حمار وطيف به وهو يَسْلُحُ في ثيابه ، فقال معاوية : أَلَسْتَ الْقَاتِلَ ؟ :

أَلَا بَلَغَ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ . . . وذكر الأبيات .

فقال ابن مُفَرَّغ : « لَا وَالَّذِي عَظَّمَ حَقَّكَ وَرَفَعَ قَدْرَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) في الاستيعاب : « أَبْلَغَ » .

(٢) أبو عمر ابن عبد البر .

(٣) سمي جده « مفرغاً » لأنه راعى أن يشرب صاعاً من لبن قمره .

(٤) في الاستيعاب : « أَبْلَغَ » .

ماقلتها قط ولقد بلغنى أن عبد الرحمن بن الحَكَم قالها ونسبها إلى
قال ألسن القائل ؟ :

شهدتُ بأنَّ أمك لم تباشِرْ أبا سُفيان واضعة القنَّاع
ولكن كان أمرٌ فيه لُبْسٌ على وجَل شديد وأرتِباع
أو لست القائل أيضا ! :

إنَّ زيادا ونافعاً وأبىَا بَكْرَةَ عِنْدِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
هُمُ رِجَالٌ ثَلَاثَةٌ خُلِقُوا فِي رَحْمِ أَنْثَى مَا كُلُّهُمْ لَأَبٍ (١)
ذَا قُرَيْشٍ كَمَا يَقُولُ وَذَا مَوْتِي وَهَذَا بِزَعْمِ عَرَبِي

في أشعار قُلتها لزياد وبنيه تهجوهم ! أَعْرُبْ لَاعِفَا اللَّهُ عَنْكَ !
فقد عفوت عن جرْمك ، ولو صحبت زيادا لم يكن شيء مما كان ،
اذهب فاسكن أى أرض أحببت . فاختر الموصِل :

قال أبو عمر : وليزيد بن مفرغ في هجو زياد وبنيه - من أجل
مالقى من عبَّاد بن زياد بخراسان - أشعار كثيرة منها :

أَعْبَادُ مَا لِلُّومِ عَنْكَ مُحَوَّلٌ وَمَالِكَ أُمٌّ فِي قَرَيْشٍ وَلَا أَبٌ
وَقُلْ لِعُبَيْدِ اللَّهِ مَالِكٌ وَالِدٌ بِحَقٍّ وَلَا يَدْرِي أَمْرٌ كَيْفَهُ نَسَبٌ

(١) جاء في مروج الذهب ج ٢ ص ٥٧ : « في رحم أنثى غالى النسب » .

وقوله (١) في زياد :

فَكَرُّ ففى ذاك إن فَكَرْتَ مُعْتَبِرٌ هل نِلْتَ مَكْرَمَةً إِلَّا بِتَأْمِيرِ
عَاشَتْ سُمَيَّةٌ مَا عَاشَتْ وَمَا عَلِمَتْ أن ابنها من قُرَيْشٍ فى الجَمَاهِيرِ
قال (٢) : وكان أبو بَكْرَةَ أَخَا زياد لَأُمِّه ، فلما بلغه أن معاوية
استحلقه وأنه رضى بذلك آلى بِمِنَّا أَلَّا يَكْلُمَهُ أَبداً ، وقال : « هذا
زَنَى أُمُّه وانتَفَى من أبيه ، لا والله ما علمتُ سُمَيَّةُ رَأَتْ أبا سَفِيانَ قَطُّ ،
وَيْلَهُ ! ما يصنع بأُمِّ حَبِيبَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ أيريد أن
يرأها ؟ فإن حجبته فضَحَّتْه ، وإن رآها فإلها مُصِيبَةٌ ، يَهْتِكُ من رسول
الله صلى الله عليه وسلم حُرْمَةً عَظِيمَةً ! » .

فلما حجَّ زياد ودخل المدينة أرادوا الدخول على أُمِّ حَبِيبَةٍ ، ثم
ذكر قول أبي بَكْرَةَ فأنصرف عن ذلك . وقيل : إن أُمِّ حَبِيبَةٍ حَجَبَتْه
ولم تَأْذَنْ له فى الدخول عليها ، [قيل] (٣) وإنه حج ولم يزرها من أجل
قول أبي بَكْرَةَ ، وقال : جزى الله أبا بَكْرَةَ خيراً لم يدع النصيحة
على كل حال .

قالوا (٤) : وكتب زياد « إلى عائشة أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضى الله عنها :

(١) روى أن عبيد الله بن زياد قال : ما هجيت بشيء أشد على من قول ابن مفرغ ،
فكر ففى ذاك الخ البيتين .

(٢) أبو عمر ابن عبد البر فى الاستيعاب .

(٣) الزيادة من الاستيعاب .

(٤) ذكر هذا القول ابن الأثير فى الكامل ج ٣ ص ٢٢١ .

من زياد بن أبي سفيان « وهو يريد أن تكتب إليه » إلى زياد بن أبي سفيان « فكتبت إليه » من عائشة أم المؤمنين إلى ولدها زياد .
وكان يُقال لزياد قبل الاستلحاق « زياد بن أبيه » و « زياد بن أمه »
و « زياد بن سمية » و « زياد بن عبّيد الثقفي » .

وروى أبو عمر (١) بسنده إلى أبي عثمان النهدي قال : اشترى زياد أبا عبّيداً بألف درهم فأعتقه . . فكُنّا نغيظه بذلك .

سنة خمس وأربعين

ذكر ولاية زياد البصرة وخراسان وسجستان

وما تكلم به زياد عند مقدمه ومن استعمله زياد من العمال

وفي هذه السنة عزل معاوية الحارث بن عبد الله الأزدي عن البصرة وكان قد استعمله عليها في [أول] (٢) هذه السنة ، ثم عزله ، فكانت ولايته أربعة أشهر ، واستعمل زيادا على البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

فقدّم زياد البصرة في آخر شهر ربيع الآخر من السنة : فدخلها والفيسق فيها ظاهر فاش .

فخطب خطبة بتراء (٣) لم يحمد الله فيها (وقيل : بل حمّد الله

(١) في الاستيعاب ج ١ ص ٥٦٨ .

(٢) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ج ٢ ص ٦ « أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسون الخطبة التي لم تبدأ بالتحديد وتستفتح بالتجديد البتراء » .

فقال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نِعَمِهِ وإكرامه ، اللهم كما زِدْتَنَا نِعَمًا فَأَلْهِمْنَا شُكْرًا على نعمك فينا . (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهْلَةَ الْجَهْلَاءَ وَالضَّلَالَةَ الْعَمِيَاءَ وَالْفَجْرَ ^(١)) الْمُوقِدَ لِأَهْلِهِ النَّارَ ^(٢)) الْبَاقِي عَلَيْهِمْ سَعِيرُهَا : مَا يَأْتِيهِ سُفْهًا وَكُم وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ حُلْمًا وَكُم مِنَ الْأُمُورِ الْعَظَامِ ، فَيُثِيبُ ^(٣) فِيهَا الصَّغِيرَ ، وَلَا يَنْتَحَاشُ عَنْهَا الْكَبِيرَ كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَلَمْ يَقْرَعُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا ^(٤) مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ مَقْصِيَّتِهِ فِي الزَّمَنِ السَّرْمَدِيِّ الَّذِي لَا يَزُولُ ، أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنُهُ الدُّنْيَا ^(٥) وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشَّهَوَاتُ وَاخْتَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ ؟ وَلَا تَذْكُرُونَ أَنْكُمْ أَحَدْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ الْحَدَّثَ الَّذِي لَمْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ (وَفِي نَسْخَةِ ^(٦)) بَعْدَ قَوْلِهِ « لَمْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ » قَالَ : مَنْ تَرَكَكُمْ الضَّعِيفُ يُقَهَّرُ وَيُؤْخَذُ مَالُهُ وَالضَّعِيفَةُ الْمُسْكِينَةُ فِي النَّهَارِ الْمُبْصِرِ) هَذِهِ الْمَوَاقِيعُ ^(٧) الْمَنْصُوبَةُ ، وَالضَّعِيفَةُ الْمَسْلُوبَةُ فِي النَّهَارِ الْمُبْصِرِ ، وَالْعَدَدُ غَيْرُ قَلِيلٍ ! أَلَمْ تَكُنْ

(١) في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٢ « والنبي » :

(٢) كذا جاء في المخطوطة وتاريخ الطبري ج ٤ ص ١٦٥ والكامل لابن الأثير

ج ٣ ص ٢٢٢ ، وجاء في البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٢ والمقد الفريد ج ٤ ص ١١٠ « الموقد بأهله على النار » .

(٣) كذا جاء في المخطوطة والكامل ، وجاء في تاريخ الطبري والبيان والتبيين والمقد الفريد : « يثيب » .

(٤) جاءت الأفعال « يسمعون » و « يقرعون » و « يعلمون » بالياء في النسخة (ك)

ولم تنقط أوائلها في النسخة (ن) ، وجاءت بالياء في تاريخ ابن جرير الطبري والكامل والبيان والمقد .

(٥) أي : طمعت ببصره إليها ، من قولهم « امرأة مطروقة بالرجال » إذا كانت طامحة إليهم ، وقيل : طرقت عينه أي صرفتها إليها ، كما في النهاية .

(٦) كذا جاء في النسخة (ن) ، ولم يثبت في النسخة (ك) .

(٧) قال صاحب النهاية : المواقيع جمع ماخور ، وهو مجلس الرية وجميع أهل الفسق والفساد ويوتو المخارين .

منكم نُهاة^(١) تمنع الفؤاة عن ذلك^(٢) الليل وغارة النهار ؟ قربتم
 القرابة وباعدتم الدين ! تعتذرون بغير العذر وتُعْطُونَ^(٣) عَلَى المختلس !
 كلُّ امرئٍ منكم يذُبُّ عن سفيهه صُنْعَ من لا يخاف عاقبة ولا يخشى^(٤)
 معادا ! ما أنتم بالحُلَماء ، ولقد اتبعتُم السُّفَهَاء ، فلم يَزَلْ بهم ما تَرَوْنَ^(٥)
 من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حَرَمَ الإسلام ثم أطارقوا وراءكم كُنُوسًا في
 مَكَانِسِ^(٦) الرِّيب ! . حرامٌ عَلَى الطعام والشراب حتى أُسْوِيَهَا بالأَرْضِ
 هَذَا وإحراقا ! إني رأيت هذا الأمر لا يصلح إلَّا بما صلح به أوله :
 لين في غير ضعف ، وشدة في غير جبريَّة وعُنف . وإِنِّي أَقْسِمُ بالله
 لَا أَخُذُّنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ وَالْمُتَّقِمَ بِالظَّاعِنِ ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُنْذِرِ ، وَالصَّحِيحَ
 مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ : انْجُ
 سَعْدُ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدُ^(٧) ، أَوْ تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ! إِنْ كَذَبَ الْمُنْبِرُ

(١) النُهاة : جمع الناهى ، كما تكون الفؤاة جمع الفاوى .

(٢) دليج الليل : يراد به السير في الليل ، وأكثره يكون للسرقة أو الفجور .

(٣) في الكامل : « تعطفون » ، وفي البيان : « تفضون » .

(٤) في تاريخ الطبري والبيان والعقد : « ولا يرجو » .

(٥) في العقد : « بهم ما ترون » ، وكذلك بعض نسخ البيان ، وفي بعضها : « بهم

ما يرون » .

(٦) يقال : كس الظبي في كئسه أو مكئسه ، إذا تغيب واستتر في بيته ، قال
 صاحب النهاية في شرح هذه الجلسة من خطبة زياد : المَكَانِسُ : جمع مكئس ، مفعول من
 الكئس ، والمكئ استروا في مواضع الرية .

(٧) « انج سعد فقد هلك سعيد » مثل من أمثال العرب ، انظر مجمع الأمثال في حرف
 النون ج ٢ ص ٣٠١ ، و « سعد » و « سيد » ابنا ضبة بن طابخة بن الياس بن مضر ،
 وكانا قد زوجها في طلب إبل لأبيهما ففرت في الليل ، فوجدما سعد فردها ، ومضى سعيد
 في طلبها حتى لقيه الحارث بن كعب فقتله وأخذ يرديه ، انظر مجمع الأمثال ج ١ ص ٣٠١
 والفاخر ص ٥٩ .

مشهودة (١) ، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي ! من
 بُيت (٢) منكم فأننا ضامن لما ذهب له ، وإيأى ودلج الليل ، فإني
 لا أوتى بمُدْلِجٍ إلاّ سفكتُ دمه ، وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتى
 الخبر الكوفة ويرجع إليكم . وإيأى ودعوى الجاهلية (٣) ، فإني
 لا أجد أحدا دعابها إلاّ قطعتُ لسانه ، وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد
 أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوما غرقناه ، ومن حرق قوما
 حرقناه ، ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفنته فيه
 حيا ! فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكف عنكم يدي ولساني ،
 ولا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليّ عامتكم إلاّ ضربت عنقه !
 وقد كانت بيني وبين أقوام إحن (٤) فجعلت ذلك دبر أذني وتحت
 قدمي (٥) ، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا ، ومن كان
 مُسيئا فلينزِع عن إساءته ، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله (٦)
 السل من بغضى لم أكشف له قناعا ولم أهتِك له سِترا حتى يُبدى
 لي صفحته ، فإذا فعل لم أناظره . فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على

(١) روى أبو علي القالي في النوادر ص ١٨٥ قول زياد في خطبه : « ألا وإنها
 ليست كذبة أكثر عليها شاهدا من الله ومن المسلمين من كذبة إمام على منبر » .

(٢) بيت : أصيب من شخص أوقع به ليلا .

(٣) ما كان عليه أهل الجاهلية من التعصب القبلي الأعمى يدعو بعضهم بعضاً عند
 الحادث فيقول : « يالفلان » ، وفي الصحيحين وغيرهما حديث النبي صلى الله عليه وسلم :
 « ليس منا من ضرب الخلود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

(٤) إحن : جمع إحنة ، بمعنى حقد .

(٥) روى المبرد في الكامل قول زياد : « الإمرة تذهب الحفيظة : وكانت من قوم
 إلى هنات جعلتها تحت قدمي ودبر أذني » ، وقال المصنف في شرحه ج ٤ ص ١١٦ :
 « دبر : معناه خلف ، يريد تصاممت فلم أصغ إليه » .

(٦) رواية المبرد في الكامل : « أخذه » .

أنفسكم ، فَرُبَّ مُبْتَلِئٍ سَاسٍ وَمَسْرُورٍ بِقُدُومِنَا سَيَبْتَئِسُ (١)
 أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة (٢) ، نسوسكم
 بسلطان الله الذي أعطاناه ، وننؤد عنكم بفقىء الله الذ خولناه ، فلنا عليكم
 السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما وُلينا ، فاستوجبوا
 عدلنا وقيمتنا بمناصحتكم لنا . واعلموا أني مهما قصرت عنكم (٣)
 فإني لا أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو
 أتاني طارقا بليل ، ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن إبانة ، ولا مجمرا (٤)
 لكم بعثا ، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فإنهم ساستكم المؤدبون ،
 وكهفكم الذي إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا (٥) ، ولا تشربوا
 قلوبكم بغضهم ، فيشتد ذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدر كوا
 حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم ، أسأل الله
 أن يعين كلاً على كل ، فإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على
 أذلاله (٦) . وإيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ
 منكم أن يكون من صرعاى ! .

(١) ذكر السموى في مروج الذهب ج ٢ ص ٦٧ أن زيادا قال :

ألا رب مسرور بما لا يسره وآخر محزون بما لا يضره

(٢) ذادة : جمع ذائد ، وسيأتى الفعل ، « ننؤد » أى : ندافع .

(٣) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في تاريخ الطبرى والكامل والبيان : « عته » .

(٤) تجمير الجنود : حبسهم في أرض العدو عن العودة إلى أهلهم ، وقد جاء في وصية

عمر بن الخطاب قوله : « ولا تجميرهم في البوئ فتقطع نسلهم » .

(٥) كذا جاء في البيان والتبيين ، وجاء في تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير :

« ومتى يصلحوا يصلحوا » .

(٦) أذلاله : طريقه ومذاهبه ، فالأذلال : جمع ذل - بكسر الذال - وهو ما مهد

من الطريق ، قال صاحب النهاية : « ومنه خطبة زياد » : إذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر

فأنفذوه على أذلاله » .

فقام إليه عبد الله بن الأدهم فقال : أشهد أيها الأمير أنك أوتيت الحكمة وفضل الخطاب . فقال : « كذبت ، ذاك نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ^(١) » .

فقال الأحنف : « قد قلت فأحسنْتَ ، أيها الأمير ^(٢) » والثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لا نثنى حتى نبثلي ، ولا نحمد حتى نعطى » . فقال زياد : صدقت .

فقام أبو بلال مرداس بن أدية وهو يقول : ^(٣) أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وثى ، ألا تزرُ وازِرَةً وزَرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴾ ^(٤) فأوعَدنا الله خيراً مما أوعَدتنا يا زياد ^(٥) فقال زياد : إنا لانجد إلى مانريد منك ومن أصحابك سبيلاً حتى نخوض إليكم الباطل خوفاً ! . (وقيل : إنه قال : حتى نخوض إليها ^(٦) الدماء) .

(١) يشير إلى قول الله تعالى في قصة داود : ﴿ وشهدنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ الآية ٢٠ من سورة ص .

(٢) زاد الحمصى في زهر الآداب ج ٢ ص ١٠٢٥ والقال في النوادر ص ١٨٦ وابن تقيّة في عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٤٢ : « الفرس بشده ، وال سيف بجده ، والمرد بجده ، وقد بلغ بك جنك ما قرى » .

(٣) عند ابن جرير والجاحظ وابن عبد ربه : حمس وهو يقول :

(٤) الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة النجم .

(٥) ذكر القائل في نوادره أن أيها بلال بعد أن تلا القرآن قال : « وأنت تزعم أنك تأخذ بعضنا ببعض وتمتلك بعضنا ببعض » وذكر الجاحظ في البيان والبيان أنه قال : « وأنت تزعم أنك تأخذ البرى بالسقيم والمطيع بالمعاصى والمقبل بالمهير » فسمه زياد .

(٦) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « إليه » .

وقيل : إنه لما قدم العراق خطب ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن معاوية غيّر مخوف على قومه ، ولم يكن ليُلحق بنسبه من ليس منه ، وقد شهدت الشهود بما قد بلغكم ، والحق أحق أن يتبع ، والله حيث وضع البيّنات كان أعلم ، وقد رحلت عنكم وأنا أعرف صديقي من عدوي ، وقد قدمت عليكم ، وصار العدو صديقا مناصحا ، والصديق عدوا مكاشحا ، فاشتمل كل امرئ على مافي صدره ، فلا يكوننّ لسانه شفرة تجرى على ودجه ، وليعلم أحدكم إذا خلا بنفسه أني قد حملت سيفي بيده ، فإن شهّره لم أغمده ، وإن أغمده لم أشهّره » . ثم نزل .

واستعمل على شرطته عبد الله بن حصن .. وأجل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد إليه وصول الخبر ، وكان يؤخر العشاء الآخرة ، ثم يصلي ويأمر رجلا فيقرأ سورة البقرة أو مثلها يرتل القرآن ، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يرى أن إنسانا يبلغ أقصى البصرة ، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج فلا يرى إنسانا إلا قتله .

فخرج ذات ليلة ، فأخذ أعرابيا ، فأثى به زيادا ، فقال : هل سمعت النداء ؟ قال : « لا والله قدمت بحلوبة لي ، وغشيتني الليل ، فاضطرتها إلى موضع ، وأقمت لأصبح ، ولا علم لي بما كان من الأمير » . قال : أظنك والله صادقاً ولكن في قتلك صلاح الأمة . ثم أمر به فضربت عنقه . وكان زياد أول من شدّد أمر السلطان ، وأكد الملك لمعاوية ، وجرد السيف ، وأخذ على الظنة ، وعاقب بالشبهة ، وخافه الناس خوفا شديدا ، حتى آمن بعضهم بعضا ، وحتى كان الشيء يسقط من الرجل

أو المرأة فلا يَعْزِضُ له أحد حتى يَأْتِيَهُ صاحبه فيأْخُذُه ، ولا يَغْلُقُ أحد بابيه ، وأَدْرُ العطاء ، وبني مدينة الرزق ، وجعل الشَّرَطَ أربعة آلاف .

وقيل له ، إن السبيل مخوفة فقال : « لا أعاني شيئا وراء المِضْرَحَتِي أَصْلَحَ المِصر ، فإن غَلَبَنِي فغَيْرُهُ أَشَدُّ غَلَبَةً منه » . فلما ضَبَطَ المِصر وأصلحه تكلَّفَ ما وراء ذلك وأحكمه ، وهو أول من سَنَرَ بين يديه بالحراب والعُمْد ، واتخذ الحرس خمس مائة لا يفارقون المسجد . والله أعلم .

ذكر عمال زياد بن أبيه

قال : ولما وُلِيَ زياد استعان بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، منهم عِمْران بن حُصَيْن الخُزاعِي ولأه قضاء البصرة ، وأنس بن مالك وعبد الرحمن بن سَمُرَة وسَمُرَة بن جندب . فأما عِمْران فاستعفاه من القضاء فأعفاه ، واستقضى عبد الله بن فضالة اللَّيْثِي ، ثم أخاه عاصم ، ثم زُرَّارة بن أَوْفَى .

وجعل خراسان أرباعا ، فاستعمل على مَرَوْ أمير بن أحمر اليَشْكُرِي وعلى نَيْسَابُور خُلَيْد بن عبد الله الحنفي ، وعلى مَرَوْ الرُّود والفَارِيَّاب والطَّالِقَان قيس بن الهيثم ، وعلى هَرَاة وبَادْغِيس وبُوشَنج نافع بن خالد الطائي ، ثم عزله واستعمل الحَكَم بن عمرو الغفاري ، وكانت له صحبته ، وكان زياد قد قال لحاجبه : ادع لي الحَكَم (يريد الحَكَم بن أبي العاص الثقفي) ليوليه خراسان ، فجاء بالحكم الغفاري ، فقال له زياد : ما أردتَ ولكن الله أرادك ، فولَّاه خراسان وجعل معه رجالا على جباية الخراج ، منهم أَسْلَم بن زُرعة الكلابي وغيره ، وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم مات ، واستخلف أنس بن

أبي أناس بن زُنَيْم فعزله زياد ، وكتب إلى خُلَيْد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ، ثم بعث الربيع بن زياد الحارثى رضى الله تعالى عنه [إلى خراسان] ^(١) في خمسين ألفا من البصرة والكوفة .
[وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم ، وكان على المدينة] ^(٢)

سنة ست وأربعين

ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان قد عظم أمره عند أهل الشام ومالوا إليه لغناؤه بالروم ولأثار أبيه ، فخافه معاوية ، فأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله : [ضمن له أن] ^(٣) ويضع عنه خراج ما عاش ، ويوليّه خراج حِمَص فلما قدم عبد الرحمن من الروم دَسَّ إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه ، فشربها ، فمات بحمص ، فوقى له معاوية .
ثم قدم خالد بن عبد الرحمن المدينة ، فجلس يوما إلى عُرْوَة بن الزبير فقال له عروة : ما فعل ابن أثال ؟ فقام من عنده وسار إلى حِمَص فقتل ابن أثال ، فحمل إلى معاوية فحبسه أياما وغرمه ديته ، ورجع إلى المدينة فألقى عُرْوَة فقال له ما فعل ابن أثال ؟ فقال : قد كفيتكه ولكن ما فعل ابن جُرْمُوز ؟ (يعنى قاتل الزبير) فسكت عروة .
وقد روى ^(٤) في خبر عبد الرحمن بن خالد أن معاوية لما أراد البيعة

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١٧٠ .

(٢) ثبتت هذه الجملة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) الزيادة من الكامل ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٤) انظر الاستيعاب ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

ليزيد خطب أهل الشام وقال : «يا أهل الشام ، إني قد كبر سنّي وقرب أجلي ، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاما لكم ، وإنما أنا رجل منكم ، فارتثوا رأيكم » . فأصفقوا^(١) واجتمعوا . وقالوا : رضيينا عبد الرحمن ابن خالد . فشق ذلك على معاوية وأسرّها في نفسه ، ثم مرض عبد الرحمن فأمر معاوية طبيبا عنده مكينا أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها ، فاتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات . ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفيا ، هو و غلام له ، فرصدا ذلك اليهودي ، فخرج ليلا من عند معاوية ، ومعه قوم ، فهجم عليه المهاجر فهربوا عنه فقتله المهاجر .

وقد قيل^(١) إن الذي قتل ابن أُنال أو اليهودي خالد بن المهاجر بن خالد ، وأن عروة بن الزبير ، كان يعيره بترك الطلب بشأ عمه ، فخرج خالد ونافع مولاه من المدينة حتى أتيا دمشق ، فرصد الطبيب ليلا عند مسجد دمشق ، وكان يسمر عند معاوية ، فلما انتهى إليهما ومعه قوم من حشم معاوية ، حملا عليهم ، فانفرجوا ، وضرب خالد بن المهاجر اليهودي فقتله ، ثم انصرف إلى المدينة ، وقال لعروة بن الزبير : قضى لابن سيف الله بالحق سيفه وعزى من حمل الذحول^(٢) رواحله سل ابن أنال هل ثارت ابن خالد ؟ فهذا ابن جرّموز فهل أنت قاتله ؟

(١) انظر الاستيعاب ج ٣ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢) اللحول : جمع ذحل ، وهو الثار ، يقول يمرت رواحله من الثار إذا أخلت به هذا وفي الاستيعاب بيت بين البيتين وهو :
فإن كان حقا فهو حق أصابه وإن كان ظنا فهو بالظن فاعله

وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان .

سنة سبع وأربعين

في هذه السنة عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، واستُعمل عليها معاوية ابن حُذَيْج وكان عثمانيا ، فمرّ به عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما فقال : « يا معاوية ، قد أخذتَ جزاءك من معاوية ، قد قتلتَ أخى محمداً اتّلى مصر ، فقد وليتها » . فقال : ما قتلتُ محمداً إلا بما صنع بعثمان ، فقال عبد الرحمن : فلو كنتُ إنما تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع ، حيث عمل عمرو بالأشعرى ما عمل ، فوثبت أول الناس فبايعته .

وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان ، وقيل : عنبة ابن أبي سفيان .

سنة ثمان وأربعين

في هذه السنة استعمل زياد غالب بن فضالة الليثي على خراسان وكانت له صحبة .

وحج بالناس مروان بن الحَكَم وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه ، وارتجع معاوية منه فدك وكان وهبها له .

سنة تسع وأربعين

في هذه السنة عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عن المدينة ، في شهر ربيع الأول ، وَأَمَرَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ^(١) ، فكانت ولاية مَرْوَانَ المدينة ثَمَانِي سَنِينَ وشهرين ، وكان عَلَى قِضَاءِ المدينة عبد الله^(٢) بن الحارث بن نوفل ، فعزله سعيدُ حين وُلِّيَ ، واستقضى أبا سَلَمَةَ بن عبد الرحمن .

ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

قد اختلف في وقت وفاته رضي الله عنه ، ف قيل : [في سنة تسع وأربعين ، وقيل : بل مات]^(٣) في شهر ربيع الأول سنة خمسين ، وقيل : مات في سنة إحدى وخمسين ، ودفن في بَقِيع الْغَرْقَدِ^(٤) ، وصلى عليه سعيد بن العاص أمير المدينة ، قدّمه الحسين للصلاة عليه ، وقال له لولا أنها سُنَّةٌ ما قدمتك .

قال أبو عمر بن عبد البر^(٥) : وقد كانت عائشة رضي الله عنها أباحت له أن يُدْفَنَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بَيْتِهَا ،

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، الأموي القرشي ، أبو عَمَّان : لزم بيته بعد مقتل عَمَّان بن عَمَّان ، واضلَّ أيام الجمل وصفين ، فلم يشهد شيئا من ذلك الحروب ، إل أن انتهى الأمر إل معاوية فعاتبه على اعتزاله ، ثم ولاء المدينة ، فكان يعاقب بينه وبين مروان في ولايتها .

(٢) سبق ذكره .

(٣) الزيادة من النسخة (ن) والاستيعاب ج ١ ص ٣٧٤ ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٤) بَقِيع الْغَرْقَدِ : مقبرة المدينة المنورة ، وكان هذا الموضع قديما منبت الشجر المسمى بالغرقد .

(٥) في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٤ .

وكان قد سألها ذلك في مرضه ، فلما مات منع عن ذلك مروان بن الحكم وبنو أمية .

وروي ^(١) أبو عمر : أن الحسن لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه : « يا أخى إن أباك رحمه الله لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر رجاء أن يكون صاحبه ، فصرفه الله عنه ، وولأها أبا بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف لها أيضا ، فصرفت عنه إلى عمر ، فلما اختصر عمر جعلها شورى بين ستة هو أخذهم ، فلم يشك أنها لا تعدود ، فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان ببيع له ، ثم نوزع حتى جرد السيف ، وطلبها ، فما صيفا له شيء منها ، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ^(٢) ، فلا أعرفن ما استخفك ستماء أهل الكوفة : فأخرجوك ، وإني قد كنت طلبت إلى عائشة إذا مات أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : نعم ، وإني لأدري لعلمها كان ذلك منها حياء ^(٣) ، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها ، وما أظن إلا أن القوم سيعينونك إذا أردت ذلك ، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك ، وادفني في بقيع العرقد ، فإن لي بمن فيه أسوة فلما مات الحسن رضى الله عنه أتى الحسين عائشة فطلب ذلك إليها

(١) في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٦ .

(٢) روى الشيرازي في الألقاب عن أم سلمة رضى الله عنها ، قالت : إن عليا وفاطمة والحسن والحسين دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه الخلافة . فقال : « ! كان الله ليجمع فيكم أمرين : النبوة والخلافة » . ذكره في البيان والتعريف .

(٣) زاد صاحب الاستيعاب : « فإذا أمانت فاطم ذلك إليها » .

فقالت : نَعَمْ وكرامة . فَبَلَغَ ذَلِكَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ^(١) فقال : « كَذَبَ وَكَذِبْتَ ، وَاللَّهِ لَا يُدْفَنُ هُنَاكَ أَبَدًا ، مَنَعُوا عُثْمَانَ مِنْ دَفْنِهِ فِي الْمَقْبَرَةِ وَيُرِيدُونَ دَفْنَ الْحَسَنِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ . » فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحُسَيْنِ فَدَخَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي السَّلَاحِ ، وَاسْتَلَّامَ مَرْوَانَ فِي الْحَدِيدِ أَيْضًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا ظَلَمٌ ، يُمْنَعُ الْحَسَنِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ أَبِيهِ ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . »
ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَكَلَّمَهُ وَنَاشَدَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُ : « أَلَيْسَ قَدْ قَالَ أَخُوكَ : إِنْ خِفْتَ أَنْ يَكُونَ قَتَالُ فِرْدَوْسٍ إِلَى مَقْبَرَةِ الْمُسْلِمِينَ ؟ » . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى فَعَلَ ، وَحَمَلَهُ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَلَمْ يَشْهَدْهُ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا السَّعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، فَقَدَّمَهُ الْحُسَيْنِ لِلصَّلَاةِ ، وَقَالَ : هِيَ لِلْسَّنَةِ ^(٢) .
وَشَهِدَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بَعْدَ أَنْ نَاشَدَ بَنِي أُمَيَّةَ أَنْ يَخْلُوهُ يَشْهَدُ الْجَنَازَةَ فَتَرْكُوهُ فَشَهِدَ دَفْنَهُ فِي الْمَقْبَرَةِ ، وَدُفِنَ إِلَى جَنْبِ أُمِّهِ فَاظْمَأَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

قال ^(٣) : وقال أبو قتادة وأبو بكر بن حفص : سُمِّيَ الْحَسَنِ ابْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، سَمَّيْتُهُ أَمْرَأَتَهُ جَعْدَةَ بِنْتَ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ . قَالَ : وَقَالَتْ طَائِفَةٌ كَانَ ذَلِكَ مِنْهَا بِتَدْسِيسِ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهَا وَمَا بَذَلَ لَهَا [فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ لَهَا ضَرَارٌ] ^(٤) وَأَنَّهُ وَعَدَهَا بِخَمْسِينَ أَلْفَ

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٢٨ وغيره أنهم لما أرادوا دفنه في بيت عائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض لهم سعيد بن العاص ، وهو الأمير على المدينة ، فقام مروان بن الحكم وجمع بني أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « السنة » .

(٣) أبو عمر في الاستيعاب ج ١ ص ٣٢٥ .

(٤) الزيادة من الاستيعاب .

درهم ، وأن يزوجه من يزيد ، فلما فعلت وئى لها بالمال ، وقال :
حُبنا ليزيد بمنعنا من الوفاء لك بالشرط. الثاني .

وروى قتادة قال : دخل الحسين على أخيه الحسن رضى الله عنهم
فقال : « يا أخى إني سقيت السم ثلاث مرات ، ولم أُنقِ مثل هذه
المرّة ، إني لأضع كبدي ! » . فقال الحسين : مَنْ سبّك يا أخى ؟ قال :
« ما سؤالك عن هذا ؟ أتريد أن تقتلهم ؟ أكلهم إلى الله . » (١)
فلما مات ورد البريد بموته على معاوية فقال : « يا عجباً من الحسن !
شرب شربة من عسل بماء زومة (٢) فمضى نَحْبَهُ ! » .

وأى ابن عباس معاوية فقال له : يا ابن عباس احتسب الحسر
لا يحزنك الله ولا يسوءك . قال : أما ما أبقاك الله يا أمير المؤمنين .
فلا يحزننى الله ولا يسوؤنى ، فأعطاه على كلمته ألف ألف درهم
وعروضا وأشياء . وقال : خذها فاقسمها على أهلك .

ومات الحسن رضى الله عنه واه من السن يومئذ سبع وأربعون سنة .
وقيل : ست وأربعون سنة .

وكان رضى الله عنه وأرضاه ورعاً فاضلاً ، دعاه ورّعه وفضله إلى ترك
الخلافة رغبة فيما عند الله ، وقال : والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى
ويضرّنى أن أبى أمرأة محمد صلى الله عليه وسلم ، على أن يُراقَ فى
ذلك مَحْجَمَةٌ دم .

وحج بالناس فى هذه السنة سعيد بن العاص .

(١) وجاء فى رواية أخرى قول الحسين لأخيه الحسين : « فإن كان الذى أظن فاقه
أشد نعمة وإن كان غيره فما أحب أن يقتل بى برىء » .
(٢) روقه : بئر بالمدينة .

سنة خمسين

ذكر وفاة المغيرة بن شعبة

في هذه السنة تُوُفِّيَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ مَسْعُودٍ بْنِ مَعْتَبٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ ثَقِيفٌ .

وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فهرب المغيرة منه ، فلما ارتفع عاد إلى الكوفة ، وطُعن فمات ^(١) في شعبان من السنة ، وكان طويلاً أعور ، ذهبت عينه يوم اليرموك ، وتُوُفِّيَ وهو ابن سبعين سنة .

وكان المغيرة من الدُهَّاءِ ، رُوِيَ عن الشعبي قال : كان دُهَّاءَ العرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد بن أبيه ، فأما معاوية فللأنانة والحلم ، وأما عمرو فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهة ^(٢) ، وأما زيد فللكبيرة والصفيرة .

وحكى الرياشي عن الأصمعي قال : كان معاوية يقول : أنا للأنانة ، وعمرو للبديهة ، وزيد للصغار والكبار ، والمغيرة للأمر العظيم .
ولما دُفِنَ وقف على قبره مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيَّ وَقَالَ :

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْماً وَجُوداً وَخَصِيماً أَلَدٌ ذَا مَغْلَاقٍ ^(٣)
حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ ^(٤) أَرْبَدٌ ^(٥) لَا يَنْدُ فَمَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْسُ الرَّاقِي

(١) مات في داره بالكوفة حيث كان أميراً عليها لمعاوية ، وسيأتي ذكر ذلك .

(٢) المبادهة : المفاجأة .

(٣) الألد : الشديد المصومة ، والمغلاق الشديد التعلق بالعلم .

(٤) الوجار بالفتح والكسر . الجعر .

(٥) الأربد : الحية الخبيثة .

ثم قال ، أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت ، شديد الأخوة لمن آخيت .

وكان المغيرة كثير الزواج ، قال أبو عمر ^(١) : قال نافع أحصن المغيرة ثلاثمائة امرأة في الإسلام . قال ^(٢) : وغيره ^(٣) يقول : ألف امرأة ولما حضرته الوفاة استخلف على الكوفة ابنه عروة ، وقيل : استخلف جريرا ، فولى معاوية زيادا .

ذكر ولاية زياد الكوفة

قال ^(٤) : ولما مات المغيرة استعمل معاوية زيادا على الكوفة ، وهو أول من جمع له بين الكوفة والبصرة ، فسار إلى الكوفة ، واستخلف على البصرة سمرة بن جندب ، فكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر ، وبالبصرة ستة أشهر .

ولما وصل الكوفة خطبهم ، فعُصِب وهو على المنبر ، فجلس حتى أمسكوا ، ثم دعا قوما من خاصته فأمرهم فأخذوا أبواب المسجد ثم قال : لياخذن كل رجل منكم جليسه ، ولا يقولن لأدرى من جليسي . ثم أمر بكرسي فوضع ^(٥) على باب المسجد ، ثم دعاهم أربعة أربعة يحلفون : مائتا من حصبك ، فمن حلف خلاد ، ومن أم يحلف حبسه ، حتى صاروا ثلاثين ، وقيل : ثمانين ، فقطع أيديهم ، واتخذ زياد المقصورة حين حُصِب .

(١) في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٨٩ .

(٢) أبو عمر يرويه في الاستيعاب عن ابن وضاح .

(٣) غير نافع .

(٤) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٥) عند ابن جرير ج ٤ ص ١٧٥ فوضع له .

قال : وأما سمرة فإنه أكثر القتل بالبصرة لما استخلفه زياد عليها ، قال ابن سيرين : قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف . فقال زياد : أتخاف أن تكون قتلت بريئا ؟ قال : لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت . وقال أبو السوار العدوي : قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين ، كلهم قد جمع القرآن .

وركب سمرة يوما ، فلقيت أوائل خياله رجلا فقتلوه ، فمر به سمرة وهو يتشخط في دمه ، فقال : ما هذا ؟ قيل : أصابه أوائل خيلك ، فقال إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أنفسنا .

ذكر ما قصده معاوية

من نقل المنبر من المدينة إلى الشام
ومن قصد ذلك بعده من الأمراء

في هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحمل إلى الشام ، وقال : لا يُترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهم قتلة عثمان . فطلب العصا ، وهي عند سعد القرظ^(١) وحرك المنبر ، فكسفت الشمس حتى رويت النجوم بادية ، فأعظم الناس ذلك ، فتركه .

وقيل : أتاه جابر وأبو هريرة فقالا : يا أمير المؤمنين لا يصلح أن تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه ، وتنقل

(١) سعد القرظ : صحابي كان يؤذن في حياة الرسول وللخلفاء من بعده ، وقد اشكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة المال في يده ، فأمره بالتجارة ، فخرج إلى السوق ، فاشتري شيئا من قرظ ، فباعه ، فربح فيه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره بلزوم ذلك ، فقيل له سعد القرظ ، والقرظ - بفتح القاف والراء - يطلق على ورق السلم ونحوه .

عصاه إلى الشام فانقل المسجد ، فتركه وزاد فيه ست درجات ، واعتذر
لما صنع .

فلما ولي عبد الملك بن مروان همّ بالمنبر ، فقال قبيصة بن ذؤيب
أذكرك الله أن ^(١) لا تفعل ، إن معاوية حركه فكسفت الشمس ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف على منبري آثما فليتبوأ مقعده
من النار » وهو مقطّع الحقوق بينهم ^(٢) بالمدينة . فتركه عبد الملك .

فلما ولي الوليد ابنه وحجّ همّ بذلك ، فأرسل سعيد بن المسيّب إلى
عمر بن عبد العزيز فقال : كَلِّمْ صاحبك لا يتعرّض للمسجد ولا لله
والسخط له ، فكَلَّمه عمر فتركه .

فلما حجّ سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بما كان من الوليد ، فقال
سليمان : « ما كنتُ أحبُّ أن يُذكرَ عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ،
ولا عن الوليد ، مالنا ولهذا ؟ أخذنا الدنيا فهي في أيدينا ، ونريد
أن نعبث إلى علم من أعلام الاسلام يوقدُ إليه فنحمله ، هذا مالا يصلح ! » .

وفيهما عزل معاوية معاوية بن حُذَيْج عن مصر ، واستعمل عليها
مسلمة بن مخلّد مع إفريقية ^(٣) وكان على إفريقية عقبة بن نافع ،
وكان قد اختطّ قَبْرَ وَاثِئِها ، وكان موضعه غِيضَة لانرام من السباع والحيات
فدعا الله عليها ، فلم يبقَ منها شيء إلا خرج هاربا ، حتّى إن كانت
السباع لتحمل أولادها ، وبني الجامع ، فلما عزله معاوية عن إفريقية

(١) في الكامل ج ٣ ص ٢٣٠ « أن تفعل » .

(٢) في الكامل « وعندهم » ، وقد تبع المؤلف الطبري في تاريخه ج ٤ ص ١٧٨ .

(٣) قال الطبري : « فهو أول من جمع له المغرب كله ومصر وبرقة وإفريقية

وطرابلس » .

وأضافها إلى مسلمة بن مخلد استعمل^(١) على إفريقية مولى له يقال له : « أبو المهاجر » ، فلم يزل عليها حتى ذلك معاوية .
وقيل : إن عقبة بن نافع ولي إفريقية في هذه السنة وعمر مدينة القيروان ، وكانت غنيضة على ما تقدم ، فدعا الله تعالى ، وكان مستجاب الدعوة ، ثم نادى : « أَيُّهَا الْحَيَاتِ وَالسُّبَاعِ ، إِنَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَلُوا عَنَّا فَإِنَّا نَازِلُونَ ، وَمَنْ وَجَدْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلْنَاهُ » .
فنظر الناس إلى الدواب تحمل أولادها وتنتقل ، فأسلم كثير من البربر ، وقطع الأشجار [وأمر ببناء المدينة ، فبنيت]^(٢) وبني المسجد الجامع ، وبني الناس مساجدهم ومساكنهم ، وكان دور القيروان ثلاثة آلاف باع وستمائة باع . وسنذكر إن شاء الله تعالى ذلك بما هو أبسط من هذا في أخبار إفريقية وبلاد الغرب .

ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري

وفي هذه السنة توفي الحكم بن عمرو الغفاري بمرور ، على أحد الأقوال ، وله صحبة ، وكان زياد قد كتب^(٣) إليه : « إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أصطفى له الصُّفراء والبيضاء ، فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة » . فكتب إليه الحكم : « بلغني ما أمر به أمير المؤمنين ، وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو أن السماوات والأرض كانتا زَنْقَا عَلَى عَبْدٍ ثُمَّ اتَّقَى اللَّهُ لَجَعَلَ لَهُ

(١) حياة الطبري وابن الأثير : « ولي مسلمة بن مخلد مولى له يقال له أبو المهاجر إفريقية » .

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٣٠ حيث نقل المؤلف .

(٣) كتب إليه بعد انصرافه من غزوة جبل الأشل .

فرجاً وَخَرَجَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » . ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : اَعِدُوا عَلَيَّ اَعْطِيَاكُمْ
وَمَا لَكُمْ ، فَتَقَسَّمَهُ بَيْنَهُمْ ^(١) ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ
فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ . فَمَاتَ ، وَاسْتَخْلَفَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَنَسُ بْنُ
أَبِي أَنَاسٍ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَعَاوِيَةُ ، وَقِيلَ : بَلْ حَجَّ ابْنُهُ يَزِيدُ .
وَفِيهَا تَوَفَّى عَثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَقِيلَ : سَنَةُ
اِثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَتَوَفَّى غَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

سنة احدى وخمسين

فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ الرَّبِيعِ بْنُ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ عَلَى
خِرَاسَانَ بَعْدَ وَفَاةِ الْحَكَمِ ، وَكَانَ الْحَكَمُ قَدْ اسْتَخْلَفَ أَنَسُ بْنُ أَبِي أَنَاسٍ
كَمَا ذَكَرْنَا فَعَزَلَهُ زِيَادٌ ، وَوَلَّى خُلَيْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيَّ ، ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَوَلَّى
الرَّبِيعَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ ، وَسِيرَ مَعَهُ خَمْسِينَ أَلْفًا بَعِيَالَهُمْ مِنْ
أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، مِنْهُمْ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْنِ وَأَبُو بَرْزَةَ ، وَلَهُمَا صَحْبَةٌ ،
فَسَكَنُوا خِرَاسَانَ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا غَزَا بَلَخَ فَفَتَحَهَا صِلْحًا ، وَكَانَتْ
قَدْ أُغْلِقَتْ بَعْدَ مَا صَالَحَهُمُ الْأَحْنَفُ ، وَفَتَحَ قُهْشْتَانَ عَنْوَةً وَقَتَلَ مَنْ بِنَاحِيَتِهَا
مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ نَيْزَكُ ضَرْحَانَ فَقَتَلَهُ قُتَيْبَةُ بْنُ مَسَامٍ فِي لَيْلَتِهِ .
وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

(١) أى : قسم بينهم ما غنموه من الغنائم مع عزله مقدار الخمس .

(٢) ممن توفى في هذه السنة سعد بن أبي وقاص - على أحد الأقوال - وحسان بن ثابت
وكعب بن مالك وعقيل بن أبي طالب ودحية بن خليفة الكلبي وزيد بن خالد الجهني ومدا لج
ابن عمرو السلمي .

ذكر مقتل حجر بن عدي

وعمر بن الحقيق وأصحابهما

وفي هذه السنة كان مقتل حجر بن عدي وأصحابه ، وسبب ذلك أن معاوية لما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة ، أمر بشتم علي رضي الله عنه وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له وعيَّب أصحاب علي ، فأقام المغيرة على الكوفة وهو أحسن الناس سيرة ، غير أنه لا يدع شتم علي والوقوع فيه ، والدعاء لعثمان والاستغفار له ، فلما سمع ذلك حجر بن عدي قال : بل إياكم قد ذمَّ الله ولعن ! ثم قام فقال : أنا أشهد أن من تذرَّعون أحقُّ بالفضل ، ومن تتركون أولى بالذم ! فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته ، فإن غضب السلطان يهلك أمثالك . ثم يكف عنه .

فلما كان في آخر إمارته قال في علي وعثمان ما كان يقول ، فقام حجر فصاح بالمغيرة صيحة سمعها كل من في المسجد ، وقال له : « مرُّ لنا أيُّها الإنسان بأرزاقنا فقد حبستهما عنا ، وليس ذلك لك ، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين » . فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق حجر وبر ، مرُّ لنا بأرزاقنا ! فنزل المغيرة ودخل القصر ، فجاءه أصحابه وقالوا : علام تترك هذا الرجل يعجترى عليك في سلطانك ؟ فقال لهم : « قد قتلته ، سيأتي بعدي أمير يحسبه مثلي ، فيصنع به ما ترونه ، فيقتله ، إني قد قرُب أجلي ، ولا أحب أن أقتل خيار أهل هذه المصر فيسعد وأشقى ، ويعز في الدنيا معاوية ويشقى في الآخرة المغيرة ! ^(١) » ثم توفِّي المغيرة ^(٢) .

(١) جاء في رواية ابن جرير ج ٤ ص ١٨٩ زيادة قول المغيرة : « ولكني قابل من عندهم ، وعاف عن سيئتهم : وحامد حليمهم ، وواظم سفيهم حتى يفرق بيني وبينهم الموت .
(٢) ذكر ابن جرير أن المغيرة ول الكوفة سنة ٤١ وتوفي سنة ٥١ .

وَوُلِّيَ زِيَادٌ ، فَمَقَامٌ فِي النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ عِنْدَ قُدُومِهِ فَتَرَحَّمُ عَلَى عِثْمَانَ وَأَثْنَى عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَلَعَنَ قَاتِلِيهِ ، فَمَقَامٌ حُجْرٌ فَعَمِلَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بِالْمُغِيرَةِ .

وَرَجَعَ زِيَادٌ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ فَبَلَغَهُ أَنَّ حَجْرًا يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ شَيْعَةٌ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَيُظْهِرُونَ لَعْنَ مَعَاوِيَةَ وَالْبِرَاءَةَ مِنْهُ ، وَأَنَّهُمْ حَصَبُوا عَمْرُو بْنَ حُرَيْثٍ . فَشَخَّصَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَصَعِدَ (١) الْمَنْبِرَ فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَحُجِرَ جَالِسٌ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ غَيْبَ الْبَغْيِ وَالْغَى وَخَيْمٌ ، إِنْ هَؤُلَاءِ جَمُّوا فَأَشْرَوْا (٢) ، وَأَمِنُونِي فَاجْتَرَعُوا عَلَى اللَّهِ ، لَكُنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِأَدَاوِيْنَكُمْ بِدَوَائِكُمْ ، وَلَسْتُ بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعْ الْكُوفَةَ مِنْ حُجْرٍ وَأَدْعَاهُ نِكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ ! وَبَلْ أَمْكُ يَا حُجْرُ ، سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانٍ (٣) ! » وَأَرْسَلَ إِلَى حُجْرٍ يَدْعُوهُ وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ ، لَا يَأْتِيهِ وَلَا كِرَامَةٌ ! فَرَجَعَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَ زِيَادًا ، فَأَمَرَ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ - وَهُوَ شَمْدَادُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْهَلَالِيُّ - أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً ، فَفَعَلَ ، فَسَبَّهَمُ أَصْحَابُ حُجْرٍ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوا زِيَادًا .

(١) وَقَدْ لَبِسَ قُبَاءَ سُنْدُسٍ وَمُطَرَفٌ خَزْ أَخْضَرَ ، وَفَرَّقَ شَعْرَهُ .

(٢) جَمُّوا : اسْتَرَاخُوا . وَأَشْرَوْا : بَطَرُوا وَطَفُوا .

(٣) «سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانٍ» مِثْلُ عَرَبِيٍّ يُضْرَبُ فِي طَلَبِ الْحَاجَةِ الَّتِي يُوْدَى صَاحِبُهَا إِلَى التَّلَفِّ ، قِيلَ : إِنْ أَصْلَهُ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ يَلْتَمِسُ الْعِشَاءَ فَوَقَعَ عَلَى ذَنْبٍ فَأَكَلَهُ ، وَ«السِّرْحَانُ» يَأْتِي بِمَعْنَى الذَّنْبِ ، وَقِيلَ : «سِرْحَانُ» اسْمُ رَجُلٍ فَاتَكَ يَتَّقِيهِ النَّاسُ فَقَالَ رَجُلٌ : وَاقْتُهِ لَأَرْعِيَنَّ إِلَيْكَ هَذَا الْوَادِيَّ وَلَا أَخَافُ سِرْحَانَ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ سِرْحَانٌ وَقَتْلَهُ وَأَخَذَ إِلَيْهِ .

فجمع أهل الكوفة وقال : « تشجعون بيدي وتأسون بأخرى (١) ، أبدانكم معي وقلوبكم مع حُجْر الأحق ، هذا والله من دَحْصكم (٢) ، والله لتَظْهَرَنَّ لي براءتكم ، ألا تَينَكنَّم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم (٣) . فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا رأى إلا طاعتك وما فيه رضاك . قال : فليَقُمْ كل رجل منكم فليذُعْ مَنْ عند حُجْر من عشيرته وأهله . ففعلوا ذلك ، وأقاموا أكثر أصحابه عنه .

وقال (٤) زياد لصاحب شرطته : انطلق إلى حُجْر فإن تبعك فأتني به ، وإلا فشدوا عليهم بالسيوف (٥) حتى تأتونني به . فأتاه صاحب الشرطة يدعوه ، فمنعه أصحابه من إجابته ، فحمل عليهم : فقال أبو العمرة الكِنْدِي لحجر : « إنه ليس معك من معه سيف غيري ، وما يغني عنك سيفي ؟ قم فالحق بأهلك يمنعك قومك » . وزياد ينظر إليهم وهو على المنبر ، فغشيتهم أصحاب زياد ، وضرب رجل رأس عمرو ابن الحَمِق بعهود فوق ، وحمله أصحابه إلى الأزْد فاختنفوا عندهم حتى خرج ، وانحاز أصحاب حُجْر إلى أبواب كندة ، وضرب بعض الشرط. يَدَ عائِد (٦) بن حملة التميمي وكسر نابه ، فأخذ عمودا

(١) مثل عربي ، قال الزمخشري في أساس البلاغة : « فلان يشج مرة ويأسو أخرى ، إذا أخطأ وأصاب » ، وقال الميداني في مجمع الأمثال : « يشج ويأسو : يضرب لمن يصيب في التدبير مرة ويخطئ مرة » ، قال الشاعر :

إني لأكثر ما سمتني صبيا يد تشج وأخرى منك تأسوي

(٢) اللبس : الإفساد والفس .

(٣) الأود : الإهوجاج ، والصعر : الميل بالغد تهاونا واستكبارا .

(٤) في تاريخ ابن جرير : « لما رأى زياد أن جل من كان مع حجر أقيم عنه قال ... » .

(٥) كلما جاء في المخطوطة مثل الكلل ج ٣ ص ٣٣٤ ، وجاء في تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ١٩١ .

« ولا أقدر من نكك قلبي تزعموا هذا السوق ثم يشلوا بها غليم » ، وهذا هو المناسب لما يأتي .

(٦) في الأصل « حمر » ، والتصويب من الكامل وغيره .

من بعض الشرط. فقاتل به ، وحمل حُجرا وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة ، وأتى حُجْر ببيغلتة فقال له أبو العمرطة : اركب فقد قتلنا ونفسك. وحمله حتى أركبه ، وركب أبو العمرطة فرسه ، ولحقه يزيد بن ظريف المُسَلَّى فضرب أبا العمرطة بالعمود على فخذه ، وأخذ أبو العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط . فكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في اختلاف بين الناس .

ومضى حُجْر وأبو العمرطة إلى دار حُجْر ، واجتمع إليهما ناس كثير ، ولم يأت من كندة كثير أحد ، ثم اختفى حُجْر ، وتنقل من مكان إلى آخر ، والطلب خلفه ، حتى أتى الأزْد ، واختفى عند ربيعة بن ناجد . فلما أعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الأشعث ، وقال له : والله أَمَّا تَيْنِي بِهِ أَوْ لَا تَقْطَعَنَّ كُل نَخْلَةٍ لَكَ ، وَأَهْدِمُ دُورَكَ ، ثُمَّ أَقْطَعُكَ إِرْبًا إِرْبًا ، فَاسْتَمَهَلَهُ ، فَأَمَهَلَهُ ثَلَاثًا ، وَأَقَامَ حُجْرُ بَيْتَ رَبِيعَةَ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، فَأَرْسَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعث يَقُولُ لَهُ : لِيَأْخُذْهُ أَمَانًا مِنْ زِيَادٍ حَتَّى يَبْعَثَ بِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَجَمَعَ مُحَمَّدُ جَمَاعَةً ، مِنْهُمْ جَرِيرُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَحَجْرُ بْنُ زَيْدٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو الْأَشْعث ، فَدَخَلُوا عَلَى زِيَادٍ فَاسْتَأْمَنُوا لَهُ أَنْ يَرْسِلَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَجَابَهُمْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى حُجْرٍ فَحَضَرَ عِنْدَ زِيَادٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : « مَرْحَبًا يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، حَرْبُ أَيَّامِ الْحَرْبِ ، وَحَرْبٌ وَقَدْ سَالَمَ النَّاسُ ! عَلَى أَهْلِهَا تَجَنَّى بَرَأَقِشٌ ^(١) » . فَقَالَ حَجْرٌ : « مَا خَلَعْتُ طَاعَةَ ، وَلَا فَارَقْتُ جَمَاعَةَ ،

(١) يرائش : كلية سمعت وقع جواهر النواب ، فنبجت ، فقلت العلو على أصحابها يباحها ، فاستباحهم العلو وأوقع بهم ، فضرب مثلا لكل من يعمل عملا يرجع ضرره إليه .

وإني على بيعتي » . فأمر به إلى السجن ، فلما ولى قال زياد : والله لأحرّضن على قطع خيظ رقبته .. وطلب أصحابه .

فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعه بن شداد ، فاخْتِيفَا بِجَبَلِ هُنَاكَ ، فزُفِعَا خَبِرَهُمَا إِلَى عَامِلِ الْمَوْصِلِ ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ [عَبْدِ اللَّهِ] ^(١) عَثْمَانَ الثَّقَفِي ، وَيَعْرِفُ بِأَبْنِ أُمِّ الْحَكَمِ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ مَعَاوِيَةَ ^(٢) ؛ فَسَارَ إِلَيْهِمَا فَخَرَجَا إِلَيْهِ ، وَكَانَ عَمْرُو قَدْ اسْتَسْقَى بِطَنُهُ ، فَأُمْسِكَ ، وَرَكِبَ رِفَاعَةُ فَرَسَهُ وَحَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ ، فَأَفْرَجُوا لَهُ ، فَتَجَا ، وَكَتَبَ عَامِلُ الْمَوْصِلِ إِلَى مَعَاوِيَةَ بِخَبَرِ عَمْرُو بْنِ الْحَمِقِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : « إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ طَعَنَ عَثْمَانَ تِسْعَ طَعْنَاتٍ بِمَشَاقِصٍ ^(٣) مَعَهُ ، فَطَاعَنَهُ كَمَا طَعَنَ عَثْمَانَ » . فَطَعَنَهُ فَمَاتَ فِي الْأُولَى مِنْهَا أَوِ الثَّانِيَةِ . وَجَدَ زِيَادُ فِي طَلَبِ أَصْحَابِ حُجْرٍ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ ، وَأَخَذَ مِنْ قَدَرٍ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فِي السِّجْنِ .

ثُمَّ دَعَا رُؤَسَاءَ الْأَرْبَاعِ يَوْمَئِذٍ ، وَهُمْ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ عَلَى رُبْعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَخَالِدُ بْنُ عُرْقُطَةَ عَلَى رُبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ ، وَقَيْسُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى رُبْعِ رَبِيعَةَ وَكِنْدَةَ ، وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى عَلَى رُبْعِ مَذْحِجٍ وَأَسَدٍ ، فَشَهِدَ هَؤُلَاءِ أَنَّ حُجْرَ بْنَ عَدَى جَمَعَ الْجُمُوعَ ، وَأَظْهَرَ شَتْمَ الْخَلِيفَةِ ، وَدَعَا إِلَى حَرْبِهِ ، وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا فِي آلِ أَبِي طَالِبٍ ،

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ١٩٧ وانظر ترجمة عبد الرحمن في الإصابة ج ٣ ص ٧٠ و ترجمة أبيه عبد الله في الإصابة ج ٢ ص ٢٤٤ ، والذي ذكره ابن جرير أن الذي سار إلى ابن الحمق و رفاعه هو عبد الله بن أبي بلتعة و بعد أن قبض على عمرو بن الحمق بعث به إلى عبد الرحمن الثقفي عامل البصرة .

(٢) لأن « أم الحكم » بنت أبي سفيان .

(٣) المشاقص : جمع مشقص ، بكسر الميم : النهم العريض ، أو النصل العريض أو الطويل من كل منهما .

وأنه وثب بالمِضْرُو وأخرج عامل أمير المؤمنين ، وأظهر عذر أبي تراب ^(١) والترحّم عليه والبراءة من عدوه وأهل حزبه ، وشهدوا أن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره .

ونظر زياد في شهادة الشهود فقال : إني أحب أن يكونوا أكثر من أربعة ، فدعا الناس ليشهدوا فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة ابن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعُمارة بن عتبة بن أبي مُعَيْط . ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم ^(٢) .

وكتب في الشهود شريح بن الحارث القاضي وشريح بن هانيء ، فكان شريح بن هانيء يقول : ما شهدت ^(٣) .

ثم دفع زياد حُجْر بن عدى الكندى وأصحابه (وهم الأَزَقَم بن عبد الله الكندى ، وشريك بن شَدَّاد الحضرمي ، وصَيْفَى بن فَيْسَل الشيباني ، وقَبِيصَةُ بن ضُبَيْعَةَ العَبْسِي ، وكَرِيم بن عَفِيف الخثعمي وعاصم بن عَوَف البَجَلِي ، ووَرقَاء بن سُمَى البَجَلِي ، وكدام بن حَيَّان ، وعبد الرحمن بن حسان ، العنزِيان التميميان ، ومحرز بن شهاب التميمي ، وعبد الله بن حوَيَّة السعدى التميمي) إلى وائل ابن حُجْر الحضرمي وكثير بن شهاب ، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام ، فلحقهم شريح بن هانيء بعد مسيرهم ، وأعطى وإيلا كتابا وقال : أبلغه أمير المؤمنين .

(١) أبو تراب : كنية على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٣) وكان شريح القاضي يقول : سألتني عنه فأخبرت أنه كان صواما قواما !

فسازوا حتى انتهوا إلى مَرَج عَذْرَاء^(١) بالقرب من دمشق ،
 وأتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الأخنس من سعد بن بكر ،
 وسعد بن نمران الهمداني ، فكملوا أربعة عشر رجلا ، فلما انتهوا إلى
 مرج عَذْرَاء بعث معاوية إلى وائل بن حجر ، وكثير بن شهاب فأدخلهما ،
 وأخذ كتابهما فقرأه ، ثم قرأ كتاب شُرَيْح فإذا فيه : « بلغني أن زيادا
 كتب شهادتي ، وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي
 الزكاة ويديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،
 حرام الدم والمال ، فإن شئت فأقتله ، وإن شئت فدعه » .

فقال معاوية : ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم .
 فقام يزيد بن أسد البجلي فاستوهبه أبني عمه وهما عاصم وورقاء ،
 وكان جرير بن عبد الله البجلي قد كتب بتزكيتهما وبرأئتهما^(٢)
 فأطلقهما معاوية ، وشفع وائل بن حجر في الأرقم فتركه له ، وشفع
 ابن الأعور السلمي في عتبة فتركه له ، وشفع حمزة^(٣) بن مالك
 الهمداني في سعد بن نمران فوهبه له ، وشفع حبيب بن مسلمة في
 عبد الله بن حوية فتركه له ، وقام مالك بن هبيرة السكوني ، فقال :
 دع لي ابن عمي حجرا ، فقال : « هو رأس القوم ، وأخاف إن خليتُ

(١) قال ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ٤٠٣ : « انتهوا بهم إلى مرج عذراء ،
 وبينها وبين دمشق اثنا عشر ميلا » .

(٢) كتب جرير بن عبد الله البجلي الصحابي : « إن امرأتين من قوى من أهل الجاهة
 والرأى الحسن سعى بهما ساع ظنين إلى زياد ، فبعث بهما في الثغر الكوفيين الذين وجه بهم
 زياد إلى أمير المؤمنين ، وهما من لا يحدث حديثا في الإسلام ولا بنيا على الخليفة ، فليضعهما
 ذلك عند أمير المؤمنين » .

(٣) « حمزة » يضم الحاء وبراء مهملة ، ابن مالك بن ذى المشاعر بن مالك بن منبه
 الهمداني ، ووقع في الخطوبة « حمزة » .

سبيله أن يفسد على مصره ، فأحتاج أن أشخصك إليه بالعراق ! » فقال : « والله ما أنصفتني يا معاوية ! قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك ، ولم تخف الدوائر ، ثم سألتك ابن عمي فمنعتني إياه » . ثم انصرف فجلس في بيته .

فبعث معاوية هذبة بن فياض القضاعي ، والخصين بن عبد الله الكلابي وأبا شريف البدي إلى حُجر وأصحابه ؛ ليقتلوا من أمروا بقتله ، فأتوهم عند المساء ، فلما رأى الخثعمي ^(١) أحدهم أعور ^(٢) قال : يقتل نصفنا ويترك نصفنا ! فكان كذلك ^(٣) ، وغرضوا عليهم قبل القتل البراءة من علي ولعنه ويتركوهم ، فأمنوا من ذلك ، فحضر القبور وأحضرت الأكفان .

فقام حُجر بن عدي وأصحابه يصلُّون عامة الليل ، فلما كان من الغد قُدموا للقتل ، فقال لهم حُجر : أتركوني حتى أتوضأ وأصلي فإني ما توضأت إلا صليت . فتركوه ، فصلى ثم انصرف ، وقال : والله ما صليت صلاة قط . أخف منها ، ولولا أن نظنوا في جزعا من الموت لأستكثرت منها . ثم قال : « اللهم إنا نستعديك على أمتنا ، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلنا موثي بها لئن لأول فارس من المسلمين هلك في وادها ، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها » . ثم مشى إليه هذبة بن فياض بالسيف ، فارتعد ، فقالوا له : زعمت أنك لا تنزع من الموت فابراً

(١) الخثعمي : كرم بن عفيف .

(٢) الأعور : هذبة بن فياض القضاعي من بني سلامان بن سعد .

(٣) جاء رسول معاوية بتخيلة ستة وبقتل ثمانية .

من صاحبك وندعك . فقال : « وما لي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً وكفنّاً منشوراً وسيقفاً مشهوراً . وإني والله إن جُزعتُ من القتل لا أقول ما يُسخط الرب » . فقتلوه وقتلوا خمسة (١) .

فقال عبد الرحمن بن حسان - وكريم الخثعمي : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فتحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فاستأذنوا معاوية فيهما ، فأذن بإحضارهما ، فلما دخلوا عليه قال كريم : « الله الله يا معاوية ! فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسئول عما أردت بسفك دماننا . فقال : ماتقول في علي ؟ قال : أقول فيه قولك . قال : أتبرأ من دينه الذي يدين الله به ؟ فسكت ، وقام شمر ابن عبد الله من بني قحافة بن خثعم ، فاستوهبه إياه ، فوهبه له علي ألا يدخل الكوفة .

ثم قال لعبد الرحمن : ما تقول في علي يا أخا ربيعة ؟ قال : دعني لا تسألني فهو خير لك . قال : والله لا أدعك . قال : « أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً ، من الأمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس رضى الله عنه » . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح أبواب الظلم ، وغلق أبواب الحق . قال : قتلت نفسك . قال : بل إياك قتلت ولا ربيعة بالوادي . (يعني ليشفعوا فيه) فردّه إلى زياد وأمره أن يقتله شرّ قتلة ، فدفعه حياً .

وكان عدة من قتل سبعة وهم : حُجر بن عدى ، وشريك بن

(١) الخمسة الذين قتلوا مع حجر بن عدى هم : شريك وصفي وقيصة وكنام وعمرز ، فإذا عد حجر بن عدى منهم كأنه منهم ستة كما علم ابن جرير الطبري ، وسواء قريباً ذكر السامع .

شَدَّاد ، وَصَيْفَى بْنِ قَيْسِلٍ^(١) ، وَقَبِيصَةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ ، وَمَحْرَزَ بْنَ شَهَابٍ ، وَكَدَامَ بْنَ حِيَانَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ الَّذِي دُفِنَ حَيًّا .
 قَالَ : وَأَمَّا مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ حِينَ لَمْ يُشَفِّعْهُ مَعَاوِيَةُ فِي حُجْرٍ ،
 فَلَمَّا رَأَوْهُ عِلْمُوا أَنَّهُ جَاءَ لِيُخْلَصَ حُجْرًا ، فَقَالَ لَهُمْ : مَاوراءَ كُمْ ؟
 قَالُوا : قَدْ تَابَ الْقَوْمُ وَجِئْنَا لِنُخْبِرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَسَكَتَ وَسَارَ إِلَى عِذْرَاءَ
 فَلَقِيَهُ بَعْضُ مَنْ جَاءَ مِنْهَا فَأَخْبِرَهُ بِقَتْلِ الْقَوْمِ ، فَأَرْسَلَ الْخَيْلَ فِي
 قَتْلَتِهِمْ فَلَمْ يَدْرِكُوهُمْ . وَدَخَلُوا عَلَى مَعَاوِيَةَ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ
 لَهُمْ : إِنَّمَا هِيَ حَرَارَةٌ يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ ، فَكَيْفَ أَقْدَمْتُ . وَعَادَ مَالِكُ
 إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَأْتِ مَعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ بِمِائَةِ أَلْفِ
 دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : « مَا مَعْنَى أَنْ أَشْفَعَكَ لِأَخَوِيفِ أَنْ تُعِيدُوا لِنَا حَرْبًا ،
 فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْبِلَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ حُجْرٍ » .
 فَأَخَذَهَا وَطَابَتَ نَفْسَهُ .

قَالَ^(١) : وَلَمَّا بَلَغَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ قَتْلُ حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ : أَصْلُوا
 عَلَيْهِمْ وَكَفَنُوهُمْ وَدَفَنُوهُمْ وَاسْتَقْبِلُوا بِهِمُ الْقَبِيلَةَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ :
 حَجَّوهُمْ^(٢) وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! » .

قَالَ : وَلَمَّا بَلَغَ خَبْرُ حُجْرٍ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَرْسَلَتْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
 ابْنَ الْحَارِثِ إِلَى مَعَاوِيَةَ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ قَتَلَهُمْ ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَيْنَ غَابَ عَنْكَ حِلْمُ أَبِي سَفْيَانَ ؟ قَالَ : « حِينَ
 غَابَ عَنِّي مِثْلُكَ مِنْ حُلَمَاءِ قَوْمِي ، وَحَمَلَنِي ابْنُ سُمَيَّةٍ فَاحْتَمَلْتُ ! » .

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٤٢ .

(٢) حججهم : غلبهم بالمحبة .

وقالت عائشة : « لولا أنا لم تُغير شيئا إلا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حُجر ! أما والله إن كان ما علمت مسلماً حجاجاً مُعتمراً ! » .

وقال الحسن البصري رحمه الله : « أربع خصال كُنَّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة : انتزاعه ^(١) على هذه الأمة بالسيف ، حتى أخذ الأمر عن غير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة ودُوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سَكيرا خَميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وأدعاؤه زيادا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر . وقتله حُجراً وأصحاب حُجر ، فيا وَيْلاً له من حُجر وأصحاب حُجر ! » .

قيل : وكان الناس يقولون : أول ذل دخل الكوفة موت الحسن ابن علي ، وقتل حُجر بن عدي ، ودعوة زياد .

وقالت هند ^(٢) بنت زيد الأنصارية ترى حُجرا وكانت تشيع .

تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ تَبْصُرُ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ
يَسِيرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
تَجَبَّرَتِ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ وَطَابَ لَهَا الْخَوَرَنَقُ ^(٣) وَالسُّدِيرُ
وَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ لَهُ مُحُولًا ^(٤) كَأَنَّ لَمْ يُخَيِّهَا مُزَنٌ مَطِيرُ

(١) انتزاع : افتعال من النزو ، وهو تشرع الإنسان إلى الشر ووثبه .

(٢) في الأصل « زينة » والتصويب من الكامل وغيره .

(٣) الخورنق : نهر بالكوفة ، والسدير : نهر بناحية الحيرة ، والمشهور أنها قصران عظيمان بالحيرة .

(٤) المحول جمع محل بمعنى القمط .

أَلَا يَا حُجْرَ حُجْرَ بَنِي عَدِيٍّ تَلَقَّتَكَ السَّلَامَةُ وَالسُّرُورُ
أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أَرَدَى ^(١) عَلَيْنَا وَشَيْخًا فِي دِمَشْقَ لَهُ زَنْبِيرُ
فَإِنْ يَهْلِكَ فَكُلَّ زَعِيمٍ قَوْمٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى هُلْكَ يَصِيرُ

وقد قيل في قتل حُجْر غير ما تقدم ، وهو أن زيادا خطب يوم
جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة ، فقال له حُجْر بن عدى : الصلاة .
فمضى في خطبته فقال له : الصلاة . فمضى في خطبته ، فلما خشي
حُجْر قَوْتَ الصلاة ضرب بيده إلى كَفٍّ من حصي ، وقال إلى الصلاة
وقام الناس معه ، فلما رأى زياد ذلك نزل فصلى بالناس ، وكتب
إلى معاوية وكبير ^(٢) عليه ، فكتب إليه معاوية ليُسَدَّهُ في الحديد ويرسله
إليه ، فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه ، فقال حُجْر : لا ولكن
سمعا وطاعة . فشدَّ في الحديد ، وحُمِلَ إلى معاوية ، فلما دخل عليه
قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : « أأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَنَا ؟ وَاللَّهِ لَا قَتْلَنَكَ ^(٣) وَلَا أَسْتَقِيلُكَ ! أخرجوه فاضربوا عنقه ! » .
فقال حُجْر للذين يَلُونَ أمره : دعوني حتى أصلي ركعتين . فقالوا :
فصلي ركعتين خَفَّفَ فيهما ثم قال : لولا أن تظنوا بي غير الذي أردت
لأطلتهما ، وقال لمن حضره من قومه : لا تطلقوا عني حديدا ولا تغسلوا
عني دما ، فإني مُلَاقٍ معاوية غداً على الجَادَّةِ ^(٤) ! » . وضربت عنقه ..

(١) أردى : أهلك .

(٢) وكبير ، كذا جاء في المخطوطة ، وجاء عند الطبري وابن الأثير « كثر » .

(٣) في الكامل وتاريخ الطبري : لا أقيلك .

(٤) الجادة : معظم الطريق ووسطه ، والمراد طريق الحساب بين يدي الله تعالى .

قال (١) فلقيت عائشة معاوية فقالت : أين كان حليمك عن حجر ؟
فقال : لم يحضرني رُشدٌ ! وقال ابن سيرين : بلغنا أنَّ معاوية لما
حضرته الوفاة جعل يقول : يومى منك يا حُجْرُ طويل ! .
وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية

سنة الثنتين وخمسين

كان فيها من الغزاة وأمر الخوارج ما قدمنا ذكره .
وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص .

سنة ثلاث وخمسين

في هذه السنة توفي عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ،
على أحد الأقوال ، وقيل بعد ذلك (٢) .

ذكر وفاة زياد بن أبيه

كانت وفاته بالكوفة يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر رمضان
سنة ثلاث وخمسين ، واختلف في مولده ، فقيل : ولد عام الهجرة ،
وقيل : قبل الهجرة وقيل ولد يوم بدر . وقال المدائني : ولد عام
التاريخ .

وكان يكنى « أبا المغيرة » حكاه أبو عمر (٣) قال : وليست له
صحة ولا رواية ، قال : وكان رجلاً عاقلاً في دنياه ، داهية ، خطيباً ،
له قدر وجلالة عند أهل الدنيا .

(١) محمد بن سيرين .

(٢) انظر ما يأتي في أواخر وذكر مشير معاوية إلى الحجاز وكيف أخذ البيعة
ليزيد على أهل الحجاز .

(٣) في الاستيعاب ج ١ ص ٥٦٧ .

قال أبو جعفر الطبري ^(١) رحمه الله : وكان زياد كسب إلى معاوية : « إني قد ضببتُ لك العراق بشمالي ، وبمبني فارغة ، فاشغلها بالحجاز » . ففعل . فلما بلغ ذلك أهلَ الحجاز أتى نفرٌ منهم عبدَ الله ابن عمر بن الخطاب ! فذكروا ذلك له ، فقال : ادعوا الله عليه يكفيكموه . فاستقبل القبلة واستقبلوها ، فدعوا ودعا ، وكان من دعائه أن قال : اللهم اكفنا عيّن زياد ! فخرجت طاعونة على إصبع يمينه ، فمات منها فلما حضرته الوفاة دعا شريحاً القاضي فقال : قد حدث بي ما ترى ، وقد أمرت بقطعها فأشتر على . فقال شريح : إني أخشى أن يكون الأجل قد دنا فتلقى الله أجذم ، وقد قطعت يدك كراهية لقائه ، أو أن يكون في الأجل تأخير ، فتعيش أجذم ويغيرٌ ولدك » فقال : لا أبيت والطاعون في سِجَاف ^(٢) واحد ^(٣) ، وخرج شريح من عنده فسأله الناس ، فأخبرهم فلاموه ، وقالوا : هلا أشرت بقطعها ؟ فقال : « المستشار مؤتمن ^(٤) » . وقيل أراد زياد قطعها ، فلما رأى النار والمكاوي جزع وتركها وقيل : تركها لما أشار عليه شريح .

ولما حضرته الوفاة قال له ابنه : هلا هيأتُ لك ستين ثوباً أكفنك بها ، فقال : يا بُنَيَّ قد دنا من أبيك لباس خير من لباسه أو سلب سريع !

(١) في تاريخه ج ٤ ص ٢١٤ .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، والسجاف : السر ، وجاء في النسخة (ن)

« في الحاف » كما عند الطبري ج ٤ ص ٢١٥ . وابن الأثير ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٣) جاء في رواية ابن جرير الطبري : « فزعم أن يفعل ، فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وترك ذلك » . وانظر ما سياتي قريباً .

(٤) « المستشار مؤتمن » حديث رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن النبي صل الله عليه وسلم ، وعبارة ابن جرير هنا : « فقال قال رسول الله صل الله عليه وسلم : المستشار مؤتمن » .

فمات ودفن بالشَّوْبَةِ إلى جانب الكوفة ، وهو موضع فيه مقبرة الكوفة .
فلما بلغ موته ابن عمر قال : « اذهب ابن سُمَيَّة ! لا الآخرة أذكرت ،
ولا الدنيا أبقيت عليك ! » .

قال : وكان زياد فيه حمرة ، وفي عينه اليمنى انكسار ، أبيض اللحية
مخروطها ، عليه قميص ربما رقع .

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي عامل خراسان قبل وفاة زياد ،
وكان سبب موته أنه سخط قتل حُجر بن عدى ، حتى إنه قال : « لا تزال
العرب تُقتل بعده صَبْرًا ^(١) ! ولو نَفَرْتُ عند قتله لم يُقتل رجلٌ
منهم صَبْرًا ، ولكنها أَقَرَّتْ فذلَّت ! » ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة ،
ثم خرج يوم الجمعة فقتل : « أيها الناس ، إني قد ملئت الحياة ،
وإني داع يدعوة فأمّنوا » . ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال : اللهم
إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلا ! وأمن الناس ، ثم خرج ،
فما توارت ثيابه حتى سقط ، وحُمِلَ إلى بيته ، واستخلف ابنه عبد
الله ، ومات من يومه ، ثم مات ابنه بعده بشهرين ، واستخلف خُلَيْد بن
بَرْبُوع ^(٢) الحنفي ، فأقره زياد ، ولما مات زياد كان على البصرة
سَمُرَةُ بن جُنْدَب ، وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأقر
معاوية سَمُرَةَ على البصرة ثمانية عشر شهرا ، وقيل ستة أشهر ثم عزله ،
فقال سمرة : « لعن الله معاوية ! والله لو أطعت الله كما أطعته
ما عذبنى أبدا ! » .

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص .

(١) جاء في المصباح المنير : « كل ذي روح يوثق حتى يقتل فقد قتل صبرا » .

(٢) كذا . جاء في المخطوطة مثل الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، وجاء
في تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ٢١٧ « عبد الله » .

سنة اربع وخمسين

ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان

في هذه السنة عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة ، واستعمل مروان بن الحَكَم .

وكان سبب ذلك أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص أن يهدم دار مروان ، ويقبض أمواله كلها فيجعلها صافية ^(١) ويقبض منه ^(٢) قدك ، وكان وهبها له ، فراجع سعيد في ذلك ، فأعاد معاوية الكتاب بذلك ، فلم يفعل سعيد ، ووضع الكتابين عنده ، فعزله معاوية وولى مروان ، وكتب إليه يأمره بقبض أموال سعيد وهدم داره فأخذ الفعلة وسار إلى دار سعيد ليهدمها ، فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك أتهدم داري ؟ قال : نعم كتب إلى أمير المؤمنين ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت . فقال : ما كنت لأفعل : قال : بلى والله ^(٣) قال : كلاً . وقال سعيد لغلامه : انتن بكتابي معاوية ، فجاء بالكتابين ، فلما رآهما مروان قال : كتب إليك فلم تفعل ، ولم تعلمني ! فقال سعيد : ما كنت لأمن عليك وإنما أراد معاوية ليحرص بيننا ! فقال مروان : والله أنت خير مني ! وعاد ولم يهدم داره .

وكتب سعيد إلى معاوية : « العجب لما صنع أمير المؤمنين بنا في قربتنا ، إنه يُضغن بعضنا على بعض ، فأمر المؤمنين في حلمه وصبره

(١) الصافية : ما يعود لبيت المال من الأملاك والأراضي .

(٢) فك : بلدة قرية من غير ، مما أفله الله على رسوله من اليهود بعد جلائهم .

(٣) زاد ابن جرير في قول مروان : « لو كتب إليك لهدمتها » .

على ما يكره من الأخبثين وعفوه ، وإدخاله القطيعة بيننا والشهداء ،
وتوارث الأولاد ذلك ، فوالله لو لم تكن بنى أب واحد إلا لما جمعنا الله
عليه من نصرة الخليفة المظلوم ، وباجتماع كلمتنا لكان حقاً عليك أن
ترعى ذلك ! فكتب إليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصل ، وأنه عائد
إلى أحسن ما يعهده .

وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأنشئ عليه خيراً .

وفي هذه السنة عزل معاوية سمره بن جندب عن البصرة ، واستعمل
عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان ستة أشهر .

ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان

ومسيره إلى جبال بخارى

وفي هذه السنة استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان
وسبب ذلك أنه قدِم عليه بعد وفاة أبيه ، فسأله معاوية عن عمال
أبيه ، فأخبره بهم ، فقال : لو استعملك أبوك لاستعملتك . فقال
عبيد الله : أنشدك الله أن يقولها لي أحد بعدك « لو استعملك أبوك
وعمك استعملتك » . فولاه خراسان وكان عمره خمسا وعشرين
سنة .

فسار إليها ، وقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ، فكان
أول من قطع جبال بخارى في جيش ، ففتح راتمي ونسف وبيكند ،
وهي من بخارى ، ومن ثم أصاب البخارية وغنم منهم غنائم كثيرة ،
ولما لقي الترك وهزمهم ، كان مع ملاكهم زوجته ، فأعجلوها عن لبس

خضيتها، فلبست أحدهما وبقي الآخر، فأخذه المسلمون [فقُوم] ^(١) بمائتي ألف درهم. وظهر منه بأس شديد

وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم [وكان على المدينة] ^(٢) وكان على الكوفة عبد الله بن خالد، وقيل: الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان ^(٣)، والله أعلم.

سنة خمس وخمسين

ذكر ولاية عبيد الله بن زياد على البصرة

في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة، وولاهما عبيد الله بن زياد.

وسبب ذلك أن عبد الله خطب على منبر البصرة، فحصبه رجل من بني ضبّه، فقطع يده، فأتاه بنو ضبّه وقالوا: «إن صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته، ولا نأمن أن يبلغ خبره أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم، فاكتب لنا كتابا إلى أمير المؤمنين، يخرج به أحدنا إليه، تخبره أنك قطعت على شُبّهة وأمر لم يصح» فكتب لهم، فلما كان رأس السنة توجه عبد الله إلى معاوية، ووافاه الصنبيون بالكتاب، وادّعوا أنه قطع صاحبهم ظلما، فلما رأى معاوية الكتاب قال: «أما القود من عمالي فلا سبيل إليه، ولكنني أدى صاحبكم من بيت المال». وعزل عبد الله عن البصرة، واستعمل ابن زياد عليها، فولى ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي.

(١) الزيادة في النسخة (ن)، ولم تثبت في النسخة (ك).

(٢) الزيادة في النسخة (ن)، ولم تثبت في النسخة (ك).

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد عن الكوفة ، وولأها الضحاح ابن قيس ، وقيل : كان قبل ذلك كما تقدم .
وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وهو أمير المدينة .

سنة ست وخمسين

ذكر البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد

في هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية العهد ، قال (١) :
وكان ابتداء ذلك وأولهُ أن مُعاوية لما أراد أن يعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة ، ويستعمل سَعِيد بن العاص عليها ، قبله ذلك ، فشخص إلى معاوية ليستغفیه حتّى تظهر للناس كراهيته للولاية ، فجاء إلى يزيد وقال له : « إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكبراء قريش ، وإنما بقي أبناؤهم ، وأنت من أفضلهم ، وأحسنهم رأيا ، وأعلمهم بالسياسة ، وإلى لا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقِد لك البيعة . قال : أوترى ذلك يتم ؟ قال : نعم فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المُغيرة ، فلما حضر المغيرة عند مُعاوية قال له معاوية : ما يقول يزيد ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سخطك الدماء ، والاختلاف بعد عثمان ، وفي يزيد منك خلفٌ ، فاعقد البيعة له ، فإن حدث بك حدثٌ كان كهفًا للناس ، ولا تُسْفِك الدماء ولا تكون فتنة ، قال : ومن لي بهذا ؟ قال : « أنا أكفيك أهل الكوفة ، ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المضرّين من يخالفك » . قال : « فارجع إلى عملك وتحدث مع من تشق إليه في ذلك وترى ونرى » .

فودّعهم ورجع إلى أصحابه فقال : لقد وضعت رجل معاوية في غَرْزٍ بعيد^(١) الغاية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ورجع المغيرة ، فلما قدم الكوفة ذاكر من يثق إليه من شيعة معاوية فأجابوا إلى بيعته ، فأوفد منهم عشرة ، ويقال أكثر ، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم ، وجعل عليهم ابنه موسى ، فقدّموا على معاوية وزينوا له بيعة يزيد ، ودعّوه إلى عقدها ، فقال : لاتعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم ، ثم قال لموسى ، بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بثلاثين ألفا . فقال : لقد هان عليهم دينهم .

وقيل : أرسل أربعين رجلا ، وجعل عليهم ابنه عروة بن المغيرة ، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا : إنما أشخصنا إليك النظر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقالوا : « يا أمير المؤمنين ، كبرت سنك ، وخفنا انتشار الجبل ، فأنصب لنا علما وحدا لنا حداً ننتهى إليه » . فقال أشيروا على . فقالوا : نشير بيزيد بن أمير المؤمنين ، فقال : أوقد رضيتموه ؟ قالوا : نعم . قال : وذاك رأيكم ؟ قالوا : نعم ورأي من وراءنا . فقال معاوية لعروة سرا عنهم : بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بأربعمائة دينار . قال : لقد وجد دينهم عندهم رخيصة ، وقال لهم : « ننظر ما قدمتم له ، ويقضى الله تعالى ما أراد ، والأناة خير من العجلة » . فرجعوا وقد قوى عزم معاوية على البيعة ليزيد .

(١) الغرز : ركاب كور الجمل ، وهو مثل ركاب السرج للفرس .

ذكر مراسلة معاوية زيادا في شأن البيعة

وما دار بين زياد وبين عبيد بن كعب النُمَيْرِي من الرأى وما اتفقا عليه

قال : ولما قوى عزم معاوية على البيعة ليزيد ، كتب إلى زياد ابن أبيه يستشيريه ، وزياد إذ ذاك يلى البصرة ، فلما ورد عليه كتاب معاوية أحضر عبيد بن كعب النُمَيْرِي وقال له : « إن لكل مستشير ثقة ، ولكل سرّ مستودع ، وإن الناس قد أبدع^(١) بهم خصلتان : إذاعة السر وإخراج النصيحة إلى غير أهلها ، وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخره يرجو ثوابا ، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه ، وقد خبرتهما منك ، وقد دعوتك إلى أمر أبهت عليه بطون الصحف ، إن أمير المؤمنين كتب إلى يستشيرني في كذا وكذا ، وإنه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم ، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم ، ويزيد صاحب رُسْلة وتهاون ، مع ما قد أولع به من حب الصيد فالتقى أمير المؤمنين وأد إليه عنى فَعَلاتِ يزيد ، وقل له رُوَيْدَكَ [بالأمر]^(٢) وأحرى أن يتم لك ، ولا تعجل فإن دَرَكَاً في تأخير خير من قوت في عجلة » . فقال له عبيد : أفلا غير هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : « لا تُفسد على معاوية رأيه ، ولا تُبغض إليه ابنه ، وألقى أنا يزيد^(٣) وأخبره أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له ، وأنتك تتخوف خلاف الناس ، لهنات ينقمونها عليه ، وأنتك ترى له ترك ما يُنقَم عليه ، لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما يريد ، فتكون

(١) أبدع بهم : قطع بهم وغلظهم .

(٢) الزيادة من الطبرى في ج ٤ ص ٢٢٥ وابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٣) في تاريخ الطبرى : « وألقى أنا يزيد سرا من معاوية » .

قد نصحت أمير المؤمنين ، وسلمت مما يخاف من أمر الناس . فقال زياد : « لقد رميت الأمر بحجره ! اشخص على بركة الله ، فإن أصبت فما لا ينكر ، وإن يكن خطأ فغير مستغش ، ونقول ما ترى ويقضى الله بغيب ما يعلم . »

فقدم عبيد على يزيد ، فذكر ذلك له ، فكف عن كثير مما كان يصنع .

وكتب زياد إلى معاوية يشير عليه بالتؤدة وألاً يعجل . فتأخر الأمر حتى مات زياد ثم عزم معاوية على البيعة .

ذكر ارسال معاوية الى مروان بن الحكم

وأمر البيعة وإنكار أهل المدينة ذلك وما وقع بسببه

قال : ولما عزم معاوية على البيعة ليزيد أرسل إلى عبد الله بن عمر بمائة ألف درهم ، فقبلها ، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر رضي الله عنه : « هذا أراد ؟ إن ديني إذا عندي لرخيص ! » وامتنع .

ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم ، وهو على المدينة يومئذ ، يقول : « إني قد كبرت سنّي ، ورقّ عظمي ، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي ، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي ، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك ، فاعرض ذلك عليهم ، وأعلمني بالذي يردون عليك . »

فقام مروان في الناس وأخبرهم ، فقال الناس : أصاب ووفق ، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألوا^(١) . فكتب مروان إلى معاوية

(١) يألوا : يقرر .

بذلك ، فأعاد عليه الجواب بذكر يزيد ، فقام مروان في الناس فقال : إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل ، وقد استخلف ابنه يزيد بعده .

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما فقال : « كذبت والله يا مروان ، وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنكم أردتم أن تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل ! » . فقال مروان : هذا الذى أنزل الله فيه ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيَنِي أَفٍ لَكُمْ ﴾ الآية (١) . فسمعت عائشة رضى الله عنها مقالته ، فقامت من وراء الحجاب وقالت : يا مروان ! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه ، فقالت : « إن القاتل لعبد الرحمن إنه نزل فيه القرآن كذب ، والله ما هو فيه ، ولكنه فلان بن فلان ، ولكنك أنت قَصَصُ من لعنة نبي الله عليه الصلاة والسلام » .

وقام الحسين بن علي رضى الله عنهما فأنكر ذلك ، وفعل مثله عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير .

فكتب مروان إلى معاوية بذلك ، فأوجب ذلك مسيره إلى الحجاز بعد أن أخذ بيعة أهل العراق والشام ! .

(١) الآية ١٧ من سورة الأحقاف .

(٢) في النهاية : « ومنه حديث عائشة قالت لمروان : إن النبي لعن أباك ، وأنت فاض من لعنة الله ، أى : قطعة أو طائفة منها » . وروى ابن أبي خيثمة من حديث عائشة في هذه القصة أنها قالت : « أما أنت يا مروان فأنشد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه » . وأبو هريرة الحكيم بن أبي العاص ابن أمية ، وقد روى الرواة في أسباب لعنة أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه يعمل من الأعمال مالا يجوز ، وقد نفاذ إلى الطائف ، وانظر ما يأتى قريبا .

ذكر من وفد الى معاوية من أهل الأمصار

في شأن البيعة . وما تكلم به بعضهم

وبيعة أهل العراق والشام ليزيد

قال : وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه ، وأن يُوفدوا إليه الوفود من الأمصار ، فكان فيمن أئاده محمد بن عمرو^(١) بن حزم من المدينة ، والأحنف بن قيس في وفد أهل البصرة ، فقال محمد بن عمرو لمعاوية : إن كل راع مستول عن رعيته فانظر من تُؤلَّى أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأخذ معاوية يهتز^(٢) حتى جعل يتنفس في يوم شات^(٣) ، ثم وصله وصرفه .

وأمر معاوية الأحنف بن قيس أن يدخل على يزيد فدخل عليه ، فلما خرج من عنده قال له : كيف رأيت ابن أخيك ؟ قال : رأيت شبابا ونشاطا وجلدا ومزاحا .

ثم إن معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده : إني متكلم فإذا سكنت فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها ، فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحققها ، وما أمر الله تعالى به من طاعة ولادة الأمر ، ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة ، وعرض ببيعته .

فعارضه الضحاك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أئمة

(١) كذا جاء في الكامل وكتب الصحابة ، وجاء في المخطوطة « عمر » .

(٢) كذا جاء في الأصل ، والذي في الكامل « بهر » وهو بضم الباء ما يعترى الإنسان عند السعي الشديد والعلم من التبحر وتتابع النفس .

(٣) في المقد الفريد ج ٤ ص ٣٦٩ : « فأخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء وذلك في يوم شات » .

المؤمنين ، إنه لابد للناس من وال بعدك وقد بلونا الجماعة والآفة
فوجدناهما أحقن للدماء ، وأصلح للدهماء ، وآمن للسبيل ، وخيراً
في العافية ، والأيام عوج^(١) رواجع ، والله كل يوم في شأن ، ويزيد بن أمير
المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته^(٢) على ما علمت ، وهو من
أفضلنا علما وحلما ، وأبعدنا رأيا ، فوله عهدك ، واجعله لنا علما
بعدك ، ومفزعاً نلجأ إليه ونسكن إلى ظله . . . وتكلم عمرو بن
سعيد الأشدق بنحو من^(٣) ذلك .

ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال : هذا أمير المؤمنين (وأشار
إلى معاوية) فإن هلك فهذا (وأشار إلى يزيد) ومن أبي فهذا (وأشار
إلى سيفه) فقال معاوية : اجلس فأنت سيد الخطباء . . .

وتكلم من حضر من الوفود ، فقال معاوية للأحنف : ماتقول
يا أبا بحر ؟ فقال : « نخافكم إن صدقنا ، ونخاف الله إن كذبنا ،
وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلايته
ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه الله تعالى ولهذه الأمة رضى فلا تشاور
فيه ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا ، وأنت صائر
إلى الآخرة : وإنما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا . . . وقام رجل

(١) كذا جاء في الكامل ج ٣ ص ٢٥١ ولم تنقط الكلمة في المخطوطة . وجاء في المقد الفريد
« والأنفس يفتى عليها ويراح » .

(٢) قصد سيرته : استقامة سيره .

(٣) قال : أيها الناس ، إن يزيد أمل تأملونه ، وأجل تأمنونه ، طويل الباع ، رجب
النوع ، إذا صرتم إلى عدله وسمكم ، أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال معاوية : اجلس
أبا أمة فقد أوسمت وأحسنت .

من أهل الشام فقال : « ماندرى ماتقول هذه المَعْدِيَّة (١) العراقية ، وإنما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف (٢) .

فاfterق الناس يحكون قول الأحنف (٣) .

قال : وكان معاوية يعطى المقارب ، ويُدارى المباعِد ويلطُف به ، حتى استوثق له أكثر الناس ، وبايعوه ، فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز .

ذكر مسير معاوية الى الحجاز

وكيف أخذ البيعة ليزيد على أهل الحجاز

قال : وفي هذه البسنة اعتمر معاوية في شهر رجب ، وسار إلى الحجاز في ألف فارس ، فلما دنا من المدينة لقيه الحسن بن علي رضي الله عنهما أول الناس ، فلما نظر إليه معاوية قال : « لا مرحباً ولا أهلاً ! بَدَنَةٌ يترَفَرَقُ دمها والله مُهْرِيْقُهُ ! » قال : مهلاً فإني لست بأهل لهذه المقالة . قال : بلَى ولشَرُّ منها .

ثم لقيه عبد الله بن الزُّبَيْر فقال له : « لا مرحباً ولا أهلاً ! خَبَّ ضَبٌّ ، تَلْعَةٌ يُدْخِلُ رأسه فيضرب بَدَنَبَهُ ، ويوشك والله أن يؤخذ بَدَنَبَهُ ويُدَقَّ ظهره ، نَحْيَاهُ عَنِّي » فضرب وجه راحلته .

ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال له معاوية : « لا مَرَحِباً ولا أهلاً ! شيخ قد خَرِفَ وذهب عقله » ثم أمر بضرب وجه راحلته : ثم فعل بابن عمر نحو ذلك .

(١) المَعْدِيَّة : الجماعة المنسوبة إلى معد بن عدنان .

(٢) الازدلاف : الاحتراب إلى الأثران في الحرب .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٣ ص ٢٥١ .

فَأَقْبَلُوا مَعَهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَحَضَرُوا بَابَهُ
فَلَمْ يُوْذَنْ لَهُمْ عَلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَلَمْ يَرَوْا مِنْهُ مَا يَحْبُونَ ، فَمَخْرَجُوا
إِلَى مَكَّةَ . فَأَقَامُوا بِهَا .

وخطب معاوية بالمدينة ، فذكر يزيد فمدحه ، وقال : « من أحق
منه بالخلافة في فضله وعقله ؟ وموضعه ؟ وما أظن قوماً بمتشهين حتى
يصيبهم بَوَائِقُ تَجَحُّثُ أَصُولِهِمْ ، وَلَقَدْ أَنْذَرْتُ إِنْ أَغْنَتْ النَّذْرُ ،
ثُمَّ أَنْشَأَ مِثْلًا :

قَدْ كُنْتُ حَذَرْتُكَ آلَ الْمُصْطَلِقِ وَقُلْتُ يَا عَمْرُو أَطْعِنِي وَانْطَلِقِ
إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَالَهُ أَطِيقُ سَاءَ مَا سَرَكَ مِنِّي مِنْ خُلُقِ
دُونَكَ مَا اسْتَسْقَيْتَهُ فَاحْشُ وَذُقْ

ثم دخل على عائشة رضى الله عنها وقد بلغها أنه ذكر الحسين
وأصحابه ، فقال : « لَا قَتْلَنَهُمْ إِنْ لَمْ يَبَايَعُوا » فشكاهم إليها ، فوعظته عائشة
وقالت : بلغني أنك تنهدهم بالقتل ، فقال : « يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، هُمْ
أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي بَايَعْتُ لِيَزِيدَ ، وَبَايَعَهُ غَيْرُهُمْ ، أَفَتَرِينَ أَنْ
أَنْقُضَ بَيْعَهُ قَدْ تَمَّتْ ؟ » . قالت : فافرق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب
إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قال : أَفْعَلْ . وَكَانَ فِي قَوْلِهَا لَهُ : مَا يَوْمُنَا أَنْ أَقْعَدَ لَكَ رَجُلًا
يَقْتُلُكَ . وَقَدْ فَعَلْتَ بِأَخِي مَا فَعَلْتَ ؟ تَعْنِي مُحَمَّدًا فَقَالَ لَهَا : كَلَّا
يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي فِي بَيْتٍ أَمِنَ . قالت : أَجَلْ .

ومكث معاوية بالمدينة ما شاء الله ، ثم خرج إلى مكة ، فلقبه

الناس ، فقال أولئك النفر : نلتقاه لعله قد ندم على ما كان منه ، فلقوه في بطن^(١) مَرٍّ ، فكان أول من لقيه الحسين رضي الله عنه ، فقال له معاوية : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله وسيد شباب المسلمين . وأمر له بدابة وركب وسأيره ، ثم فعل بالباقيين مثل ذلك^(٢) ، وأقبل يسأيرهم ولا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة ، فكانوا أول داخل عليه وآخر خارج ، ولا يمضي يوم إلا ولهم منه صلة ، ولا يذكر لهم شيئاً ، حتى قضى نسكته وحمل أثقاله وقرب مسيره ، فقال بعضهم لبعض : « لاتخذعوا فما صنع هذا لحبكم ، وما صنعه إلا لما يريد أن يفعل ، فأعدوا له جواباً ، فاتفقوا على أن يكون المخاطب له عبد الله ابن الزبير .

فأحضرهم معاوية وقال : « قد علمتم سيرتي فيكم ، وصِلتي لأرحامكم وحمل ما كان منكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وأردت أن تقدّموه باسم الخلافة ، وتكونوا أنتم تُؤلّون وتعزلون وتؤثرون ، وتُجَبّون المال وتقسّمونه ، ولا يعارضكم في شيء من ذلك » . فسكتوا ، فقال : ألا تُجيبون ؟ مرتين .

ثم أقبل على عبد الله بن الزبير ثم قال : هاتِ فلعمري إنك خطيبهم . قال : نعم ، نخيرك بين ثلاث خصال . قال : اغرضهن . قال : تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو كما صنع أبو بكر ، أو كما صنع عمر رضي الله عنهما ، قال معاوية : ما صدموا ؟ قال : قبض

(١) مر الظهران على مرحلة من مكة .

(٢) في العقد الفريد ج ٤ ص ٣٧١ : « وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر : مرحباً بشيخ قريش وسليما وابن الصديق . وقال لابن عمر : مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق ، وقال لابن الزبير : مرحباً بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه . ودعا لهم بواب فحملهم عليها » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدا ، فارتفعى الناس
أبا بكر . قال : ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف . قالوا :
« صدقتَ فاصنع كما صنع أبو بكر ، فإنه عمَد إلى رجل من قاصية
قريش ليس من بني تيم^(١) فاستخافه ، أو كما صنع عمر ، جعل الأمر
شورى في ستة نفر ، ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه » .
قال معاوية : هل عندك غير هذا ؟ قال : لا ، قال : فأنتم ؟ قالوا :
قولنا قوله : قال « فإني أحببت أن أنقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر ،
إني كنت أخطب ، فيقوم إلى القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس ،
فأحمل ذلك وأصفح ، وإني قائم لمقالة فأقسم بالله لئن ردَّ عليَّ أحدٌ
منكم كلمة في مقامى هذا لاترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف
إلى رأسي ، فلا يبقين رجل إلا على نفسه ! »

ثم دعا صاحب حرَّسه حضرته فقال له : أقم على رأس كل رجل
من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيف ، فإن ذهب رجل منهم
يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما .

ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يُبرم^(٢) أمر دونهم
ولا يُقضى إلا عن مشورتهم ، وإنهم قد رضوا وبأيعوا ليزيد ، فبايعوا على

(١) يعنى أن أبا بكر لم يستخلف أحدا من أولاده ولا أقاربه بنى تيم ، فقد كان أبو بكر بن أبى
قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ولكنه استخلف عمر بن الخطاب بن نفيل
بن عبد المطلب بن رباح بن عبد الله بن قوط بن رزاح بن على ، فمر على ، وأبو بكر تيمى .
(٢) انظر المقدم الفرديج ٤ ص ٣٧٢ ، وفي المخطوطة « لا يبرم » .

اسم الله . فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ، ثم ركب معاوية رواحله وانصرف إلى المدينة .

فلقى الناس أولئك النفر فقالوا لهم : زعمتم أنكم لا تبايعون فلما أرضيتم وأعطيتم بايعتم ! قالوا : والله ما فعلنا . قالوا : فما منعكم أن تردوا على الرجل ؟ قالوا : كادنا^(١) وخفنا القتل .

وبايعه أهل المدينة ، ثم انصرف إلى الشام ، وجفا بنى هاشم ، فاتاه ابن عباس فقال له : مابالك جفوتنا ؟ قال : إن صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه . فقال : « يا معاوية ، إني لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل ، فأقيم به ، ثم أنطلق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم خوارج عليك » . قال يا أبا العباس تُخطون وتُرضون وتُرادون^(٢) ! .

وقيل : إن ابن عمر قال لمعاوية : « أبايعك على أني داخل فيما تجتمع عليه الأمة ، فوالله لو اجتمعت على حبشي لدخلت معها » . ثم عاد إلى منزله ، فأغلق بابيه ، فلم يأذن لأحد .

وقد ذكرنا وفاة عبدالرحمن بن أبي بكر في سنة ثلاث وخمسين ، والمشهور أنه كان في هذه الحادثة باق^(٣) : وقد ورد خبره مع مروان ابن الحكم وما قالته عائشة رضي الله عنها في الصحيح^(٤) .

(١) في العقد الفريد : « كادكم بنا وكادنا بكم » .

(٢) راده في الكلام : راجعه إليه .

(٣) قال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٥٢ : « قلت : ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين ، وإنما يصح على قول من يجعلها بعد ذلك الوقت » . وقد ذكر ابن حبان أنه مات سنة ثمان وخمسين .

(٤) روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه الحديث ٤٥٠٩ : كان مروان على الحجاز ، استعمل معاوية ، فخطب ، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن =

ذكر استعمال سعيد بن عثمان بن عفان

على خراسان وغزوه

في هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد عنها ، وكان سبب ذلك أنه سأل معاوية أن يستعمله على خراسان ، فقال : إن بها عبيد الله بن زياد . فقال : والله لقد اضطنعتك أبي حتى باغت باصطناعه المدي الذي لا تجاري إليه ولا تسامي ، فما شكرت بلاءه ولا جازيته [بآلائه] ^(١) ، وقدمت [على] هذا يعني يزيد - وبايعت له ، والله لأننا خير أبا وأما ونفسا ! « فقال معاوية : أما بلاء أبيك فقد يحق على الجزاء به ، وقد كان من شكرى لذلك أني طلبت بدمه ، وأما فضل أبيك على أبيه فهو والله خير مني ، وأما فضل أمك على أمه فلعمري امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ^(٢) ، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة ^(٣) ملئت به رجالا مثلك ! ، فقال له يزيد : « يا أمير المؤمنين ، ابن عمك ، وأنت أحق من نظر في أمره ، قد عتب عليك فأعنته ^(٤) . فولاه حرب خراسان ، وولي إسحاق ابن طلحة ^(٥) خراجها ، فمات إسحاق بالرأي فولي سعيد حربها وخراجها .

= ابن أبي بكر شيئا ، فقال : خلوه ، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا ، فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه : واللي قال لوالديه أن لكما أيمانكم فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن ، إلا أن الله أنزل على . أم وانظر ما سبق قريبا .

(١) الزيادة بن تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٦ .

(٢) أم سعيد بن عثمان هي فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية القرشية ، وأم يزيد ابن معاوية هي ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبي .

(٣) الغوطة : الكورة التي منها دمشق ، وهي مروفة ببساتينها .

(٤) الإعتاب : الإرضاء .

(٥) كان إسحاق ابن خالة معاوية .

فلما قدم خراسان قطع النهر إلى سمرقند ، فخرج إليه [أهل]^(١) الصغد ، فتواقفوا يوماً إلى الليل ولم يقتتلوا ، ثم اقتتلوا من الغد ، فهزمهم سعيد ، وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رهنًا منهم خمسين غلاماً من أبناء عظمائهم ، فسار إلى الترمذ ففتحها صلحاً ، ولم يَفِ لأهل سمرقند ، وجاء بالغلماں معه إلى المدينة . وفي هذه الغزوة قُتل قُثم بن العباس بن عبد المطلب .

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان

سنة سبع وأربعين

في هذه السنة عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة ، واستعمل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . وقيل : لم يعزل مروان في هذه السنة^(٢) . وحج بالناس الوليد بن عتبة .

سنة ثمان وأربعين

في هذه السنة توفيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وتوفي حميرة بن يثرب قاضي البصرة ، فاستقضى مكانه هشام بن حُبيرة . وحج بالناس الوليد بن عتبة .

(١) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٧ ، والمصدر : قرى المتصلة خلال الأشجار والباسون من سمرقند إلى قريب من بخارى .
(٢) وقيل : في سنة ثمان وخمسين .

ذكر عزل الضحّاك عن الكوفة

واستعمال عبد الرحمن بن أمّ الحكم وطرده عنها

واستعماله على مصر وطرده عنها أيضا

في هذه السنة عزل معاوية الضحّاك بن قيس عن الكوفة ، واستعمل عليها عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي ، وهو ابن أمّ الحكم ، وأمّ الحكم أخت معاوية ، فخرج الخوارج بالكوفة في ولايته على ما قدمناه من خبرهم .

ثم طرد أهل الكوفة عبد الرحمن لسوء سيرته ، فلحق بخاله معاوية ، فولاه مصر ، فاستقبله معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر ، فقال له : ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع .

ثم وفد معاوية بن حديج إلى معاوية ، وكان إذا قدم زينت له الطرق [بقباب الریحان] ^(١) تعظيما لشأنه ، فدخل على معاوية وعنده أخته أمّ الحكم فقالت : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : « بنح بنح » ^(٢) ! هذا معاوية بن حديج ! فقالت : « لا مرحبا ! تسمع بالمعدي خير من أن تراه » ^(٣) . فسمعها ابن حديج ، فقال : « على ريسك يا أمّ الحكم ، والله لقد تزوجت فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ، أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ، ما كان الله ليبريه ذلك ، ولو فعل لضربناه ضربا يطأطيء

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، ومسقط من النسخة (ك) .

(٢) « بنح » اسم فعل ، يقال عند إظهار الرضا والإعجاب ، ويكرر للمبالغة .

(٣) مثل حرب يضرب لمن خبره خير من رؤيته .

منه ولو كره هذا القاعد ! ، يعنى معاوية ، فالتفت إليها معاوية فقال : كفى . فكفت .

سنة تسع وخمسين

فى هذه السنة استعمل معاوية النعمان بن بشير الأنصارى على الكوفة ، بعد ابن أم الحكم .

واستعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان فبقى عليها إلى أن قُتل الحسين ، ثم قدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف درهم ، فقال له يزيد : « إن شئت حاسبناك وأخذنا مامعك ورددناك إلى عملك ، وإن شئت أعطيناك مامعك وعزلناك ، وتعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم » قال : بل تُعطينى ما معى وتعزلى . ففعل ، وأرسل عبد الرحمن إلى ابن جعفر بألف ألف ، وقال : هذه خمسمائة ألف من يزيد وخمسمائة ألف منى .

ذكر عزل عبيد الله بن زياد

عن البصرة وعوده إليها

وفى هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة وأعادها إليها ولم يؤلَّ غيره .

وسبب ذلك أن ابن زياد وفد على معاوية فى وجوه أهل البصرة وفيهم الأحنف بن قيس ، وكان ابن زياد لا يكرمه ، فلما دخلوا على معاوية رجب بالأحنف وأجلسه معه على سريريه ، فأحسن الوفد الثناء على عبيد الله بن زياد والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : ما بالك يا أبا بحر لا تتكلم ؟ فقال : إن تكلمتُ خالفتُ القوم . فقال معاوية :

انهضوا، عزلته عنكم واطلبوا والياً ترضونه : فلم يَبْقَ من القوم رجل إلا ألقى رجلاً من بنى أمية أو من أهل الشام ، والأحنف لم يبرح من منزله ولم يأت أحداً ، فلبثوا أياماً ثم جمعهم معاوية ، وقال لهم : من اخترتم فاختلفت كلمتهم^(١) ، والأحنف ساكت ، فقال^(٢) : مالك لا تتكلم ؟ فقال : « إن وليت علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أجداً ، وإن وليت غيرهم فانظر في ذلك » . فردّه معاوية عليهم ، وأوصاه بالأحنف وقبح رأيه في مباحلته .

وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وفيها توفي سعيد بن العاص .

سنة ستين

ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان وما أوصى به عند وفاته

كانت وفاته بدمشق في شهر رجب من هذه السنة ، قيل : في مُسْتَهْلَهُ ، وقيل : في النصف منه ، وقيل : لأربع بقين منه ، وقيل : في يوم الخميس لثمان بقين من شهر رجب سنة تسع وخمسين^(٣) قال^(٤) : وكان معاوية قد خطب الناس قبل موته فقال : « إني

(١) سى كل فريق منهم رجلاً .

(٢) معاوية .

(٣) تبع في ذلك ما جاء في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٨ ، وعبرة الطبرى في تاريخه ج ٤ ص ٢٣٩ : « وقال علي بن محمد : مات معاوية بدمشق سنة ٦٠ يوم الخميس لثمان بقين من رجب ، حثني بذلك الحارث عنه » وقال الطبرى قبيل هذا : « اختلف في وقت وفاته بعد إجماع جميعهم على أن هلكه كان في سنة ٦٠ وفي رجب منها » .

(٤) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٥٩ .

لزرع^(١) مستحصد^(٢) وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم
ومللتموني ، وتمنيت فراقكم وتمنيت فراقى ، لن يأتىكم بعدى إلا
من أنا خير منه ، كما أن من كان قبلى كان خيراً منى ، وقد قيل :
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، اللهم إني أحببت لقاءك فأحبب
لقائى وبارك لى فيه . فلم يمض غير قليل حتى ابتدا به مرضه
الذى مات فيه .

قال^(٣) ولما مرض^(٤) دعا ابنه يزيد وقال : « يا بنى إني قد
كفيتك الشدة والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وذلت الأعداء ،
وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد ، فانظر أهل
الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم ، وتعاهد من غاب
وانظر أهل العراق ، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ،
فإن عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل
الشام ، فليكونوا بطانتك وعيبتك^(٥) ، فإن رابك^(٦) من غدوك
شيء فانتصر بهم ، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم : فإنهم
إن أقاموا بغيرها تغيرت أخلاقهم ، وإني لست أخاف عليك أن ينازعك
هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن على وعبد الله بن
عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فأما ابن عمر فرجل قد

(١) فى الكامل : « كزرع . »

(٢) استحصد الزرع : حان أن يحصد .

(٣) ابن الأثير فى الكامل ، وأصله فى تاريخ الطبرى ج ٤ : ص ٢٣٨

(٤) قال الطبرى : « مرض مرضته إلى هلك فيها . »

(٥) عيبتك : موضع شرك .

(٦) كذا جاء فى المخطوطة مثل الكلل ، ووجه فى تاريخ الطبرى « نابك . »

وقدّته^(١) العبادة ، فإذا لم يَبْقَ أحد غيره بابعك ، وأما الحسين فإنه رجل خفيف ، ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه ، فإن خرج فظفرت به فاصفح عنه ، فإن له رَحِمًا ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله^(٢) ليست له همة إلا في النساء واللّهو ، وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد ، ويرواغك مراوغة الثعلب ، فإن أمكنته فرصة وكَب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فظفرت به فقطعه إربًا إربًا ، واحقن دماء قومك ما استطعت .. هكذا في هذه الرواية^(٣) ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، والصحيح أنه مات^(٤) قبل معاوية .

وقيل إن يزيد كان غائبا في مرض أبيه وموته ، وأن معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المُرِّي وأمرهما أن يؤدّيا عنه هذه الرسالة إلى يزيد ابنه . وصححه ابن الأثير .

قيل : ولما اشتدّت علته وأرجف به قال لأهله : احشوا عيني إثميدا واذنوا رأسي ، ففعلوا وبرّقوا وجهه^(٥) ، ثم مهد له مجلس

(١) وقدّته : غلبته .

(٢) في تاريخ العبري : « مثلهم » ، والذى جاء هنا مثل الكامل .

(٣) وذكر ابن جرير رواية ثانية فيها قول معاوية : « وإنى لست أخاف من قریش

إلا ثلاثة : حسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير » .

(٤) وذكر ابن حبان أن عبد الرحمن بن أبي بكر مات ستة ثمان وستين ، وقيل غير ذلك

كما سبق .

(٥) عند ابن جرير وابن الأثير : « برّقوا وجهه باللمن » .

وأذن للناس ، فدخلوا وسلموا قياما ولم يجلس أحد ، فلما خرجوا
تمثل بقول الأول وهو الهذلي (١) :

وتجلدني للشامتين أريهمو أننى ليريب الدهو لا أنضعضعُ
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل نعيمة (٢) لا تنفعُ
ومات في يومه .

وكان يتمثل - وقد اختصر (٣) - :

فهل من خالدا إما هلكنا ؟ وهل بالموت بالناس عار ؟
وروى محمد بن عبد الله بن الحكم قال : سمعت الشافعي رضي
الله عنه يقول : لما ثقل معاوية كان يزيد غائبا ، فكتب إليه بحاله
فلما أتاه الرسول أنشأ يقول :

جاء البريدُ بقرطاسٍ يخبُّ به (٤)

فأوجس القلبُ من قرطاسه فزعا

قلنا : لك الويل ! ماذا في صحيفتكم

قال : الخليفة أمسى مُثَبَّتا (٥) وجعا

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي يرقى بنين له ماتوا في عام واحد بقصيدة مشهورة تجلها في أول
ديوان الهذليين ، وانظر المفضلية ١٢٥ في المفضليات وجمهرة أشعار العرب ص ٢٦٤ - ٢٧٣
والاستيعاب ج ٤ ص ٦٧ والإصابة ج ٤ ص ٦٥ وشواهد العيني ج ٣ ص ٣٩٣-٣٩٤ وخزانة
الأدب ج ١ ص ٢٠٢ وحاسة البحرى ص ٩٩ ، ١٢٨ وأمالى القال مع شرح البكري في
سطح اللال ج ٢ ص ٢٨٨ - ٢٨٩

(٢) النعيمة : ما يطلعه بعض الناس على أولادهم لا يتقاء العين والحسد يزعمهم .

(٣) وبلغه أن قوماً يفرسون بموته .

(٤) القرطاس : الصحيفة . والخب : السير السريع .

(٥) المثبت : الذي لا يفارق الفراش لثقل مرضه .

فمادت الأرض أو كادت تميدبنا
 كأنَّ ثَهْلَان^(١) من أركانِه انقلبا
 وأودى ابنُ هند^(٢) وأودى المجديتبعه
 كانا جميعا وظلاً يشريان معاً
 لا يرفعُ الناس ما أوهى^(٣) وإن جهدوا
 أن يرفعوه ، ولا يؤهون ما رفعاً
 أغرَّ أبلج^(٤) يستسقى الغمامُ به
 لو قارعَ الناسَ عن أحلامهم قرعاً
 والبيتان^(٥) الأخيران للأعشى
 قال : فلماً وصل إليهِ وجده مغموراً فأنشأ يقول :
 لو عاش حتى إذا لعاش إما
 مٌ الناس لا عاجزٌ ولا وكيل^(٦)
 الحولُ القلبُ الأريب^(٧) ولن
 يدفع ريبَ المنيّةِ الحيلُ

(١) ثهلان : جبل .

(٢) أودى : هلك . وهند : أم معاوية .

(٣) أوهى : أضغفه وأسقطه .

(٤) الأغر : السيد الشريف في قومه . والأبلج : الذى يكون طلق الوجه مضيقه .

(٥) هذا من قول الإمام الشافعى كما فى الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٩ وهما البيتان ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٧
 من عينه الأعشى فى ديوانه ص ١١١ ، ١٠٧ وجاء أولها بلفظ :

لا يرفع الناس ما أوهى وإن جهلوا طول الحياة ولا يؤهون ما رفعاً
 وجاء ثانيهما بلفظ :

أغر أبلج يستسقى الغمام به لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا
 (٦) الوكل : البليد الذى يكل أمره إلى غيره .

(٧) الحول : البصير بالحيل وتحويل الأمور . والقلب : البصير بتضاييب الأمور . والأريب : الباتل .

قال فأفاق معاوية وقال : يا بني إني نصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج لحاجته ، فاتبعته بإداوة^(١) ، فكساني أخذ ثوبيه الذي يلي جلده ، فخبأته لهذا اليوم ، وأخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام من أظافره وشعره ذات يوم ، فأخذته وخبأته لهذا اليوم ، فإذا أنا ميتٌ فاجعل ذلك القميص دون كَفَتِي ممَّا يَلِي جلدي ، وخذ ذلك الشعر والأظافر فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني ، فإن نفع شئ فذاك ، وإلا فإن الله غفور رحيم .

وهذه الرواية تدل على أن يزيد أدركه قبل وفاته ، وقد قيل : إنه أوصى بها غير يزيد^(٢) والله أعلم .

قال ابن الأثير : وتمثل معاوية عند موته بشعر الأشهب بن زُمَيْلَةَ^(٣) النَّهْشَلِي^(٤) :

(١) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٢) ذكر الطبري في إحدى روايات تاريخه ج ٤ ص ٢٤٢ أن معاوية مات ويزيد بجوارين . وكانوا كتبوا إليه حين مرض ، فأقبل وقد دفن ، فأقى قبره فصل عليه ودعا له ، ثم أتى منزله . وانظر ما يأتي .

(٣) كذا جاء في المخطوطة والكمال لابن الأثير « زميله » بالزاي ، كما نص عليه العمري في شواهد الكبرى ج ١ ص ٤٨٢ : « لم يزدني في معجم الشعراء ، وفي أكثر الكتب » زميلة ، بالراء ، كما نص عليه صاحب خزائن الأدب ج ٢ ص ٥٠٩ وقرأه في تاريخ الطبري وأمال القائل وسط الأذل والبيان والتبيين والحيوان ، وانظر ترجمة الأشهب بن زميلة في الأغاني ج ٩ ص ٢٦٩ (طبع دار الكتب المصرية) والإصابة ج ١ ص ١٠٧ .

(٤) قال الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٢٤١ : شعر الأشهب بن زميلة النهشل يملح به القبايع .

إِذَا مَتَّ مَاتَ الْجُودُ وَأَنْقَطَعَ النَّدَى

مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُّصَرَّدٍ ^(١)

وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا

مِنَ الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِخِلْفٍ مُّجَدَّدٍ ^(٢)

فَقَالَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْكَ .
فَقَالَ مَتَمَثَّلًا :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا (البَيْت) وَقَالَ لِأَهْلِهِ :

اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا وَاقِيَ لِمَنْ لَا يَتَّقِي اللَّهَ ! ثُمَّ قَضَى ^(٣)

وَأَوْصَى أَنْ يُرَدَّ نِصْفُ مَالِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ^(٤) .

وَأَنشَدَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ :

إِنْ تُنَاقَشْ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَا رَبِّ

بِ عَذَابٍ ، وَلَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ

أَوْ تُجَاوِزَ فَأَنْتَ رَبُّ صَفُوحٍ

عَنْ مُيَيْءٍ ذَنْبِهِ كَالْتِرَابِ

قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ خَرَجَ الضُّعْكَاءُ بْنُ قَبِيْسٍ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبِرَ ، وَأَكْفَانُ

مَعَاوِيَةَ عَلَى يَدَيْهِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ

(١) مُصَرَّدٌ : مَقْلَلٌ ، فَفِيهِ مِهَالْفَةٌ فِي الْقَلَّةِ .

(٢) الْخِلْفُ : ضَرْعٌ وَالْفَرْسُ وَالنَّاقَةُ وَنَحْوُهُمَا ، وَالْمُجَدَّدُ : الْذَاهِبُ الْبَيِّنُ ، وَالْمَعْرُوفُ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ « الْأَجْد » وَ « الْمَتَجَدَّد » .

(٣) قَضَى : مَاتَ .

(٤) قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ج ٤ ص ٢٤٢ وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٢٦٠ « كَانَهُ أَرَادَ أَنْ يُعْطِيَ لَه الْبَاقِي ، لِأَنَّهُ عَمَرَ قَاسِمَ مَالِهِ » .

عَوْدُ (١) العرب ، وَحَدَّ (٢) العرب ، وَجَدَّ (٣) العرب ، قَطَعَ اللهُ به
الْفِتْنَةَ ، وَمَلَّكَه على العباد ، وفتح به البلاد ، أَلَا إنه قد مات ، وهذه
أكفانه وَنَحْنُ مُذَرِّجُوهُ فِيهَا ، وَمُذْخِلُوهُ قَبْرَهُ ، وَمُخَلِّوُنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عَمَلِهِ ، ثُمَّ هُوَ الْبَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ! فَمَنْ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَشْهَدَهُ فَعِنْدَ
الْأَوَّلَى . . . قَالَ : وَصَلَى عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ لَغَيْبَةِ يَزِيدَ ، وَكَانَ بِحَوَارِينَ (٤)
فَقَدِمَ بَعْدَ دَفْنِهِ فَصَلَّى عَلَى قَبْرِهِ .

وَكَانَ أَمَّاكَ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا تَقْرِيبًا مِنْذُ خَلَصَ
لَهُ الْأَمْرُ .

وَكَانَ عَمْرُهُ خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ : ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ ،
وَقِيلَ : ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، وَقِيلَ تَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الْخِدَامَ الْمُلَازِمَةَ (٥) فِي الْإِسْلَامِ . وَأَوَّلَ مَنْ عَلَّقَ
الِسُّتُورَ وَاتَّخَذَ الْحَرَسَ وَأَرْيَابَ الشَّرْطِ . وَاسْتَعْدَمَ الْحِجَابَ وَرَكِبَ
الْهَمَالِيجَ (٦) ، وَقِيدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْجَنَائِبُ (٧) وَلَبَسَ الْخَزَّ
وَالْوَشْيَ الْخَفِيفَ ، وَعَمَلَ الطَّرَازَ بِمَصْرِ وَالْيَمَنَ وَالرُّهَا وَالْإِسْكَندَرِيَّةَ .

(١) العود : الجمل الكبير المدرب ، ويشبه به الرجل كذلك .

(٢) الحد : لباس والفصل بين شيئين .

(٣) الجد : الحظ والسعادة والغنى .

(٤) حوارين ، بتشديد الواو : من قرى الشام ، وهى غير « حوارين » بتخفيف
الوار التى فى الجزيرة .

(٥) كذا جاء فى النسخة (ن) ، وجاء فى النسخة (ك) : « الأزمة » وجاء فى لاستيماب
« أول من اتخذ الخصىان فى الإسلام .

(٦) الهماليج : جمع هملاج ، وهو البرقون الحسن السير ، ويسمى « الرهوان » .

(٧) الجنائب : جمع جنيبة وهى الدابة تقاد إلى جنب ، والناقة يعطيا الرجل القوم

بمتارو عليها له .

وأول من قتل مسلماً صبراً ، قتل حُجْر بن عَدِي وأصحابه كما تقدم .
وهو أول من اقتنى الضياع ، وأحدث في أيامه ديوان الخاتم ،
وكان سبب ذلك أنه أمر لعمر (١) بن الزبير بمائة ألف درهم ،
وكتب له بها على زياد ، فصير (٢) عمرو المائتين ، فلما [رفع] (٣)
حساب زياد أنكرها معاوية ، وأخذ عمرًا بردّها (٤) ، فوقّأها عنه
أخوه عبد الله . ثم أمر معاوية بختم الكتب وحزمها .

وزاد في منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله ثمانين
درجات ، وأول من جعل درجات المنبر خمس عشرة مرقاة ، واتخذ
المقصورة (٥) في المسجد .

وأول خليفة بايع لابنه ، وأول من وضع البريد ، وأول من سمي
الغالية التي يطيب بها « غالية » .
وكان يقول : أنا أول الملوك .

ذكر شيء من سيرته وأخباره

كان يُضْرَب بعِلم معاوية المثل ، ولم يعرف له زلة تنافي الحلم
إلا قتل حُجْر بن عَدِي وأصحابه .

وقد نقل من كلامه ألفاظ ، منها أنه قال : إنني لأرفع نفسي
أن يكون ذنب أعظم من عفوى ، وجهل أكثر من حلمي ، وعورة
لا أوارها بستري ، أو إساءة أكثر من إحساني ..

(١) أمر معاوية لعمر بهذا في موته وقضاء دينه .

(٢) فض عمرو الكتاب وصير المائتين .

(٣) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) .

(٤) وحيه .

(٥) عمل معاوية المقصورة في الشام لما ضربه الخارجي ، ثم عمل مروان المقصورة في المدينة

وقال : العقل والحلم أفضل ما أُعْطِيَ العبد ، فإذا ذَكَرَ ذَكَرَ ،
وإذا أُعْطِيَ شكر ، وإذا ابْتُلِيَ صَبِر ، وإذا غَضِبَ كَظَم ، وإذا قَدِرَ
غَفِر ، وإذا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ ، وإذا وَعَدَ أَنْجَز . .

قال عبد الله ^(١) بن عُمَيْر : أَغْلَظَ رجل لمعاوية ، فأكثر ،
فقليل له : أَنَحَلَمَ عن هذا ؟ فقال : إني لَا أَحُولُ بين الناس وألسنتهم .
مالم يحولوا بيننا وبين ملكنا .

وروى ابن شهاب عن حُمَيْد بن عبد الرحمن قال : أَخْبَرَنَا الْمِسُورُ
ابن مَخْرَمَةَ أَنَّهُ وَقَدَّ عَلَى معاوية ، قال : فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ سَلَّمْتُ ،
فقال : مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الْأُمَّةِ يَا مِسُور ؟ قلت : دَعَانَا مِنْ هَذَا وَأَحْسَنَ فِيمَا
قَدِمْنَا لَهُ ، قال : وَاللَّهِ لَتُكَلِّمَنِي يَذَاتَ نَفْسِكَ . قال فلم أَدْغُ شَيْئًا
أَعِيبُهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْبَرْتَهُ بِهِ . فقال : « لَا أَبْرَأُ مِنَ الذُّنُوبِ ! أَفْمَالُكَ
يَا مِسُور ذُنُوبٌ تَخَافُ أَنْ تَهْلِكَ إِنْ لَمْ يَغْفِرَهَا اللَّهُ لَكَ ؟ » قلت : بَلَى .
قال : « فَمَا جَعَلْتَ أَجْقَ بِأَنْ تَرْجُوَ الْمَغْفِرَةَ مِنِّي ؟ فَوَاللَّهِ لَجَمًّا أَنَا ^(٢) أَلِي
مِنَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأُمُورِ
الْعِظَامِ الَّتِي لَيْسَتْ ^(٣) أَحْصِيهَا وَلَا تَحْصِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا تَلِي . وَإِنِّي
لَعَلِي دِينَ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَوَاللَّهِ لَعَلِّي ^(٤)
ذَلِكَ مَا كُنْتُ لِأُخِيرَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ مَا سِوَاهُ إِلَّا اخْتَرْتُ اللَّهَ عَلَى مَا سِوَاهُ .
قال الْمِسُورُ : فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ خَصَّصَنِي ! قال : فَكَانَ

(١) كذا جاء في المخطوطة مثل الكامل لابن الأثير ، وجملة في رواية الطبري « عبد الملك بن عير » .

(٢) في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٠٢ : « فَوَقَّهَ لِمَا أَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ » .

(٣) في الاستيعاب : « لست » .

(٤) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ك) كما في الاستيعاب ، وسقطت من النسخة (ن) .

إذا ذكر بعد ذلك دعا له بخير . قال أبو عمر ^(١) : هذا الخبر من أصح ما يروى عن ابن شهاب .

وقد نسب معاوية إلى بخل مع كثرة عطاياه ، فمن ذلك ما حكى أن عبيد الله بن أبي بكر دخل على معاوية ، ومعه ولده ، فأكثر من الأكل ، فلحظه معاوية ، وفطن عبيد الله ، فأراد أن يغمز ابنه [فلم يمكنه] ^(٢) فلم يرفع رأسه حتى فرغ من أكله ، ثم عاد عبيد الله وليس معه ابنه ، فقال معاوية ما فعل ابنك التلقاة ^(٣) ؟ [قال : اشتكى] ^(٤)

ذكر صفة معاوية وأولاده وأزواجه

وكتابه وقضائه وحجابه وشرطه وعمله

كان معاوية طويلاً أبيض اللون إذا ضحك تقلصت شفقه العليا ، وكان يخضب بالحناء والكتم .

وأما نساؤه وولده : فمن نسائه ميسون ابنة بحدل بن أنيف الكلبية ، وهي أم يزيد ، وقيل ، ولدت له بنتا اسمها « أمة رب المشارق » فماتت صغيرة .

ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، ولدت له عبد الرحمن وعبد الله ، وكان عبد الله أحق ، وعبد الرحمن مات صغيراً .

(١) أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب

(٢) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٤٥

(٣) التلقاة : الكبر المقم .

(٤) الزيادة من الكامل ، ساقطة من الأصل .

ومنهن فائلة ابنة عُمارة الكلبيّة ، تزوجها وقال لَمَيْسُون : انظري إليها ، فنظرت إليها وقالت : « رأيتها جميلة ، ولكنني رأيت تحت سُرَّتْها خالاً ، ليوضعن رأس زوجها في حجرها » فطلقها معاوية ، فتزوجها جبيب بن مسلمة الفهري ، ثم خلف عليها بعده النعمان ابن بشير ، فقتل ووضع رأسه في حجرها^(١) .
ومنهن كَثُوة^(٢) ابنة قَرْظه ، أخت فاختة ، غزا قُبْرُس^(٣) وهي معه فماتت هناك .

وأما كتابه فكان كاتبه وصاحب أمره سرجون الرومي ، وكتب له عبيد الله بن أُوَيْس الغساني .
وقضاته . كان على القضاء قضاة بن عبيد الأنصاري ، فمات فاستقضى أبا إدريس الخولاني .
وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن مَحْضَن الجُمَيْرِي ، ونقش خاتمه « لكل عمل ثواب » ، وقيل : كان نقشه « لاحول ولا قوة إلا بالله » .

وحاجبه سَعْد مولاة ، ثم صفوان مولاة .
وكان على شرطته قيس بن حمزة الهمداني ثم عزله ، واستعمل زَمَل^(٤) ابن عمرو العُذْرِي ، وقيل : السكسكي .

(١) كان النعمان بن بشير أميراً على حمص ليزيد ، فلما مات يزيد صار النعمان زبيرياً كالفساحك بن قيس ، فلما قتل الضحّاك في وقعة « مرج راحط » وانتصر المروانيون طلب أهل حمص النعمان وقتلوه واحترقوا رأسه ، فقالت امرأته فائلة ابنة : عارة ألقوا رأسه في حجري فانا أحقيه
(٢) في الأصل : لبوة ، والتصحيح من الكامل وتاريخ الطبري .

(٣) قبرس : جزيرة مرقية .

(٤) في لإصابة ج ١ ص ٥٥١ والقلموس : زمل بن عمرو بن أبي العتر بن خشاف العلوي ، صاحب ، ويقال له « زميل » مصغراً .

وكان على حَرَسه رجل من الموالي يقال له الختاز ، وقيل : أبو المَخَارِقِ مالك مولى حَمِير .

وأما عماله فقد تقدم ذكرهم ، وكان العمال عند وفاته : على المدينة الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان ، على مكة عمرو بن سعيد الأشدق ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير ، وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد ، وعلى سجستان عباد بن زياد ، وعلى كرمان شريك بن الأعور ، وعلى مصر مسلمة ابن مُخَلَّد الأنصاري ، وكان القاضي بمصر سليمان بن عمير عشرين سنة .

ذكر بيعة يزيد بن معاوية

هو أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صَخْر بن حَرْب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وأمه مَيْسُون بنت بحدل الكلبية .

وهو الثاني من ملوك بني أمية ، بويع له بعد وفاة أبيه في شهر رجب سنة ستين .

فكان أول ما بدأ به يزيد أن كتب إلى الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان ، وهو عامل المدينة ، يخبره بموت معاوية (١) ، وكتابا آخر

(١) نص كتاب يزيد بن معاوية إلى ابن عمه الوليد بن عتبة - كما ذكره الطبري - :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه وزعمه وسكن له ، فعاش بقدر ، ومات بأجل فرجه الله ، فقد عاش محموداً ، ومات براً يتيا ، والسلام » .

صغيراً فيه : « أمّا بعدُ فخذُ حُسَيْنَا وعبدَ الله بنِ عُمر وابنِ الزبير بالبيعة أخذًا ليس فيه رُخصةٌ حتى يبايعوا والسلام » .

فلما أتاه نعى معاوية استدعى ^(١) مروان بن الحكم ، وكان قبل ذلك قد صارمه وانقطع عنه ^(٢) ، فلما جاءه وقرأ عليه الكتاب بموت معاوية استرجع ^(٣) وترحم عليه ، واستشاره الوليد كيف يصنع ، قال : « أرى أن تدعوهم الساعة وتأمروهم بالبيعة ، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم ، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فإنهم إن علموا بموته وثب كلُّ رجل بناحية ، وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه ، أمّا ابن عُمر فلا يرى القتال ، ولا يحبُّ أن يلى على الناس إلّا أن يُدفعَ إليه هذا الأمر عفوا » .

(١) ذكر الطبرى وابن الأثير أن الوليد لما أتاه نعى معاوية فظع به وكبر عليه ، ثم ما أمره به يزيد من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة ، ففزع عند ذلك إلى مروان بن الحكم .
(٢) لما عزل مروان عن المدينة واستعمل عليها بعده الوليد بن حبة صار مروان يحى متكارها فلما رأى الوليد ذلك شتمه عند جلسائه ، فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه .
(٣) قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ذكر ارسال الوليد بن عتبة

إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ،
وما كان بينهم في أمر البيعة وخروجهما إلى مكة
رضى الله عنهما

قال ^(١) وأرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو غلام
حدث ، إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما ، فوجدهما في المسجد ،
فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ، فقال : أجيبا الأمير
فقالا : انصرف الآن نأثيه .

فقال ابن الزبير للحسين : ماتراه بعث إلينا في هذه الساعة
التي لم يكن يجلس فيها ؟ فقال الحسين رضى الله عنه : أظن
طاغيتهم هلك فبعث إلينا لينأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس
الخبر . فقال : وأنا ما أظن غيره ، فما تريد أن نصنع ؟ قال الحسين :
أجمع فتباني الساعة ثم أمشي إليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه . قال :
فإني أخاف عليك إذا دخلت . قال : لآتيه إلا وأنا قادر على الامتناع .
فقام الحسين رضى الله عنه فجمع إليه أصحابه وأهل بيته ، ثم
أقبل إلى باب الوليد ، وقال لأصحابه : « إني داخل ، فإذا دعوتكم
أو سمعتم صوتي قد علا فادخلوا علي بأجمعكم ، وإلا فلا تبرحوا حتى
أخرج إليكم » .

ثم دخل فسلم ومروان عنده ، فقال الحسين : « الصلة خير
من القطيعة ، والصلح خير من الفساد ، وقد آن لكما أن تجتمعا ،
أصلح الله ذات بينكما » . وجلس ، فأقرأه الوليد الكتاب ،

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٦٤ ، وأصله في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥١ .

ونعى إليه معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فاسترجع الحسين وترحم على معاوية ، وقال : « أما البيعة فإن مثلي لا يبايع سراً ، ولا تجتزئ بها مني سرا ، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحد » فقال له الوليد - وكان يحب العافية - انصرف . فقال له مروان : « لئن فارقت الساعة ولم يبايع لأقدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينك وبينه ، احبسه ، فإن بايع وإلا ضربت عتقه » . فوثب الحسين عند ذلك وقال : « يا ابن الزرقاء أنت ، تقتلني ^(١) أو هو ؟ كذبت والله ولؤمت ^(٢) ! ثم خرج حتى أتى منزله .

فقال مروان للوليد : عصيتني ! لا والله لا يملكك من نفسه مثلها أبدا ، فقال الوليد : « ويح ^(٣) غيرك يا مروان ! ، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وعزيت عنه من مال الدنيا ومملكها وأني قتلت حسينا إن قال لا أبايع ! والله إنى لأظن أمرا يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة ! » قال مروان : قد أصبت بقولك هذا [يقول] ^(٤) وهو غير حامد له على رأيه .

وأما ابن الزبير فإنه أتى داره وجمع أصحابه واحترز ، فألح الوليد في طلبه وهو يقول « أمهلوني » . فبعث الوليد إليه موابيه فشتموه ، وقالوا له : يا ابن الكاهليه لتأتين الأمير أو ليقتلنك

(١) في تاريخ الطبرى : « أم » .

(٢) كذا جاء هنا مثل الكامل ، و الطبرى « وآمت » .

(٣) كذا في الأصل ، وفي تاريخ الطبرى « ويح غيرك » .

(٤) للزيادة من الكامل وتاريخ الطبرى .

فقال لهم : والله لقد لمستريتُ لكثرة الإرسال ، فلا تُعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه . فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال له : « رحمك الله ، كُفَّ عن عبد الله فإنك قد أفرعته وذعرتَه (١) ، وهو يأتيك غدا إن شاء الله تعالى ، فمر رسلك فليُنصرفوا عنا ، فبعث إليهم ، فانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث فسارا نحو مكة (٢) . فسرَح الوليد الرجال في طلبه فلم يدر كوه ، فرجعوا ، وتشاغلوا به عن الحسين يومهم .

ثم أرسل الوليد الرجال إلى الحسين (٣) فقال لهم : أصبحوا ثم تَرَوْنَ ونَرَى . فكفُّوا عند ، فسار من ليلته (٤) نحو مكة ، وأخذ معه بنيه وإخوته وبنى أخيه وجُلَّ أهل بيته إلاَّ محمد بن الحنفية فإنه قال للحسين رضى الله عنهما : « يا أخى أنت أحب الناس إلى وأعزهم على ، ولست أذخر النصيحة لأحدٍ من الخلق أحقَّ بها منك ، تنح ببيعتك (٥) عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت ، وابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوك حمدت الله على ذلك ، وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك ، إني أخاف أن تأتي مصر وجماعة من الناس فيختلفون عليك ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتلون ، فتكون لأول الأُسنة ، فإذا

(١) زاد الطبري في روايته : « بكثرة رسلك » .

(٢) وتجنبا الطريق الأعظم مخافة الطلب

(٣) عند المساء .

(٤) قال الطبري : « وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠ ، وكان يخرج ابن الزبير قبله بليلة ، خرج ليلة السبت » .

(٥) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وجله في تاريخ الطبري : « ببيتك » .

خير هذه الأمة كلها نفسها وأباً وأماً ، أَضْيَعُهَا دَمًا وَأَذْلُهَا أَهْلًا ! » قال الحسين : فأين أذهب يا أخى ؟ قال : « انزل مكة ، فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشَعَفَ الجبال ^(١) وخرجت من بلد إلى أخرى ، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ، ويفرق لك الرأي ، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأخرمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالا ، ولا تكون الأمور أبداً أشكلاً منها حين تستدبرها ! » قال : قد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً إن شاء الله .

ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرغ :

لاذعرتُ السَّوَامَ في شَفَقِ ^(٢) الصُّبْحِ مُفِيرًا ولا دُعَيْتُ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ من المَهَابَةِ ^(٣) ضَيْمًا والمَنَايَا يَرْصُدُنَنِي أَن أَحِيدًا
ثم خرج نحو مكة وهو يتلو ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٤) ، ولما دخل مكة قرأ ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٥)

(١) شَفَّ الجبال : رحسها .

(٢) كذا جاء « شفق » في الأصل مثل الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٥ والمعروف فيه « فلق » كما جاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥٣ ومروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٨٦ والخصائص لابن جني ج ٣ ص ٢٧٣ وشرح ابن أبي الحديد لمعج البلاغة ج ١ ص ٣٠٢ وجاء في ترجمة يزيد بن مفرغ من وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٥ « غلس » .

(٣) كذا جاء في الأصل وتاريخ الطبري : وجاء في الكامل « من المهابة » وفي شرح ابن أبي الحديد « من المخافة » : وفي وفيات الأعيان « حل المخافة » ، وفي مروج الذهب (مخافة الموت » .

(٤) الآية ٢١ من سورة القصص .

(٥) الآية ٢٢ من سورة القصص .

قال : وأما ابن عمر فإن الوليد أرسل إليه ليباع ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فتركوه ، وكانوا لا يخافونه .

وقيل : إن ابن عمر كان بمكة هو وابن عباس ، فعادا إلى المدينة ، فلقيهما الحسين وابن الزبير ، فقالا لهما : ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية وبنيّة يزيد ، قال ابن عمر : لا تفرقا جماعة المسلمين . وقدم هو وابن عباس المدينة ، فلما بايع الناس بايعا .

قال : ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد فقال : أنا عائد بالبيت . ولم يكن يصلى بصلاتهم ، ولا يُفيض بإفاضتهم ، وكان يقف هو وأصحابه ناحية .

ذكر استعمال عمرو بن سعيد على المدينة

وإرسال عمرو بن الزبير بالجيش إلى مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير وهزيمة جيشه ، ووفاة عمرو بن الزبير تحت السّياط .

وفي هذه السنة عزل يزيد بن معاوية الوليد ابن عتبة عن المدينة ، واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق ، فقدمها في رمضان ، واستعمل على شرطته عمرو بن (١) الزبير ، لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء ، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا شديدا : لهواهم في أخيه عبد الله ، منهم أخوه المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، ومحمد بن عمار بن ياسر ، وغيرهم (٢) ، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين .

(١) سبق أن معاوية أمر عمرو بن الزبير بمائة ألف درهم ... الخ .

(٢) وهناك من فر منه إلى مكة : كعبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل .

فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير فيمن يرسله إلى أخيه فقال : لا توجه إليه رجلاً أنكأ له منى ، فجهز معه سبعمائة فيهم أنيس بن عمرو الأسلمي .

فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال له : « لا تغز مكة ، واتق الله ولا تجل حرمة البيت ، وخلوا ابن الزبير فقد كبر ، له ستون سنة » فقال عمرو بن الزبير : والله لنغزوه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم .

وأقى أبو شريح ^(١) الخزاعي إلى عمرو فقال له : لا تغز مكة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما أذن لي في القتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس » فقال له عمرو : نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ ^(٢) .

فسار عمرو بن الزبير وسار أنيس في مقدمته .

وقيل إن يزيد كتب إلى عمرو بن سعيد أن يرسل عمرو بن

(١) اختلف في اسم أبي شريح ، والراجح خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد الغزي العلوي الكندي الخزاعي ، وقد أسلم قبل فتح مكة ، وكان معه لواء خراطة يوم الفتح .

(٢) هذا الحديث رواه الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٢٥٧ وذكره ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٦٦ وهو حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي شريح أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث الجوث إلى مكة : أئذن لي أيها الأمير أحلثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد من يوم الفتح ، سمعت أذناني ووعاه قلبي وأبصره عيني ، حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمتها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لأمريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له : إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لأبي شريح : ما قال لك عمرو ؟ قال : « أنا أعلم بملك منك يا أبا شريح . إن الحرم لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة » . انظر شرح الكرماني لصحيح البخاري ج ٢ ص ١٠٢ وج ٩ ص ٤١ وشرح التنوير لصحيح مسلم ج ٩ ص ١٢٧

الزببر إلى أخيه عبد الله ، فأرسله ومعه جيش نحو ألفى رجل ، فنزل أنيس بنى طوى ^(١) ، ونزل عمرو بالأبطح ^(٢) ، فأرسل عمرو إلى أخيه : برّمين يزيد - وكان قد حلف أنه لا يقبل بيعته إلا أن يؤتى به فى جامعة ^(٣) - تعال حتى أجعل فى عنقك جامعة من فضة لا ترى ، ولا يضرب الناس بعضهم ببعض ، فإنك فى بلد حرام .

فأرسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من أهل مكة ممن اجتمع إليه ، فهزمه بنى طوى ، وقتل أنيس . وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمرو بن الزبير ، فتنفرق عن عمرو أصحابه ، فدخل دار ابن علقمة ، فأناه أخوه عبدة فأجاره ، ثم أتى عبد الله فقال : قد أجرت عمرا . فقال : « أنجير من حقوق الناس هذا مالا يصلح ، وما أمرتك أن تجير هذا الفاسق المستحلّ لحرمات الله ! » . ثم أقاد عمرا من كل من ضربه إلا المنذر وابنه فإنهما أبيا أن يستقيدا ، ومات عمرو بن الزبير ثعت السباط .

ولنرجع إلى أخبار الحسين رضى الله عنه .

ذكر مقدم الحسين الى مكة

وماورد عليه من كتب أهل الكوفة ، وإرساله مسلم بن عقيل إليهم وما كان فى خلال ذلك

قال : لما خرج الحسين من المدينة إلى مكة لقيه عبد الله بن مطيع ، فقال له : جعلت فداك أين تريد ؟ قال : أما الآن فمكة وأما بعد

(١) ذو طوى : موضع قرب مكة يعرف الآن بالزاهر . كما فى تلج العروس .

(٢) الأبطح : ميل وادى مكة . وفى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٥٦ « فأرسل عمرو ابن الزبير حتى نزل فى داره عند الصفا » .

(٣) جامعة : غل ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

فإني أستخير الله . فقال : خار الله لك وجعلنا فداك ، فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلد مششومة ، بها قُتل أبوك وخُذِل أخوك ، واغتِيل بطعنة كادت تأتي على نفسه ، الزم فإنك سيد العرب ، لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً ويتداعى إليك الناس من كل جانب ، ولا تفارق الحرم فداك عمى وخالى ، فوالله لئن هلكمت لنُسترقن بعدك ! » .

فأقبل حتى نزل مكة ، وأهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق ، وابن الزبير يأتى إليه ويُشير عليه بالرأى ، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير ، لأن أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين بمكة .

قال : ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمرو وابن الزبير رضى الله عنهم من البيعة ، أَرْجَفُوا بيزيد ، واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد ، فذكروا مسير الحسين رضى الله عنه إلى مكة ، وكتبوا إليه عن نفر منهم : سليمان بن صرد^(١) والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظهر^(٢) : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وسلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ،

(١) سليمان بن صرد أبو مطرف الخزاعى له ترجمة في الإصابة ج ٢ ص ٧٥ وله ذكر في جمهرة أنصاب العرب ص ٢٢٦

(٢) كذا جله في ترجمته في الإصابة ج ١ ص ٣٧٣ ، ومن رجزه في معركة الحسين :

أنا حبيب وأبى مظهر فارس هيجاء وحرب ثمر
أنتم أعد علة وأكبر ونحن أوفى منكرو وأصبر
ونحن أهل حجة وأظهر حقاً وأبغى منكرو وأعلم

وقد اختلفت كتابة اسم أبيه في مواضع وروده في المخطوطتين والكتب بين « مظهر

و « مظاهر » و « مظهر » .

أما بعد فالحمد لله الذى قَصَمَ عدوك الجبار العنيد الذى انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيثها وتأمر عليها بغير رضا منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وإنه ليس علينا إمام ، فأقبل ، لعل الله يجعلنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير فى قصر الإمارة لسنا نجتمع معه فى الجمعة ولا عيد ، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وائل (١) .

ثم كتبوا إليه كتابا آخر وسيروه بعد ليلتين ، فكتب الناس معه نحواً من مائة وخمسين صحيفة ثم أرسلوا إليه رسولا ثالثا يحثونه على المسير إليهم ، ثم كتب إليه شبث بن ربعي وحجار بن أنجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن زويم وعزرة بن قيس (٢) وعمر بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عُمير التميمي بذلك .

فلما اجتمعت كتبهم عنده كتب إليهم : وأما بعد فقد فهمت كل الذى اقتصصتم ، وقد بعثت إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، وأمرته أن يكتب إلى بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلى أنه قد اجتمع رأى ملثكم وذوى الحجب منكم على مثل ما قدمت به رسلكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله تعالى ،

(١) اختلطت الكتب فى كتابة هذا الاسم .

(٢) كلما جاء فى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٦٢ وهو عزرة بن قيس بن غزبة الأحس البجلي ، وفى المخطوطة والكامل « مروة بن قيس » .

فَلَعَمْرِي مَا لِإِمَامٍ إِلَّا الْعَالَمُ^(١) بِالْكِتَابِ ، وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ وَالِدَائِنُ بَدِينِ
الْحَقِّ وَالسَّلَامِ .

وقدم على الحسين رضى الله عنه من البصرة يزيد بن أبى نُبَيْط^(٢) .
وابناه عبد الله وعبيد الله إلى مكة ، فكانوا معه حتى قُتِلَ وقتلوا معه .
ثم دعا الحسين مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ فسيره إلى الكوفة ، وأمره
بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين له عجل
إليه بذلك .

فسار مسلم إلى المدينة ، فصلى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم^٤
وسلم ، وودع أهله ، وسار حتى بلغ الكوفة ، فنزل في دار المختار
وأقبلت الشيعة تختلف إليه ، فكلما اجتمع إليه جماعة منهم قرأ
عليهم كتاب الحسين ، فيبكون ويعدونه النصر والقتال ، فبلغ
النعمان بن بشير أمير الكوفة ذلك ، فصعد المنبر فقال : « أَمَا بَعْدُ
فَلَا تَسَارِعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْفِرْقَةِ ، فَإِنْ فِيهِمَا تَهْلِكُ الرِّجَالُ وَتُسْفِكُ
الدِّمَاءُ وَتُغْصَبُ الْأَمْوَالُ » ثم قال : « إِنِّي لَا أَقَاتِلُ مَنْ لَمْ يَقَاتِلْنِي ،
وَلَا أَتَّبِعُ عَلَى مَنْ لَا يَتَّبِعُ عَلِيَّ وَلَا أَنْبِيَّ نَائِمِكُمْ^(٣) وَلَا أَتَحَرِّشُ بِكُمْ ،
وَلَا آخِذٌ بِالْقَرْفِ وَلَا الظَّنِّ وَلَا التَّهْمَةِ ، وَلَكِنْكُمْ إِنْ أَبَدَيْتُمْ صَفْحَكُمْ
وَنَكَشْتُمْ بَيِّنَتَكُمْ ، وَخَالَفْتُمْ إِمَامَكُمْ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا أَضْرِبُكُمْ
بَسِيفِي مَا دَامَ^(٤) قَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْكُمْ نَاصِرٌ وَلَا مُعِينٌ .
أَمَا إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّنْ يُرِيدُهُ الْبَاطِلُ »

(١) في تاريخ الطبرى والكامل : « العامل » .

(٢) عند الطبرى وابن الأثير : « ابن نبيط » .

(٣) كذا جاء في المخطوطة مثل الكامل ، وفي تاريخ الطبرى : « ولا أشائكم » .

(٤) عند الطبرى وابن الأثير : « ما ثويت » .

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال : « إنه لا يصلح ماترى إلا الغشم ، إن هذا الذي أنت عليه رأى المستضعفين » . فقال : لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعززين في معصية الله » . ثم نزل . وكان حليما ناسكا يحب العافية . وقيل : إنه لم يقل ذلك ، وإنما قال : يا أهل الكوفة إن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى من ابن بنت بحدك .

ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على الكوفة

وقدومه إليها وخبره مع هاني بن عروة

قال : ولما تكلم النعمان بن بشير بما تكلم به ، كتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، ومبايعة الناس له ، ويقول : « إن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف » ثم كتب إليه بعده عمارة بن الوليد بن عقبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص بنحو ذلك .

فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية ، فأقرأه الكتب ، واستشاره فيمن يوليه أمر الكوفة ، وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد ، فقال له سرجون : أرأيت لو نُسِر لك معاوية أكنت تأخذ برأيه ؟ قال : نعم . فأخرج له عهد عبيد الله على الكوفة ، فقال : هذا رأي معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب ، فأخذ يزيد برأيه ، وجمع له بين الكوفة والبصرة ، وكتب له بعهد

وسَيَّرَهُ إِلَيْهِ مع مسلم بن عمرو الباهليّ والدِ قُتَيْبَةَ ، وأمره بطلب مسلم بن عَقِيل وقتله أو نفيه .

فلَمَّا وصل كتابه إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ تجهز ليسير من الغد .

وكان الحسين قد كتب إلى أشرف البصرة ، منهم مالك بن مِشْمَع ، والأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ، ومسعود بن عمرو ، وقيس بن الهيثم ، وعمر بن عبيد الله بن مَعْمَر . يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن السنة قد ماتت ، والبدعة قد أحييت ، فكلهم كتم كتابه إلا المنذر بن الجارود ، فإنه خشي أن يكون دسيسا من بن زياد ، فأتاه بالرسول والكتاب ، فضرب عنق الرسول ، وخطب الناس ثم قال في آخر كلامه : « يا أهل البصرة ، إن أمير المؤمنين ولأبي الكوفة ، وأنا غاد إليها بالغد ، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد ، فإياكم والخلاف والإرجاف ، فوالله لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفته ووليّه ، ولأخذن الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم خلاف ولا شقاق ^(١) إني أنا ابن زياد ، أشبهته من بين من وطىء الحصى ، فلم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم ! » .

ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهليّ وشريك ابن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته ، وكان شريك شيعيا . وقيل : كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه ، وكان أول من سقط شريك ، ورجوا أن يقف عليهم فيسبقه الحسين إلى الكوفة ، فلم يقف على أحد منهم حتى دخل الكوفة وحده ، فجعل يمر بالمجالس فلا يشكّون أنه

(١) عند الطبري وابن الأثير : « خالف ولا مشاق » .

الحسين بن عليّ فيقولون : مرحبا بك يا ابن رسول الله ، وهو لا يكلمهم ، وخرج إليه الناس من دورهم ، فسأه ما رأى منهم .

وسمع به النعمان ، فأغلق عليه الباب ، وهو لا يشك أنه الحسين ، وانتهى إليه عبيد الله ومعه الخلق يصيحون ، فقال له النعمان : « أنشدك الله إلا تنحيت عني ، فوالله ما أنا مسلم إليك أمانتي ، ومالي في قتالك من حاجة ! » فدنا منه عبيد الله وقال : « افتح لافتح ! » فسمعها إنسان خلفه فرجع إلى الناس فقال : إنه ابن مرجانة ^(١) ! « ففتح له النعمان فدخل ، وأغلقوا الباب وتفرق الناس .

وأصبح فجلس على المنبر ، وقيل بل خطبهم من يومه ، فقال : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين ولأني مصركم وثغركم وفيثكم وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مرببكم وعاصيكم ، وأنا متبع فيكم أمره ، ومنفذ فيكم عهده ، فأنما لحسنكم كالوالد البر ، ولطيعكم كالأخ الشقيق ، وسيبقى وسوطي على من ترك أمرى وخالف عهدي فليبقى امرؤ على نفسه . ثم نزل .

وأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً ، وقال : « اكتبوا إلى الناس الغرباء ، ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين ، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلف والشقاق ، فمن كتبهم لي فقد برئ ، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما في عرافته لا يخالفنا فيهم مخالف ، ولا يبغي علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة ، وحلال

(١) مرجانة : أم عبيد الله بن زياد ، وسائق بعض ما يتعلق بها .

لنا ماله ودمه ، وأيما عَرِيفُ وَجَدَ في عِرَافَتِهِ أَحَدَ من بُغْيَةِ أمير المؤمنين
لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره ، وألغيت تلك العِرافية من العطاء
وسُيِّر إلى موضع بَعْمَان . ثم نزل .

قال : وسمع مسلم ابن عَقِيلُ بِمَقَالَةِ عُبيد الله فخرج من دار المختار
وأتى دار هاني بن عُرْوَةَ المرادى فدخل بابه واستدعاه ، فخرج إليه ،
فلما رآه كره مكانه ، فقال له مسلم : أتيتك لتجبرني وتضيفني .
فقال هاني . « - لقد كَلَّفْتَنِي شَطَطًا ، ولولا دخولك داري لأحببت
أن تنصرف عني ، غير أنه يأخذني من ذلك ذِمام ^(١) ، ادخل ! »
فآواه ، واختلقت الشيعة إليه في دارهاني .

قال ومرض هاني ، فأتاه عُبيد الله يعوده ، فقال له عُمارة بن
عمير ^(٢) السلوي : دعنا نقتل هذا الطاغية ، فقد أمكن الله منه ،
فقال هاني ما أحب أن يُقتَلَ في داري ، وجاء ابن زياد فجلس عنده
ثم خرج ، فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور ، وكان
قد نزل على هاني ، وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء ، وكان
شديد التشيع ، فأرسل إليه ابن زياد : إني رائح إليك العشيبة .
فقال لمسلم ابن عَقِيلُ : « إن هذا الفاجر عائدى العشيبة فإذا جلس فاقتله
ثم اقصد القصر ليس أحد يحول بينك وبينه ، فإن بُرِيتُ من وجهي
سرت إلى من بالبصرة فكفنيك أمرهم » . فلما كان من العشي أتاه عُبيد الله
فقام مسلم بن عَقِيلُ ليدخل ، فقال له شريك لا يفوتنك إذا جلس .
فقال هاني بن عُرْوَةَ : إني لأحب أن يقتل في داري . وجاء عُبيد

(١) الذمام : العهد .

(٢) في تاريخ بن جرير : « عبيد » .

الله فجلس عند شريك وأطال ، فلما رأى شريك أن مسلماً لا يخرج خشي أن يفوته ، فأخذ يقول : « ماتنظرون بسلمي أن تحيوها ! اسقونيها ^(١) » وإن كانت فيها نقسي ! » يقول ذلك مرتين أو ثلاثاً ، فقال عبید الله : « ماشأته ؟ ترؤنه يخلط ! » فقال هاني : « نعم ، مازال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه . » فانصرف .

وخرج مسلم ، فقال له شريك : مامنعك من قتله ؟ فقال : « أمران : أحدهما كراهية هاني أن يقتل في منزله ، والثاني حديث حدثه علي ^(٢) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن » . فقال هاني : لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً ! .

ومات شريك بعد ذلك بثلاث ، فصلى عليه عبید الله ، فلما علم أنه كان يحرض مسلماً على قتله قال : والله لأصلي على جنازة عراقى أبداً ! .

قال : وكان عبید الله بن زياد قد أعطى مولى ^(٣) له ثلاثة آلاف درهم وأمره أن يتلطّف في الدخول على مسلم بن عقيسل وأصحابه ،

(١) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وفي تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧١ . اسقنيها .

(٢) ورواه أبو داود واحمد وغيرهما عن أبي هريرة والزبير ومعاوية .

(٣) كذا جاء ضبطه في بعض كتب الحديث : وضبط في مادة (ف ت ك) من نسخ النهاية لابن الأثير « قيد » بتشديد الياء مفتوحة ، وجاء في مادة (ق ي د) من النهاية : « قيد الإيمان الفتك » أي أن الإيمان يمنع عن الفتك كما يمنع القيد عن التصرف ، فكأنه جعل الفتك مقيداً ومنه قولهم في صفة الفرس : هو قيد الأوابد ، وكذلك جاء في لسان العرب . ويرى بعض العلماء أن الحديث « الإيمان قيد الفتك » أحسن من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » انظر فيض القدير ج ٣ ص ١٨٦ ، والفتك : أن يقتل الرجل جهاراً أمناً فاقلاً .

(٤) اسمه « عقيل » .

[وقال] ^(١) : أعطهم هذا المال وأعلمهم أنك منهم واعلم أخبارهم .
 ففعل ، وأتى مسلم بن عوسجة الأسدي ^(٢) فقال له : « يا عبد الله ، إني
 أمرؤ من أهل الشام ، أنعم الله على بحب أهل البيت ، وهذه ثلاثة
 آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سمعت نقرأ يقولون :
 إنك تعرف أمر هذا البيت ، وإني أتيتك ليقبض المال وتدخلي
 على صاحبك أبايعه ، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه .
 فقال : « لقد سرتني لقاءك إياي لتنال الذي تحب ، وينصر الله بك
 أهل [بيت نبيه] ^(٣) » وقد ساءني معرفة الناس هذا الأمر من قبل أن
 يتم ، مخافة هذا الطاغية وسطوته » فأخذ بيعته والمواثيق المعظمة
 ليناصحهم وليكتنهم .

واختلف إليه أيما ، حتى أدخله على مسلم بن عقيل ، فأخذ بيعته
 وقبض ماله ، وذلك بعد موت شريك ، وجعل يختلف إليهم ويعلم
 أسرارهم وينقلها إلى ابن زياد .

وكان هاني قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض ، فدعا عبيد
 الله محمد بن الأشعث وابن أسماء ^(٤) بن خارجة ، وعمر بن الحجاج
 الزبيدي ، فسألهم عن هاني وانقطاعه ، فقالوا إنه مريض . قال :

(١) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) زاد الطبري وابن الأثير « بالمسجد » .

(٣) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

(٤) ابن أسماء هو حسان بن أسماء بن خارجة ، كما يأتي قريباً ، وفي تاريخ الطبري والكمال :

« وأسماء » .

بلغني أنه يجلس على باب داره وقد برئ ، فأتوه فمروه لا يدع ما عليه في ذلك [من الحق] ^(١) .

فأتوه فقالوا له : « الأمير قد سأل عنك ، وقال : لو أعلم أنه شاك لمعدته ، وقد بلغه أنك تجلس على باب دارك ، وقد استبطأك ، والجفا لا يحتمله السلطان ، أقسمنا عليك لئلا تركبت معنا » . ففعل فلما دنا من القصر أحسست نفسه بالشر ، فقال لحسان بن أسماء ابن خازجة : يا ابن أخي إني لهذا الرجل لخائف ، فما ترى ؟ فقال ما أتخوف عليك شيئاً ، فلا تجعل على نفسك سبيلاً ، ولا يعلم أسماء ^(٢) مما كان شيئاً .

قال : فدخسل القوم على ابن زياد ، فلما رأى هانيء بن عروة قال لشريح القاضي : أتتكم بحائن رجلاه ^(٣) . فلما دنا منه قال عبید الله ^(٤) :

أريدُ حياته ^(٥) ويُريد قَتْلِي عذيرك من خليلك من مراد

(١) الزبدة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٢) كذ جاء هنا مثل الكامل وتاريخ الطبري ، وانظر ما سبق قريباً .

(٣) « أتتكم بحائن رجلاه » مثل عربي قديم ، قيل : قاتله عبيد بن الأبرص الأسدي لإمر بالثمان بن المنذر في يوم يؤسه فقل له الثمان : ما جاء بك يا عبيد ؟ قال : أتتكم بحائن رجلاه . وقيل : قاتله الحارث ابن جبلة ، إذ هجاء الحارث بن عيف العبدي ثم وقع في أسرهِ . انظر الفاخر ص ٢٥٠ - ٢٥١ وجميع الأمثال ج ١ ص ٢٣ وقال صاحب لسان العرب : حان الرجل : هلك ، وفي المثل « أتتكم بحائن رجلاه » والأول أن يفسر « الحائن بالملئ قدر حينه ، أي هلاكه ، كما ذكر الميداني في شرح المثل « لا يملك الحائن حينه » ج ٢ ص ١٧٧

(٤) قال عبيد الله بن زياد هذا البيت مثلاً به علي بن أبي طالب من قبل ، والبيت من قصيدة لعمرو بن معد يكرب وقد سبق بيان ذلك .

(٥) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٢ « حياته » ، وفي الكامل ج ٣ ص ٢٧٠ « حياته » وانظر ما سبق .

فقال له هاتني وماذاك ؟ فذكر له خبر مُسلم بن عَقِيل ، وأنه في داره ، فأنكر ذلك ، وطال بينهما النزاع ، فاستدعى عبيد الله مولاه الذي كان يأتيهم ، فجاء فوقف بين يديه ، فقال : أتعرف هذا فقال نعم . وعلم هاتني أنه كان عينا عليهم ، فسقط في يده ساعة ، ثم راجعته نفسه فقال : « اسمع مني وصدقني ، فوالله لا أكذبك ، والله مادعوته ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته [جالسا] ^(١) على بابي يسألني النزول عليّ ، فاستحييت من رده ودخلني من ذلك ذمام ، فأدخلته داري وضيفته ، وقد كان من أمره الذي بلغك ، فإن شئت أعطيتك الآن مَوْثِقًا تطمئن إليه ، ورهينة تكون في يدك حتى أنطلق وأخرجه من داري وأعود إليك » فقال : لا والله لا انفارقني أبدا حتى تأتيني به . قال : لا أتيك بضيفي لتقتله أبدا ، فقال ابن زياد : والله لتأتيني به أولا أضربن عنقك . قال إذا والله تكثر البارقة ^(٢) حول دارك . فقال : أيا البارقة تخوفني ؟ !

وقيل إن هاتنا لما رأي ذلك اللعين قال : أيها الأمير إنه قد كان الذي بلغك ، ولم أضيع يدك عندي ، فأنت آمن وأهلك فسر حيث شئت ، فأطرق عبيد الله عند ذلك ومِهْرَانُ ^(٣) قائم على رأسه ، فقال واذلاه ! هذا الحائك يؤمنك في سلطانك ! فقال : خذه ، فأخذ مهران ضفيرق هاتني ، وأخذ عبيد الله القضيبي ولم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخديه حتى كسر أنفه ، وسيل الدماء على ثيابه ، ونشر لحم

(١) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .

(٢) البارقة : السيوف .

(٣) مهران الترجمان كان له تأثير في عبيد الله بن زياد .

خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيبي ، وضرب هاتئ يده إلى قائم سيف شُرطى وجبذه فمنع منه ، فقال عُبيد الله : ^(١) أَحْرُورى ! أحملت بنفسك وحل لنا قتلك ، ثم أمر به فألقى فى بيت وأغلق ، فقام إليه أسماء بن خارجة وقال : « يا غادر أرسله » أمرتنا أن نجيشك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه ، وسيلت دمه ، وزعمت أنك تقتله . فأمر به عُبيد الله فلُهِز وتُتَعَّع ^(٢) ثم ترك فجلس ^(٣) . وأما ابن الأشعث فقال : رضينا بما رأى الأمير ، لنا كان أو علينا . وبلغ عمرو بن الحجاج أن هائثا قد قتل ، فأقبل [فى] ^(٤) مَذْحِج حتى أحاطوا بالقصر ، ونادى : « أنا عمرو بن الحجاج ، هذه فرسان مَذْحِج ووجوهها ، لم نخلع طاعة ، ولم نفارق جماعة . فقال ابن زياد لشرّيح القاضى : « ادخل على صاحبهم ، فانظر إليه . ثم اخرج إليهم فأعلمهم أنه حى [لم يُقتل وأَنَّك قد رأيته] ^(٥) ، فدخل عليه ، وخرج إليهم فقال . قد نظرت إلى صاحبكم وأنه حى لم يقتله ، فقالوا : إذ لم يقتله فالحمد لله ، ثم انصرفوا .

(١) نص لفظ عبيد الله « أحرورى » بالهاء بدلا من الهاء ، كما ذكره الجاحظ فى البيان والتبيين ج ١ ص ٧٢ وذكر فى مواضع من هذا الكتاب وابن قتيبة فى المعارف أن عبيد الله كان خطيباً على لكثة كانت فيه ، لأنه نشأ فى الأساورة - وهم قوم من المعجم نزلوا البصرة قديماً - مع أمه مرجانة ، وكان زياد قد زوجها من شيويه الأسوارى ودفع إليها عبيد الله .

(٢) الُهِز : الدفع والضرب . والتُتَعَّع : التحريك بعنف .

(٣) كذا جاء فى لأصل موافق لما فى الكامل ، وجاء فى تاريخ الطبرى : « فجلس » . وهـ ١ يذكر أن عبيد الله بن زياد تزوج هند بنت أسماء بن خارجة كما فى الأغاني ج ١٨ ص ١٢٨ .

(٤) ثبتت هذه الكلمة فى النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٥) الزيادة من تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٧٤ .

ذكر ظهور مسلم بن عقيل

واجتماع الناس عليه ، ومحاصرته عبيد الله بن زياد بالقصر وكيف خذله من اجتماع إليه وتفرقوا عنه وخبر مقتله ومقتل هاني بن عروة

قال (١) : ولما أتى الخبر مسلم بن عقيل خرج من دار هاني ، ونادى في أصحابه : « يا منصور أمت » (٢) وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا ، وحوله في الدور أربعة آلاف ، فاجتمع إليه ناس كثير ، ففقد لعبد الله بن عزير الكندي على ربع كندة ، وقال : سر أمامي . وعقد لمسلم بن عونسجة على ربع مذحج وأسد ، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان ، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة ، وأقبل نحو القصر .

فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز بالقصر وأغلق الباب ، وأحاطه مسلم بالقصر ، وامتلا المسجد والسوق بالناس ، ومازالوا يجتمعون حتى المساء ، وضاق بعبد الله أمره ، وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلا من الشرط ، وعشرون من الأشراف وأهل بيته ومواليه ، وأقبل أشراف الناس يأتون [ابن زياد] (٣) من قبل الباب الذي يلي دار الروميين ، والناس يسبون ابن زياد وأباه .

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي ، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم . وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضر موت فيرفع راية

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٧١ .

(٢) كان هذا شعارهم .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٦ .

الأمان لمن جاءه من الناس ، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شُور الذُّهلي ،
 وشَبَّث بن رَبِيعي التميمي ، وَحَجَّار بن أَبَحْر العجلي ، وشمر بن
 ذى جَوْشَمَن الضَّبائي^(١) وترك وجوه الناس عنده استثناساً بهم ،
 لقلّة من معه .

وخرج أولئك النفر على الناس من القصر ، فمِنُوا أهل الطاعة ،
 وخوفُوا أهل المعصية ، فلما سمع الناس مقالة أشرافهم تفرقوا ،
 حتّى إن المرأة لتأتى ابنها وأخاها ، فتقول : « انصرف ، الناس يَكْفونك » ،
 ويفعل الرجل مثل ذلك .

فما زالوا يتفرقون حتّى بقى مُسلم بن عَقِيل في المسجد في ثلاثين
 رجلاً^(٢) ، فلما رأى ذلك خرج نحو أبواب كِنْدَةَ ، فلما وصل
 إلى الباب لم يَبْقَ معه أحد ، فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين
 يذهب .

فانتهى إلى باب امرأة من كِنْدَةَ يقال لها طَوْعَة (أم ولد كانت
 للأشعث ، فأعتقها ، فتزوجها أسيد الحضرمي ، فولدت له بلالا
 وكان بلال قد خرج مع الناس ، وهي تنتظره) فسَلَّم عليها ، وطلب
 منها ماء فسقته ، فجلس ، فقالت : يا عبيد الله أَلَمْ تشرب ؟ !
 قال : بلى ؛ فقالت ، فاذهب إلى أهلِكَ ؛ فسكت ، فكررت ذلك
 عليه ثلاثاً فلم يبرح ؛ فقالت : سيحان الله ! إني لأُحِلُّ لك الجلوس
 على بابي . فقال : ليس لي في هذا المصّر منزل ولا عشيرة ، فهل لك
 في أجزر معروف ، ولعلّي أكافئك به بعد اليوم . قالت وما ذاك ؟ قال :

(١) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وجهه في تاريخ الطبري : « العامري »

(٢) هم الذين صلوا معه للحرب .

أنا مُسلم بن عَقِيل ، كَذَبَنِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَعَرَّوْنِي . قَالَتْ : ادْخُلْ ؛ فَادْخَلْتَهُ بَيْتًا فِي دَارِهَا [غَيْرَ الْبَيْتِ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ] ^(١) وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الْعَشَاءَ فَلَمْ يَتَعَشَّ ، وَجَاءَ ابْنُهَا فَرَأَاهَا تَكْثُرُ الدِّخُولُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، فَسَأَلَهَا ، فَلَمْ تَخْبِرْهُ ، فَتَلَحَّ عَلَيْهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ ، وَاسْتَكْتَمَتْهُ وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ .

قال ^(٢) : وَأَمَّا ابْنُ زِيَادٍ ، فَلَمَّا سَكَنْتُ ^(٣) الْأَصْوَاطَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ مِنْهُمْ أَحَدًا ؟ فَنَظَرُوا فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا ، فَنَزَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْعَتَمَةِ ^(٤) ، وَأَجْلَسَ أَصْحَابَهُ حَوْلَ الْمَنْبَرِ ، وَأَمَرَ فَنَوْدَى : « بَرِئْتُ الذِّمَّةَ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الشُّرَطِ وَالْعُرَفَاءِ وَالْمَنَاقِبِ وَالْمُقَاتِلَةِ صَلَّى الْعَتَمَةُ ^(٥) إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ ، فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، ثُمَّ قَامَ فَحَمِدَ ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ابْنَ عَقِيلِ السُّفِيهِ الْجَاهِلِ قَدْ أَتَى مَا رَأَيْتُمْ مِنَ الْخِلَافِ وَالشُّقَاقِ ، فَبَرِئْتُ الذِّمَّةَ مِنْ رَجُلٍ وَجَدْنَاهُ فِي دَارِهِ ، وَمِنْ أَتَانَا بِهِ فَلَهُ دَيْتُهُ ، وَأَمَرَهُمْ بِالطَّاعَةِ وَلِزُومِهَا ، وَأَمَرَ الْحَصِينَ ابْنَ تَمِيمٍ أَنْ يُحْسِكَ أَبْوَابَ السِّكِّكِ ، ثُمَّ يَفْتَشِ الدُّورَ .

وَأَصْبَحَ ابْنُ زِيَادٍ فَجَلَسَ ، فَأَتَى بِلَالٌ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ ابْنِ عَقِيلٍ ، فَأَتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَبَاهُ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ فَسَارَهُ بِذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ مُحَمَّدَ ابْنَ الْأَشْعَثِ ابْنَ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ : قُمْ فَأَتِنِي بِهِ السَّاعَةَ ؛ وَبِعْثْ مَعَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

(١) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٨ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٧٢ .

(٣) كلا جله بالنون في النسخة (ك) ، وجاء « سكت » ولعلين في النسخة (ن) .

(٤) حصة الليل : ظمته .

(٥) كانت الأعراب يسمون صلاة العشاء « صلاة العتمة » تسمية بالوقت .

السُّلَمَى فِي سَبْعِينَ مِنْ قَيْسٍ ، فَاتُوا الدَّارَ ، فَخَرَجَ ابْنُ عَقِيلٍ إِلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الدَّارِ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجَهُمْ مَرَارًا ، وَضَرَبَهُ بِكَرْبَنِ حُمْرَانَ الْأَحْمَرِيِّ فَقَطَعَ شَفَتَهُ الْعُلْيَا وَسَقَطَ مَسْنَاهُ ، وَضَرَبَهُ مُسْلِمٌ عَلَى رَأْسِهِ وَثْنَى بِأُخْرَى عَلَى حَبْلِ الْعَاتِقِ فَكَادَتْ تَطْلُعُ عَلَى جَوْفَةٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَشْرَفُوا عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ ، وَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَيَلْهَبُونَ النَّارَ فِي الْقَصَبِ وَيَلْقُونَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ فَقَاتَلَهُمْ فِي السَّكَةِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ :
لَكَ الْأَمَانُ فَلَا تَقْتُلْ نَفْسَكَ ، فَأَقْبَلَ يَقَاتِلُهُمْ وَيَقُولُ :

أَقْسَمْتُ لَا أَقْتُلُ إِلَّا حُرًّا وَإِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَكَّرًا

ويخطئ. الباردُ سخناً مرا رد شعاع النفس مُسْتَقْرًّا^(١)

كُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا مُلَاقٍ شَرًّا أَخَافُ أَنْ أَكْذِبَ أَوْ أَغْرَا

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ : إِنَّكَ لَا تَكْذِبُ وَلَا تُخَدِّعُ ، الْقَوْمُ بَنُو عَمِكَ وَلَيْسُوا بِقَاتِلِيكَ وَلَا ضَارِبِيكَ ، وَكَانَ قَدْ أَتَى بِالنَّجْدِ بِالْحِجَارَةِ ، وَعَجَزَ عَنِ الْقِتَالِ ، وَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ. تِلْكَ الدَّارُ ، فَأَمَّنَهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَالنَّاسُ غَيْرُ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ السُّلَمِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ : لَأَنَاقِي فِيهَا وَلَا جَمْلِي^(٢) .

وَأَتَى بِبَغْلَةٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا ، وَانْتَزَعُوا سَيْفَهُ ، فَكَانَ أَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ . قَالَ مُحَمَّدٌ : أَرْجُوا أَنْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ بَأْسٌ . قَالَ : نَوْمًا هُوَ إِلَّا الرَّجَاءُ ! أَيْنَ أَمَانُكُمْ ! ثُمَّ بَكَى ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٍو بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ :

(١) كَذَا جَاءَ فِي الْأَصْلِ ، وَجَاءَ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ : « رَدَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فَلَمَسَتْهَا »

(٢) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) ، وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « لَا نَاقَةَ لَهُ فِي هَذَا وَلَا جَمْلٌ » .

مَنْ يطلب الذى تطلب إذا نزل به مثل الذى نزل بك لم يبك ، فقال :
ما أبكى لنفسى ، ولكن أبكى لأهلى المنقلين إليك : أبكى للحسين
وآل الحسين . ثم قال لمحمد بن الأشعث : « إني أراك تعجز ^(١) »

عن أمانى ، فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلا يخبر الحسين
بحالى ، ويقول له غنى : ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة ،
فإنهم أصحاب أبيك الذئبى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ؟
فقال ابن الأشعث : والله لأفعلن . وفعل ^(٢) وآبى الحسين الرجوع .

قال : وجاء محمد بمسلم إلى القصر فأجلسه على بابهِ ^(٣) ودخل
هو إلى ابن زياد فأخبره بأمانه ، فقال له : ما أنت والأمان ! ما أرسلناك
لتؤمنه ، إنما أرسلناك لتأثينا به .

قال : ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرة فيها ماء بارد
فقال اسقوني من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عمرو الباهلى :
أتراها ما أبركها ! والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم فى
نار جهنم ! فقال له ابن عقيل : من أنت ؟ قال : « أنا من عرف
الحق إذ أنكرته ، ونصح الأمة وإمامه إذ غششته ، وسمع وأطاع
إذ عصيته ، أنا مسلم بن عمرو . فقال له ابن عقيل : لأملك الشكّل ،

(١) عند الطبرى وابن الأثير : « متعجز » .

(٢) دعا محمد بن الأشعث إياس بن النثل الطائى ، من بني مالك بن عمرو بن ثمة ، وكان
شاعرا ، وكان لمحمد زوارا ، فقال له محمد : انى حسينا فأبلغه هذا الكتاب ، وكتب فى الكتاب ما
أمره به مسلم بن عقيل ، وأعطى لرسوله إياس زاده وجهازه وراحله ومئة أميله ، فخرج
الرسول ومضى أربع ليال حتى استقبل الحسين بموضع يسمى « زباله » ، فأخبره الخبر وأبلغه الرسالة
فقال له الحسين : كل ما هم بإزال وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا .. وانظر ما سيقى
(٣) وكان على باب القصر أناس ينتظرون الإذن ، منهم مسلم بن عمرو وعمرارة بن عتبة
ابن أبى ميط وعمرو بن حريش وكثير بن شهاب .

ما أجفأك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظك ! أنت يا ابن باهلة أوتى^١
 بالحميم والخلود في نار جهنم مني ! قال : فدعا عُمارة بن عُقبة
 بماء بارد فصبه له في قدح ، فأخذ يشرب فامتلاً القدح دماً : فعل
 ذلك ثلاثاً ، ثم قال : لو كان من الرزق المقسوم لشربته .

وأدخل على ابن زياد ، فلم يسلم عليه بالإمرة ، فقال له الحرابي :
 ألا تسلم على الأمير . فقال : إن كان يريد قتلى فما سلامي عليه !
 وإن كان لا يريد فليكثر تسليمي عليه . فقال ابن زياد : لعمري
 لتقتلن . قال : فدعني أوصي إلى بعض قومي . قال : افعل . فقال
 لعمر بن سعد بن أبي وقاص : « إن بيني وبينك قرابة ، ولي إليك
 حاجة وهي سر » . فلم يمكنه من ذكرها ، فقال له ابن زياد : لا تمتنع
 من حاجة ابن عمك . فقام معه ، فقال : « إن علي بالكوفة دينا استدنته^(١)
 أنفقت : سبعمائة درهم ، فأقضها عني » ، وانظر جثتي فاستوهبها
 فوارها ، وابعث إلى الحسين فاردده » . فقال عمر لابن زياد : أتدرى
 ما سألتني ؟ فقال : أكثرتم على ابن عمك ، فقال : الأمر أكبر من هذا .
 قال : اكتم على ابن عمك : قال الأمر أكبر من هذا ، وأخبره بما قال .
 فقال ابن زياد لا يخونك الأمين ، ولكن قد يؤتمن الخائن . أما مالك
 فهو لك تصنع به ما شئت ، وأما حسين فإن لم يرذنا لم نردّه :
 وإن أردنا لم نكف عنه ، وأما جثته فلنا لا نشفعك فيها » وقيل :
 إنه قال : وأما جثته فإذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها .

ثم قال : يا ابن عقيل ، أتميت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة

(١) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨٢ : « استك من قلع الكوفة » .

لنشتيت بينهم ، وتفريق كلمتهم . قال : « كلا ولكن أهل هذا المصر
 زعموا أن أباك قتل خيارهم ، وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال
 كسرى وقنصر فأنيناهم لناؤم بالعدل ، وندعوا إلى حكم الكتاب . فقال
 وما أنت وذاك ؟ ثم كانت بينهما مقالة قال له ابن زياد في آخرتها :
 قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام ، فقال : « أما
 إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه ، أما إنك لا تدع سوء
 القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحد من الناس أحق
 هانك ! » فشتمه ابن زياد وشم حسيناً وعلياً وعقيلاً ولم يكلمه مسلم .
 ثم أمر به ، فأُصعد فوق القصر وهو يستغفر الله تعالى ويُسبح ،
 وأشرف به على موضع الحدادين ^(١) فضربت عنقه ، وكان الذي
 قتله بكبير بن حمران ، ثم أتبع رأسه جسده .

قال وقام محمد بن الأشعث فكلّم ابن زياد في هاني بن عروة ،
 وقال قد عرفت منزله من المصر وبيته ، وقد علم قومه أني أنا وصاحبي .
 سقناه إليك ، فأنشدك الله لما وهبته ، فإني أكره عداوة قومه !
 فوعد أن يفعل ، ثم بدا له فأمر به حين قُتل مسلم فأخرج إلى
 السوق فضربت عنقه .

وبعث عبيد الله بن زياد برأسيهما إلى يزيد ، فكتب إليه يزيد
 يشكره ، ويقول له : « قد بلغني أن الحسين بن عليّ توجه نحو
 العراق ، فضع المراسد والمسالح واحترس ، واحبس على التهمة ،
 وخذ بالظنة ، غير ألا تقتل إلا من قاتلك » .

(١) جاء في تاريخ الطبري : « أشرف به على موضع الجزارين اليوم » .

قال : وكان مخرج [مسلم بن ^(١)] عَقِيل بالكوفة ^(٢) لثَمَانِ لِيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَتِينَ . وَقِيلَ : لَتِسْعَ ^(٣) مَضَيْنَ مِنْهُ .

وكان فيمن خرج معه الْمُخْتَارُ ^(٤) بن أَبِي عُبَيْدٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ^(٥) بن الْحَارِثِ بن نَوْفَلٍ ، وَطَلِبُهُمَا ابْنُ زِيَادٍ وَحَبْسُهُمَا .

وكان فيمن قاتل مسلماً محمد بن الأشعث ، وَشَبِثُ بن رِيعَى - وهو أحد من كتب إلى الحسين - والقَعْقَعُ بن شُورٍ ، وجعل شَبِثُ يقول : انتظروا بهم إلى ^(٦) الليل يتفرقوا . فقال له القَعْقَعُ : إِنْكَ قد سَدَدْتَ عَلَيْهِمْ وَجْهَ مَهْرَبِهِمْ ، فَافْرَجْ لَهُمْ يَتَفَرَّقُوا .

وحج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد الأَشْدَقُ ، وهو عامل مكة والمدينة . وفيها مات أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ ^(٧) ، واسمه مالك ابن رَبِيعَةَ ، وهو آخر من مات من الْبَذْرِيِّينَ ^(٨) ، وقيل : مات سنة خمس وستين . ومات حَكِيمُ بن حِزَامٍ ^(٩) وله مائة وعشرون سنة ، ستون

جزوب معين التاريخ لأهل التاريخ

(١) الزيادة من تاريخ الطبري .

(٢) يوم الثلاثاء .

(٣) يوم الأربعاء .

(٤) خرج المختار برأية خضراء .

(٥) خرج عبد الله برأية حمراء وعليه ثياب حمراء .

(٦) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « انتظروا بهم الليل » .

(٧) انتهى نسبه إلى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكان مشهوراً بكنيته .

(٨) شهد بدرًا وأحداً وما بعدها ، وكانت معه رأية بيضاء ساعدة يوم الفتح .

(٩) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي هو بن أخى خديجة بنت

خويلد ووجه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان حكيم من سادات قريش ، وكان صديق النبي قبل البعث ، وكان يورده بعد البعثة ، ولكنه تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح ، وقد نجاه الإسلام وفي يد حكيم الرقادة .

في الجاهلية ومستون في الإسلام . ومات جماعة ممن لهم صحبة في هذه السنة .

سنة احدى وستين

ذكر مسير^(١) الحسين بن علي رضي الله عنهما

وخبر من نهاء عن المسير

كان مقتله بالطّف على شاطئ الفُرات من أرض كَرْبلاء ، وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم من هذه السنة .

ولنبداً بخبر مسيره من مكة شرفها الله تعالى ، وسبب مسيره ومن أشار عليه بالمقام بمكة وترك المسير إلى الكوفة ، ثم نذكر ما كان من خبره في مسيره إلى أن قُتل رضي الله عنه ، فنقول :

كان مسيره من مكة لقصد الكوفة يوم التروية ، وكان سبب مسيره إلى الكوفة ماورد عليه من كتب أهلها كما تقدم ، ثم أكد ذلك عنده وحمله عليه وقوي عزمه وروى كتاب مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه يخبره أنه بايعه بالكوفة ثمانية عشر ألفاً ، ويستعجبه على المسير إليها ، وكان هذا من مسلم في ابتداء أمره^(٣) .

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٦ من توفي في هذه السنة صفوان بن المظلم الصحابي ، وأبو مسلم الخولاني عبد بن ثوب ببلاد اليمن وهو الذي دعاه الأسود العنسي إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال : لا أسمع أشهد أن محمداً رسول الله ، ويقال : إنه توفي فيها التمان ابن بشير والأظهر أنه مات بعد ذلك ... وذكر ابن الهيثم في شلوات اللهب ج ١ ص ٦٥ من توفي في هذه السنة عمرة بن جنبب الفزاري وعبد الله بن مفضل المزني وبلاد بن الحارث المزني .

(٢) كنا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « مقدم » .

(٣) كان مسلم بن عقيل حيث ذهب في أول أمره بالكوفة إلى دار هاني بن عروة وبابه ثمانية عشر ألفاً أرسل إلى الحسين مع هابس بن أبي شبيب الشاكري كتاباً كتب فيه : « أما بعد إن الرائد لا يكلب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فسجل الإتيال حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم معك ، ليس لم في آل مطرية رأي ولا هوى ، والسلام » ، وانظر ما ساق .

قال (١) : ولما عزم الحسين رضي الله عنه على المسير إلى الكوفة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : «إني أتيك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك ، فإن كنت ترى أنك تستنصحنى قلتها وأدبت ما على من الحق فيها ، وإن ظننت أنك لاتستنصحنى كففت عما أريد ! » فقال له : قل فوالله ما أستغشك ولا أظنك بشيء من (٢) الهوى . قال : « قد بلغنى أنك تريد العراق ، وإني مشفق عليك أنك تأتي بلدا فيه عماله وأمرأؤه ومعهم بيوت الأموال ، والناس عبيد الدينار والدرهم ، فلا آمنُ عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه ! » فقال له الحسين رضي الله عنه : جزاك الله خيرا يا ابن عم ، فقد علمت أنك مشيت بنصح ، وتكلمت بعقل ، ومهما يقض من أمر يكن ، أخذتُ برأيك أو تركته ، فانت عندي أحمدُ مُشير ، وأنصحُ ناصح .

وأناه عبد الله بن عباس فقال له : قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبيِّن لي ما أنت صانع فقال له : قد أجمعتُ السير في أحد يومَي هذين إن شاء الله تعالى . فقال له ابن عباس : «فإني أعيذك بالله من ذلك ؛ خبرني رحمك الله ، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم ، وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم ؟ فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم ، قاهر لهم ، وعماله تجبي بلادهم ، فإنما دعوك إلى الحرب ، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك ، فيكونوا

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٧٥ .

(٢) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨٧ : « ما أظنك بشيء الرأى ولا هوى القبيح من العمل » .

أشدّ الناس عليك ! فقال الحسين : فإني أستخير الله وأنظر ما يكون .
فخرج ابن عباس .

وأتاه عبد الله بن الزبير فحدثه ساعة ، ثم قال : « ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم ، وكفنا عنهم ، ونحن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ، خبرني ما تريد أن تصنع ؟ ! » فقال الحسين : « لقد حدثت نفسي بآتياني الكوفة ، ولقد كتب إلي شيعتي بها ، وأشرف الناس وأستخير الله » . فقال ابن الزبير : أما إنه لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها . ثم خشي أن يتهمه ، فقال أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خالفنا عليك ومساعدناك وبإيعناك ونصحناك . فقال له الحسين رضى الله عنه : « إن أبى حدثني أن لها كبشاً به تستحل حرمتها ، فما أحب أن أكون ^(١) ذلك الكبش ! » قال : فأقم إن شئت وتولينى أنا الأمر فتطاع ولا تُعصى ، قال : ولا أريد هذا الأمر أيضاً . ثم إنهما أخفيا كلامهما ، فالتفت الحسين إلى من هناك وقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا قال : فإنه يقول قبح في هذا المسجد أجمع لك الناس ، ثم قال الحسين : « والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إلي من أن أقتل فيها ، ولأن أقتل خارجاً منها بشيرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منها بشير ، ويم الله ، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم ، والله ليغتدن ^(٢) [على] كما اعتدت اليهود في السبت ! » فقام ابن الزبير وخرج من عنده .

(١) جله من الطير وابن الأثير : « أكون أنا » .

(٢) الزيادة من الطير وابن الأثير .

فلما كان مِنَ الْعَثِيِّ أَوْ مِنَ الْعَدِ أَنَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : « يَا ابْنَ عَمٍّ ، إِنِّي أَتَصَبَّرُ وَلَا أَصْبِرُ ، إِنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْهَلَاكَ وَالِاسْتِثْصَالَ ، إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَوْمٌ غُدُرٌ ^(١) فَلَا تَنْفِرْ إِلَيْهِمْ ^(٢) ، أَقِمْ بِهَذَا الْبَلَدِ فَإِنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْحِجَازِ ، فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَرِيدُونَكَ كَمَا زَعَمُوا فَارْتَبِ إِلَيْهِمْ لِيَنْفُوا عَامِلَهُمْ وَعَدُوَّهُمْ ، ثُمَّ قَدَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ فَسِرْ إِلَى الْيَمَنِ فَإِنَّ بِهَا حَصُونًا وَشِعَابًا ، وَهِيَ أَرْضٌ عَرِيضَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَلَا بَيْتَكَ بِهَا شِيعَةٌ ، وَأَنْتَ عَلَى النَّاسِ فِي ^(٣) عَزَلَةٍ فَتَكْتُبُ إِلَى النَّاسِ وَتُرْسِلُ وَتَبْتَ دُعَاتِكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَأْتِيَكَ عِنْدَ ذَلِكَ الَّذِي تَحِبُّ فِي عَافِيَةٍ ! » فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ : « يَا ابْنَ عَمٍّ ، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ أَنَّكَ نَاصِحٌ مُشْفِقٌ ، وَقَدْ أَزْمَعْتُ وَأَجْمَعْتُ الْمَسِيرَ ! » فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « فَإِنْ كُنْتَ سَائِرًا فَلَا تَسِرْ بِنِسَانِكَ وَصَبِيَانِكَ ، فَإِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ تَقْتُلَ كَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ وَنِسَاؤُهُ وَوَلَدُهُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ! » ثُمَّ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : « لَقَدْ أَقْرَرْتُ عَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْحِجَازِ ، وَهُوَ الْيَوْمَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي إِذَا أَخَذْتُ بِشَعْرِكَ وَنَاصِيَتِكَ حَتَّى يَجْتَمَعَ عَلَيْنَا النَّاسُ أَطْعَمْتَنِي فَأَقَمْتُ لَفَعَلْتُ ذَلِكَ ! » . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ .

فَمَرَّ بِابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : قَرَّرْتُ عَيْنَكَ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ قَالَ ^(٤) :

(١) كَذَا يَجِيءُ عَلَى الْوَصْفِ ، وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ « غَدَرٌ » يَفْتَحُ الْتَيْنِ وَكَوْنُ الدَّالِ مُصَدِّرًا مضافًا إِلَيْهِ .

(٢) أَيْ : فَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهِمْ ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ وَالْكَامِلِ : « فَلَا تَقْرَبْنِهِمْ » .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي الْأَصْلِ مِثْلَ الْكَامِلِ ، وَجَاءَ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ج ٨ ص ١٦٠ « وَكَانَ مِنَ النَّاسِ فِي مَزَلٍ » وَجَاءَ فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ ج ٢ ص ٨٦ « فَإِنَّهَا فِي عَزَلَةٍ » .

(٤) أَيْ : قَالَ هَذَا الرَّجُلُ الْقَدِيمُ مِمَثْلًا بِهِ ، كَمَا تَقُولُ بِهِ قَيْسُ بْنُ مَعَدٍ فِي قَوْلِهِ لِمَعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ : « فَنُؤْنِكَ أَمْرُكَ يَا مَعَاوِيَةَ ، فَإِنْ مَثَلَكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمِصْرٍ ... » أَنْظِرِ الْمُقَدَّ الْقَرِيدَ ج ٤ ص ٣٤ .

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ يَمَعَمَرُ^(١) خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُضِي وَأَصْفَرِي^(٢)
وَنَقَرِي مَا شئتُ أَنْ تَنْقَرِي^(٣)

هذا حسين يخرج إلى العراق وَيُخْلِيكَ والحجاز .

قال وخرج حسين من مكة يوم التَّروِيَةِ^(٤) ، فاعترضه رُسل عمرو بن سعيد مع أخيه يحيى يمنعونهُ ، فَأَبَى عليهم ومضى ، وسار فمر بالتنعيم^(٥) فرأى عِيراً قد أَقْبَلَتْ من اليَمَن ، بعث بها بِحَيْر

(١) القبرة : طائر صغير . والمعر : المكان الراسع من جهة الماء والكلأ ينزل فيه النازلون فيمرونهُ .

(٢) « خلاك الجو فيضي واصفري » مثل يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها ، كما ذكره المياني في جميع الأمثال ج ١ ص ٢٤٩ ، وذكر بن عبد ربه في العقد الفريد ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧ أن هذا المثل يقال في « الرجل يخلو بمجابهة » .

(٣) نقر الطائر في الموضع : سهل ليبيض فيه ، وقيل : التفتير مثل الصغير .. وقد زاد ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦٠ ، ص ١٦٥ في التمثل بهذا الرجز مشطوراً رباعياً : « صياك اليوم قتيل فابشري » والمعروف في رواية الرجز القديم : « قد رحل الصياد منك فابشري » .. والمشهور أن قاتل هذا الرجز هو طرفة بن العبد الشاعر ، كما في الحيوان ج ٣ ص ٦٦ ، ج ٥ ص ٢٢٧ والفاخر ص ١٨٩ - ١٩٠ والصحاح (ع م ر ، ق ب ر) ومجمع الأمثال وحياة الحيوان ، وذلك أن طرفة كان وهو صبي صغير مسافراً مع عمه فتزلا على ماء عليه قبرات ، فتصب طرفة فذلماً ، فنفرت ، وقعد عامة يومه فلم يصد شيئاً ، فانتزع فنه من التراب وحمله وارتمل مع عمه وانضت ورامه فرأى القبرات يلقطن ما نثر لمن من الحب ، فقال هذا الرجز ... وذكر ابن برى في حواشيه على الصحاح أن هذا الرجز لكليب بن ربيعة التغلبي ، وليس لطرفة كما ذكر الجوهري ، وذلك أن كليلاً خرج يوماً في حماه ، فإذا هو بقبرة على يعضها ، فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحها ، فقال لها : أمن روعك أنت ويعضك في فمى ، ثم دخلت ناقة البسوس إلى الحمى فكسرت البيض ، فرمعاها لكليب في ضرعها ، فهاجت حرب بكرو وتغلب ابني وأثل بسببها أربعين سنة ، انظر لسان العرب في (ب ر) وفي (ع م ر ، ن ق ر) (٤) يوم التروية هو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ، سمى به لأن الحجاج كانوا يرتدون فيه من الماء وينفضون إلى منى .

(٥) للتنعيم : موضع قريب من مكة في الحقل ، حل فرسخين منها .

ابن ريسان الحميري عامل اليمن إلى يزيد ، وعليها الورس^(١) والحلّ ، فأخذها الحسين ثم سار ، فلما انتهى إلى الصفّاح^(٢) لقيه الفرزدق الشاعر^(٣) فقال له الحسين : بين لي خبر الناس خلقك فقال : « الخبير سألت ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل مايشاء ! » فقال الحسين صدقت ، لله الأمر يفعل مايشاء ، وربنا كل يوم في شأن ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه ، هو المستعان على أداء الشكر ، وإن حالّ القضاء دون الرجاء فلم يتعد^(٤) من كان الحق نيته ، والتقوى سريره .

قال وأدرك الحسين كتابُ عبد الله بن جعفر مع ابنه عون ومحمد بقول : « أما بعد ، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فإني مُشْفِقٌ عليك من هذا الوجه أن يكون فيه^(٥) هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلك الآن طُفّي نور الأرض فإنك علّم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير ، فإني في إثر كتابي ، والسلام ! » .

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد وقال : « اكتب للحسين كتابا تجعل له فيه الأمان ، وتمنيه^(٦) فيه البر والصلة ، وترفق

(١) كذا جاء في النسخة (ن) مثل الكامل وتاريخ الطبري ، وجاء في النسخة (ك) : « الورس » .
والورس : نبت أصفر يزورع باليمن ويصنع به - والورس : نوع من الثياب المنقوشة .

(٢) الصفّاح : موضع بين حنين ومكة .

(٣) كان الفرزدق يهجّ بهامة ويسوق ببيرها ، فلقى الحسين خارجاً من مكة ، فسأله الحسين : من أنت ؟ قال : الفرزدق : امروء من العراق ، فقال له الحسين : بين لي ... الخ .

(٤) صد الطبري وابن الأثير : « فلم يتعد » .

في كتابك ، وتسأله^(١) الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو اكتب ماشئت ، وأتني به حتى أختمه . فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب ، ثم أتى به عمرو بن سعيد : فقال : اختمه وابعث به مع أخيك يحيى فإنه أحرى أن تطمئن به نفسه ، ويعلم أنه الجِدُّ منك ففعل . وكان مضمون الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي ، أما بعد ، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يُوبقك ، وأن يهديك لما يُرشدك . بلغني أنك قد توجهت إلى العراق ، وإني أعيذك بالله من الشقاق ، فإني أخاف عليك فيه الهلاك ، وقد بعثت إليك عبد الله ابن جعفر ويحيى بن سعيد ، فأقبل إليَّ معهما ، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار ، لك الله على بذلك شهيد وكفيل ، وراع ووكيل ، والسلام عليك » .

فأخذ الكتاب ولحقا حسينا ، فأقرأه يحيى الكتاب . وكان ممَّا اعتذر به أن قال : إني رأيت رؤيا ، رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت بأمر أنا ماضٍ له ، فقالا له : ما تلك الرؤيا ؟ قال : ما حدثتُ أحدا بها ولا أنا محدثٌ أحدا بها حتى ألقى ربِّي .

وكتب الحسين إلى عمرو بن سعيد : « أما بعد ، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة ، فخير الأمان أمان الله ، ولن يؤمن بالله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله مخافة في

(١) كلما جاء في الأصل مثل تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩١ ، وجاء في الكامل ج ٣ ص ٢٧٧ :

الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة ، فإن كنت نويت بالكتاب
صلى وبرى فجريت خيراً في الدنيا والآخرة ، والسلام .

قال (١) : ولما بلغ ابن زياد مَسِيرُ الحسين من مكة بعث الحُصَيْن
ابن نُمَيْر (٢) التَّمِيمِي صاحبَ شرطته ، فنزل القادسية ، ونظم الخيل
مابين القادسية إلى خَفَّان (٣) ، ومابين القادسية إلى القُطْقُطَانَة وإلى
جبل لَعْلَع .

وأقبل الحسين حتى إذا بلغ الحاجز من بطن الرُّمَة بعث قيس
بن مُشهر الأَسَدِي ثم الصِّدَاوِي إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين
والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .
أما بعد ؛ فإن كتاب مُسلم بن عَقِيل جاعفٍ يخبرني فيه بحسن
رأيكم ، واجتماع مَلِكِكُمْ على نصرنا والطلب بحَقِّنا ، فنسأل الله
أن يحسن لنا الصنع ، وأن يُشيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد
[شَخَصْتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثَمَانٍ مَضِيٍّ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يوم
التَّروِيَةِ ، فإذا قدم عليكم رَسُولِي فانكمشوا (٤) في أمركم وجدوا ،
[فإني قادم عليكم في أَيَّامِي هذه إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة
الله . »

(١) ابن الأثير في الكامل .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « نيم » ، والتي في جبهة أنساب
العرب ص ٤٠٣ أنه الحسين بن نيم بن قاتل بن ليد بن جثة بن الحارث بن سلمة بن شكمة
ابن السكون ، وسيأتي وصفه بالسكوني .

(٣) خفان : موضع فوق القادسية ، وهو وما يملأه مواضع بين الكوفة ومكة .

(٤) انكمشوا : تشعروا .

وكان مُسلم بن عَقِيل قد كتب إلى الحسين قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ، أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله ، إن جميع ^(١) أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابي والسلام .

قال : وأقبل قيس بن مُسهر بكتاب الحسين إلى أهل الكوفة ، فلما بلغ القادسية أخذه الحُصَيْن بن نُمَيْر ^(٢) فبعث به إلى ابن زياد ، فقال له عُبيد الله : اصعد [القصر] ^(٣) فُسبُ الكَذَاب ابن الكَذَاب الحسين بن علي . فصعد قَيْسُ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، إن هذا الحسين بن علي رضي الله عنهما خير خلق الله ، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقتك بالحاجز فأجيبوه » ثم لَعَن عُبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلّي ، فأمر به عُبيد الله فرُمي من فوق القصر فتقطع فمات .

قال ^(٤) : ثم أقبل الحسين رضي الله عنه يسير نحو الكوفة ، فانتهى إلى ماء مياه العرب ، فإذا عليه عبد الله بن مُطِيع العدوي فلما رأى الحسين قام إليه ، فقال : بأي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، ما أقدمك ؟ واحتمله فأنزله فقال له الحسين : إنه كان من موت معاوية ما قد بلغك ، فكتب إلى أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم . فقال : « أذكرك بالله ^(٥) يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تُنتهك ، أنشدك الله

(١) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٧ « جمع » ، وانظر ما سبق .

(٢) انظر ما سبق قريبا ، وفي المخطوطة « تميم » .

(٣) الزيادة من ابن الأثير والطبري .

(٤) ابن الأثير في الكامل ، وأصله عند الطبري .

(٥) عند الطبري وابن الأثير : « أذكرك الله » .

في حرمة قريش ^(١) ، أنشدك الله في حرمة العرب ، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ، ولئن قتلوك لايهابون بعد أحدا أبدا ، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك ، فلا تفعل ، ولا تأت الكوفة ، ولا تعرض نفسك لبني أمية ١ ، فأبى إلا أن يمضى .

فلما نزل بزرود ^(٢) أتاه الخير بقتل مسلم ابن عقييل وهاني ابن عروة ، فاسترجع ^(٣) مرارا ، فقال له عبد الله بن سليم والمذرى ابن المشمعل الأسديان ، وكانا قد لحقاه حين قضيا حجهما : « ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شبيعة ، بل نتخوف أن يكونوا عليك ١ فوثب بنو عقييل فقالوا لا : والله لا نبرح حتى نذكر ثأرنا أو نلوق ماذا أقونا . فقال الحسين رضى الله عنه : لاخير في العيش بعد هؤلاء . فقال له بعض أصحابه : إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقييل ، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع . فانتظر الحسين حتى إذا كان السحر قال لفتيان وغلمانة : أكثروا من الماء . فاستقوا فأكثروا ، ثم ارتحلوا حتى انتهوا إلى زبالة ^(٤) .

وقيل : كان الحسين لا يمر بماء إلا اتبعه أهل ذلك الماء ، حتى انتهى إلى زبالة ، فأتاه خبر مقتل أخيه من الرضاغة عبد الله بن بقطر ،

(١) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وجاء في تاريخ الطبرى : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) قال ياقوت : « لملها سبت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحاب ، لأنها رمال بين الثعلبية والخزمية بطريق الحاج من الكوفة » .

(٣) استرجع : قال « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

(٤) زبالة : موضع معروف بطريق مكة من الكوفة .

وكان سَرَّحَهُ إلى مُسْلِم بن عَقِيل من الطريق ، وهو لا يدري أَنَّهُ أُصِيبَ
فَأَخَذَهُ الحَصِين بالقادسية ، فَبَعَثَ بِهِ إلى زياد فقال له : اصعد فوق
القصر فالعن الكذابُ ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأبي ،
فصعد فلما أشرف على الناس قال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي رَسُولُ
الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ،
لتنصروه وتؤازروه على ابن مَرْجَانَةَ ابن سمية الدُّعَى ! » فَأَمَرَ بِهِ
عُبَيْدُ اللَّهِ فَأَلْقَى مِنْ فوق القصر إلى الأَرْض فتكسرت عظامه وبقي به
رمق ، فَأَتَاهُ رجل يقال له عبد الملكُ بْنُ عَمِير اللُّخْمِي (١) فذبحه ،
فَلَمَّا عَیِبَ عَلَيْهِ ذلك قال : إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَرِيحَهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ الحسینَ الخَبر قال لأَصْحَابِهِ : مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الانْصِرَافَ
فليَنصَرِفْ غير حرج ، ليس عليه منا ذِمَامٌ ؛ ففترق الناس عنه حتى بقي
في أَصْحَابِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ مِنَ المَدِينَةِ .

قال : وَإِنَّمَا فَعَلَ ذلك لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْأَعْرَابَ ظَنَّتْ أَنَّهُ يَأْتِي بِلَدَا
قَدْ اسْتَنَقَمَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْلَمُوا عَلَامَ يَقْدُمُونَ .

قال ثم ارتحل الحسين وسارَ حَتَّى مَرَّ بِبَطْنِ الْعُقْبَةِ فنزل بها ، فَأَتَاهُ
بعض الْأَعْرَابِ فسأله عن مقصده فأخبره ، قال : « إِنِّي أَنشُدُكَ اللَّهَ
لَمَّا انصرفت ، فوالله ما تقدم إِلَّا على الْأَيْسَةِ وَحْدُ السِّیُوفِ ، إِنْ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ بَعَثُوا إِلَيْكَ لَوْ كَانُوا كَقَوِّكَ مُؤْنَةَ الْقِتَالِ وَوُطِّقُوا لَكَ الْأَشْيَاءَ
فَقَدِمْتَ عَلَيْهِمْ ، كَانَ ذَلِكَ رَأْيَا ، فَأَمَّا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي تَذَكَّرُ فَيَا

(١) قال بعض العلماء : لم يكن الذي ذبحه عبد الملك بن هير ، ولكنه رجل جهل

طوال يشبه عبد الملك .

لا أرى لك أن تفعل ! فقال الحسين : يا عبد الله ، إنه ليس يخفى على ما رأيت ، ولكن الله لا يُغلب على أمره ! .

ثم ارتحل منها وقد استهلّت إحدى وستين ، وسار حتى نزل شِراف^(١) فلما كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء وأكثروا ، ثم ساروا منها صدر يومهم حتى انتصف النهار ، فكبر رجل من أصحابه فكبر الحسين ، وقال : ممّ كبرت ؟ قال : رأيت النخل ، فقال عبد الله بن سليم والمذري ابن المُشمّل الأسديان : والله إن هذا المكان ما رأينا فيه نخلة قط ، قال : فما تريان . قالوا : نراه والله [رأى]^(٢) هودى^(٣) الخيل . فقال الحسين : وأنا والله أرى ذلك ، مألنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقيل له : « بلى هذا ذوحُسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك ، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد ، فمال إليه ، فما كان بأسرع من أن طلعت هودى الخيل ، فلما رأوهم قد عدلوا عن الطريق عدلوا عنها إلى قصدهم ، فسبق الحسين إلى ذى حُسم ، فنزل وأمر بأبنية^(٤) فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس عليهم الحر بن يزيد التميمي ، فجاءوا حتى وقفوا مقابل الحسين رضى الله عنه : وكان مسير الحر ومن معه من القادسية من قبل الحُصين بن ثُمير^(٥) التميمي .

(١) شراف : موضع بعد العقبة وواقعة وقبل القرعاء في الطريق من مكة إلى الكوفة .

(٢) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠٢ .

(٣) هودى الخيل : أوائلها ، والهاى والهداية : المتى ، لأنها تتقدم على البدن ولأنها تحدى البدن .

(٤) أبنية : جمع بناء ، وهو ما يسكنه الناس ، فيطلق على ما يضر به العرب في الصحراء من خيمة وغيرها .

(٥) كذا جاء في تاريخ الطبري والكمال ج ٣ ص ٢٧٩ : « ثمير » وجاء في المخطوطة :

« ثمير » وانظر ما سبق .

فلم يزل الحرُّ واقفا حسينا حتى حضرت صلاة الظهر ، فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن ، فأذن ، فلما حضرت الإقامه خرج الحسين رضى الله عنه ، في إزار ورداء ونعلين ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، معذرة إلى الله وإليكم ، إني لم آتكم حتى أتنى كتبكم ، وقدمت على رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق ، إن كنتم على ذلك فقد جئتمكم ، فإن تُعطوني ما أطمئن إليه من عهدكم ومواثيقكم أقدم مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذى أقبلت منه إليكم » فسكتوا عنه ، وقال للمؤذن : أقيم فأقام الصلاة ، فقال الحسين للحر: أتريد أن تصلى بأمر محابك؟ فقال : لا ، بل صل أنت ونصلى بصلاتك ، فصلّى بهم الحسين ، ثم دخل واجتمع إليه أصحابه .

وانصرف الحر فدخل خيمة قد ضربت له ، واجتمع عليه جماعة من أصحابه ، وعاد بعض أصحابه إلى صفّهم الذى كانوا فيه ، ثم أخذ كل رجل بعين دابته وجلس فى طلبها .

فلما كان وقت العصر أمر الحسين أصحابه أن يتهيئوا للرحيل ففعلوا ، ثم خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر وأقام ، وصلى الحسين بالقوم جميعا ، ثم سلم وانصرف إليهم بوجهه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، فإنكم إن تنقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله ، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعُدوان ، فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتنى به

كتبكم ، وقدمت عليَّ به رُسُلكم ، انصرفْتُ عنكم » ، فقال له الحر :
 إنا والله ماندرى ماهذه الكتب والرسل التي تذكر . فأمر الحسين رضى
 الله عنه بإخراج كتبهم ، فأخرجت في خرجين مملوءين ، فنثرهما
 بين أيديهم ، فقال الحر : إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ،
 وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نُقدِّمك الكوفة على
 عُبيد الله بن زياد . فقال له الحسين : الموت أذني إليك من ذلك ،
 ثم قال لقومه : قوموا فاركبوا ، وركب نساؤهم .

فلما أرادوا الانصراف حال القوم بينهم وبين المسير ، فقال الحسين
 للحر : ثكلتك أمك ! ماتريد؟ قال له : « أما والله لو غيرك من العرب
 يقولها وهو على مثل الحال التي عليها ماتركت ذكر أمه بالثكل أن
 أقوله كائنًا من كان ، ولكن والله ما إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن
 مانقدر عليه » ، فقال له الحسين : ماتريد؟ قال : أريد أن أنطلق بك إلى
 عُبيد الله بن زياد . فقال له الحسين : إذا والله لا أتبعك . فقال الحر :
 إذا والله لا أدعك . فترادًا القول ثلاث مرات ، فلما كثر الكلام بينهما
 قال الحر : « إني لم أومرُ بقتالك ، إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك
 الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقًا لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة
 يكون بيني وبينك نصفًا ، حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى
 يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه ، أو إلى عُبيد الله إن شئت ،
 فلعل الله أن يرزقني العافية من أن أثبتَ بشيء من أمرك ! » قال :
 فتياسر عن^(١) طريق العذيب والقادسية ، وبينه حينئذ وبين العذيب
 ثمانية وثلاثون ميلًا . ثم سار والحر يسايره .

(١) عبارة الطبري : « قال : فخذ من ههنا فتياسر . . . »

قال (١) : ثم إن الحسين خطبهم (٢) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطانا جائرا ، مستحلا لحرم الله ، ناكثا لعهد ، مخالفا لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول ، كان حقا على الله أن يدخله مدخله » .
 ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطّلوا الحدود واستأثروا بالقي ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا أحق من غيري (٣) ، وقد أئتمنت كتبكم ورسلكم ببيعتكم وأنكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فإن نعمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم ، وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهلكم ، فلكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمرى ما هي لكم بنكر ، لقد فعلتموها بآبي وأخي وابن عمي مسلم ، والمفرور من اغتربكم ، فحظكم أخطاتم ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغنى الله عنكم ، والسلام .

فقال له الحر : إني أذكرك الله في نفسك ، فإني أشهد لئن قاتلت لتُقتلن ، فقال الحسين رضي الله عنه : أبا الموت تخوفني ؟ ! وهل يغدو بكم الخطب أن تقتلوني ! وما أدري ما أقول لك ؟ ! ولكني أقول

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٨٠ .

(٢) أي : خطب أصحابه وأصحاب الحرين يزيد التميمي بالبيضة .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبري .

كما قال أخو الأوس لابن عمه ، [لقيه] ^(١) وهو يريد نصرة
النبي صلى الله عليه وسلم ، [له] ^(٢) فقال أين تذهب فإنك
مقتول ؟ ! فقال :

سأَمْضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا نَوَى خَيْرًا وَجَاهَدَ مُسْلِمًا
وَأَتَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَفَارَقَ مَشْبُورًا وَخَالَفَ مُجْرِمًا
فَإِنْ عَشْتُ لَمْ أُنْدَمْ وَإِنْ مِتُّ لَمْ أَلَمَّ كَفَى بِكَ ذُلًّا أَنْ تَعِيشَ وَتُرْعَمَا
قال : فلما سمع الحر ذلك تنحى عنه ، فكان يسير ناحية
عنه ، حتى انتهوا إلى عُدَيْبِ الْمُهَاجَنَاتِ ^(٣) ، فإذا هم بأربعة نفر
قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرسا لتافع بن هلال يقال
له الكامل ، ومعهم دليلهم الطَّرِمَاحُ وهو يقول :

يَا نَاقَتَا لَا تَذْعَرِي مِنْ زَجْرِي وَتَسْمَرِي قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
بَخِيرِ رُكْبَانٍ وَخَيْرِ سَفَرٍ حَتَّى تَجْلِيَ بِكَرِيمِ النَّحْرِ
الْمَاجِدِ الْحَرِّ رَحِيبِ الصُّدْرِ أَتَى بِهِ اللَّهُ لَخَيْرِ الْأُمَرِ
ثُمَّتْ أَبْقَاهُ بَقَاءَ الدَّهْرِ

فلما انتهوا إلى الحسين رضى الله عنه والتحقوا به ، فقال
الحر : إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا بمن أقبلوا معك ،
وأنا حابسهم أو رادهم ، فقال الحسين رضى الله عنه : « لَا مَنَعْتَهُمْ

(١) الزيادة من تاريخ الطبرى .

(٢) الزيادة من تاريخ الطبرى .

(٣) عُدَيْبِ الْمُهَاجَنَاتِ : موضع بطريق الكوفة .

مما أمتنع منه نفسى ، إنما هؤلاء أعوانى وأنصارى ، وقد كنت أعطيتنى ألا تغرض لى حتى يأتىك كتاب من ابن زياد ، قال : أجل ولكن هؤلاء لم يأتوا معك ^(١) .

فقال : « هم أصحابى ، وهم بمنزلة من جاء معى ، فإن تمت على ما كان بينى وبينك وإلا ناجزتك » . فكف عنهم الحر .

وسألهم الحسين عن خبر أهل الكوفة ، فقال له مجتمع بن عبد الله العائذى - وهو أحد الأربعة - : « أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم ومليئت غرائرهم ، فهم إلب ^(٢) واحد عليك ، وأما سائر الناس بعد فإن أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك ! » . فقال : هل لكم برسولى إليكم علم ؟ فقالوا : من هو ؟ قال : قيس ابن مسهر الصيداوى . قالوا : نعم ؛ وأخبروه بمقتله ، فترقرقت عيناه حسين ولم يملك دمه ، ثم قال : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ^(٣) ﴾ اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلا ، واجمع بيننا وبينهم فى مستقر رحمتك ورغائب مذكور ثوابك . قال : ودنا الطرماح من الحسين ، فقال له : « والله إني لأنظر فما أرى معك أحدا ، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفوا لهم ^(٤) » ، وقد رأيت قبل خروجى من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناي فى صعيد واحد جمعا أكثر

(١) من هنا يبدأ ما صار يباغى فى النسخة (ك) وثبت فى النسخة (ن) انظر ص ٤٥٥ .

(٢) الإلب : القوم مجتمعون على عداوة إنسان ، وقد تألبوا أى تجمعوا .

(٣) من الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

(٤) كذا جاء فى المخطوطة وفى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٠٦ والكامل ج ٣ ص ٢٨١ :

« لكان كفى بهم » .

منه ، فسألت عنهم ، فقليل : اجتمعوا ليُغْرَضُوا ثم يُسَيَّرُوا إِلَى الحسين ، فَأَنْشَدَكَ اللَّهُ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَلَا تَقْدَمَ إِلَيْهِمْ شَيْراً إِلَّا فَعَلْتَ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْزِلَ بِلَدَا يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِ حَتَّى تَرَى مِنْ رَأْيِكَ وَيَسْتَبِينَ لَكَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَيَسِرْ حَتَّى أَنْزَلَكَ مَنَاعَ جَبَلِنَا الَّذِي^(١) امتنعنا به من ملوك غَسَّانَ وَحِمِيرَ ومن النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ومن الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ ، فَأَسِيرَ مَعَكَ حَتَّى أَنْزَلَكَ الْقَرْيَةَ ، ثُمَّ لَتَبَعْتُ إِلَى الرِّجَالِ مِمَّنْ بِأَجَا وَسَلَمَى^(٢) مِنْ طِيٍّ ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ حَتَّى يَأْتِيَنَّكَ طِيٌّ رِجَالاً وَرُكْبَاناً ، ثُمَّ أَقِمْ فِينَا مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنْ هَاجَكَ هَيْجٌ فَأَنَازِعِمِ لَكَ بَعَثَرَيْنِ أَلْفَ طَائِيٍّ يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِأَسْيَافِهِمْ ، وَوَاللَّهِ لَا يَوْصَلُ إِلَيْكَ أَبَدًا وَفِيهِمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ ! .

فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ وَقَوْمَكَ خَيْرًا ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَوْلٌ لَسْنَا نَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى الْإِنْصِرَافِ ، وَلَا نَدْرِي عَلَامَ تَتَصَرَّفُ بِنَا وَبِهِمُ الْأُمُورُ ! .

قَالَ الطَّرْمَاحُ : فَوَدَّعْتَهُ وَقُلْتُ : « إِنْ قَدْ ائْتَرْتُ لِأَهْلِ مِيرَةَ ، وَمَعِيَ نَفَقَةٌ لَهُمْ فَآتِيهِمْ فَأَصْنَعْ ذَلِكَ فِيهِمْ ، ثُمَّ أَقْبِلْ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَإِنْ أَلْحَقَكَ فَوَاللَّهِ لَا كَوْنَنَّ مِنْ أَنْصَارِكَ » . فَقَالَ لِي : فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا فَعَجِّلْ رَحِمَكَ اللَّهُ .

قَالَ الطَّرْمَاحُ : فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى أَهْلِي وَضَعْتُ عَنْهُمْ مَا يُصْلِحُهُمْ ،

(١) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : « الَّذِي يَدْعَى أَجَا » .

(٢) أَجَا وَسَلَمَى : جَبَلَانِ لِقَبِيلَةِ طِيٍّ ، وَقَدْ ذَكَرَ يَاقُوتٌ « سَبَبَ نَزُولِ طِيٍّ الْجَبَلَيْنِ وَاخْتِصَامِهِمْ بِسُكْنَاهُمَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ » .

وأوصيت^١ ، وأخبرتهم بما أريد ، وأقبلت حتى دَنَوْتُ من عُذَيْبِ
الهجانات^(١) ، فَأَتَانِي نَعْيُ الْحُسَيْنِ هُنَاكَ^(٢) . ١ .

قال المؤرِّخ^(٣) : ثُمَّ مَضَى الْحُسَيْنِ إِلَى قَصْرِ بَنِي مُقْسَاتِلِ^(٤) ،
فَنَزَلَ بِهِ . قال عقبة بن سميان : فَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ أَمَرَ الْحُسَيْنِ
بِالاسْتِقَاءِ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَمَرَنَا بِالرَّحِيلِ ، ففعلنا ، فَلَمَّا سَرْنَا سَاعَةً
خَفَقَ^(٥) الْحُسَيْنِ بِرَأْسِهِ خَفَقَةً فَقَالَ : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » يُعِيدُهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ابْنَهُ
عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، فَاسْتَرْجَعَ وَحَمْدُ اللَّهِ وَقَالَ : « يَا أَبَتِ ، جُعِلْتُ
فِدَاكَ ، مِمَّ حَمِدْتَ اللَّهَ وَاسْتَرْجَعْتَ ؟ » . قَالَ : « يَا بُنَيَّ ، إِنِّي خَفَقْتُ
بِرَأْسِي خَفَقَةً ، فَعَنَى لِي فَارَسٌ عَلَى فَرَسٍ فَقَالَ : الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنَايَا
تَسِيرُ بِهِمْ . فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إِلَيْنَا ! » قَالَ : يَا أَبَتِ أَلَسْنَا
عَلَى الْحَقِّ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَالَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْعِبَادِ . قَالَ : يَا أَبَتِ إِذْنٌ لَانِيبَالِي
أَنْ نَمُوتَ مُحَقِّقِينَ . فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا يَجْزِي وَلَدًا عَنْ وَالِدِهِ .

فلما أصبح نزل فصلى الغداة ، ثُمَّ عَجَلَ الرُّكُوبَ ، وَسَارَ حَتَّى
انْتَهَى إِلَى نَيْنَوَى ، وَالْحَرُّ وَمَنْ مَعَهُ يَسَايِرُونَهُ فَيَإِذَا رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ
عَلَيْهِ السِّلَاحُ يَمْسُكُ قَوْسًا مُقْبِلٌ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَوْقَهُمَا جَمِيعًا يَنْتَظِرُونَهُ ،

(١) عذيب الهجانات : موضع بطريق الكوفة .

(٢) زاد ابن الأثير : « فرجع إلى أهله » .

(٣) ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٣٠٧-٣٠٨ ، وتوهمه ابن الأثير في الكامل ج

٣ ص ٢٨٢ .

(٤) في معجم البلدان إياقوت : « قصر مقاتل : ملسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة

الشمسي » .

(٥) خفق برأسه : حرك رأسه حتى يثبت ذقنة على صدره وهو قائم قاعدا .

فلما انتهى إليهم سلم على الحر وأصحابه ، ولم يسلم على الحسين ،
ودفع إلى الحر كتابا من عبيد الله بن زياد : «أما بعد ، فجتمع (١)
بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسول ، فلا تنزله
إلا بالعرء في غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسول أن يلزمك
فلا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري ، والسلام .»

فقال الحر : هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد ، يأمرني فيه
أن أجمع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه ، وهذا رسوله ،
وقد أمره ألا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره .

قال : فأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا قرية ،
فقالوا : دعنا ننزل في هذه القرية (يعنون نينوي) أو هذه القرية
(يعنون الغاضرية) أو هذه الأخرى (يعنون شفيّة) . فقال : لا والله
ما أستطيع ذلك ، هذا رجل بعث عينا عليّ .

فقال زهير بن القين للحسين : «يا ابن بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من
بعدهم ، فلعمري ليأتينا من بعدما نرى مالا قيل لنا به !» فقال له
الحسين : ما كنت لأبدأهم بالقتال . فقال له زهير : «سير بنا إلى
هذه القرية حتى ننزلها فإنها حصينة وعلى شاطئ الفرات ، فإن منعونا
قاتلناهم ، فقاتلهم أهون علينا من قتال من يجيء بعدهم .» فقال له
الحسين : أية قرية هي ؟ قال : العقر . فقال الحسين : اللهم إني

(١) - جمع بالحسين : ضيق عليه المكان ، وقد ذكر صاحب النهاية هذه العبارة من كتاب زياد .

أعوذ بك من العقر ! ^(١) ثم نزل ، وذلك يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين .

فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة . وكان سبب مسيره لقتال الحسين أن عبّيد الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة ، يسير بهم إلى دسْتَبَي ، وكانت الدَّيْلَم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها ، فكتب ابن زياد له عهدَه على الرّبيّ ، وأمره بالخروج ، فخرج وعسكر بالناس ، فلما كان من أمر الحسين ما كان ، دعا ابنُ زيادُ عُمَرَ بن سعد وقال : سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرتَ إلى عمالك . فاستعفاه ، فقال : نعم ، على أن تردّ علينا عهدنا . فلما قال له ذلك قال : أمهلني اليومَ حتّى أنظر . فاستشار عمرُ نصحاءَه ، فكلّهم نهاه ، وأناه حمزة بن المغيرة بن شعبة - وهو ابن أخته - فقال له : « أنشدك الله يا خالي ألاّ تسير إلى الحسين فتأثمَ بربك وتقطعَ رِجْمَكَ ! فوالله لأنّ تخرج من دنياك ومالكِ وسلطانِ الأرض كلّها - لو كان لك - خيرٌ من أن تلقى الله بدم الحسين ! » فقال : أفعل إن شاء الله . وبات ليلته مفكرا في أمره فسُمع وهو يقول :

أأترك ملك الرّبيّ والرّبيّ رغبتي

أمّ أزعجُ مذموما يقتلُ حسينَ

وفى قتله النارُ التي ليسَ دونها

حجابٌ ، وملك الرّبيّ قُرّةُ عينِ

(١) أنظر معجم البلدان وقامح المروس في « العقر » و « كريله » .

ثم أتى ابن زياد فقال له : إنك قد وليتني هذا العمل وسمع الناس به ، فإن رأيت أن تُنفذ لي ذلك وتبعث إلي الحسين من أشرف الكوفة من لست أغني ولا أجزأ عنك في الجرب منه - وسمي له أناسا - ، فقال له ابن زياد : لا تعلمني بأشرف الكوفة ، فلست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث ، فإن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا ، قال : فإني سائر . فأقبل في ذلك الجيش حتى نزل بالحسين فلما نزل به بعث إليه عزرة ^(١) بن قيس الأحمسي ، فقال له : ائنه فاسأله : ما الذي جاء بك ؟ وماذا تريد ؟ وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين ، فاستحى منه أن يأتيه ، فعرض عمر ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه ، فكلهم أباه وكرهه .

فقام إليه كثير بن عبد الله ، وكان فارسا شجاعا ، فقال : أنا أذهب إليه والله إن شئت لأفتكن به . فقال عمر : ما أريد أن يفتك به ولكن أن تسأله : ما الذي جاء به ؟ فأقبل إليه ، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين : أصلحك الله ، قد جاءك شر أدل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه . فقام إليه ، فقال له : ضع سيفك . قال لا والله ولا كرامة ، إنما أنا رسول فإن سمعتم أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ، وإن أبيتم انصرفت عنكم . فقال له رجل : فإني آخذ بقائم سيفك ثم تكلم بحاجتك . قال : لا والله لا تمسه . فقال له : أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه فإنك فاجر . فاستبأ ، ثم انصرف إلى عمر فأخبره الخبر .

(١) قال صاحب الإصابة ج ٢ ص ١٠٥ في ترجمته : وعزرة بن قيس بن غزيرة الأحمسي البجلي

فدعا عمر قُرَّة بن قيس الحنظلي ، فقال له : ويحك يا قرة ،
 ألتى حسينا فاسأله : ما جاء به ؟ وماذا يريد ؟ فأتاه فأخبره رسالة
 ابن سعد ، فقال له الحسين : كتب إلى أهل مصر كم أن أقدم عليهم ،
 فأما إذ كرهتموني فإني أنصرف عنهم . فأنصرف قُرَّة إلى عمر فأخبره
 الخبر ، فقال عمر : إني لأرجو أن يعافيني الله من حربته وقتاله .

ثم كتب إلى عبيد الله بن زياد : « (١) أما بعد ، فإني حيثُ
 نزلت بالحسين بعثتُ إليه رسولي ، فسألته عما أقدمه وماذا يطلب
 وماذا يسأل ، فقال : كتب إلى أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم فسألوني
 القدام ففعلت ، فأما إذ كرهوني وبَدَّالهم غير ما أتتني به رسلهم
 فأنا منصرف عنهم » .

فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال :

الآنَ إِذْ عَلَّقْتُ مَخَالِبُنَا بِهِ

يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب إلى عمر بن سعد : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ
 فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت ، فأعرض على الحسين أن يبايع
 يزيد بن معاوية أمير المؤمنين هو وجميع أصحابه ، فإذا هو فعل
 رأينا والسلام » فلما قرأ عمر الكتاب قال : قد أحسستُ ألا يقبل
 ابنُ زياد العافية .

قال : وكتب ابن زياد إلى عمر بن سعد : « أما بعد ، فُعل

(١) أثبت الطبري البسلة في أول هذا الكتاب .

بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمَاءِ ، فَلَا يَذُوقُوا مِنْهُ قَطْرَةً ، كَمَا صُنِعَ
بِالتَّقْيِ الزَكِيِّ الْمَظْلُومِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ .

فَبَعَثَ عُمَرُ عَمْرُو بْنُ الْحِجَّاجِ عَلَى خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَنَزَلُوا
عَلَى الشَّرِيعَةِ ، وَحَالُوا بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وَمَنَعُوهُمْ
أَنْ يَسْقُوا مِنْهُ قَطْرَةً ، وَذَلِكَ قَبْلَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بِثَلَاثِ .

وَنَادَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَصِينٍ الْأَزْدِيُّ : « يَا حُسَيْنَ ، أَلَا تَنْظُرُ
إِلَى الْمَاءِ كَأَنَّهُ كَبِدُ السَّمَاءِ ! وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ مِنْهُ قَطْرَةً حَتَّى تَمُوتَ
عَطْشًا ! » . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : « اللَّهُمَّ اقْتُلْهُ عَطْشًا وَلَا تَغْفِرْ لَهُ
أَبَدًا ! » . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ^(١) : قَالَ حَمِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ
« وَاللَّهِ لَقَدْ عُدْتُهِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَرَضِهِ ، فَأَوَّلَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ
رَأَيْتُهُ يَشْرَبُ حَتَّى يَبْغَرَ ^(٢) ، ثُمَّ يَقِيءُ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَشْرَبُ حَتَّى
يَبْغَرَ ، فَمَا يَرَوَى ، فَمَا زَالَ ذَلِكَ دَابَّهَ حَتَّى لَفَظَ . غُصَّتَهُ » (يَعْنِي
نَفْسَهُ) .

قَالَ : فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَى الْحُسَيْنِ وَمِنْ مَعِهِ الْعَطَشُ دَعَا أَخَاهُ الْعَبَّاسَ
ابْنَ عَلِيٍّ ، فَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا وَعَشْرِينَ رَاجِلًا ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ بَعْشَرِينَ
قُرْبَةً ، فَدَنَوْا مِنَ الْمَاءِ ، وَقَاتَلُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى مَلَكُوا الْقُرْبَ وَعَادُوا بِهَا إِلَى
الْحُسَيْنِ .

قَالَ : ثُمَّ بَعَثَ الْحُسَيْنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ الْقِنَى اللَّيْلَةَ بَيْنَ
عَسْكَرِي وَعَسْكَرِكَ . وَكَانَ رَسُولُهُ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ قَرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ

(١) ج ٤ ص ٢١٢ .

(٢) يكثر الشرب فلا يروى بسبب داء أصابه .

الأنصاري^(١) ، فخرج عمر في نحو من عشرين فارساً ، وأقبل الحسين في مثل ذلك ، فلما التقيا أمر الحسين أصحابه أن يتنحروا عنه ، وأمر عمر بمثل ذلك ، فتكلما ، فأطالا حتى ذهب من الليل جانب ، ثم انصرف كل منهما إلى عسكره .

قال : وتحدث الناس فيما بينهم ظناً يظنون أنه الحسين قال لعمر ابن سعد : اخرج معي إلى يزيد بن معاوية ونَدِّع العسكرين . فقال له عمر : إذن تُهْدَم داري . قال : إذن أبنيها لك . قال : إذن تُؤْخَذ ضياعي . قال : إذن أعطيك خيراً منها بالحجاز . فكره ذلك عمر بن سعد . فتحدث الناس بذلك من غير أن يكونوا سمعوه .

قال : وذكر جماعة من المحدثين أن الحسين قال : اختاروا مني خِصَلاً ثلاثاً : إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه ، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه ، وإما أن أن أسير إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئتُ فأكون رجلاً من أهلهم لي مالهم وعلى ما عليهم .

وأنكر عتبة بن سميان هذه المقالة وقال : « صَحِبْتُ الحسين ، فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى العراق ، ولم أفارقه حتى قُتِل ، وليس من مخاطبته الناس كلمةً بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ، ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس ويزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دعوني

(١) الخزرجي ، كان أبوه صحابياً من ساكني الكوفة .

أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه ، أو دَعُونِي أَذْهَبْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ
حَتَّى نَنْظُرَ : إِلَى مَ بَصِيرِ أَمْرِ النَّاسِ ؟ .

وقيل : التَّقَى الحسین وعمر بن سعد مراراً ثلاثاً أو أربعاً ،
فكتب عمر إلى عبيد الله بن زياد : « أما بعد ، فإن الله قد أطفأ النائرة ^(١)
وجَمَعَ الكلمة ، وأصلح أمر الأمة ، هذا الحسين قد أعطاني أن يرجع
إلى المكان الذي منه أتى ، أو أن نسيره إلى ثغر من الثغور شِئْنَا
فيكون رجلاً من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم ، أو أن يأتي يزيد
أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيته ، وفي
هذا لكم رضى وللاُمة صلاح » .

فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأميره
مشفق على قومه ، نعم ، قد قبلتُ .

فقام إليه شمر بن ذى الجوشن ^(٢) فقال : « أتقبل هذا منه
وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ، والله لئن رحل من بلادك ولم يضع
يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ،
فلا تُعطيه هذه المنزلة فإنها من الوهن ، ولكن ليُنزل على حكمك هو
وأصحابه ، فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة ، وإن عفوت كان ذلك
لك ، والله لقد بلغنى أن الحسين وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين
فيحدثان عامة الليل » .

(١) النائرة : نار الحرب وشرها .

(٢) الجوشن : الدرع أو الصدر ، وذو الجوشن : اسمه شرحبيل بن قوط الأحمور ،
وقيل : أوس ، ولقب بذلك لأنه دخل على كسرى فأعطاه جوشناً قلبه ، فكان أول
مربي لبعه ، أو لأنه كان نافعاً للصدر .

فقال له ابنُ زياد : « نِعَمَ ما رأيتَ ، اخرجُ بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد ، فليعرض على حسين وأصحابه النزولَ على حكْمى ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلما ، وإن هم أبَوْا فليقاتلهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن هو أبى أن يقاتلهم فانت أمير الناس وثب عليه فاضربْ عنقه وابعثْ إلى برأسه . »

وكتب ابن زياد إلى عمر بن سعد : « أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِ لَمْ أَبْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ لِيَتَكَفَّرَ عَنْهُ ، وَلَا لِيُطَاوَلَهُ ، وَلَا لِيُثَمِّنَهُ السَّلَامَةُ وَالْبَقَاءُ ، وَلَا لِيَتَقَعَّدَ لَهُ عِنْدِي شَافِعًا ، انْظُرْ ، فَإِنِ نَزَلَ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْحَكْمِ وَاسْتَسْلَمُوا فَابْعَثْ بِهِمْ إِلَى سَلْمَا ، وَإِنِ أَبَوْا فَارْحَفْ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَقْتُلَهُمْ وَتَمَثَّلَ بِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ لَلَّذِكْ مُسْتَحَقُّونَ ، فَإِنِ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَوْطِئِ الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ ، فَإِنَّهُ عَاقٌ مُشَاقٌّ قَاطِعٌ ظُلُومٍ ، فَإِنِ أَنْتَ ، مَضَيْتَ لِأَمْرِنَا فِيهِ جَزَيْنَاكَ جِزَاءَ السَّامِعِ الْمُطِيعِ ، وَإِنِ أَنْتَ أَبَيْتَ فَاعْتَزِلْ عَمَلَنَا وَجَنَدَنَا ، وَخَلْ بَيْنَ شَمْرِ وَبَيْنَ الْعَسْكَرِ ، فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَاهُ بِأَمْرِنَا ، وَالسَّلَامُ . »

فأقبل شمر بكتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد ، فقرأه ، فقال له عمر : « مَا لَكَ ؟ وَيْلَكَ ! لَا قَرَبَ اللَّهُ دَارَكَ ، وَقَبِجَ اللَّهُ مَاقَدِمَتَ بِهِ عَلَيَّ ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظَنُّكَ أَنْتَ الَّذِي ثَنَيْتَهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا كَبِتُ بِهِ إِلَيْهِ ، أَفَسَدْتَ عَلَيْنَا أَمْرًا كُنَّا نَرْجُو أَنْ يَصْلَحَ ، لَا يَسْتَسْلِمُ وَاللَّهُ حُسَيْنٌ أَبَدًا ، وَاللَّهُ إِنْ نَفَسًا أَبِيَّةً لَبِئْسَ جَنِينُهُ ! »

فقال له شمر : أخبرني ما أنت صانع : أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه وإلا فخلُ بيني وبين الجند والعسكر ؟ فقال : لا ، ولا كرامة لك ، ولكن أنا أتولى ذلك .

فنهض إليه عشية الخميس لتسع مَضِينَ من المحرم .

وكان شمر لما قبض كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد قام هو وعبد الله بن أبي المحل ، وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . قال عبد الله : « أصلح الله الأمير ، إن بني أختنا مع الحسين ، فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت » . فقال : نعم ونعمة عين (١) فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً .

فلما نهض عمر إلى الحسين جاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال : أين بنو أختنا ؟ فخرج إليه العباس وعبد الله وجعفر وعثمان بنو علي ، فقالوا : مالك ؟ وما تريد ؟ قال : أنتم يا بني أختي آمنون ، فقالوا له : لعنك الله ولعن أمانك ! لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له !

قال : ثم إن عمر بن سعد نادى : يا خيل الله اركبي وابشري . فركب الناس ، ثم زحف بهم نحوهم بعد صلاة العصر ، والحسين جالس أمام بيته محتجباً بسيفه ، إذ خفق برأسه على ركبتيه ، وسمعت أخته الصبيحة ، فدنّت منه فأيقظته وقالت : أما تسمع الأصوات قد اقتربت ! فرفع الحسين رأسه فقال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : إنك تروح إلينا . فلبطمت وجهها وقالت : واويلتنا ! فقال : ليس لك الويل يا أختي ، اسكني رحمتك الله (٢) .

(١) أي : أقبل ذلك إنعاماً لعينك وإكراماً .

(٢) جاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٥ : « اسكني رحمتك الرحمن » .

وقال له العباس : يا أخى أذاك القوم . فنهض ثم قال : يا عباس أركب بنفسى . فقال له العباس : بل أروح أنا . فقال : اركب أنت يا أخى حتى تلقاهم فتقول لهم : مالكم ؟ وما بدا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم . فأتاهم العباس فاستقبلهم فى نحو عشرين فارسا ، فقال لهم : ما بدا لكم ؟ وما تريدون ؟ قالوا : جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن ننزلوا على حكمه أو نناجزكم . قال : فلا تفعلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم . فوقفوا ، وانصرف راجعا يركض إلى الحسين فأخبره الخبر ، فقال له الحسين : ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة لعلنا نصلى لربنا الليلة وندعوه ونستغفره . فرجع العباس إليهم فقال : « ياهؤلاء ، إن أبى عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه الليلة ، حتى ينظر فى هذا الأمر ، فإن هذا الأمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطق ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فإما رضىنا فأتينا الأمر الذى تسألوننا وتسوموننا ، أو كرهناه فرددناه » .

قال : وإنما أراد الحسين أن يردهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ويوصى أهله .

فاستشار عمر بن سعد شمر بن ذى الجوشن فى ذلك ، فقال شمر أنت الأمير والرأى رأيك : فأقبل عمر على الناس فقال : ماذا ترون ؟ فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدى : سبحان الله ! والله لو كان من الديلم ثم سألك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها . وقال قيس بن الأشعث : أجيبهم إلى ما سألك فلعمري ليضبحك

بالمقتال غُدُوَّةً . فقال : والله لو أعلم أن يفعلوا . أَخَذَتْهُمْ الْعِشْيَةُ . .
ثم رجع عنهم .

قال : وجمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد عنهم فقال :
« أَثْنَيْ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْسَنَ الثَّنَاءِ ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنَّبُوَّةِ ، وَعَلِمْتَنَا
الْقُرْآنَ ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ،
فَاجْعَلْنَا لَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ^(١) ، أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى
بِأَخِيرًا مِنْ أَصْحَابِي ، وَلَا أَهْلَ يَبِيتُ أَبْرَ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ،
نَجَزَاكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا عَنْ خَيْرٍ ، إِلَّا وَإِنِّي لَأُظَنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا ،
إِلَّا وَإِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَكُمْ ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ
كَيْ ذِمَام ^(٢) ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَخِذُوا جَمَلًا ، ثُمَّ لِيَأْخُذْ
كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِبَيْدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، فِي
سَوَادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ ، حَتَّى يَفْرُجَ اللَّهُ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يَطْلُبُونَنِي
وَلَوْ قَدْ أَصَابُونِي لَهَوُوا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي ! » .

فقال له إخوته وأبنائوه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر :
« لِمَ نَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ لِنَبْقَى بَعْدَكَ ! لَا أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ أَبَدًا ! » . بدأهم بهذا
القول العباس بن علي ، ثُمَّ تَكَلَّمُوا بِهَذَا وَنَحْوِهِ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ :
« يَا بَنِي عَقِيلَ ، خَسِبَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ بِمُسْتَلِيمٍ ، أَذْهَبُوا فَقَدْ أَذْنْتُ لَكُمْ ! .
تَالُوا : « فَمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ يَقُولُونَ : أَنَا تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا

(١) جاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٧ بدلا من هذه الجملة قوله : « ولم نجعلنا من
المشركين » .

(٢) ذِمَام : حق .

وبنى عمومنا خير الأعمام ، لم نَرْمِ معهم بسهم ، ولم نَطْعن معهم
برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، ولاندرى ، ماصنعوا ! لا والله لانفعل ،
ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نَرِدَ مَوْرَدَكَ
فقبح الله العيش بعدك ! » .

وقام إليه مُسلم بن عَوْسَجَةَ الأَسَدِي ، فقال : « أنحن نتخلى
عنك ولم نُعْذِرْ إِلَى الله في أداء حَقِّكَ ؟ أَمَا وَالله لا أفارقك حتى أَكْسِرَ في
صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثَبَتَ قائمُهُ في يدي ! والله لو لم
يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة دُونَكَ حَتَّى أَمُوت ! » .

وقال له سعد بن عبد الله الحنفي : « والله لانخلبك ، حتى يعلم
الله أَنَّا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك ، والله
لو علمتُ أَنِّي أَحْيَا ثم أُحْرَقَ حَيًّا ثم أُذْرَى - يُفْعَلُ بِي ذَلِكَ سَبْعِينَ
مَرَّةً - مافارقتك حتى أَلْقَى حِمَامِي دُونَكَ ! فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي
قتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا ! » .

وقال زُهَيْر بن القَيْن : « وَالله لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثم نُشِرْتُ
ثم قُتِلْتُ ، حَتَّى أَقْتَلَ هَكَذَا أَلْفَ قَتْلَةٍ ، وَأَن الله يدفع بذلك القتل
عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الْفِتْيَةِ من أهل بينك ! » .

وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد ، فقالوا
« والله لانفارقك ، ولكن أنفسنا لك القداء ! ونقيك بنحورنا وجباهنا
وأيدينا وأبداننا ! فإذا نحن قُتِلْنَا وَقَضَيْنَا ما علينا ! » .
وهذا القول من كلام الحسين وكلامهم مَرْوِي عن زَيْن العابدين علي
ابن الحسين رضي الله عنهما .

قال (١) : وسمعت زَيْنَبُ أُخْتَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَهُوَ فِي خَبَاءٍ لَهُ
يقول - وعنده حوى مولى أبى ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه - :

يا دهرُ أف لك من خليل

كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحبٍ أو طالبٍ قتييل

والدهرُ لا يقنعُ بالبدييل

وإنما الأمرُ إلى الجلييل

وكلُّ حَيٍّ سالكِ السبيل

فأعاد ذلك مرتين أو ثلاثا ، فلما سمعته لم تملك لنفسها أن
وثبتت تجرؤوبها وإنما لحاصرة حتى انتهت إليه فقالت : « واكُلاذ !
ليت الموت أعذمني الحياة ! اليوم ماتت فاطمة أمي وعلى أبي وحسن
أخي ! يا خليفة الماضي وثمان الباقي ! » . فنظر إليها وقال : يا أختي
لا يذهبن جلمك الشيطان . قالت : يا أبي وأمي أنت استقتلت نفسي
فداؤك ! فردد غصته ، وترقرقت عيناه ، ثم قال : « لو ترك القطا
ليلا لنام (٢) ! » . فقالت : « يا ويلتنا ! أفتغصب نفسك اغتصابا ؟

(١) القائل : زين العابدين : قال : إني جالس في تلك العشة التي قتل أبي صبيحتي ،
وعسى زينب عنى تمرضني إذ اعتزل أبي بأصحابه في غيابه ، وعنده حوى مولى أبى ذر
الغفاري : وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبى يقول : يادهر أف لك . . . الخ .

(٢) تمثل بعمز بيت لحزام ابنة الديان ، وله قصة ذكرها الميداني في مجمع الأمثال
والمفضل بن سلمة في الفاخر والملاحظ في الحيوان والبعث في شواهد الكبرى وذلك أن الديان
وقومه - بهم أعداؤهم ليلا ، فلما كانوا قريبا منهم أثاروا القطا - من الطير - فمرت بأصحاب
الديان ، فخرجت لحزام إلى قومها فقالت :

== ألا يا قومنا ارتحلوا وسبروا فلو ترك القطا ليلا لناما

فذلك أفرح لِقَلْبِي وأشدُّ عَلَى نَفْسِي ! . ثم لَطَمْتُ وَجْهَهَا وَأَهْوَتْ
إِلَى جَيْبِهَا فَشَقَّتْهُ ، ثُمَّ خَرَّتْ مَغْشِيَا عَلَيْهَا ، فَقَامَ إِلَيْهَا الْحُسَيْنُ
فَصَبَّ عَلَى وَجْهِهَا الْمَاءَ وَقَالَ لَهَا : « يَا أُخِيَّةُ ، اتَّقِي اللَّهَ ، وَتَعَزَّيْ بِعِزِّ
اللَّهِ ، وَاعْلَمِي أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ يَمُوتُونَ ، وَأَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ لَا يَبْقَوْنَ ،
وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ بِقُدْرَتِهِ ، وَيَبْعَثُ
الْخَلْقَ فَيَعُودُونَ وَهُوَ فَرْدٌ وَحْدَهُ ، وَأَبِي خَيْرٌ مِنِّي ، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنِّي ،
وَأَخِي خَيْرٌ مِنِّي ، وَلِي وَلَهُمْ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ أُسْوَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ! » . فَعَزَّاهَا بِهَذَا وَنَحَوَهُ ، وَقَالَ لَهَا : « يَا أُخِيَّةُ ، إِنِّي أَقْسَمُ
عَلَيْكَ فَأَبْرِي قَسَمِي ، أَلَّا تَشْفِيَّ عَلَى جَيْبِي^(١) ، وَلَا تَخْمِشِي عَلَى
وَجْهِهَا ، وَلَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ » .

ثم خرج إلى أصحابه ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْرُبُوا بَيْوتَهُمْ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ ، وَأَنْ يُدْخِلُوا الْأَطْنَابَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، وَأَنْ يَكُونُوا هُمْ بَيْنَ
الْبَيْوتِ ، فَيَسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَالْبَيْوتُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَعَنْ
أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ .

قال : وقاموا الليل كله يصلُّون ويستغفرون ويدْعُونَ ويتضرَّعون .

فلما صلى عُمر بن سعد الغداة ، وذلك يوم السبت ، وهو يوم
عاشوراء ، وقيل : يوم الجمعة ، خرج فيمن معه من الناس .

= أى : أن القطا لو ترك ما طار في هذه الساعة ، فقد أتاكم القوم ، فقال ديسم بن طارق
بصوت عال : -

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وهناك بعض الرايات الأخرى .

(١) أخذ ذلك من حديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وعباً الحُسَيْن أصحابه بِالْعَدَاة (١) ، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ، فجعل زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ في مِئْمَنَتِهِ ، وَحَبِيبُ بْنُ مُظَهَّرٍ (٢) في مِيسِرَتِهِ ، وَأَعْطَى رَايَتَهُ الْعَبَّاسُ أَخَاهُ ، وَأَمَرَ بِحَطَبٍ وَقَصَبٍ فَأُلْقِيَ فِي مَكَانٍ مَخْفُضٍ مِنْ وَرَائِهِمْ كَأَنَّهُ سَاقِيهِ (٣) كَانُوا عَمَلُوهُ (٤) فِي سَاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ ، وَأُضْرِمَ فِيهِ نَارًا ، لِئَلَّا يُؤْتُوا مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَتَنَفَعَهُمْ ذَلِكَ .

وجعل عُمرُ بنُ سعدٍ على مِئْمَنَتِهِ عمرو بنُ الحجاجِ الزُّبَيْدِيُّ ، وعلى مِيسِرَتِهِ شُعْرُ بنُ ذِي الْجَوْشَنِ ، وعلى الْخَيْلِ عَزْرَةُ بنُ قَيْسِ الْأَحْمَسِيِّ ، وعلى الرِّجَالِ شَبِثُ بنُ رِجْعِيٍّ ، وَأَعْطَى الرَّايَةَ ذُوَيْدًا (٥) مَوْلَاهُ ، وجعل على رُبعِ الْمَدِينَةِ عبدُ اللَّهِ بنُ زُهَيْرِ الْأَزْدِيُّ ، وعلى رِيعِ رُبْعَةٍ وَكِندَةَ قَيْسِ بنِ الْأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ ، وعلى رِيعِ مَدْحِجٍ وَأَسَدَ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي سَبْرَةَ الْحَنْفِيِّ ، وعلى رُيعِ تَمِيمٍ وَمَسْدَانَ الْحُرَيْنِ يَزِيدُ الرِّيَّاحِيُّ . فشَهِدَ هَؤُلَاءُ كُلُّهُمْ مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ إِلَّا الْحَرَّ بنَ يَزِيدٍ : فَإِنَّهُ عَدَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَقُتِلَ مَعَهُ عَلَى مَا نَذَرَهُ .

قال : ولما أَقْبَلُوا إِلَى الْحُسَيْنِ أَمَرَ بِفُسْطَاطٍ فَضُرِبَ ، ثُمَّ أَمَرَ

(١) كذا جاء في المخطوطة وجاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٠ • وصلى بهم صلاة العداة • .

(٢) اختلفت الكتب في كتابة هذا الاسم انظر ما سبق ، وتاريخ الطبري والإصابة ج ١ ص ٣٧٣ ، ٥٢٧ • .

(٣) لم ينطق في المخطوطة الحرفان الأخران من هذه الكلمة ، وجاء في تاريخ الطبري والكامل ج ٣ ص ٢٨٦ : « ساقية » وقد تكون : « ساقية » والساقية : مؤخر الجيش .

(٤) حفروه في ساعة من الليل فجعلوه كالخندق .

(٥) كذا جاء الاسم في المخطوطة وتاريخ الطبري : « ذريدا » وجاء في الكامل :

« ذريدا » • .

بِمِسْك ، فَمِيتٌ ^(١) فِي جَفْنَةٍ عَظِيمَةٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُسَيْنِ ذَلِكَ الْفُسْطَاطَ .
وَأَسْتَعْمَلَ الثُّورَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكِبَ دَابَّتَهُ ، وَدَعَا بِمُصْحَفٍ فَوَضَعَهُ
أَمَامَهُ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ ، وَرَجَائِي
فِي كُلِّ شِدَّةٍ ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ ، كَمْ مِنْهُمْ
يُضْعَفُ فِيهِ الْفُؤَادُ ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ ، وَيَشْمَتُ
فِيهِ الْعَدُوُّ أَنْزَلْتَهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ ، رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ،
فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ وَكَفَيْتَنِيهِ ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ كُلِّ
حَسَنَةٍ ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ ! » .

وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْحُسَيْنِ ، فَنَظَرُوا إِلَى النَّارِ تَضْطَرِّمُ فِي الْحَطَبِ
وَالْقَصَبِ ، فَقَالَ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ : يَا حُسَيْنُ اسْتَعْجَلْتَ النَّارَ
فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ : يَا ابْنَ رَاعِيَةِ الْمُعْزَى
أَنْتَ أَوَّلِي بِهَا صُلِيًّا ! .

ثُمَّ رَكِبَ الْحُسَيْنُ رَاحِلَتَهُ ، وَحَمَلَ ابْنَهُ عَلِيًّا عَلَى فَرْسِهِ « لَاحِقٌ » .

ذَكَرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَبْلَ إِنْشَابِ الْحَرْبِ وَمَا وَعَظَ بِهِ النَّاسَ وَمَا أَجَابُوهُ
وَمَا تَكَلَّمَ بِهِ أَصْحَابُهُ وَمَا أَجِيبُوا بِهِ وَخَبِرَ مَقْتَلَهُ

قَالَ : وَلَمَّا رَكِبَ الْحُسَيْنُ رَاحِلَتَهُ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ نِدَاءً يُسْمَعُ
جُلُ النَّاسِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ، وَلَا تُعْجِلُونِي حَتَّى أَعْظَاكُمْ
بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ ، وَحَتَّى أَعْتَذَرَ لَكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ
عَذْرِي وَصَدَقْتُمْ قَوْلِي وَأَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ وَلَمْ يَكُنْ

لكم على سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ^(١) ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ^(٣) ﴾ .

ثم ^(٤) حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملائكة الله وأنبيائه ^(٥) ، ثم قال : أما بعد ، فانسبوني وانظروا من أنا ؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم ، وعاتبوها ، فانظروا هل يصلح لكم قتلى وانتهاك حرمتي ؟ ؟ ألسنتُ ابن بنت نبيكم وابن وصيِّه وابن عمِّه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربِّه ؟ أو ليس حمزة سيِّد الشهداء عمِّي أبي ؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين يعمِّي ؟ أو لستم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولأخي : « هذان سيِّدا شباب أهل الجنة » ؟ فإن صدقتموني بما أقول ، وهو الحق ، وما تعمَّدت كذبا مذ علمت أن الله يمجِّت عليه أهله ويضرُّ به من اختلقه ، وإن كذبتُموني فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري

(١) مستورا ، بل أظهره وجاهرني .

(٢) من الآية ٧١ من سورة يونس

(٣) الآية ١٩٦ من سورة الأعراف .

(٤) قال الطبري في تاريخه ج ٤ ص - ٢٢٢ وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص - ٢٨٧ :

إن أخوات الحسين لما سمعن كلامه السابق بكين وصرن : فأرسل إليهن أخاه العباس وابنه عليا يسكتان ، وقال : لعمرى أيكثرن بكاءهن : ثم حده الله . . . الخ .

(٥) روى الطبري عن الضحاك أنه ذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره ،

واقسم إنه ما سمع بكلاما أبغ في منطلق منه .

أو أبا سعيد الخُدْرِيَّ أو سهْل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم
أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي ولأختي ، أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك
دمي ؟ ! .

فقال له شمر : هو يعبد الله على حَرْفٍ إن كان يدرى مايقول .
فقال له حبيب بن مظهر : « والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حَرْفاً ،
وإني أشهد أنك صادق وأنك لا تدرى ما تقول ، ، قد طَبِعَ الله على
قلبك ! » .

ثم قال الحسين : فإن كنتم في شك من هذا القول ففتشكون أني
ابن بنت نبيكم ؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري
منكم ولا من غيركم ! أخبروني أنطلبوني بقتيل منكم قتلته ، أو مال
لكم استهلكته ، أو بقصاص من جراحة ؟ ! .

فلم يكلموه ، فنأدى : « ياشبث بن ربعي ، ويأحجار بن أبحر ،
ويأقيس بن الأشعث ، ويأيزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي أن قد
أينعت الثمار ، واخضر الجناب ، وطمت الجمام ^(١) ، وإنما تقدم
على جند لك مجند ، فأقبل . ؟ »

قالوا : لم نفعل قال : « سبحان الله ! بلى والله لقد فعلتم ! »

(١) طمت : بتخفيف الميم وتشديدها ، يقال « طما الماء » إذا ارتفع ،
« وطما البحر » إذا امتلأ ، ويقال : « طم الماء » إذا غمر : « طم الشيء »
إذا كثر ، ومنه « طم الأمر » إذا عظم وبتخافه . . والجمام : « ماعلا وأس المكيال
فوق طفاقة ، ويأتي « الجمام » جمالا لـ « الجلم » وهو معظم الماء والكثير من الشيء ،
ولـ « الجمة » وهي مجتمع ماء البئر ومعظم الشيء .

ثم قال : أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى ما أمني من الأرض .

فقال له قيس بن الأشعث : ألا تنزل على حُكم بنى ^(١) عمك فانهم لن يرؤوك إلا ماتحبّ ولن يصل إليك منهم مكروه . فقال له الحسين : أنت أخو أخيك (٢) ، أتريد أن يطلبك بنوها هاشم بأكثر من دم مُسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الدليل ولا أقرّ إقرار العبيد !! عباد الله ، إني عُذت بربي وربكم أن ترجموني ^(٣) إني عُذتُ بربي وربكم من كل متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب ^(٤) .

ثم أذاع راحلته ، ونزل عنها ، وأمر عقبة بن سميان فعلقها . وأقبلوا يزحفون نحوه .

فخرج زهير بن القين على فرس له شاكى السلاح ، وقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد وولادة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فأنتم للنصيحة أذل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون .

(١) كذا جاء عند الطبري ، وهو المناسب لما بعده ، وجاء في الكامل : ابن عمك ، يعني ابن زياد .

(٢) يشير إلى ما صنه أخوه محمد بن الأشعث إذا قال لمسلم بن عقيل : «ك الأمان ، إن القوم بنوع عمك : وليسوا بقاتليك ولاضاريك » ثم أقبل بحمل إلى قصر عبيد الله بن زياد ولم يهتم عبيد الله بهذا الأمان ، وقتل مسلماً ، كما مر .

(٣) من الآية ٢٠ من سورة الدخان .

(٤) من الآية ٢٧ من سورة غافر .

إِنَّا ندعوكم إلى نصرهم ونحذران الطاغية ابن الطاغية عُبَيْدُ اللَّهِ بن زياد ،
فإنكم لا تذكرون منهما إلَّا سُوءًا ، يَنْسُمُلَانِ أَعْيُنَكُمْ ، ويقطعان
أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ،
ويقتلان أمثالكم وقراءكم ، أمثال حُجْر بن عَدِيٍّ وأصحابه ، وهانئ بن
عُرْوَةَ وأشباهه ! »

قال : فَسَبُّهُ ، وَأَنْتَوَا عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد ، ودَعَوَاهُ ، وقالوا :
والله لا نَبْرَحُ حَتَّى نَقْتَلَ صاحبك وَمَنْ معه أو نَبْعَثَ به وبأصحابه إلى
الأمير عُبَيْدِ اللَّهِ سَلَمًا .

فقال لهم : « عباد الله ، إن ولد فاطمة أَحَقُّ بالوَدِّ والنصر من ابن
سُمَيَّةَ ، فإن كنتم لم تنصروه فأُعَيْدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَقْتُلُوهُ : خَلُّوا
بين هذا الرجل وبين ابن عمِّه يزيد بن معاوية ، فَلَعَمْرِي إن يزيد
ليَرْضَى من طاعتكم بدون قتل الحسين ! » .

فرماه شمر بسهم وقال : اسكُتْ ، اسكُتَ اللَّهُ نَامَتَكَ ^(١) ،
أَبْرَمْتَنَا بكثرة كلامك !

فقال له زهير : « يا ابن البَّوَالِ عَلَى عَقَبَيْهِ ، ما إِيَّاكَ أناطِبُ ، إِنَّمَا
أَنْتَ بَهِيمَةٌ ، وَاللَّهِ مَا أَظُنُّكَ تُحْكِمُ من كتاب الله آيَتَيْنِ ، فَأُبَشِّرُ بِالْعِزِّي
يوم القيامة والعذاب الأليم ! »

فقال له شمر : إن الله قَاتِلُكَ وصاحبك عن ساعة . قال : « أَقْبِلِ الْمَوْتَ
تَخَوُّفِي ؟ فَوَاللَّهِ لَلْمَوْتِ أَحَبُّ إِلَيَّ من الخُلْدِ معكم ! » ثم رفع صوته
وقال : « عباد الله ، لا يَغُرَّنْكُمْ من دينكم هذا الجِلْفُ الجاني وأشباهه ،

(١) الذامة : النعمة والصوت ، يقال « اسكُتَ الله نالته » أى : أماته .

فوالله لاتنال شفاعته محمد قوما هراقوا جماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم ! »

فأتاه رجل من قبل الحسين فقال له : « إن أبا عبد الله يقول لك : أقبل ، فلعمري لئن كان مؤمن آلِ فرعونَ نصح قومه وأبلغ في الدعاء ^(١) لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع الصلح والإبلاغ ! » .

قال : ولما زحف عمر بن سعد إلى الحسين أتاه الحر بن يزيد فقال له : « أصلحك الله ، أمقتل أنت هذا الرجل ؟ ! » قال : « إي والله ، قتالا أينسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي ! » قال : أفعالكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضى ؟ قال عمر : « أما والله لو كان الأمر لى لفعلت ! ولكن أميرك قد أبى ذلك . فأخذ الحر يزيد بن الحسين قليلاً قليلاً ، وأخذته رعدة ، فقال له رجل من قومه يقال له « المهاجر بن أوس » . [ماتريد يا ابن يزيد ؟ أتريد أن تحمل ؟ فسكت ، وأخذه مثلُ العرواء ^(٢) ، فقال له : [^(٣) « يا ابن يزيد ، إن أمرك لمريب ! والله مارأيت منك في موقف قط . مثل شيء أراه الآن ! ولوقيل لى : من أشجع أهل الكوفة رجلاً ؟ ماعدتوك ! فما هذا الذى أرى منك ؟ » فقال له : « إني - والله - أخير نفسى بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت ! » .

(١) يشير إلى قول الله تعالى : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذباً فعليه كذبه : وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذى يعدكم ، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ، يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض ، فمن ينصرفا من بأس الله إن جادنا ... ﴾ انظر الآية ٢٨ وما بعدها فى سورة غافر .

(٢) العرواء : مس الحصى .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٢٥ .

ثم ضرب قمره ، فلحق بالحسين ، فقال له : « جعلني الله فداك يا ابن رسول الله ، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وسأيرثك في الطريق ، وجعجت بك في هذا المكان ، ووالله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا ولا يبلغون منك هذه المنزلة ! فقلت في نفسي : لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يروا أني خرجت من طاعتهم ، وأما هم فسيقبلون من الحسين بعض هذه الخصال التي يعرض عليهم ، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك ! وإني قد جئتك نائبا مما كان مني إلى ربي مؤاسيا لك بنفسي حتى أموت بين يديك ! أفترى ذلك لي توبة ؟ » قال : نعم يتوب الله عليك ويغفر لك .

قال : فتقدم الحر ، ثم قال : « أيها الأمير ^(١) ، ألا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيكُم الله من حربه وقتاله ؟ » فقال له عمر : « قد حرصت ، لو وجدتُ إلى ذلك سبيلا فعلت ! » فقال : « يا أهل الكوفة ، لأُكمم الهبل ^(٢) ! دعوتهم حتى إذا أتاكم أسلمتموه ! وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ثم علنتم عليه لتقتلوه ! أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه ^(٣) وأحطتم به من كل ناحية ، فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة ، حتى يأمَنَ ويأمنَ أهل بيته ، فأصبح في أيديكم كالأسير لا ملك لنفسه

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٥ والكمال ج ٣ ص ٢٨٨ « أيها القوم » وهو أول لمناجاة ما بعده .

(٢) الهبل : النكل .

(٣) الكظم : مخرج النفس ، ويقال « أخذ بكظمه » إذا أصابه بالكرب والغم .

نفعاً ولا يدفع عنها ضراً ! ومنعتموه ومن معه من ماء الفرات الجارى الذى يشربه اليهودى والنصرانى والمجوسى ، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، وهامهم قد صرعهم العطش ! بئس ما خلقتُم محمداً فى ذريته ! لا أسقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه ! » فرمّوه بالنبل ، فرجع حتى وقف أمام الحسين .

وزحف عمر بن سعد ، ثم نادى : « يا قُوَيْد (١) ، أذن رابتك » ثم رمى بسهم وقال : ائمهّدوا أنى أوّل من رمى بسهم . . . ثم ارتمى الناس .

وخرج يسار مولى زياد بن أبيه وسالم مولى عبيد الله بن زياد ، فقالا : من يُبارز ؟ فخرج إليهما عبد الله بن عمير الكلبي ، فقالا له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا له : لانعرفك ، ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظهر أو بُرَيْر بن خضير . وكان يسار أمام سالم ، فقال له الكلبي : « يا ابن الزانية ، أو بك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ؟ وهل يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو خير منك ؟ ! » ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برَد (٢) ، فإنه لمشتغل به يضربه إذ شدَّ عليه سالم فلم يأتبه له ، حتى غشيته فبدره الضربة ، فأتقاه الكلبي بيده اليسرى فطار أصابع كفه اليسرى ، ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله .

وكان الكلبيُّ هذا قد رأى الناس من أهل الكوفة يالئخيلة وهم

(١) أنظر ما سبق فى هذا الاسم .

(٢) برد ، مات .

يعرضون ليسرّحوا إلى الحسين ، فقال : « والله لقد كنتُ على جهاد
أهل الشرك حريصاً ، وإنى لأرجو ألا يكونَ جهادُ هؤلاء الذين يغزُون
ابنَ بنتِ نبيِّهم أيسرَ ثواباً عند الله من ثوابه ليأى فى جهاد المشرّكين ! »
فدخل على امرأته أمّ وهب بنت عبد (١) ، فأخبرها بما سمع وأعلمها
بما يريد ، فصرّ وبّت رأيه وقالت : أخرجنى معك ! فخرج بها ليلاً حتى
أتى الحسين فقام معه ، فلما قتل العبدَيْن أقبل يرتجز ويقول :

إِنْ تُنْكِرُونِى فَأَنَا ابْنُ كَلْبٍ
حَسْبِى بَيْتِى فِى عُلَيْمٍ حَسْبِى
إِنِّى امْرُؤٌ ذُو مَرَّةٍ وَعَصْنَبٍ
وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ عِنْدَ النُّكْبِ
إِنِّى زَعِيمٌ لَكَ أُمٌّ وَهَسْبٍ
بِالطُّغْنِ فِيهِمْ مُقْدِمًا وَالضَّرْبِ
ضَرْبِ غُلَامٍ مُؤْمِنٍ بِالرَّبِّ

فأخذت امرأته أمّ وهب عموداً ثم أقبلت نحوه تقول له : « فإدك
أبى وأُمى ! قاتِلْ دُونَ الطُّغْيَانِ دُرِّيَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! »
فأقبل إليها يردّها نحو النساء . وأخذت تُجاذب ثوبه وقالت : لن
أدعَكَ دُونَ أَنْ أَمُوتَ معك ! فناداها الحسين فقال : « جُزَيْتُمْ مِنْ أَهْلِ
بَيْتٍ خَيْرًا ! ارجعى رحمك الله إلى النساء فاجلسى معهنَّ ، فإنه ليس
على النساء قتال . » فانصرفت إليهن .

وحمل عمرو بن الحجاج ، وهو فى الميمنة ، فلماً دنا من الحسين

(١) من قبيلة النمر بن قسطنط .

جَنَوْا لَهُ عَلَى الرُّكْب ، وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ نَحْوَهُمْ ، فَلَمْ تُقَدِّمْ خَيْلُهُمْ عَلَى الرِّمَاح ، فَذَهَبَتِ الْخَيْلُ لِيَرْجِعَ : فَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبِيلِ ، فَصَرَعُوا مِنْهُمْ رَجَالًا وَجَرَحُوا آخَرِينَ .

وجاء عبد الله بن حَوْزَةَ التَّمِيمِي حَتَّى وَقَفَ أَمَامَ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا حُسَيْنَ ^(١) فَقَالَ : مَا تَشَاءُ ؟ قَالَ : أَبَشِّرُ بِالنَّارِ . قَالَ : « كَلَّا ، إِنِّي أَقْدَمْتُ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ شَفِيعٍ مُطَاعٍ ! مَنْ أَنْتَ ؟ » . قَالَ أَصْحَابُهُ : هَذَا ابْنُ حَوْزَةَ . قَالَ : رَبُّ حَزَّةٍ إِلَى النَّارِ ! فَاضْطَرَبَ بِهِ فَرَسُهُ فِي جَذْوَلٍ : فَوَقَعَ فِيهِ ، وَتَعَلَّقَتْ رِجْلُهُ بِالرُّكَابِ ، وَنَفَرَ الْفَرَسُ ، فَمَرَّ بِهِ بِضَرْبِ بَرَأْسِهِ كُلَّ شَجَرَةٍ وَحَجَرٍ حَتَّى مَاتَ ، وَانْقَطَعَتْ فَخْذُهُ وَسَاقُهُ وَقَدَمُهُ .

ثُمَّ بَرَزَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَصَاحَ عَمْرُو بْنُ الْحِجَّاجِ بِالنَّاسِ : « يَا حَمَقَى ، أَنْتَدِرُونَ مِنْ تَقَاتِلُونَ ؟ فُرْسَانُ الْمَصْرِ قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا يَبِيرُزُ ^(٢) لَهُمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ، فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَرَوْهُمْ إِلَّا بِالْحِجَارَةِ لَقَتَلْتُمُوهُمْ ! » فَقَالَ عُمَرُ : « صَدَقْتَ ، الرَّأْيُ مَا رَأَيْتُمْ » ^(٣) .

ثُمَّ حَمَلَ عَمْرُو بْنُ الْحِجَّاجِ عَلَى الْحُسَيْنِ مِنْ نَحْوِ الثُّغَرَاتِ ، فَاضْطَرَبُوا سَاعَةً ، فَضَرَعَ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيَّ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ ^(٤) مَاتَ ، فَتَرَحَّمُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « فَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَنِي نَحْبَهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا » ^(٥) .

(١) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ج ٣ ص ٣٢٧ : « يَا حُسَيْنَ ، يَا حُسَيْنَ » .

(٢) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ج ٤ ص ٣٣١ : « لَا يَبِيرُزُ » .

(٣) دَمَعَ النَّاسُ مِنَ الْمَجَازَةِ ، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٢٩٠ .

(٤) مَاتَ الْحُسَيْنُ إِلَهَ وَهْ دَمَقَ .

(٥) مِنَ الْآيَةِ ٢٣ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ .

وحمل شعير بن ذى الجؤنة من بالميسرة على من يليه من أصحاب الحسين ، فثبتوا له وطاعنوه ، فقتل الكلبي ^(١) ، بعد أن قتل رجلين آخرين وقاتل قتالا شديدا ، فكان هو القاتل الثاني من أصحاب الحسين .

وقاتل أصحاب الحسين قتالا شديدا ، فكانوا لا يحملون على جانب من خيل الكوفة إلا كشفوه ، فاما رأى ذلك عزة بن قيس - وهو على خيل الكوفة - بعث إلى عمر بن سعد فقال : « ألا ترى ما تلقى خيلي منذ اليوم من هذه العدة اليسيرة ؟ ابعث إليهم الرجال والرماة ! » فقال عمر لشبث بن ربعي : تقدم إليهم . فقال : سبحان الله ! أتعمد إلى شيخ مضر وأهل المصر عاقبه تبعه في الرماة ؟ لم تجد من تندب لهذا ويجزى عنك غيري ! » وكان لا يزالون يرون من شبث الكرامة لقتال الحسين .

قال ^(٢) : فلما قال شبث ذلك دعا عمر بن سعد الحُصَيْن بن نمير ^(٣) وبعث معه المجففة ^(٤) وخمسمائة من الرماية ، فلما دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل ، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجالة كلهم .

وقاتل الناس أشد قتال حتى انتصف النهار ، وهم لا يقدر

(١) هو عبد الله بن صير ، من بني عليم ، وقد سبق قريبا ذكره ورجزه ، وقتله مولى زياد ومولى عبد الله .

(٢) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٩١ .

(٣) انظر ما سبق في هذا الاسم .

(٤) المجففة : الطائفة التي تلبس : « التجفاف » من الآلات الواقية في الحرب .

عَلَى أَنْ يَأْتُوا الْحُسَيْنَ وَأَصْحَابَهُ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، لاجتماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض .

فَارْسَلَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ رَجُلًا يُقَوِّضُونَهَا عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، لِيَحِيطُوا بِهِمْ ، فَكَانَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَةِ يَتَخَلَّلُونَ الْبُيُوتَ فَيَقْتَلُونَ الرَّجُلَ وَهُوَ يَقْوُضُ وَيَنْهَبُ . فَأَمَرَهَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فَأَحْرَقَتْ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ : « دَعَوْهُمْ يَحْرِقُوهَا ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَحْرَقُوهَا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا إِلَيْكُمْ مِنْهَا ! » . فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَجَعَلُوا لَا يَقَاتِلُونَهُمْ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ .

وَخَرَجَتْ أُمُّ وَهْبٍ امْرَأَةُ الْكَلْبِيِّ تَمْشِي إِلَى زَوْجِهَا ، حَتَّى جَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَجَعَلَتْ تَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ وَتَقُولُ : هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ ! فَقَالَ شَمِرٌ لِفَلَّامٍ اسْمُهُ رَسَمٌ : اضْرِبْ رَأْسَهَا بِالْعُمُودِ . فَضْرَبَ رَأْسَهَا ، فَشَدَّخَهُ (١) ، فَمَاتَتْ مَكَانَهَا .

وَحَمَلَ شَعِيرٌ حَتَّى بَلَغَ قُسْطَاطَ الْحُسَيْنِ وَنَادَى : « عَلَى النَّارِ حَتَّى أَحْرَقَ هَذَا الْبَيْتَ عَلَى أَهْلِهِ » . فَصَاحَ النِّسَاءُ وَخَرَجْنَ مِنَ الْقُسْطَاطِ ، وَصَاحَ بِهِ الْحُسَيْنُ وَدَعَا عَلَيْهِ (٢) ، فَفَرَّهَ شَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ عَنْ ذَلِكَ ، وَحَمَلَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى شَعِيرٍ وَمِنْ مَعَهُ فَكَشَفَهُمْ [عَنِ الْبُيُوتِ حَتَّى ارْتَفَعُوا عَنْهَا] (٣) وَقَتَلُوا أَبَا عَزَّةَ الضُّبَابِيَّ مِنْ أَصْحَابِ شَمِرٍ ، وَعَطَفَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ فَكَثَرُوا (٤) ،

(١) شدخه (بتشديد الدال أو تخفيفها) : كسره .

(٢) قال : « يا ابن ذي الجوشن ، أنت تدمو بالنار لتعرق بيتي على أهل حرقك أنت بالنار » .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٤ .

(٤) فاقروهم بكثرتهم .

فقال أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي للحسين : « يا أبا عبد الله ،
نفسى لك الفداء ، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تُقتل حتى أقتل
دونك إن شاء الله ! وأحب أن ألقى ربِّي وقد صليت هذه الصلاة التى قد دنا
وقتُها ! » فدعا ^(١) له الحسين وقال : نَعَمْ هذا أول وقتها . ثم قال سلوهم
أن يكفُّوا عنا حتى نصلِّي . ففعلوا ، فقال لهم الحُصَيْن بن نُمَيْر :
إنها لا تُقبل . فسبَّه حبيب بن مظهر ، فحمل عليه الحُصَيْن ، وخرج إليه
حبيب بن مظهر ، فضرب وجه فرسه بالسيف ، فشَبَّ ، فسقط عنه
الحُصَيْن ، فاستنقذ أصحابه ، وقاتل حبيب قتالا شديدا ، فقتل بديل
به صريم التميمي ، وحمل عليه آخر من تميم ، فطعنه ، فوقع ، فذهب ليقوم ،
فضربه الحُصَيْن على رأسه بالسيف ، فوقع ، فنزل إليه التميمي
فاحتزَّ رأسه .

فقال حسينٌ عند ذلك ^(٢) : أحتسب نفسى وحُماة أصحابي !
وحمل الحرَّ بن يزيد وزُهَيْر بن القَيْن فقاتلا قتالا شديدا ، فقتل
الحرَّ ، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدوه .
ثم صلى الحسين صلاة الظهر بأصحابه صلاة الخوف ، ثم اقتتلوا
بعد الظهر ، فاشتدَّ قتالهم ، ووُصل إلى الحسين فاستقدم سبعدين
عبد الله الحنفِيَّ أمامه ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل حتى سقط .
وقاتل زُهَيْر بن القَيْن قتالا شديدا وجعل يقول :

(١) قال الحسين : « ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين الذَّاكِرِينَ » .

(٢) عبادة الطبرى وابن الأثير : « لما قتل حبيب بن مظهر هذا ذلك حيننا ، وقال

أنا زهير وأنا ابن القَيْنِ
أذودهم بالسيف عن حسين
وجعل يضرب على منكب الحسين ويقول !

أقدم هديت هادياً مهديتنا
فاليوم تلقى جذك النبيينا
وحسنا والمرضى عليشا
وذا الجناحين^(١) الفتى الكميّا
وأمد الله^(٢) الشهيد الحيّا

قال : فحمل على زهير كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن
أوس فقتلاه .

قال : وكان نافع بن هلال البجلي^(٣) قد كتب اسمه على أفواق^(٤)
نبله ، وكانت مسمومة ، فقتل بها اثني عشر رجلاً يسوى من جرح ،
فضرب حتى كسرت عضده ، وأخذ أسيراً ، فألقى به شمر عمر
ابن سعد والدم يسيل على لحيته ، فقال له عمر : « ويحك يا نافع !
ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ » قال : « إن ربي يعلم ما أردت !
والله لقد قتلت منكم اثني عشر يسوى من جرحتي ، وما ألوم نفسي ،

(١) ذو الجناحين جعفر ابن أبي طالب ، هم الحسين ، استشهد بمؤته من أرض
الشام مجاهداً فرّوم مقبلاً غير مدبر ، في جسده بضع وتسعون بين طعنة ورمية ، وقد رآه
الذي صلى الله عليه وسلم ذا جناحين مخرجين بالدم يطير مع الملائكة في الجنة ، وفيه رمز
لطف ، لأنه قاتل حتى قطعت يده .

(٢) أمد الله : حمزه بن عبد المطلب ، هم النبي وأبي الحسين : استشهد بأحد ،
ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم « أمد الله » .

(٣) في تاريخ الطبري : « الجمل » .

(٤) أفواق : جمع فوق (بضم الفاء) وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

ولو بقيت لي عضدٌ وساعدٌ ما أسرعتوني ! » فقال له شمر : اقتله
أصلحك الله . قال : أنت جئت به فإن شئت فاقتله . فانتضى (١)
شمر سيفه ، فقال له نافع : « أما والله لو كنت من المسلمين لعظم
عليك أن تلقى الله بدمائنا ! فالحمد لله الذي جعل منايانا على يد
شرار خلقه ! » فقتله .

ثم حمل شمر على أصحاب الحسين ، فلما رأوا أنهم قد كثروا
وأنهم لا يقدرون على أن ينعروا الحسين تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ،
فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزة الغفاريان فقالا : قد جازنا
العدو وإليك فأحببنا أن نقتل بين يديك ! فرحب بهما ، وقال : اذنوا
منى فدنوا منه ، فجعلوا يقاتلان قريباً منه .

وجاءه الفتيان الجابريان : سيف بن الحارث بن سريع ومالك
ابن عبد بن سريع ، وهما ابنا عم وأخوان لأم ، وهما يبكيان ، فقال :
« ما يبكيكما ؟ والله إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريرى عين ! »
قالا : « والله ما على أنفسنا نبكى ، ولكننا نبكى عليك ! نراك قد
أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك ! » . فقال : جزاكم الله خيراً ! (٢)

وجاء حنظلة بن أسعد الشبامى فوقف بين يدي الحسين ،
وجعل ينادى : « يا قوم ، إني أخاف عليكم مثل يوم
الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
وما الله يريد ظلماً للعباد ، ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ،

(١) انتضى سيفه : استل سيفه من غمده .

(٢) روى الطبري قول الحسين لما : « جزاكم الله يا ابني أخى يوجد كما من ذلك
ومراساتكما إيلي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين » .

يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (١) يَا قَوْمِ لَا تَقْتُلُوا الْحُسَيْنَ فَيُشْحَتَكُمْ (٢) اللَّهُ بِعَذَابِهِ « وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ! » . فقال له الحسين : « رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ حِينَ رَدُّوا عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَنَهَضُوا إِلَيْكَ لِيَسْتَبِيحُوكَ ، فَكَيْفَ بِهِمُ الْآنَ وَقَدْ قَتَلُوا إِخْوَانَكَ الصَّالِحِينَ ؟ ! » قال : « صَدَقْتَ أَفَلَا نُرْوِحُ إِلَى رَبِّنَا وَنُلْحِقَ بِإِخْوَانِنَا ؟ ! » . قال : رُحْ إِلَى خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَإِلَى مُلْكٍ لَا يَبْتَلَى . فَسَلَّمَ عَلَى الْخُسَيْنِ وَاسْتَقْدَمَ فِقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

ثم استقدم الفتيان الجابريان ، فودعا حسيناً ، وقاتلا حتى قُتلا .

وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري وشوذب مولى شاكر إلى الحسين ، فسَلَّمَا عَلَيْهِ ، وتقدما فقاتلا ، فقتل شوذب ، وتقدم عابس نحوهم بالسيف ، وبه ضربة على جبينه ، وكان أشجع الناس ، فجعل ينادى : « أَلَا رَجُلٌ لِرَجُلٍ ؟ » . فعرفه ربيع بن تميم الهمداني ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، هَذَا الْأَسَدُ الْأَسْوَدُ ، هَذَا ابْنُ أَبِي شَبِيبٍ ، لَا يَخْرُجَنَّ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْكُمْ ! » . فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة . فرمَوْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فلما رأى ذلك أَلْقَى دِرْعَهُ وَمِغْفَرَهُ ثُمَّ شَدَّ عَلَى النَّاسِ ، فهِزَمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ عَظَفُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَفَتَاوَهُ ، فَادَّعَى قَتْلَهُ جَمَاعَةٌ وَأَتَوْا ابْنَ سَعْدٍ ، فَقَالَ : « لَا تَخْتَصِمُوا

(١) من الآيات ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ من سورة غافر .

(٢) جاء في الآية ٦٠ من سورة طه : « ... فَيُشْحَتُكُمْ بِعَذَابِهِ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى »

هذا لم يقتله إنسان واحد ! : ففرق بينهم [بهذا القول] (١) .

وجاء أبو الشعثاء يزيد بن أبي زياد الكندي ، وكان رامياً ،
فجثا على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ماسقط منها
خمسة أسهم ، وكان يزيد هذا ممن خرج مع عمر بن سعد ، فلما
ردوا ما عرّض عليهم الحسين عدل إليه ، فقاتل حتى قتل .
وكان آخر من تبقى مع الحسين من أصحابه سويد بن عمرو
ابن أبي المضاع الخثعمي .

وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذ على الأكبر ابن الحسين ،
وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية ، وذلك أنه حمل
على الناس وهو يقول :

أنا على بن الحسين بن علي
نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

فعل ذلك مرارا وهو يشد على الناس بسيفه ، فاعترضه مرة بن
منقذ بن النعمان العبدى ، وطعنه ، فصرع ، وقطعه الناس بأسياقهم ،
فقال الحسين : « قتل الله قوما قتلوك يا بُنَيَّ ! ما أجراًهم على الله
وعلى انتهاك حرمة الرسول ! على الدنيا بَعْدَكَ العفاء ! » وأقبل الحسين
إليه ومعه فتيلانه فقال : احملوا أخاكم فحملوه حتى وضعوه بين (٢)
يدي القسّاط . الذي كانوا يقتلون أمامه .

(١) الزيادة من تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٣٩ .

(٢) هنا ينتهى ما كان يضاف في النسخة (ك) وثبت في النسخة (ن) ، مع مراجعتى على ما

أثبت ابن جرير الطبرى في تاريخه وابن الأثير في الكامل . انظر ما سبق ص ٤٢١

وشدَّ عثمان بن خالد الجهني وبشر بن سوط. الهمداني على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب [فقتلاه ، ورمى عبد الله بن عزة الخثعمي جعفر بن عقيل بن أبي طالب ^(١) وقتاه ، ورمى عمرو بن صبيح الصدائي عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته فلم يستطيع أن يحركها ثم رماه بسهم آخر فقتاه .

وحمل الناس عليهم من كل جانب ، فحمل عبد الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر فقتاه ، وحمل القاسم بن الحسن ابن علي فحمل عليه عمرو بن سعد بن نضيل الأزدي : فضرب رأسه بالسيف فوق القاسم إلى الأرض لوجهه ، وقال : يا عماد ! فانقضَّ الحسين إليه كالصقر ، ثم شدَّ شدة ليث أغضب ، فضرب عمرا بالسيف ، فأنقاه بالساعد ، فقطع يده من المرفق : فصاح ، وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمرا ، فاستقبلته بصدورها : وجالت عليه بفرساتها ، فوطئته حتى مات ، وانجلت الغبرة والحسين قائم على رأس القاسم ودوي فحَصَّ برجليه . والحسين يقول : « بُعْداً لِقَوْمٍ قَتَلُواكَ وَمِنْ خَصْمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [فيك] ^(٢) جَدُّكَ ! » ثم قال : « عزَّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك : وأن يجيبك فلا ينزعك صوتُ والله كثيرُ واثره وقلُّ ناصره ! » ثم احتمله على صدره حتى ألقاه مع ابنه علي ومن قُتِلَ من أهل بيته .

قال : ومكث الحسين طويلاً من النهار ، كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولَّى قتله وعظيم إثمه ، فاتاه رجل من

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤١ والكامل ج ٣ ص ٢٩٣ .

كِنْدَةَ يقال له «مالك بن النسيير» فضربه على رأسه بالسيف ، فقطع
 البُرْنُس ، وأذمى رأسه ، وامتلاً البُرْنُس دَمًا ، فقال له الحسين :
 « لا أكلتَ بها ولا شربتَ ! وحشرك الله مع [القوم] ^(١) الظالمين ! »
 وألقى ذلك البرنس ، ثم دعا بقلنسوة فلبسها واعتم . وجاء الكِنْدِيُّ
 فأخذ البُرْنُس وكان من خَزٍّ ، فقدم به على امرأته ، وأقبل يفسله
 من الدم ، فقالت له : « أسلبُ ^(٢) ابنِ بنتِ رسول الله يدخل
 بيتي ؟ أخرجهُ عني ! » فلم يزل ذلك الرجل فقيرًا بشر حتى مات .
 قال : ودعا الحسين يابنه عبد الله وهو صغير ، فأجلسه في حجره
 فرماه رجل من بني أسد بسهم فذبحه ، فأخذ الحسين دمه بيده فصبّه
 في الأرض ، ثم قال : « اللهم رَبِّ إِن كُنتَ حَبِستَ عنا النصر من
 السماء فاجعلْ ذلك لما هو خير ، وانتقمْ من هؤلاء الظالمين ! » ورمى
 عبد الله بن عُقْبَةَ الغَدَوِيَّ أَبَا بكر بن الحسين بسهم فقتله ، وقتل
 إخوة الحسين وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان .

قال : واشتدَّ عطشُ الحسين ، فلنا من القُرَاتِ ليشرب فقال رجل
 من بني أبيان بن دارم : « وَيْلُكُمْ ! حُولُوا بينه وبين الماء » ،
 وضرب فرسه ، واتبعه الناس حتى حال بينه وبين القُرَاتِ ،
 فقال الحسين : اللهم أظلمه ! وانتزع الأبائي سَهْمًا فأنبته في حَنَكِ
 الحسين ، فانتزع الحسين السهمَ ، ثم بسطَ كَفْيَهُ فامتلاً دَمًا ؛ فقال
 اللهم إني أشكو إليك مايفعل بابن بنت نبيك ، اللهم أحصهم عددًا
 واقتلهم بكَدًا ^(٣) ، ولا تبقِ منهم أحدًا . وقيل أن الذي رماه حصين

(١) ثبت هذه الزيادة في النسخة (ك) ولم تثبت في النسخة (ن) .

(٢) السلب : ما يؤخذ سلبًا .

(٣) أي متفرقين في القتل واحدًا بعد واحد .

ابن نمير . قال : فما مكث الذي رماه إلا يسيراً ، ثم صب الله عليه الظمأ فجعل لا يروى ، والماء يبرّد له فيه السكر ، وعَسَّاسٌ ^(١) فيها لبن ، وقلال فيها الماء ، وإنه ليقول : ويلكم ؛ اسقوني ، قتلى الظمأ ؛ فيعطى القلّة أو العُس فيشربه ، فإذا شربه اضطجع هنيهة ، ثم قال : ويلكم ، اسقوني قتلى الظمأ ، فيعطى القلّة والعُس فيشربه ، فما لبث إلا يسيراً حتى انقضى بطنه انقضاء بطن البعير .

قال . ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل في نحو عشرة من رجاله أهل الكوفة قبّل منزل الحسين الذي فيه أهله وعياله ، فمشى نحوهم فحالفوا بينه وبين رَحْأه ، فقال : ويلكم ؛ إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم العاد فكونوا في دنياكم أحراراً ذوى أحساب ، امنعوا رجلي وأهلي من طغأكم وجهاً لكم . قال شمر : ذلك لك يا ابن فاطمة . وأقدم شمر عليه بالرجال منهم أبو الجنوب عبد الرحمن الجعفي ، وصالح بن وهب اليزني ، وسنان بن أنس النخعي ، ونحوي بن يزيد الأصبحي ، وجعل شمر يحرضهم على الحسين ، وهو يحمل عليهم فينكشون عنه ؛ ثم أحاطوا به ، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله ، فأخذته زينب بنت عليّ لتحبسه ، فأبى الغلام ، وجاء يشتد حتى قام إلى جنب الحسين ، وقد أدوى بن كعب بن عبيد الله - من بني تميم الله بن ثعلبة - إلى الحسين بالسيف ، فقال له الغلام : يا ابن الخبيثة أقتل عدي ؟ ! فضر به بالسيف فاتّقاء الغلام بيده ، فأطأها ^(٢) إلى الجلدة ^(٣) ، فنادى الغلام :

(١) عَسَّاس : جمع عَس ، وهو القلح الضخم .

(٢) أطأها : قطعها .

(٣) فإذا يده معلقة .

يا أُمّاه ، فضمه الحسين إليه وقال : « يا ابن أخي اصبرْ على ما نزل بك ، واحتسب في ذلك الخير ، فإن الله يُلحِقك بآبائك الصالحين : برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى حمزة وجعفر والحسن » ثم قال الحسين : « اللهم آمينك عنهم قَطْر السماء ، وامنعهم بَرَكَاتِ الأرض ، اللهم فإنّ متعتهم إلى حين ففرّقهم فِرْقًا ، واجعلهم طَرِيقَ قَدَدَا ، ولا تُرضى عنهم الوُلاة أبدا ، فإنهم دَعَوْنَا اينصرونا ، فعَدَوْنَا علينا فقتلونا ! » ثم ضارب الرِّجَال حتّى انكشفوا عنهم .

قال : ودنا عمر بن سعد من الحسين فخرجت زينب بنت عليّ أخت الحسين فقالت . يا عمر ، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه ؟ فجعلت دهوع عمر تسيل على خديّه ولحيته ، وصرف وجهه عنها .

ومكث الحسين طويلا من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتّقى بعضهم ببعض ، ويحبّ هؤلاء أن يكفّهم هؤلاء ، فنادى شور ابن ذي الجوشن في الناس : ويحكم ما تنتظرون بالرجل ؟ ! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم ! فحملوا عليه من كل جانب ؛ فضرب زُرْعَة بن شريك كفه اليسرى ، وضرب على عاتقه ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو ، وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوق ، وقال لخنو بن يزيد الأصبغى احتز رأسه ، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد ، فقال له سنان : قتّ الله عَضْدك ، وأبان يدك ، ونزل إليه فذبحه وأخذ رأسه فدفعه إلى خولي .

وسلب الحسين ما كان عليه ؛ فأخذ سراويله بحر بن كعب ، فكانت

يداه في الشتاء تضخان الماء ، وفي الصيف تيبسان كأنهما عود. وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وهي من خَزْ ، فكان يُسَمَّى بعد « قيس قطيفة » . وأخذ نعليه الأسود الأودى ، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل . ومال الناس على الورس والحلل والإبل فانتهبوها ، وانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ، حتى إن كانت المرأة لَتُنَازَع ثوبها فيؤخذ منها .

ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة ، وأربع وثلاثون ضربة ، وكان سُويْد بن عمرو بن أبي المطاع قد صُرع ، فوقع بين القتلى مُشْخِناً بالجراح ، فسمعههم يقولون : قُتل الحسين فوجد خِفة فوثب ومعه سكين فقاتلهم بها ساعة ، ثم قتله عروة بن بطان الثعلبي ، فكان آخر قتيل من أصحاب الحسين

قال . وانتهبوا إلى علي بن الحسين وهو زين العابدين ، فأراد شمر قتله وكان مريضاً فمنعه حُمَيد بن مسلم ، وجاء عمر بن سعد فقال : لا يدخان بيت هؤلاء النسوة أحدٌ ، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض : ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم ، فمارد أحدٌ شيئاً ، فقال الناس لِسَدَنان بن أنس : « قتلتَ حسين بن علي وابنَ فاطمة بنت رسول الله ، قتلتَ أعظم العرب خطراً ، آزاد أن يزيل ملك هؤلاء ، فأت أمراءك فاطلب ثوابك منهم ، فإنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتله كان قليلاً » فأقبل على فرسه حتى وقف على باب قُسطاط. عمر بن سعد ، ثم نادى بأعلى صوته :

أَوْقِرَ رَكَابِي فُضَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ السَّيِّدَ الْمُحَجَّبَا (١)
 قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمَا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا
 فقال عمر بن سعد : أشهد أنك مجنون ، أدخلوه ؛ فلما دخل
 حذفه بالقضيب وقال : يامجنون أنتظم بهذا الكلام ؟ لو سمعتك ابن
 زياد لضربت عنقك . وقيل : إنه قال ذلك لعبيد الله ابن زياد ، فقال :
 فإن كان خير الناس أُمَا وَأَبَا فلم تقتله ؟ وأمر به فضربت عنقه ،
 خسر الدنيا والآخرة .

ذكر تسمية من قتل مع الحسين بن علي

رضي الله عنهما ومن سلم ممن شهد القتال

قال : ولما قُتل الحسين جاءت كِنْدَةُ بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم
 قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وجاءت هَوَازَنُ بعشرين رأساً ، وصاحبهم
 شَمِيرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ ، وجاءت بنو نَعِمْ بسبعة عشر رأساً ، وجاءت
 بنو أَسَدٍ بستة ، وجاءت مَذْحِجٌ بسبعة ، وجاء سائر الجيش بسبعة ،
 فذلك سبعون رأساً .

منهم إخوة الحسين ستة ، وهم : العباس ، وجعفر ، وعبد الله ،
 وعثمان ، ومحمد - وليس هو ابن الحنفية - وأبو بكر ، أولاد
 علي بن أبي طالب

ومن أولاد الحسين : علي ، أمه ليلي بنت أبي مرة بن عروة الثقفي ،
 وعبد الله ، وأمّه الرِّبَابُ بنت امرئ القيس الكلبي .

(١) في النسخة (ن) وداريغ الطبري والكامل : « المحجبا » وهو المشهور ، وفي

النسخة (ك) : « المحجبا » .

ومن أولاد الحسن بن عليّ ثلاثة : وهم أبوبكر ، وعبد الله ، والقاسم .

ومن أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : عون ، ومحمد .

ومن أولاد عقيل بن أبي طالب : جعفر ، وعبد الرحمن ، وعبد الله ،
ومسلم بالكوفة

ومن موالى الحسين : سليمان ، ومنجج .

وتكملة من قُتل من اتبعه ، وقد ذكرنا بعضهم بأسمائهم في أثناء
هذه القصة .

وأما من سلم منهم : فالحسن بن الحسن ، وعمر بن الحسن
لصغرهما ، وعليّ بن الحسين لمرضه ، والضحاك بن عبد الله المشرق ،
وذلك أنه جاء إلى الحسين فقال : « يا ابن رسول الله ، قد علمت
أنى قلت لك : إني آقاتل عنك ما رأيت مُقاتلاً ، فإذا لم أَرَهُ مُقاتلاً فأتانا
في جِلٍّ من الانصراف » فقال له الحسين : « صدقت ، وكيف لك
بالنَجاة ؟ إن قدرتُ عليه فأنت في جِلٍّ » وذلك بعد أن فنى أصحاب الحسين ،
قال الضحاك : فأقبلتُ إلى فرسى وكنتُ قد تركته في خِباءٍ حيث
رأيتُ خيل أصحابنا تُعقر ، وقاتلتُ راجلاً ، فقتلتُ رجلين ،
وقطعتُ يد آخر ، ودعا لي الحسينُ مراراً قال : فاستخرجتُ فرسى
واستويّيتُ عليه ، وحملتُ على عرض القوم فأفرجوا لي ، وتبغى
منهم خمسة عشر رجلاً ، ففتُّهُم ، فسَلِمْتُ .

ومنهم عقبة بن سميان مولى الرِّبَاب ابنة امرئ القيس الكلبية
امرأة الحسين ، أخذه عمر بن سعد فقال : ما أنت ؟ فقال : أنا عبد

مملوك فخلّى سبيله ، فنجّا . ومنهم الرقع ^(١) بن تمامة الأسدى ، وكان قد نثر نبله فقاتل فجاءه نفر من قومه فأمنوه ، فخرج إليهم فلما أخبر ابن زياد به نفاه إلى الزارة ^(٢) .

ذكر ما كان بعد مقتل الحسين

مما هو متعلق بهذه الحادثة

قال : ولما قُتل الحسين نادى عمر بن سعد فى أصحابه : من يَنتدب للحسين فيوطئه فرسه ، فانتدب له عشرة ، منهم إسحاق بن حيوة الحضرمى ، وهو الذى سَلَبَ قديص الحسين فبرَصَ بعد ذلك ، فداسوا الحسين بخيولهم حتى رَضُوا ظهره وصدروه .

قال : ودفن جُثَّة الحسين وجُثث أصحابه أهل الغاضرية من بنى أسد بعد ما قتلوا بيوم .

وقتل من أصحاب ابن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى ، فصلى عليهم عُمر ودفنهم .

قال : وسرح عمر برأس الحسين من يومه ذلك مع خَوْلَى بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عُبيد الله بن زياد ، فأقبل به خَوْلَى فوجد باب القصر مُغلَقا ، فأتى منزله فوضعه تحت إِجَانة ^(٣) فى الدار ، ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه ، فقالت له امرأته وهى النّوّار بنت مالك الحضرميّة : ما الخبر ؟ قال : جئتكَ بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين مَعَكَ فى الدار ، قالت : فقلت : وَيْلَكَ ! جاء الناس

(١) كذا فى النسخة «ك» ، وفى النسخة «ن» : « المرقع » ، وفى شرح القاموس :

رقيع ، كزير ، الأسدى .

(٢) الزارة : قرية بالبحرين . (٣) إِجَانة : إناء قنصل فيه الشّباب .

بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا ، قالت : فقامت من فراشي
فخرجت وجلست أنظر ، فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود
من السماء إلى الإجمانة ، ورأيت طيرا بيضا ترفرف عليها ^(١) ، فلما
أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد .

وقيل : بل الذي حمل الرأس شعير بن ذى الجوشن ، وقيس
ابن الأشعث ، وعمر بن الحجاج ، وعزرة بن قيس ، فجلس
ابن زياد ، وأذن للناس فأحضرت الرؤوس بين يديه ، فجعل ينكت
بقضيب بين ثنيتي الحسين ، فلما رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه ،
قال له : اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالله الذي لا إله
غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين
الشفتين يقبلهما ! ثم بكى : فقال له ابن زياد : أبكى الله عينك ،
فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك .
فخرج وهو يقول : أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن
فاطمة وأمرتم ابن مرجاته ، فهرب قتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم
بالذل ^(٢) [فبعد المن رضي بالذل] قال : وأقام عمر بن سعد يومه هذا والغد ، ثم
أذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة ، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ،
ومن كان معه من الصبيان ، وعلى بن الحسين مريض ، فاجتازوا به على
الحسين وأصحابه صرعى ، فصاح النساء ولطمن الخدود ، وصاغت
زينب أخته : « يا محمداه ! صلى عليك ملائكة السماء ، هذا حسين

(١) كلا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) « حولها » .

(٢) ثبتت هذا العبارة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .

بالعراء مُرْمِلٌ ^(١) بالدماء مقطَّع الأعضاء ! يا مُحمّداه ! وبناتك سبايا !
 وذُرَيْتِكَ مَقْتَلَةٌ تَسْفِي عَلَيْهَا الصُّبَا ! « فَأَبْكَتْ كُلَّ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ .
 قال : ولما أُدْخِلُوا عَلَى عبيد الله لبست زينب أَرْدَل ثيابها وتنكرت ،
 وحفَّتْ بِهَا إِمَاؤُهَا ، فقال عبيد الله : من هذه الجالسة ؟ فلم تكلمه
 حتَّى قال ذلك ثلاثا وهى لاتكلمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب بنت
 فاطمة ، فقال لها ابن زياد : الحمد لله الذى فضحككم وقتلكم وأكذب
 أُحْدُوثتكم . فقالت : الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه
 وسلم وطهرنا تطهيرا لا كما تقول ، إنما يفتضح الفاسق ويكذب
 الفاجر . قال : فكيف رأيت صنْعَ الله بأهل بيتك ؟ قالت : كذب
 عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم
 فتحاجون إليه وتخاصمون عنده ، فغضب ابن زياد واستشاط .
 ثم قال لها : قد شفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة المردة من أهل
 بيتك . فبكّت ثم قالت : لعمرى لقد قتلت كهلى وأبرزت أهلى وقطعت
 فرعى واجتثنت أصلى ، فإن يَشْفِكَ هذا فقد اشتفيت . فقال لها
 عبيد الله . هذه شجاعة فلعمرى لقد كان أبوك شجاعا ، قالت : ما للمرأة
 والشجاعة ؟ إن لى عن الشجاعة لشغلا . ونظر عبيد الله إلى على بن
 الحسين فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا على بن الحسين ، قال : أولم
 يقتل الله على بن الحسين ، فسكت . فقال له ابن زياد : مالك لاتتكلم ؟
 قال : قد كان لى أخ يقال له على فقتله الناس ، قال : إن الله قتله ،
 فسكت على ، فقال : مالك لاتتكلم ؟ قال : ﴿ الله يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ

حِينَ مَوْتِهَا» (١). ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢)
قال : أنت والله منهم ، ثم قال لرجل : ويحك انظر هذا هل أدرك ؟
والله إني لأحسبه رجلا ، فكشف عنه مَرَى بن معاذ الأحمرى فقال :
نعم قد أدرك ، قال : اقتله ، فقال على : من توكل هؤلاء النسوة ؟
وتعلقت به زينب عمته ، فقالت : يا ابن زياد حسبك منا أما رويت
من دماننا ؟ وهل أبقيت منا أحدا ؟ واعتنقته وقالت : أسألك بالله
إن كنت مؤمنا إن قتلته لما قتلتي معه ، وقال على : يا ابن زياد إن
كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحة
الإسلام . فنظر إليهن ساعة ثم نظر إلى القوم فقال : ياعجبا للرحم
والله إني أظنها وددت لو أتي قتلته أتي قتلته معه ، دَعُوا الغلام ،
انطلق مع نسانك .

ثم نودى : « الصلاة جامعة » فاجتمع الناس في المسجد الأعظم
فصعد ابن زياد المنبر ، فقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر
أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب
الحسين بن علي وشيعته ، فوثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي :
وكان من شيعة علي ، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي ،
والأخرى بصفين معه ، وكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم ، يصل
فيه إلى الليل ثم ينصرف ، فقال : يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن
الكذاب أنت وأبوك ، والذي ولاك وأبوه ، يا ابن مرجانة تقتلون
أبناء النبيين ، وتكلمون بكلام الصديقين . فقال ابن زياد : على

(١) من الآية ٤٢ من سورة الزمر .

(٢) من الآية ١٤٥ من سورة آل عمران .

به ، فوثبت عليه الجلاوزة^(١) ، فأخذوه ، فنادى بشعار الأزد « يامبرور »
فوثبت إليه فئة من الأزد ، فانزعوه ، وأتوا به أهله ، فأرسل إليه
من أتاه به فقتله ، ثم أمر بصلبه في السبخة^(٢) فصلب .

قال : وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به في الكوفة .

قال : ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع
زخر بن قيس إلى يزيد بن معاوية ومعه جماعة ، وقيل : مع شمر
وجماعة ، وأرسل معهم النساء والصبيان ، وفيهم على بن الحسين ،
وقد جعل ابن زياد الغل في يديه وعنقه ، وحملهم على الأقتاب ، فلم
يكلمهم على في الطريق ، فدخل زخر بن قيس على يزيد فقال له :
« ما وراءك ويملك وما عندك ؟ » قال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك
ونصره ، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين
من شيعته ، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم
الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال ، فغدرنا عليهم
مع شروق الشمس فأحطناهم من كل ناحية ، حتى أخذت السيوف
مأخذها من هام القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير وزر^(٣) ، ويلوفون
منا بالآكام والحفر لوأدا^(٤) كما لا ذ الحمايم من صقر ، فوالله يا أمير
المؤمنين ما كان إلا جزر جزور^(٥) ، أو نومة قائل^(٦) حتى أتينا

(١) الجلاوزة : الشرطة .

(٢) السبخة : موضع بالبصرة .

(٣) الوزر : الملجأ .

(٤) لوأدا : التجاء .

(٥) الجزر : النحر ، والجزور : الفتي من الإبل .

(٦) القائل : النائم وقت الظهيرة .

على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة ، وثيابهم مرملة ^(١) ، وخلودهم
 مغفرة ^(٢) ، تصهرهم الشمس وتسقى عليهم الريح ، زوارهم العقبان
 والرخم بقي ^(٣) سبب . قال : فدمعت عينا يزيد وقال : كنت
 أرضى من طاعتكم بلون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ، أما والله لو أنى
 صاحبه لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين . قال : ولما وصل على بن الحسين
 ومن معه والرأس إلى دمشق ، وقف مُحَقَّر بن ثعلبة العائذى ، وكان
 عبيد الله قد تركهم معه ومع شمر على باب يزيد بن معاوية ، ثم رفع
 صوته وقال : هذا مُحَقَّر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللاثام الفجرة ، فأجابه
 يزيد ما ولدت أم مُحَقَّر شرُّ وألأم ، ولكنه قاطع ظلوم . ثم دخلوا على
 يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه ، فسمعت الحديث هندُ
 بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وكانت تحت يزيد ، فتقنعت بنوبها
 وخرجت فقالت : يا أمير المؤمنين رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول
 الله ؟ قال : نعم فأنقولي عليه وحدي على ابن بنت رسول الله وصريحة
 قريش ، عجل عليه ابن زياد فقتله ، قتله الله ، ثم أذن للناس فدخلوا
 عليه ، والرأس بين يديه ، ومعه قضيب وهو ينكت في ثغره ،
 ثم قال : إن هذا وأنا كما قال الخُصين بن الحُمام :

أَبِي قَوْمُنَا أَنْ يُنْصَفُونَا فَانْصَفَتْ قَوَاضِبُ ^(٤) فِي آيَانِنَا قُمْطَرَالِدَمَا

(١) مرملة : ملطخة بالدماء .

(٢) مغفرة : من العفر ، وهو التراب

(٣) بقى بالكسر والتشديد من القوا : الأرض القفر الخالية ، والسبب (نعت) : المفازة المستوية .

(٤) قواضب : سيوف .

تُفَلِّقْ هَامًا ^(١) من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعزَّ وأظلمًا ^(٢)
 فقال أبو برزة الأسلمي : « أتنتكت بقضيبك في ثُغْر الحسين ؟
 أما لقد أخذ قضيبك في ثُغْره مأخذًا لربما رأيت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يرشفه ، أما إنك يا يزيد تجئ يوم القيامة وابن زياد شفيعك
 ويحجى هذا ومحمد شفيعه ! » ثم قام فوَلَّى . فقال يزيد : يا حسين
 والله لو أتى صاحبك ما قتلتك ، ثم قال : « أتدرون من أين أتى هذا ؟
 قال : أبي خير من أبيه ، وأمي فاطمة خير من أمه ، وجدِّي رسول
 الله خير من جده ، وأنا خير منه ، وأنا أحق بهذا الأمر منه . فأمّا قوله :
 أبوه خير من أبي فقد حاجَّ أبي أباه إلى الله وعلم الناس أيهما حكم
 له ، وأما قوله : أمي خير من أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير
 من أمي ، وأما قوله جدِّي رسول الله خير من جده ، فلعمري ما أحد
 يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا نِدًا ، ولكنه إنما
 أتى من قبل فقهه ، ولم يقرأ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ
 تَشَاءُ ﴾ ^(٣) .

قال : ثم أدخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه ، فجعلت
 فاطمة وسُكَيْنَةُ ابنتا الحسين تتطاوَلان لتتنظرا إلى الرأس ، وجعل
 يزيد يتطاوَل ليستر عنهما الرأس ، فلما رأين الرأس صحن ، فصاح
 نساء يزيد وولولن وبنات معاوية ، فقالت فاطمة بنت الحسين ،

(١) الهام : مفردة هامة . من الرأس .

(٢) أنظر المفضلية ١٢ من المفضليات والهامية بشرح المزيدي ج ١ ص ١٢٩ ،
 ٣٩١ والأغاني ج ١٤ ص ٧ والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٣٠ والمؤتلف والمختلف ص ٩١

وخزانة الأدب ج ٢ ص ٧ .

(٣) من الآية ٢٦ في سورة آل عمران .

وكانت أكبر من سُكَيْنَةَ : أبنا رسول الله سبحانه يا يزيد ؟ فقال :
يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره ، فقام رجل من أهل الشام فقال :
هب لي هذه ، يعني فاطمة بنت علي ، فأخذت بثياب أختها زينب
وكانت أكبر منها ، فقالت زينب : كذبت ولو مت ، ما ذلك لك
ولا له ، فغضب يزيد وقال : كذبت والله إن ذلك لي ، ولو شئت
أن أفعله لفعلته ، قالت : كلاً والله ما جعل الله ذلك لك ، إلا أن تخرج
من ملئتنا وتدين بغير ديننا ! فغضب يزيد واستطار ، ثم قال : إياي
تستقبليين بهذا ، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك ، قالت زينب :
بدين الله ودين أبي وأخي اهتديت أنت وأبوك وجدك ، قال : كذبت
يا عدوة الله ، قالت أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك . فاستحي
وسكت ، ثم أخرجنا وأدخلن دور يزيد فلم تبقى امرأة من آل يزيد إلا
أنتهن وأقمن المأتم ، وسألن عما أخذ منهن فأضعفهن ، وكانت
سُكَيْنَةُ تقول : ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية .

قال : ثم أمر بعلي بن الحسين فأدخل مغلولاً ، فقال : لو آنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مغلولين لفك عنا ؛ قال : صدقت ؛ وأمر بفك غلّه
عنه ، فقال علي : لو آنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بعد
لأحب أن يقربنا ؛ فأمربه فقرب منه ، وقال له يزيد : يا علي أبوك الذي
قطع رحمتي وجهل حقّي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت . فقال
علي : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ لَكِنِّي لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ (١) ﴾ فقال

يزيد: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(١) ثم سكت عنه ، وأمر بإنزاله وإنزال نسائه في دارٍ على حدة ، وكان يزيد لا يتغذى ولا يشرب شيئاً إلاّ دعا علياً إليه ، فدعاه يوماً فجاء ومعه عمرو بن الحسن وهو غلام صغير ، فقال يزيد لعمرو : أتقاتل هذا ؟ يعني خالداً ابنه ، فقال : أعطيني سكيناً وأعطه سكيناً حتى أقاتله . فضمه يزيد إليه وقال شِنْشَنَةً^(٢) أعرفها من أخزم ، وهل تلد الحية^(٣) إلحائية ؟ وقيل : لما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده ، ووصله ، وسره ما فعل ، ثم لم يلبث إلاّ يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ، ولعنهم إياه ، وسبهم ، فندم على قتل الحسين ، وكان يقول : « وما عليّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري وحكمته فيما يريد ، وإن كان عليّ من ذلك وهن في سلطاني ، حفظاً لرسول الله ورعايةً لحقه وقرباته ، لعن الله ابن مَرْجَانَةَ ، فإنه اضطره ، وقد سأله أن يضع يده في يدي ، أو يُلْحَقَ بِثَغْرِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ الله ، فلم يُجِبْه إلى ذلك ، وقتله ، فبغضني بقتله إلى المسلمين ،

(١) من الآية ٣٠ في سورة الشورى .

(٢) هذا مثل يضرب في قرب الشبه ، تمثل به يزيد ، وأصله أن رجلاً من طيء يسمى « أخزم » كان حاقلاً لوالده ، فلما مات ترك بيتين يشبهوه له في العقوق ، فوثبوا يوماً على جدم أبي أخزم وضربوه وأدموه ، فقال :

إن بني ضرجرفي بالسدم
ششنة أعرفها من أخزم

والششنة : الطائفة والمادة .

(٣) هذا مثل تمثل به يزيد كسابقه ، جاء في تاج العروس (ح ي) « ومن أمثالهم : لا تلد الحية إلا حية » وحيية : تصغير حية وكنى الحريري في مقاماته عن أبي زيد وابنه بـ « الحية والحية » .

وزرع في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البرُّ والفاجر بما استعظموه من قتلى حسيناً ، مالى ولا ابن مَرْجَانة^(١) لعنه الله و غضب عليه ! » .

قال : ثم ندم ابن زياد أيضاً على قتله الحسين ، وقال لعمر بن سعد : يا عمر اتنى بالكتاب الذى كتبته إليك في قتل الحسين ؟ قال : مضيتُ لأترك وضاع الكتاب ، قال : لتجئ به ؛ قال : ضاع قال : لتجئ به ؛ قال : ترك والله يُقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذاراً إليهن ، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لונصحتها أبى سعد ابن أبى وقاص لكنت قد أدّيت حقه ! » فقال عثمان بن زياد : « صدق ، والله لو ددت أنه ليس من بنى زياد رجل إلا وى أنفه خزامة إلى يوم القيامة ، وأنَّ حسيناً لم يُقتل ! » فما أنكر ذلك عبید الله بن زياد على أخيه .

ذكر ورود الخبر بمقتل الحسين

رضى الله عنه إلى المدينة وعود أدله إليها

قال : لما قُتل الحسين أمر عبید الله بن زياد عبدَ الملك بن الحارث^(٢) السُّلَمى بالمسير إلى المدينة ؛ ليُبشِّر عمرو بن سعيد أمير المدينة بقتل الحسين ، فاعتذر عبد الملك ، فزجره ابن زياد ، فخرج حتى قدم المدينة ، فلقبه رجل من قريش فقال : ما الخبر ؟ فقال : الخبر عند الأمير . فاسترجع^(٣) القرشى ، وقال : قتل والله الحسين !

(١) سبق ذكر مرجانة أم عبید الله بن زياد ، وقد جاء حديثها في مقتل الحسين في رواية لابن جرير الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٣٧١ : « كانت مرجانة امرأة صدق فقالت امييد الله حين قتل الحسين عليه السلام : ويلك ماذا صنعت رمذا ركبت »

(٢) في تاريخ ج ٤ ص ٣٥٦ : « أبى الحارث »

(٣) قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ودخل عبد الملك على عمرو بن سعيد فأخبره بقتل الحسين ، فقال : نادِ بقتله ، ففعل ، قال عبد الملك : فام أسمع واعية ^(١) قَطُّ. مثل واعية نساء بنى هاشم في دورهن على الحسين ! فلما سمع عمرو بن سعيد أحسواتهن ضحك وقال : واعية بواعية عثمان ^(٢) وأنشد بيت عمرو بن معدى كرب : عَجَّتْ نساء بنى زياد عَجَّةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب ^(٣) (والأرنب : يوم كان لبني زبيد على بنى زياد من بنى الحارث بن كعب) ثم صعد عمرو المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين .

(١) الواعية : الصراخ على الميت ونعيه .

(٢) ذكر الميداني في مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٧٩ أن عمرو بن سعيد تمثّل بالمثل « يوم يوم الحفص الجبور » أى يوم يوم عثمان ، كما تمثّل بالبيت « عجت نساء . . . » ثم ذكر أصل هذا المثل ، وكذلك ذكر الأصل القالى في أماليه ج ٢ ص ١٩٢ .

(٣) كان من خبر هذا الشعر أن نبياتى « جرم » و « نهـد » كانتا مجاورتين ابْنى « الحارث » ، فقتلت جرم رجلاً من أشرف بنى الحارث يقال له « معاذ بن زيد » ، فارتحن الجرميون إلى « بنى زبيد » وهبط عمرو بن معد يكرب ، فخرجت بنو الحارث يطلبون بثأرهم ومعهم بنو نهـد ، فجعل عمرو جرماً أمام بنى نهـد : وجعل نفسه وقومه أمام بنى الحارث ، ولكن جرماً انهزمت سريعاً : فكان ذلك سبباً في كسر بنى زبيد في ذلك اليوم ، ثم إن حمرا غزا بنى الحارث فأصاب فيهم وانشد منهم ، فقال :

لما راوئى في الكثيفة مقبلاً وسط الكتيبة مثل ضو الكوكب

واستيقنوا منا بوقع صادق هربوا وليس أوان ساعة مهرب

عجت نساء بنى زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ويذكر بعض الرواة رواية أخرى : أن البيت لرجل من بنى أسد ؛ ولفظه : عجت نساء بنى زبيد عجة . . الخ ، ومن المؤلفين من خلط بين الروایتين . وقد ذكر القالى في أماليه ج ١ ص ١٢٦ أن مثل هذا البيت قول الشاعر :

رفعنا الحموش من وجوه نساءنا إلى نسوة منهم فأبدن مجلدا

وذكر القالى أن « الأرنب » موضع ، وكذلك تبع صاحب اللسان والتاج من نقل عن القالى ولم يعلم ذلك له ، ولم تذكر كتب البلدان والمعروف أن أرنباة تنفجت في ذلك اليوم فقتلوا بالظفر : فظفروا : فسمى « يوم الأرنب » والعرب تسمين بالأرنب إذا انفجت .

قال : ولَمَّا نُوذِيَ بِقَتْلِهِ خَرَجَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَقِيلِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
ومَعَهَا نَسَاؤُهَا حَاسِرَةٌ نَاشِرَةٌ تَشْعُرُهَا ، تَلْوِي ثِيَابَهَا ، وَهِيَ تَقُولُ :
مَاذَا تَقُولُونَ إِنَّ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ : مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ ؟
بِعِزَّتِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مُفْتَقِدِي مِنْهُمْ أَسَارِي وَقَتْلَى ضُرَجُوا بِدَمٍ
مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ أَنْ تَخْلُفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي
وَقِيلَ : سَمِعَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَوْمَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ مَنَادِيًا يَنَادِي :

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ جَهْلًا حُسَيْنًا أَبْشُرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ
كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَمَلَأَكْ وَقَبِيلٍ
قَدْ لَعَنَكُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ دَ وَمُوسَى وَحَامِلُ^(١) الْإِنْجِيلِ
وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : « رَأَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْحُسَيْنُ وَبِيدَدَ قَارُورَةً ، وَهُوَ
يَجْمَعُ فِيهَا دَمًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا ؟ قَالَ هَذِهِ دُمَاءُ الْحُسَيْنِ
وَأَصْحَابِهِ أَرْفَعُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ! » فَأَصْبَحَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَعْلَمَ النَّاسَ
بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ ، وَقَصَّ رُؤْيَاهُ .

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى أُمَّ سَلَمَةَ تَرَابًا مِنْ
تَرِيَةِ الْحُسَيْنِ ، حَمَلَهُ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« إِذَا صَارَ التَّرَابُ هَذَا دَمًا فَقَدْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ » فَحَفِظَتْ أُمَّ سَلَمَةَ
ذَلِكَ التَّرَابَ فِي قَارُورَةٍ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ صَارَ ذَلِكَ التَّرَابُ دَمًا

(١) كَلَّمَا جَاءَ فِي الْأَصْلِ مِثْلُ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ، وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ « وَمَا حَبَّ » .

فأعلمت الناس بقتله . وهذا القول يستقيم على قول من يقول إن أم مسلمة تُوقيت بعد الحسين ^(١) .

قال ^(٢) : ولما أراد يزيد أن يُسير آل الحسين إلى المدينة ، أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يُصلحهم ، ويسير معهم رجلا أمينا من أهل الشام ، ومعه ^(٣) خيل تسيرهم إلى المدينة ، ودعا عليا ليودعه وقال : « لعن الله ابنَ مَرْجَانة ، أما والله لو أتى صاحبه ما سألتني خصلة أبدا إلا أعطيته إياها ، ولَدَفَعْتُ الحُتُفُ عنه بكل ما استطعت ، ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن قضى الله بذلك ! كاتِبُني بآية حاجة تكون لك » وأوصى بهم ذلك الرسول .

فخرج بهم ، فكان يسايرهم ليلا فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طَرَفه ، وإذا نزل تنحى عنهم هو وأصحابه ، فكانوا حَوْلهم كهيئة الحرس ، وكان يسألهم عن حوائجهم ويلطّف بهم حتّى دخلوا المدينة . فقالت فاطمة بنت علي لأختها زينب : لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن نصله بشيء ؟ فقالت : والله مامعنا ما نصله به إلا حلينا ، فأخرجتنا سوارين وذمّٰلجين لهما فبعثنا به إليه ، واعتذرتا ، فردّ الجميع ، وقال : لو كان الذي صنعتُه للدنيا لكان في هذا ما يرضيني ، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أنظر الكامل ج ٣ ص ٣٠٣ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٣) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « ومعهم » .

ذكر ما ورد من الاختلاف

في مقر رأس الحسين وأين دفن

قد اختلف المؤرخون في مقر رأسه ، فمنهم من قال : إنه دفن بدمشق ، ومنهم من زعم أنه نقل إلى مرو ، ومنهم من يقول : إنه أعيد إلى الجسد ودفن بالطَّف ، ومنهم من قال : دفن بمسقلان ، ثم نقل إلى مصر ، ومنهم من قال : دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة رضي الله عنهما . وقد رأينا أن نذكر أقوالهم في ذلك ومستحجهم ^(١) .

قال : فأما من قال إنه دفن بدمشق فإنه يقول : إنه لما قُتل الحسين رضي الله عنه : وحُمِلَ رأسه إلى عُبيد الله بن زياد بالكوفة كما تقدم وقصد حمله إلى دمشق ، طلب من يقوره فلم يجبه إلا طارق بن المبارك مولى بني أمية وكان حجاجا ، ففعل ، وقد هُجِيَ أبو يعلى الكاتب ، وهو أحد أسباط طارق هذا ، ففيل فيه :

شَقَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ جَدُّ أَبِي يَـ ۖ لِي وَسَاطَ ^(٢) الدِّمَاغَ بِالْإِبْهَامِ
ثم أرسل ابن زياد به إلى دمشق ، فنصبه يزيد بن معاوية بها ثلاثة أيام ، ووضع في مسجد عند باب المسجد الجامع ، يعرف بمسجد الرأس ، (وهو تجاه باب الساعات ، كان بابه هناك ، ثم سُدَّ وفتُح من مشهد زين العابدين في سنة ثلاثين وستمائة ونحوها) ، ثم كان الرأس في خزانة يزيد بن معاوية .

واختلف أيضا القائلون إنه دفن بدمشق في المكان الذي دفن فيه بها . فحكى ابن أبي الدنيا في المقتل عن منصور بن جمهور أنه قال : دخلتُ

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) « وجيهم » .

(٢) ساطه : خلطه وقلبه .

خزانة يزيد بن معاوية ، فلما فُتحت أُصِبت ^(١) جونة حمراء فقلت
إفلام لى يقال له سليم : احتفظ . هذه الجونة فلما كنز من كنوز
بنى أمية ، فلما فتحتها وجدت بها رأساً وورقة مكتوب فيها : « رأس
الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وإذا
هو مخضوب بالسواد ، فلفه في ثوب ثم دفنه عند باب القرايين ،
عند البرج الثالث مما يلي المشرق . وحكى الاستربادي في كتابه : الداعي
إلى وداع الدنيا « عن أبي سعيد الزاهد أنه قال : قبر الحسين بكربلاء
ورأسه بالشام في مسجد دمشق على رأس أسطوانة ، وقال غيره : على
عمودين يمين القبلة ، وقيل إن يزيد دفنه في قبر أبيه معاوية ، ومنهم
من قال : في مقابر المسلمين .

وأما من قال : إنه بحرّو فانه يقول : إن أبا مسلم الخراساني لما استولى
على دمشق ، أخذ الرأس ونقله إلى مرو ، ودفن بها في دار الإمارة : وأن
الرأس حُشى بالمسك وكُفّن وصُلّي عليه مرة بعد أخرى .

وأما من قال : إنه أُعيد إلى الجسد ودفن معه ، فمنهم من يقول : إن يزيد
أعاده بعد أربعين يوماً ؛ ومنهم من يقول : بل استقر في خزانة السلاح
إلى أن ولي سليمان بن عبد الملك فأحضره وقد قَحَلَ ^(٢) ؛ وبقي عظم
أبيض فجعل عليه ثوباً وجعله في سَقَط ^(٣) وصُلّي عليه ودفن في مقابر
المسلمين ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن السلاح يطلب منه
الرأس ، فطالعه بما كان من أمره فأمره بنبشه وأخذه ، فإله أعلم بما

(١) الجونة : السلة .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) : « قحل » ومعناه : ييس ، وجاء في النسخة (ك) :

« نحل » .

(٣) السقط : رعاء كالقفة ، وحرره بعض العامة إلى « سبت » .

صنع به ، لكنهم أَسْتَدَلُّوا من ديانة عمر بن عبد العزيز وصلاحه وخيره أنه نقله إلى الجسد ودفن معه .

وأما من قال : إنه كان بِعَسْقَلَانَ ثم نقل إلى مصر فاستنادهم في ذلك إلى رؤيا منام ، وذلك أن رجلا رأى في منامه ، وهو بعسقلان أن رأس الحسين في مكان بها ، عَيَّن له في منامه فنبش ذلك ^(١) الموضع ، وذلك في أيام المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر ، ووزارة بَذَر الجمال ، فابتنى بدر الجمال له مشهدا بعسقلان ، فلم يزل الأمر على ذلك إلى أن تغلب الفرنج على عسقلان ، في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، فحمل إلى القاهرة في البحر .

وحكى محمد بن القاضي المكين عبد العزيز بن حسين ^(٢) في سيرة الصالح بن رزك ، قال : لما ولي عباس بن أبي الفتوح الوزارة بمصر في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، في مستهل جمادى الآخرة وصل الخبر بتملك الفرنج عَسْقَلَانَ ، فنقل رأس الحسين فيها - من المشهد الذي أنشأه أمير الجيوش بدر الجمال : وكملة الأفضل ^(٣) - إلى القاهرة ، فكان وصوله إليها في يوم الأحد ، ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وكان قد سَير أحد الأستاذين الخواص لتلقيه إلى مدينة تَنِيْس ^(٤) ، فوصل في عشاري ^(٥)

(١) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « فنَبَشَ في ذلك » .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « عبد العزيز الحسين » .

(٣) الأفضل : هو ابن أمير الجيوش بدر الجمال ، وقد قتل الأفضل في شهر رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمائة ، انظر النجوم الزاهرة ج ٥ .

(٤) جاءت هذه الكلمة في الأصل غير منقوطة وغير واضحة ، والأقرب أنها « تنيس » وهي مدينة قديمة في جزيرة صغيرة في الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة .

(٥) عشاري : نوع من السفن المصرية الخاصة بمقاه الدولة وصفها عبد اللطيف البغدادي في مختصر أخبار مصر طبع أوروبا ص ١٧٢ .

من عشاريات الخدمة ، ودخل فيه إلى خليج القاهرة ، وأدخل من باب
البيستان المعروف بالكافورى ، فى ليلة الأثنين التاسع من الشهر ،
وسلك به إلى القصر الغربى إلى أن وصل إلى القصر الشرقى ، ولم يزل
الحال على ذلك إلى أن حدث من عباس وابنه ما حدث ، من قبل
الظافر وإخوته وابن أخيه ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله فى أخبارهم
فى كتابنا هذا ، فلما نهض الصالح بن رزّيك فى الطلب بشأْرهم ،
وولى الوزارة ، لم يقدّم شيئا على الشروع فى بناء المشهد بالقصر ،
فى الموضع المعروف بقبة الخراج من دهايز باب الديلم وكمل المشهد ،
فلما كان فى ليلة يسفر صباحها عن تاسع المحرم سنة خمس وخمسين
وخمسائة ، خرج ابن رزّيك من داره راجلا إلى الايوان ، فأتخرج
الرأس فحملة خاتمة مستكينا إلى أن أحله بالضريح ، ومدحه
الشعراء ، فمن ذلك قول أحدهم :

أدركت من عباس ثأرا دونه	ما أدرك السفاح من مروان
وحقرت ما فخر ابن ذى يزن به	لما أقر الملك فى غمدان
وجمعت أشلاء الحسين وقد غدت	بددا فأضحت فى أعز مكان
وعرفت للعضو الشريف محله	وجليل موضعه من الرحمن
أكرمت مشواه لذيك وقبل فى	آل الطريد غدا بدار هوان
وقضيت حق المصطفى فى حملة	وحظيت من ذى العرش بالرضوان
ونصبته للمسامين تزوره	مُهَجُّ إليه شديدة الهيمان
أسكنته فى خير مأوى خطه	أبناؤه فى سالف الأزمان
ولو استنطعت جعلت قلبك لخدمه	فى موضع التوحيد والإيمان

حَرَمٌ تَلَوْدُ بِهِ الْجَنَّةُ فَتَنْتَشَنِي مَحْبُوءَةٌ بِالْعَفْوِ وَالْغَفْرِ
 قَدْ كَانَ مَقْتَرِبًا زَمَانًا قَبْلَ ذَا فَالآن عُدْتُ بِهِ إِلَى الْأَوْطَانِ
 وَأَمَّا مَنْ قَالَ : إِنَّهُ بِالْمَدِينَةِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهُ لَمَّا نَصِبَ بِدِمَشْقَ
 وَطِيفَ بِهِ ، أَمَرَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ أَنْ يَحْمِلَهُ
 إِلَى الْمَدِينَةِ ، لِيَشَاهِدَهُ النَّاسُ ، وَلِيَرْهَبَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَلَمَّا
 وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَدَخَلَ بِهِ عَلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْأَشْدَقِ ، قَالَ :
 وَدِدْتُ أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ بَعَثَ بِهِ إِلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ :
 أَسَكْتُ لَأَسَكْتُ وَلَكِنْ قُلْ كَمَا قَالَ :
 ضَرَبْتُ دَوْسَى فِيهِمْ ضَرْبَةً أَثْبَتَتْ أَوْتَادَ مُلْكٍ فَاسْتَقَرَّ
 ثُمَّ أَمَرَ بِهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ فَكُفِّنَ وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ أُمِّهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا .

وقيل : بَلْ أُرْسِلَ إِلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، أَنْ (١) دُونَكُمْ
 رَأْسَ صَاحِبِكُمْ ، فَأُخَذُوهُ ، فَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَصَلُّوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ عِنْدَ
 قَبْرِ أُمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أَبِي الْمَعَالِي
 أَسْعَدُ بْنُ عِمَارٍ (٢) بِنِ سَعْدِ بْنِ عِمَارٍ [بْنِ عَلِيٍّ] (٣) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 فِي كِتَابِهِ الَّذِي تَرْجِمُهُ « الْفَاصِلُ بَيْنَ الصَّدَقِ وَالْمَيِّنِ فِي مَقَرِّ رَأْسِ
 الْحُسَيْنِ » عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَوَهْنَهَا وَضَعْفُهَا [وَاسْتَدَلَّ عَلَى
 ضَعْفِهَا (٤)] ، وَرَجَعَ أَنَّهُ بِالْمَدِينَةِ ، حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ بِهِ مَبْلَغُ الْقَطْعِ ،

(١) كَذَا جَاءَ فِي النُّسْخَةِ (ن) ، وَجَاءَ فِي النُّسْخَةِ (ك) : « أَوْدُونَكُمْ » .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي النُّسْخَةِ (ك) ، وَجَاءَ فِي النُّسْخَةِ (ن) : « وَصَرَان » .

(٣) ثَبَتَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي النُّسْخَةِ (ن) ، وَلَمْ تَثْبُتْ فِي النُّسْخَةِ (ك) .

(٤) ثَبَتَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي النُّسْخَةِ (ن) ، وَلَمْ تَثْبُتْ فِي النُّسْخَةِ (ك) .

فقال ما معناه : أمّا قولهم إنه كان في خزائن بنى أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وأن أبا مسلم نقله إلى خراسان ، فهذا بعيد جدا ، وذلك أن أبا مسلم لما فتح الشام كان بخراسان ، والذي فتح دمشق عبد الله بن علي بن [عبد الله بن] ^(١) عباس ، فكيف يُتَصَوَّرُ أن ينقله أو يمكن من نقله إلى مؤلاه بخراسان ؟ ولو ظفّر به في خزائن بنى أمية لأظهره للناس ليزدادوا لبنى أمية بغضا ، وأيضا فقد ولي العبد الصالح عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وبعيد أن كان يترك رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزائن السلاح ولم يُؤاَرِه .

وأمّا قولهم إنه كان بعسقلان فلم يوجد ذلك في تاريخ من التواريخ أنه نقل إلى عسقلان ولا إلى مصر ، ويقوى ذلك أن الشام ومصر لم يكن بهما شيعة علوية فينقل إليهم ليروّوه وتنقطع آمالهم من الحسين وتضعف نفوسهم عن الوثوب مع غيره والانضمام ^(٢) إليه .

وأمّا قولهم إنه بالمدينة عند قبر أمه فقد قاله محمد بن سعد في طبقاته ، وابن أبي الدنيا وأبو المؤيد الخوارزمي خطيب خوارزم في إحدى رواياتهما ، وصححه أبو الفرج ابن الجوزي ، والله تعالى أعلم . وقد أخذ هذا الفصل حقه ، فلنذكر خلاف ذلك من الأخبار التي اتفقت في أيام يزيد بن معاوية على حكم اليقين :

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .
(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) « أو الإضمام » .

ذكر مقتل أبي بلال مرداس

بن حُدَيْر الحَنْظَلِي (١) الخارجي

قد ذكرنا في أيام معاوية خروجه وأن ابن زياد بعث (٢) إليه أسلم بن زرعة الكلبي في ألفين ، فهزمهم بأسك .

فلما كان في هذه السنة أرسل إليه ابن زياد ثلاثة آلاف ، عليهم عباد بن الأخضر التميمي (والأخضر زوج أمه ، نسب إليه وإنما هو عباد بن علقمة بن عباد) فسار إليه ، واتبعه حتى لحقه بتَّوَج (٣) ، فاقتتلوا حتى دخل وقت العصر ، فقال أبو بلال : هذا يوم جمعة ، وهو يوم عظيم ، دعونا حتى نصلي ، فتوادعوا ، فعجل عباد الصلاة وقيل : بل قطعها ، والخوارج يصلُّون ، فشدُّ عليهم هو وأصحابه ، فقتلهم وهم ما بين قائم وراكم وساجد ، لم يتغير منهم أحد عن حاله ، فقتلوا عن آخرهم .

ورجع عباد إلى البصرة برأس أبي بلال ، فرصده عبيدة بن هلال ومعه ثلاثة نفر ، فأقبل عباد يريد قصر الإمارة ، فقالوا له : قف حتى نستفتيك . فوقف ، فقالوا : نحن إخوة أربعة قُتل أخونا فما ترى ؟ قال : استعذُّوا الأمير : قالوا : استعذُّينا فلم يُعِدِّنا . قال : فاقتلوه قتله الله . فوثبوا عليه وقتلوه ، واجتمع الناس على الخوارج فقتلوا (٤)

(١) حدير : أبو مرداس ، وأم مرداس : أدبية ، وقد اشتهر به «مرداس بن أدية» كما سبق .

(٢) ستمائة وخمسين .

(٣) توج : مدينة بفارس ، ويقال فيها : تُول .

(٤) في الكامل : فقتلوا غير عبيدة .

وفيها استعمل يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان
وسجستان ، وعزل عنهما أخويه : عبد الرحمن وعبادا ابني زياد ،
فكتب عبيد الله^(١) بن زياد إلى أخيه عباد^(٢) يخبره بولاية سلم ،
فقسم عباد ما في بيت المال على عبيدة ، وفضل فضل فنادى : من
أراد سلفاً فليأخذ ، فأسلف كل من أتاه ، وخرج عن سجستان ،
فلما كان بجيرفت^(٣) بلغه مكان أخيه سلم ، وكان بينهما جبل ،
فعدل عنه ، فذهب لعباد تلك الليلة ألف مملوك ، أقل ما مع أحدهم
عشرة آلاف ، وسار عباد حتى قدم على يزيد ، فسأله عن المال ،
فقال : كنت صاحب ثغر فقسمت ما أصبت بين الناس .

قال : ولما سار سلم إلى خراسان كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد
معه^(٤) بنخبة ستة آلاف فارس ، وقيل ألفين ، فكان سلم ينتخب
الوجود [والفرسان^(٥)] ، فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمي
والمهلب بن أبي صفرة وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وغيرهم ،
وسار حتى قدم خراسان ، وعبر النهر غازيا ، وكان عمال خراسان
قبله يغزون ، فإذا دخل الشتاء رجعوا إلى مرو الشاهجان^(٦) ، فإذا

(١) كذا جاء « عبيد الله » في النسخة (ن) مثل الكامل ج ٣ ص ٢٠٢ وتاريخ
الطبري ٤ ص ٣٦١ ، ونجاً في النسخة (ك) « عبد الرحمن » .

(٢) وكان له صديقاً .

(٣) جيرفت : مدينة بكرمان .

(٤) عبارة ابن الأثير « كتب معه يزيد إلى أخيه عبيد الله بن زياد » ، وعبارة الطبري
« قدم سلم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله » .

(٥) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٦) مرو الشاهجان هي مرو العظمى ، و « الشاهجان » كلمة فارسية معناها : نفس
السلطان ، لأن « جان » هي نفس أو روح ، والشاه هو السلطان ، سميت بذلك لجلالها
منهم .

انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة ممّا يلي خوارزم ،
 فيتعاقدون ألا يغزوا بعضهم بعضا ويتشاورون في أمورهم ، وكان
 المسلمون يطلبون إلى أمرائهم غزو تلك المدينة ، فيأبؤون عليهم ،
 فلما قدم سلم غزا فتى في بعض مغازيه ، فسأله المهلب أن يوجهه
 إلى تلك المدينة ، فوجهه في ستة آلاف ، وقيل : في أربعة آلاف ،
 فحاصروهم ، فطلبوا الصلح على نيف وعشرين ألف ألف ، فصالحهم ،
 وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً ، فكان يأخذ العروض من
 الرقيق والدواب والمتاع بنصف قيمتها ، فبلغ ما أخذ منهم خمسين
 ألف ألف ، فحظى بها المهلب عند سلم ، وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه
 وبعث به إلى يزيد .

وغزا سلم سمرقند ، وعبر معه النهر امرأته أم محمد بنت عبد الله
 ابن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وهي أول امرأة من العرب قطع
 بها النهر ، فولدت له ابناً سماه « صغدي » واستعارت امرأته من امرأة
 صاحب الصغد حليها فلم تبعده إليها وذهبت به ^(١) .

ووجه جيشاً إلى خجندة ^(٢) فيهم أعشى همدان ، فهزموا ، فقال
 الأعشى في ذلك :

لَيْتَ ^(٣) خَيْلى يَوْمَ الخُجَنْدَلَمْ تُهْ زَمْ وَغُودِرْتُ فِي المَكْرِّ سَلِيْبَا ^(٤)
 تَحْضُرُ الطَّيْرَ مَضْرَعِي وَتَرَوْخُ ت إِلَى اللّهِ فِي الدِّمَاءِ خَضِيْبَا

(١) عبارة الطبري : « وأرسلت إلى امرأة صاحب الصغد تستعير منها حلياً ، فبعثت إليها بتاجها ، وتقلو فذهبت بالتاج » .

(٢) خجندة : مدينة حل شاطيء سيحون .

(٣) سقط اليتان من النسخة (ن) .

(٤) كذا جاء في الكامل ومعجم البلدان ، وجاء في المخطوطة « المكان » .

وفيهما عزل يزيد عمرو بن سعيد ، واستعمل الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ، وسبب ذلك أن الوليد وناساً من بني أمية قالوا ليزيد : لو شاء عمرو لأخذ بن الزبير وسرح^(١) به إليك . فعزله ، ولم يكن كذلك ، بل كان ابن الزبير كاده .

وحج الوليد في هذه السنة بالناس .

سنة اثنين وستين

ذكر وفد أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية

وخلعهم له عند عودهم

وفي هذه السنة وفد جماعة من أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية بالشام ، فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة^(٢) وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشرف أهل المدينة .

وكان ابن الزبير قد كتب^(٣) إلى يزيد لما استعمل الوليد ابن عتبة على الحجاز يقول : « إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج ، لا ينتج له لرشد ، ولا يرعوى لعظة الحكيم ، فلو بعثت رجلاً سهل الخلق

(١) في الكامل ج ٣ ص ٢٠٦ « سرحه » ، وفي تاريخ الطبري ج ٤ ص

٢٦٦ « وبعث به » .

(٢) لقب حنظلة بن أبي عامر الأنصاري الأوسي ب « غسيل الملائكة » لأنه لما استشهد في غزوة أحد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه « تغسله الملائكة » وابنه « عبد الله » مولود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) في تاريخ الطبري والكامل : « أن ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد بن

عتبة فكتب » .

رَجَوْتُ أَنْ يَسْهَلَ مِنَ الْأُمُورِ مَا اسْتَوَعَرَ مِنْهَا ، وَأَنْ يَجْتَمَعَ مَا تَفَرَّقَ ، ^(١) فَغَزَلَ يَزِيدَ الْوَلِيدَ ، وَاسْتَعْمَلَ عِثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَهُوَ فَتْنَى غَيْرُ حَدِّثَ لَمْ تُحَنِّكْهُ التَّجَارِبُ ، وَلَا يَكَادُ يَنْظُرُ فِي شَيْءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ وَلَا عَمَلِهِ .

فَوَفَدَ هَذَا الْوَفْدَ إِلَى يَزِيدَ ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَعْظَمَ جَوَائِزَهُمْ ، فَأَعْطَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ مَعَهُ ثَمَانِيَةُ بَنِينَ فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَأَجَازَ الْمُنْذَرَ بْنَ الزُّبَيْرِ بِمِائَةِ أَلْفٍ كَتَبَ لَهُ بِهَا عَلِيُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فَتَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ فَقَبِضُوهَا .

وَرَجَعَ الْوَفْدُ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا الْمُنْذَرَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ قَامُوا فِي النَّاسِ فَأُظْهِرُوا شَتْمَ يَزِيدَ وَعَيْبِهِ ، وَقَالُوا : « قَدِمْنَا مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ دِينَ ، يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَعْرِفُ بِالطُّنَابِيرِ ، وَتَعْرِفُ عِنْدَهُ الْقِيَانَ ، وَيَلْعَبُ بِالْكَلَابِ ، وَيَسْمُرُ عِنْدَهُ الْحُزَابُ (وَهُمُ اللَّصُوصُ) وَإِنَّا نَشْهَدُ كُمْ أَنَّا قَدْ خَلَعْنَاهُ » .

وَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ فَقَالَ : « جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا بَنِيَّ هَؤُلَاءِ لَجَاهَدْتُهُ ، وَقَدْ أَعْطَانِي وَأَكْرَمَنِي ، وَمَا قَبِلْتُ مِنْهُ عَطَاءَهُ إِلَّا لِأَتَقَوَّى بِهِ » .

فَخَلَعَهُ النَّاسُ ، وَبَايَعُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ عَلَى خَلْعِهِ ، وَوَلَّوْهُ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ قَدِمَ الْمُنْذَرُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى يَزِيدَ ،

(١) زَادَ الطَّبْرِيُّ « فَاَنْظُرْ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ فِيهِ صَلاَحٌ خَوَاصِنَا وَمَوَاطِنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ » .

وقال : « إنه أجازني بمائة ألف ^(١) ، ولا يمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره ، والله إنه ليشرب الخمر ، وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة ! » وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وأشد .

فبعث يزيد النعمان بن بشير الأنصاري وقال له : « إن عدد الناس بالمدينة قومك ، فأتهم فالفتهم عما يريدون ، فإنهم إن لم ينهضوا في هذا الأمر لم يجترئ الناس على خلائي . فأتى النعمان قومه ، وأمرهم بلزوم الطاعة ، وخوفهم الفتنة ، فعصوه ولم يرجعوا إلى قوله ، فرجع . وبسبب هذه الواقعة كانت وقعة الحرّة . وفي هذه السنة كان من الحوادث في بلاد المغرب ما تذكره إن شاء الله تعالى في أخبار أفريقية .

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة . وفيها ولد محمد بن عبد الله بن عباس والد السفاح والمنصور .

سنة ثلاث وستين

ذكر وقعة الحرّة

كان سبب هذه الواقعة ما قدمناه من خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ، فلما كان في هذه السنة أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد ابن أبي سفيان عامل يزيد ، وحصروا بني أمية ، فاجتمع بنو أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم في ألف رجل ، ونزلوا دار مروان ابن الحكم ، وكتبوا ^(٢) إلى يزيد يستغيثون به ، فلما قرأ الكتاب

(١) في تاريخ الطبري : « أجازني بمائة ألف درهم » .

(٢) كان الذي بعث إليه منهم مروان بن الحكم وصبر بن حبان بن هفان ، وكان مروان هو الذي يدبر أمرهم ، فأما حبان بن محمد بن أبي سفيان ، فأنما كان غلاماً فقرأ ليس له رأى ، كما سبق قريبا .

بعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق ، فأقرأه الكتاب وأمره بالمسير في الناس ، فقال قد كنت ضببتُ لك الأمور والبلاد ، فأما الآن إذ صارت دماء قريش تُهراق بالصعيد فلا أحبُّ أن أتولى ذلك .

فبعث إلى عبيد الله بن زياد ، فأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة عبد الله بن الزبير بمكة ، فقال : « والله لا أجمعهما ^(١) للفاسق : قتل ابن بنت رسول الله وغزو الكعبة ! » ثم أرسل إليه يعتذر .

فبعث إلى مسلم بن عقبة المُرِّي ^(٢) وهو شيخ كبير مريض فأخبره الخبر ، فقال : أما يكون بنو أمية [ومواليهم وأنصارهم بالمدينة] ^(٣) ألف رجل ؟ قال : بلى ؛ قال : « أما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ؟ ليس هؤلاء بأهل أن يُنصروا فإنهم أذلاء دُعهم يا أمير المؤمنين حتى يُجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم ، وينبئ لك مَنْ يقاتل على طاعتك ومن يستسلم » ؛ قال : « وَيَحْك ! إنه لاخير في العيش بعدهم ! فاخرج بالناس » .

وقيل : إن معاوية قال ليزيد : إن لك من أهل المدينة يوما ، فإن فعلوا فازمهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفت نصيخته ، فأمره بالمسير إليهم .

فنادى في الناس بالتجهيز إلى الحجاز وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار لكل رجل ؛ فانتدب لذلك اثنا عشر ألفا ، وساروا مع

(١) جا' في النسخة (ن) : « لاجمعهما » .

(٢) هو مسلم بن عقبة بن رباح بن أسد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع بن غيث بن مرة ، فقبولته إلى « مرة » ، وقد قال عند موته « لي مرة ذراعي التي بحوران صدقة على مرة » . ووقع في النسخة (ن) : « المزق » .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٨ .

مسلم ، فقال له يزيد : **إِنْ حَدَّثَ بِكَ حَدَّثْتُ فَاسْتَخْلَفَ الْحُصَيْنَيْنِ**
ابن نمير السَّكُونِي^(١) ، وقال له : « ادْعُ الْقَوْمَ ثَلَاثًا فَإِنْ أَجَابُوا
وَلَا فَقَاتِلْهُمْ ، فَإِذَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ فَأَيُّهَا ثَلَاثًا بِمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ
أَوْ رَقَّة^(٢) أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ ، فَهُوَ لِلْجَنْدِ ، فَإِنْ انْقَضَتْ الثَّلَاثُ
فَاكْفُفْ عَنِ النَّاسِ ، وَاكْفُفْ عَنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، وَامْتَوِصْ بِهِ
خَيْرًا^(٣) فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ مَعَ النَّاسِ ، وَقَدْ أَتَانِي كِتَابُهُ . »

قال : **وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ خَيْرَ الْجَيْشِ اشْتَدَّ حَصَارُهُمْ لِبَنِي**
أُمَيَّةَ بَدَارَ مَرْوَانَ ، وَقَالُوا : « وَاللَّهِ لَا نَكْفُ عَنْكُمْ حَتَّى نَضْرِبَ
أَعْنَاقَكُمْ^(٤) أَوْ تَعْطُونَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَنْكُمْ لَا تَبْغُونَا غَائِلَةً ، وَلَا تَدْلُوا
لَنَا عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا تُظَاهِرُوا عَلَيْنَا عَلُونًا ، فَكَفَّ عَنْكُمْ وَنَخَرَجَكُمْ ،
فَعَاهَدُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَارُوا بِأَثْقَالِهِمْ حَتَّى
لَقُوا مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ بِوَادِي الْقُرْمَى ، فَدَعَا عُمَرُو بْنُ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَوَّلَ
النَّاسِ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي مَا وَرَاءَكَ وَأَشِرْ عَلَيَّ ، قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ ، قَدْ
أَخِذَ عَلَيْنَا الْعَهْدُ وَالْمَوَاقِيقُ أَلَا نَدُلُّ عَلَى عَوْرَةٍ وَلَا نُظَاهِرُ عَدُوًّا ، فَانْتَهَرَهُ
وَقَالَ : « وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْتَ ابْنُ عَثْمَانَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ، وَابَيْمَ اللَّهُ لَا أَقِيلُهَا
قُرَشِيًّا بَعْدَكَ ! »

- (١) هو الحسين بن نمير بن ثابت بن ليث بن جهم بن حارث بن سلمة بن شكامة
 ابن السكون ، كما في جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٣ .
 (٢) الرقة : الدراهم ، وجاء في الكامل ج ٣ ص ٣١١ « دابة » .
 (٣) يروى أن أهل المدينة لما ثاروا حل بني أمية كلم مروان بن الحكم حل
 بن الحسين في أن يجعل أهل عتده ، فقبل ابن الحسين ، وخرج بحرمة وحرهم مروان
 حتى وضعهم في يثبع .
 (٤) كما جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) « رقابكم » ، وجاء في
 الكامل ج ٣ ص ٣١٢ : « حتى تستزلكم ونضرب أعناقكم » .

فخرج إلى أصحابه ، فأخبرهم خبره ، فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك : ادخل عليه قبل لعله يجتري بك عني ، فدخل عبد الملك على مسلم ، فقال « نَعَمْ : [هاتِ ماعندك ؛ فقال ^(١)] نعم ، أرى أن تسير بمن معك ، فإذا انتهيت إلى أذني نخلها نزلت ، فاستظل الناس في ظله وأكلوا من صقيره ^(٢) ، فإذا أصبحت من الغد مضيت ، وتركت المدينة ذات اليسار ، ثم دُرْتُ بها حتى تأتيتهم من قبل الحرة مشرقا ^(٣) ثم تستقبل القوم ، فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم [الشمس] ^(٤) طلعت من أكناف أصحابك فلا تؤذيتهم ، ويصيبهم أذاها ^(٥) ويرَوْن من اثتلاق بيضكم وأيسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم مالا تروونه أنتم منهم ، ثم قاتلهم ، واستعن عليهم بالله تعالى . » فقال له مسلم : « لله أبوك ! أي أموي ! » ثم دخل عليه مروان فقال له [إيه . قال] ^(٦) أليس قد دخل عليك عبد الملك ؟ قال : « بلى ، وأي رجل عبد الملك ! قلما كلمت من رجال قريش رجلا به شبيها ! » فقال له مروان : إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني .

ثم ارتحل مسلم من مكانه ، وفعل ما أمره به عبد الملك ، ثم دعاهم فقال : « إن أمير المؤمنين يزعم أنكم الأصل ، وإني أكره إراقة

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ؛ ولم تثبت في النسخة (ك) .

(٢) يقال لعل الرطب عند أهل المدينة « صقر » يسكون القاف ؛ ويقال لهذا الرطب « صقر » بكسر القاف .

(٣) الحرة - بفتح الحاء وتشديد الراء - أرض بظاهر المدينة فيها حجارة سود كبيرة .

(٤) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ولم تثبت في النسخة (ك) .

(٥) لأن أشمة الشمس تقع في وجودهم ، بخلاف جيش مسلم بن عقبة .

(٦) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ؛ ولم تثبت في النسخة (ك) .

دمائكم ، وإني أؤجلكم ثلاثا ، فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفتم عنكم إلى هذا الملحد الذى بمكة ، وإن أبيتم كُنَّا قد أغدَرنا إليكم .

فلما مضت الثلاث قال مسلم : يا أهل المدينة ماتصنعون ؟ أنتمالون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب ، فقال لهم : « لا تفعلوا ، بل ادخلوا فى الطاعة ، ونجعل حدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذى قد جمع إليه المراق ^(١) والفَسَّاق من كل أوب ^(٢) » يعنى عبد الله بن الزبير ، فقالوا له : « يا عدو الله ، لو أردتم أن تجوزوا إليه مايركناكم : أنحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام فتخيفوا أهل مكة وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمة ؟ لا والله لا نفعل ! » .

قال : وكان أهل المدينة قد اتخذوا خندقا ، وعليه جمع منهم ، عليهم عبد الرحمن بن أزهر بن عوف [وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف] ^(٣) وكان عبد الله بن مطيع مع ربع قريش فى جانب المدينة ، وكان معقل بن سنان الأشجعى ، أحد الصحابة على ربع المهاجرين ، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى فى أعظم تلك الأرباع ، وهم الأنصار .

وصمد مسلم بن عقبة فيمن معه ، فأقبل من ناحية الحرّة ، حتى

(١) المارق الخارج من الدين بفسالة ، وجمعه : المراق .

(٢) أوب ، جهة .

(٣) ثبتت هذه الزيادة فى النسخة (ن) ، ولم تثبت فى النسخة (ك) ، وقد ذكرها كذلك بعض العلماء ، منهم ابن جرير الطبرى فى تاريخه ج ٤ ص ٢٧٤ وابن الأثير فى الكامل ج ٢ ص ٣١٢ ، والراجع عند الزبير بن بكسر وأبي نعيم وابن عبد البر وابن حجر أنه ابن أخى عبد الرحمن بن عوف .

خَرَبَ فُسْطَاطَهُ عَلَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ مَرِيضًا ، فَأَمَرَ فَوْضِعَ لَهُ كَرَسِيَّ بَيْنَ الصَّفِيْنِ ، فَجَلَسَ ، ثُمَّ حَرَّضَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى الْقِتَالِ ، فَفَعَلُوا لَا يَقْصِدُونَ رُبْعًا مِنْ تِلْكَ الْأَرْبَاعِ إِلَّا هَزَمُوهُ ، ثُمَّ وَجَّهَ الْخَيْلَ نَحْوَ بَنِي الْغَسِيلِ ، فَكَشَفَهُمْ ^(١) ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مُسْلِمٍ ، فَذَهَبَ فِي وَجْهِهِمْ بِالرِّجَالِ ، وَصَاحَ بِهِمْ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا .

ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ بْنَ رَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلِبِ جَاءَ إِلَى ابْنِ الْغَسِيلِ ، فَقَاتَلَ مَعَهُ فِي نَحْوِ عَشْرِينَ فَارِسًا قِتَالًا حَسَنًا ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ ابْنِ الْغَسِيلِ : « مُرْ مَنْ مَعَكَ فَارِسًا فَلْيَأْتِنِي ، فَلْيَقِفْ مَعِي ، فَإِذَا حَمَلْتُ فَلْيَحْمِلُوا » (٢) ، فَوَاللَّهِ لَا أَنْتَهَى حَتَّى أَبْلُغَ مُسْلِمًا فَأَقْتُلَهُ أَوْ أَقْتُلَ دُونَهُ ! فَفَعَلَ ، وَجَمَعَ الْجَنْدَ ، فَحَمَلَ بِهِمُ الْفَضْلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَانْكَشَفُوا ، ثُمَّ حَمَلَ وَحَمَلَ أَصْحَابَهُ حِمْلَةً أُخْرَى ، فَانْفَرَجَتْ خَيْلُ الشَّامِ عَنْ مُسْلِمٍ وَمَعَهُ خَمْسُمِائَةِ رَاجِلٍ جُثَاةً عَلَى الرُّكْبِ مُشْرِعِي الْأَيْسَةِ نَحْوَ الْقَوْمِ ، وَمَضَى الْفَضْلُ نَحْوَ رَايَةِ مُسْلِمٍ فَضْرَبَ رَأْسَ صَاحِبِهَا فَقَطَّ . الْمَغْفَرُ وَفَلَقَ هَامَتَهُ ، فَخَرَّ مَيِّتًا ، وَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ! وَظَنَّ أَنَّهُ قَتَلَ مُسْلِمًا ، فَقَالَ : قَتَلْتُ طَاغِيَةَ الْقَوْمِ وَرَبُّكَ أَكْبَعُ ! فَأَخَذَ مُسْلِمُ رَايَتَهُ ، وَكَانَ الْمَقْتُولُ غُلَامًا رُومِيًّا ^(٣) شَجَاعًا ، وَحَرَّضَ مُسْلِمُ أَهْلَ الشَّامِ ، وَقَالَ : شَلُّوا مَعَ هَذِهِ الرَّايَةِ ، فَمَشَى بِرَايَتِهِ ، وَشَدَّتْ الرِّجَالُ أَمَامَ الرَّايَةِ ، فَضُرِعَ الْفَضْلُ وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ [أَطْنَابِ] ^(٤)

(١) فِي الْكَامِلِ وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ، « فَعَمِلَ عَلَيْهِمُ ابْنُ الْغَسِيلِ فِي مَنْ مَعَهُ فَكَشَفَهُمْ » .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي (ك) وَجَاءَ فِي النُّسَخَةِ : (ن) : « فَلْيَحْمِلْ مَعِي » .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطِ مِثْلَ الْكَامِلِ ح ٣ ص ٣١٣ ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ح ٤ ص ٣٧٥ : « يُقَالُ لَهُ رُومِي » .

(٤) كَذَا جَاءَ فِي النُّسَخَةِ (ن) ، وَجَاءَ فِي النُّسَخَةِ (ك) : « وَبَيْنَ فُسْطَاطٍ » ، وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ وَبَيْنَ « أَطْنَابِ » .

فسطاط. مسلم إلا نحو عشرة أذرع ، وقُتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف ، وأقبلت خيل مسلم ورجالته نحو ابن الغسيل ، فحرض ابن الغسيل أصحابه ، فنهضوا واقتتلوا أشد قتال ، وأخذ ابن الغسيل يُقدّم بنيه واحداً واحداً ، حتى قُتلوا بن يديه ، ثم قُتل وقتل معه أخوه لأمه محمد ابن ثابت بن قيس بن شماس ، وعبد الله بن زيد بن عاصم ، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصارى . وانهزم الناس .

وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً ، يقتلون الناس ، ويأخذون المتاع والأموال ، فسُمي مسلم بعد وقعة الحرة ^(١) مسرفاً .

وقيل إن مسلماً لما نزل بأهل المدينة خرج إليه أهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة ، فهاهم أهل الشام ، وكرهوا قتالهم ، [فلما رأهم مسلم سبهم وذمهم وحرّضهم ، وكان شديد الوجد ، فقاتلوا ، فبينما أهل المدينة في قتالهم] ^(٢) إذ سمعوا التكبير من خلفهم من جوف المدينة ، وكان سببه أن بنى حارثة أدخلوا أهل الشام المدينة ، فانهزم الناس ، فكان من أصيب في الخندق أكثر ممن قُتل .

ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول ^(٣) له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ماشاء ، فمن امتنع من ذلك قتله .
وأتى يومئذ بعمر بن عثمان بن عفان ، وكان ممن لم يخرج مع

(١) انظر قول حل بن عبد الله بن عباس :

هو ممنوعوا ذمارى يوم جاءت كتاب مسرف وبنوا للكمة

(٢) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) مثل تاريخ الطبري في ج ٤ ص ٣٨١

وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) الخول : البيعة وفحورهم .

بني أمية ، فقال مسلم : يا أهل الشام تعرفون هذا ؟ قالوا : لا ، قال :
هذا الخبيث ابن الطيب ، هذا عمرو بن عثمان ، هي ياعمرؤ إذا
ظهر^(١) أهل المدينة قلت أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهل الشام
قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان ، وأمر به ففتفت لحيته ، ثم
خلى سبيله .

وكانت وقعة الحرّة لليلتين بقيتامن ذى الحجة سنة ثلاث وستين .
وقتل مسلم جماعة من أهل المدينة صبراً ، فكان منهم على
ما ذكر ابن إسحاق والواقدي وويثمة وغيرهم : الفضل بن العباس
ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن عبد الله بن جعفر
بن أبي طالب ، وأبو بكر بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ويعقوب
ابن طلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن زيد بن عاصم ، ومعقل ابن
سنان الأشجعي ، ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ، وقتل
أيضاً صبراً ابناً زينب بنت أم سلمة ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهما^(٢) ابنا عبد الله^(٣) بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد
ابن عبد العزى بن قصى ، ولما قُتلا خُمِلَا إلى أمهما فوضعا بين
يديها ، فاسترجعت^(٤) وقالت : والله إن المصيبة علىّ فيهما لكبيرة ،
وهي علىّ في هذا أكبر منها في هذا ، أما هذا فجلس في بيته وكف

(١) ظهر : غلب .

(٢) ولدت زينب بنت أبي سلمة بأرض الحبشة ، وتزوج النبي صلى
الله عليه وسلم أمها - أم سلمة - وهي ترضعها ، فكانت ربيعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي سماها « زينب » ، وكانت من أفقه نساء
زمانها .

(٣) كان عبد الله ابن أخت أم سلمة .

(٤) استرجعت : قالت إنا لله وإنا إليه راجعون .

يده فدخل عليه فقتل مظلوما ، فأننا أرجوله الجنة ، وأما هذا فيسقط .
يده فقاتل حتى قُتل ، فلا أدري علام هو في ذلك ؟ فالمصيبة به أعظم
منها على في هذا ! وقُتل أيضا يزيد بن عبد الله بن زَمعة .

وانتهى القتل يومئذ فيما ذكروا إلى ثلاثمائة ، كلهم من أبناء
المهاجرين والأنصار . ومنهم جماعة ممن صحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وبلغت قَتلى قريش يومئذ نحو مائة ، وقتلى الأنصار
والحلفاء والموالي نحو مائتين .

وقيل : إن يزيد بن معاوية لما بلغه ما كان من خبر هذه الواقعة
قال :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدْرِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ
لَأَهْلُوا وَأَسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ
لَسْتُ مِنْ عُنْبَةٍ إِنْ لَمْ أَثُرْ^(١) مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعْلُ
هَكَذَا حُكِي^(٢) عَنْ بَعْضِ الْمُرْخِينَ . وَالَّذِي أَعْتَقَدُهُ أَنَّ هَذِهِ
الْأَبْيَاتُ مَفْتَعَلَةٌ عَنْهُ وَمَنْسُوبَةٌ^(٣) إِلَيْهِ ، فَإِنَّمَا لَا تَصْدُرُ إِلَّا مِنْ نَزْعِ
رَبِيقَةٍ^(٤) الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) أَثُرَ : أَدْرَكَ النَّارَ .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) ، وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « قَتَلَ » .

(٣) لِأَنَّهُ أَوْصَى بِعَلَى بْنِ الْحَمِينِ غَيْرًا ، وَلِأَنَّهُ حَارَبَ قُرَيْشًا فِي مَنْحَارِهَا بِالْمَدِينَةِ ،
وَلِأَنَّ أَلِيَّ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْ قَصِيدَةٍ مَعْرُوفَةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدَى بْنِ
قَيْسِ بْنِ عَدَى بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ الْقُرَشِيِّ قَالَهَا فِي وَقْتِ أَحَدِ قُبُلِهَا أَنْ يَلْمَ ، وَقَدْ عَارَضَهُ
حَمَانُ بْنُ ثَابِتٍ بِقَصِيدَةٍ قَالَ فِيهَا :

نَعِيتُ يَا بْنَ الزُّبَيْرِ وَقَمَةً كَانَ مِنَ الْفُطُلِ فِيهَا لَوْعَلُ

ثُمَّ أَسْلَمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَاعْتَذَرَ فِي شِعْرِهِ قَوْلَهُ :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنْ لَمَانِي رَاتِقٌ مَا تَقَتُّ إِذْ أَنَا بَوْرُ

(٤) الرِّبْقَةُ : الْعُرْوَةُ فِي الْحَبْلِ .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان يسمى يومئذ « العائد بالبيت » .

سنة أربع وستين

ذكر مسير مسلم بن عقبة إلى مكة
لحصار عبد الله بن الزبير ، ووفاة مسلم
والحصار الأول وإحراق الكعبة

قال ولما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهيبها شَخَصَ نحو مكة
بمن معه لقتال ابن الزبير ، واستخلف على المدينة رَوْحَ بن زُبَاع
الجُدَامِي . وقيل : عمرو بن محرز الأشجعي . وكان خبر وقعة الحرّة
قد أتى عبد الله بن الزبير مع المِسُور بن مَخْرَمَةَ هلال المحرم ،
فاستعد هو وأصحابه للحرب .

وسار مسلم حتى انتهى إلى المشلل ^(١) فمات هناك ، ولما حضرته
الوفاة أحضر الحُصَيْن بن نُمَيْر السُّكُونِي وقال له يا بَرْدَعَةُ الحمار ،
لو كان الأمر لي ما وليتكَ هذا الجند . ولكن أمير المؤمنين ولّاك ^(٢) ،
ثم مات .

وسار الحُصَيْن فقدم مكة لأربع بقين من المحرم ، وقد بايع أهلها
وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير [ولحق به من انهزم من أهل المدينة] ^(٣)

(١) المشلل : جبل .

(٢) زاد ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ٣٨٢ قول مسلم بن عقبة : فاحفظ ما أوصيك به :
م الأخبار ، ولا تزع سمك قريشا أبدا ، ولا تردن أهل الشام عن عدوهم ، ولا تقيم
الا ثلاثا حتى تنجز ابن الزبير .

(٣) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

وقدم عليه زجدة بن عامر الحنفى من اليمامة فى أناس من الخوارج بمنعون البيت .

فخرج ابن الزبير للقاء أهل الشام ومعه أخوه المنذر ، فبارز المنذر ^(١) رجل من أهل الشام ، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة فماتا جميعا . وقاتل المسور بن مخرمة ، ومُضْعَب بن عبد الرحمن بن عوف قتالا شديدا حتى قُتلا ، وصابروهم ابن الزبير إلى الليل ، ثم انصرفوا عنه ^(٢) ، ثم أقاموا عليه فقاتلوه بقية المحرم وصفر كله ، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من ربيع الأول سنة أربع وستين أقذفوا البيت بالمجانيق ، وحرقوه بالنار ، وهم يرتجزون :

خَطَارَةٌ ^(٣) مِثْلُ الْفَنَيْقِ ^(٤) الْحَزِيدِ نَرْمِي بِهَا أَغْوَادَ هَذَا الْمَسْجِدِ
واستمروا على القتال والحصار إلى آخر هذا الشهر ، فأتاهم نعي يزيد بن معاوية لهلال شهر ربيع الآخر .

ذكر وفاة يزيد بن معاوية

وشىء من أخباره

كانت وفاته بخواري من قُرى حمص لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة أربع وستين ، وقيل : فى هذا الشهر من

(١) كذا جاء فى المخطوطة : وجاء فى تاريخ الطبرى : « ثم إن رجلا من الشام دعا المنذر إلى المبارزة . وجاء فى الكامل : « فبارز المنذر رجلا » .

(٢) وهذا فى الحصار الأول .

(٣) وكذلك جاء فى حديث العجاج لما حاصر ابن الزبير بمكة ونصب المنيعيق « خطارة كالجمال الفنيق » انظر لسان العرب فى خ ط ر ، ف ن ق ، شبه فيها بخطر ان الفحل من الإبل تشبها مأخوذا من بيثهم .

(٤) الفنيق : الفحل المكرم من الإبل .

سنة ثلاث وستين ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقيل : تسع وثلاثين ، وقيل : أقل من ذلك إلى خمس وثلاثين .

وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة^(١) أشهر وأياما ، على القول الأول في وفاته . وحُمل إلى دمشق فدفن بها في مقبرة الباب الصغير ، وصلى عليه ابنه معاوية .

وكان له من الأولاد مَعَاوِيَةُ وَخَالِد^(٢) وَأَبُو سُفْيَانَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ أُمُّهُمْ أُمُّ هَاشِمِ بِنْتُ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وله أيضا عَبْدُ اللَّهِ الْأَصْغَرُ^(٣) ، وَأُمُّهُ أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، وهو الإسوار^(٤) . وله أيضا عَبْدُ اللَّهِ الْأَصْغَرُ الْأَصَاغِرُ ، وعمير^(٥) وَأَبُو بَكْرٍ وَعُتْبَةُ وَحَرْبٌ وَمُحَمَّدٌ لَمْ يَهْتَأْ شَيْءٌ ؛ قيل : وله يزيد والربيع .

وكتبه عتبة^(٦) بن أوس ثم زَمَلُ بْنُ عَمْرِو الْعُدْرِيُّ .

وكان نقش خاتمه : « رَبُّنَا اللَّهُ » .

معين التارخ
لأهل التارخ

حاجبه خالد مولاة ، وقيل : صفوان .

قاضيه أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ .

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل ج ٣ ص ٣١٧ وتاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٨٤ : « ستة أشهر وقيل : ثمانية أشهر » والظاهر أنها ثمانية أشهر ، لأن معاوية يزيد كانت في رجب ، وجاء في التنبيه والإشراف لمسمودي ص ٢٦٤ : « وكانت أيامه ثلاث سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما » .

(٢) كان خالد يكنى « أبا هاشم » وقيل إنه أساب علم الكيمياء .

(٣) كان من أرمى العرب .

(٤) الإسوار : الجيد الرمي .

(٥) كذا جاء في المخطوطة وجاء في الكامل وتاريخ الطبري : « عمرو » .

(٦) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في التنبيه والإشراف ص ٢٦٥ : « وكتب له

عبيد بن أوس النسائي وزمل بن عمرو العدري وسرجون بن منصور » .

عُمَّالُه على الأمصار [من] ^(١) تنقدم ذكرهم . . الأمير بمصر
مسلمة بن مخلد ^(٢) ، ثم توفى ^(٣) ، فولأها يزيد سعيد ^(٤) بن
يزيد الأزدي من أهل فلسطين . . القاضي بها من قبل مسلمة ويزيد
عابس ^(٥) بن سعيد ، وجمع له بين القضاء والشرطة ، وكان أمياً
لا يكتب ولا يقرأ .

ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية

وكنيته « أبو عبد الرحمن » و « أبو ليلى » ^(٦) ، وأمه أم هاشم
بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وهو الثالث من ملوك بني أمية ،
بُويع له بالشام في النصف من ربيع الأول سنة أربع وستين .

- (١) ثبت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .
- (٢) مسلمة بن مخلد الخزرجي الأنصاري ، ولاء معاوية مصر بعد عزل عقبة بن عامر
الجهني عنها في سنة سبع وأربعين ، وهو أول من أحدث المنابر بالمساجد والجرامع .
- (٣) توفى مسلمة لخمس بقين من شهر رجب سنة اثنين وستين ، وكانت ولايته على
مصر خمس عشرة سنة وأربعة أشهر .
- (٤) سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدي ، لما ولاء يزيد إمرة مصر
دخلها في مستهل شهر رمضان ؛ فقتله أهل مصر ووجوه الناس وفهم عمرو الخولاني ، فلما
رآه قال ، « يفر الله لأمر المؤمنين ! أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولي علينا
أحدهم ؟ » ولم يزل أهل مصر على بغض له حتى توفى يزيد ، فاستجابوا للدعوة بن الزبير ،
فاعتزل سعيد بعد ولايته بسنتين .
- (٥) كان مسلمة بن مخلد قد خرج إلى الإسكندرية في سنة ستين ، واستخلف على مصر
عابس بن سعيد ، ثم قدم مسلمة من الإسكندرية نجس لعابس مع الشرطة القضاء في أول سنة ٦١
ثم توفى عابس في سنة ثمان وستين .
- (٦) قال المسعودي في التنبيه والإشراف : « معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أبا
عبد الرحمن ، وإنما كنى أبا ليلى تقريماً له لجزءه عن القيام بالأمر ، وكانت العرب تقول
ذلك بالماجز . من الرجال ، وفيه قال الشاعر :

إني أرى فتنة تغلي مراجلها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وقيل : بل هذا الشعر قديم تمثل به الشاعر في أيامه .

قال (١) : ولما كان في آخر إمارته أمر فتوى : « الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال « أما بعد ، فإني ضعفت عن أمركم ، فابتغيْتُ لكم مثلَ عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر رضي الله عنهما فلم أجده ، فابتغيْتُ ستة من أهل الشورى فلم أجِد ، فأنتم أوليُّ بأمركم ، فاخاروا له من أحببتم » . ثم دخل منزله وتغيَّب حتى مات ، فقيل : مات مسموما ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ثم طُعن (٢) الوليد فمات من يومه . وقيل : إنه لما كبر تكبيرتين مات قبل انقضاء الصلاة ، فتقدم مروان بن الحكم فصلى عليه .

وقيل : إنه أوصى أن يصلى بالناس الضحاك بن قيس حتى يقوم لهم خليفة .

وقيل له عند الموت : ! اعهدْ إلى خالد بن يزيد ، فقال : والله ما دُفْتُ حلاوة خلافتكم ، فكيف أنقلد وزرها من بعدى (٣) ! ولم يكن لمعاوية هذا ولد .

وكان نقش خاتمه : « الدنيا غرور » (٤) .

وكانت وفاته لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين .

(١) ابن الأثير في الكامل ٣ ص ٣١٩ .

(٢) طعن : أصابه الطاعون .

(٣) جاء في الكامل أن معاوية بن يزيد قال : « لأزود مرارتها وأترك لبني أمية حلاوتها »

(٤) كذا جامع الأصل وجاء في التبيين والإشراف : « وكان نقش خاتمه : « باقة ثقة

معاوية » . . . وكتب له زمل بن عمرو العنزي وسليمان بن سعيد الحنفي وسريون النصراني ،

وقاضيه : أبو إدريس الخولاني ، وحاجبه : صفوان مولا . .

وكانت مدة ولايته إلى حين وفاته أربعين يوما ، وقال المدائني :
ثلاثة أشهر ، وقال ابن إسحاق : عشرين يوما .
ومات وله ثلاث وعشرون سنة ، وقال العتبي : سبع عشرة سنة .
والله تعالى أعلم .

فلنذكر أخبار من بُويع بالعراق وخراسان في زمن هذه الفتن ، بعد
وفاة يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد إلى أن خلاص الأمر بالحجاز
والعراق وخراسان لعبد الله بن الزبير .

ذكر أخبار من بُويع بالعراق

أولم يتم أمره إلى أن بُويع

لعبد الله بن الزبير وما كان بالعراق من الوقائع في خلال ذلك
كان أول من بُويع بالعراق بعد وفاة يزيد بن معاوية عُبيد الله بن
زياد بن أبيه ، وذلك أنه لما أتاه الخبر بوفاة يزيد ، وبلغه ما الناس
فيه بالشام من الاختلاف ، أمر فتودى : « الصلاة جامعة » ، فاجتمع
الناس ، فصعد المنبر ، فنعى يزيد وعرض بثلبه ^(١) ، لأن يزيد كان
قد كرهه قبل موته ، وصرح بلعنه بسبب قتل الحسين بن علي ،
حتى خافه عُبيد الله على نفسه ، ثم قال عُبيد الله : « يا أهل البصرة
إن مُهاجَرَنَا إليكم ، ودارنا فيكم ، [ومولدى فيكم] ^(٢) ، ولقد وُلِّيتكم
وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ، ولقد أحصى اليوم
ثمانين ألف مقاتل ، وما أحصى ديوان عمالكُم [إلا تسعين ألفا ،
ولقد أحصى اليوم مائة ألف وأربعين ألفا ، وما تركت لكم ذا

(١) الثلب : اللوم والعب . (٢) الزيادة من الكامل ج ٣ ص ٢٢٠ .

ظِنَّةُ أَخَافَهُ عَلَيْكُمْ ^(١)] إِلَّا وَهُوَ فِي سَجْنِكُمْ ، وَإِنْ يَزِيدُ قَدْ تُؤْتَى ،
وقد اختلف الناس بالشام ، وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً ، وأعرضه
فناءً ، وأغناه عن الناس ، وأوسعهم بلاداً ، فاختاروا لأنفسكم رجلاً
ترضونه لدينكم وجماعتكم ، فأننا أول راض بما رضيتموه [لدينكم
وجماعتكم] ^(٢) ، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترضونه دخلتم
فيما دخل فيه المسلمون ، وإن كرهتم ذلك كنتم على جدليتكم ^(٣)
حتى تُعْطُوا حاجتكم ، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان ^٤ حاجة .
وما يستغنى الناس عنكم .

فقام خطبائهم ، وقالوا : قد سمعنا مقاتلك ، وما نعلم أحدًا
أقوى عليها منك ، فهلم ^(٤) نبايعك ، فقال : لا حاجة لي في ذلك .
فكرروا عليه وهو يأبى عليهم ثلاثاً ، ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا
ومسحوا أيديهم بالحيطان ، وقالوا : أیظن ابن مَرْجَانَه إِنَّا ننقاد له
في الجماعة والفرقة .

قال : ولما بايعوه أرسل إلى أهل الكوفة مع عمرو بن مِشْعَم
وسعد بن قرحا التيمي ^(٥) يدعوهم إلى البيعة له ، ويعلمهم ما صنع أهل
البصرة ، فلما وصلا إلى الكوفة وكان خليفة عبيد الله عليها
عمرو بن حُرَيْث ، فجمع الناس ، وقام الرسولان فخطبا وذكرنا ذلك
للناس ، فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشَّيْبَانِي وهو ابن رُويم ، فقال

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ك) وسقطت من النسخة (ن) .

(٣) الجديلة : الحالة الأولى .

(٤) هلم • كلمة بمعنى الدعا إلى الشيء مثل « تعالى » .

(٥) كذا في الأصل وفي تاريخ الطبري « التيمي » ..

الحمد لله الذى أراحنا من ابن سُمَيَّة ، أنحن نبايعه ؟ لا ولا كرامة .
وحصَّبهما الناس بعده ، فشرَّفتْ هذه المقالة يزيد بن رُويم بالكوفة
ورفعته ، ورجع الرسولان إلى عُبَيْدِ اللَّهِ ، فقال أهل البصرة : أيخلعه
أهل الكوفة وتوَكَّيه نحن ؟ ! فضعف سطرانه عندهم ، فكان يأمر
بالأمر فلا يُقضى ويرى الرأى فيردُّ عليه ، ويأمر بحبس المخطئ
فيحال بين أعوانه وبينه .

ثم جاء البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلى التميمي ، فوقف فى السوق
وبيده لواء ، وقال : أيها الناس ، هَلُمُّوا إِلَى ، إني أدعوكم إلى ما لم يدْعُكم
إليه أحد ، أدعوكم إلى العائد بالحرم ، يعنى عبد الله بن الزُبَيْر .
فاجتمع إليه ناس ، وجعلوا يبايعونه ، فبلغ الخبر ابن زياد ، فجمع
الناس فخطبهم وذكرهم بما كان من بيعته وقال : إني بلغنى أنكم مسختم
أكفكم بالحيطان وباب المسجد ، وقلتم ما قلتم ، وإني آمر بالأمر
فلا ينفذ ، ويردُّ على رأى ، ويحال بين أعوانى وبين طلبتى ، ثم
هذا سلمة بن ذؤيب يدعوكم إلى الخلاف عليكم ، ليفرق جماعتكم ،
ويضرب بعضكم رقاب بعض ^(١) ! .

فقال الأحنف والناس : نحن نأتىك بسلمة ، فاتَّوَه ، فإذا
جمعه قد كُثِفَ والفتق قد اتسع ، فقعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه
فلما رأى ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صُهَيْبان الجهضمي
الأزدى ، فأحضره وسأله الهرب به ، فقال : يا حارث ! إن أبى
أوصانى إن احتجت إلى الهرب يوما ما أن أختركم ، فقال الحارث ^(١)

(١) ثبتت هذه الزيادة فى النسخة (ن) .

قد اختبرنا أباك فلم نجد عنده ولا عندك مكافأة ، وما أدري كيف أتأتى لك إن أخرجتك نهاراً أخاف أن تُقتل وأقتل ، ولكنى أقم معك إلى الليل ، ثم أزدفك خلفي لئلاً نعرف ، فقال عبيد الله : نِعْمَ مارأيت ، فأقام عنده ، فلما كان الليل حَمَلَهُ خلفه ، وكان في بيت المال تسعة عشر ألف ففرق ابن زياد بعضَها في مَوَالِيهِ ، وادَّخَرَ الباقي لآل زياد ،

قال : وسار الحارث بعبيد الله ، فكان يمرّ به على الناس وهم يتحارسون مخافة الحرورية ، حتّى انتهوا إلى بنى ناجية ، فقال بنوا ناجية : من أنت ؟ قال : الحارث بن قيس . وعرف رجل منهم عبيد الله ، فقال : ابن مَرْجَانَةَ ! وأرسل سهما فوقع في عمامته ومضى به الحارث حتّى أنزله في دارد بالجهاضم ؛ فقال له ابن زياد : « يا حارث ، إنك قد أحسنت ، فاصنع ما أشير به عليك . قد علمت منزلة مسعود بن عمرو ، وشرفه وسنّه ، وطاعة قومه له : فهل لك أن تذهب بي إليه فأكون في داره ، فهى وسط الأزد ؟ فإنك إن لم تفعل فرّق عليك أمر قومك ، فأخذ الحارث فدخل على مسعود فلم يشعر حتّى رآهما ، فقال للحارث : أعوذ بالله من شر ما طرقتنى به ، قال : ما طرقتك إلا بخير ، ولم يزل الحارث يلطف بمسعود في أمره حتّى قال له : أخرج من بيتك بعد مادخله عليك ؟ فأمره مسعود فدخل بيت أخيه عبد الغافر بن عمرو ، ثم ركب مسعود من ليثته ومعه الحارث وجماعة من قومه : فطافوا بالأزد فقالوا : إن ابن زياد قد فقد : وإنا لأنؤمن أن تُلطخوا به . فأصبحوا في السلاح ، وفقد الناس بن زياد فقالوا : ما هو إلا في الأزد . [وقيل : إن الحارث لم يكلم

مسعوداً ، بل أمر عبید الله ^(١) [فحمل معه مائة ألف درهم وأتى بها أم بسطام امرأة مسعود وهي بنت عم الحارث ومعه عبید الله ، فاستأذن عليها ، فأذنت له .] فقال : قد أتيتك بأمر تسودين به نساء العرب ، وتتعجلين به الفنى ، فأخبرها الخبر ^(٢) وأمرها أن تدخل ابن زياد البيت ، وتلبسه ثوباً من ثياب مسعود ، ففعلت ، فلما جاء مسعود أخذ برأسها يضربها ، فخرج عبید الله والحارث عليه ، وقال ، لقد أجارثني وهذا ثوبك على ، وطعامك في بطنى ، وشهد الحارث ، وتلطفوا به حتى رضى . فلم يزل ابن زياد في بيته حتى قتل مسعود ، فسار إلى الشام على ما ذكره إن شاء الله .

قال : ولما فُقِدَ ابن زياد بقى أهل البصرة بغير أمير . فاختلفوا فيمن يؤمرونه عليهم ، ثم تراصوا بقيس بن الهيثم السلمى ، وبنعمان بن سفيان ليختاراً من يرتضيان لهم ، وكان رأى قيس في بنى أمية ، ورأى النعمان في بنى هاشم ، فقال النعمان : ما أرى أحداً [أحق بهذا الأمر] ^(٢) من فلان ، (لرجل من بنى أمية) . وقيل بل ذكر عبد الله بن الأسود الزهرى ، وكان هو قيس فيه ، وإنما قال النعمان ذلك خديعة ومكرًا بقيس ، فقال قيس : قد قللتك أمرى ورضيت من رضيت ، ثم جاء ^(٣) إلى الناس ، فقال قيس بن الهيثم : قد رضيت من رضى النعمان .

(١) الزيادة من ابن الأثير ج ٣ ص ٢٢١ .

(٢) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ك) ، ولم تثبت في النسخة (ن) .

(٣) كلما جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) « عرجا » .

ذكر ولاية عبد الله بن الحارث البصرة

قال : ولما اتفق قيس والنعمان ، ورضى قيس بمن يؤمّره النعمان ، أشهد عليه النعمان بذلك ، وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرضا . ثم أتى عبد الله بن الأسود ، وأخذ بيده واشترط عليه ، حتى ظنّ الناس أنه يبايعه ، ثم تركه .

وأخذ بيد عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو الملقب : « ببه » ^(١) واشترط عليه مثل ذلك ، ثم حمد الله وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وجقّ أدل بيته وقربته ، ثم قال : « أيها الناس ، ماتنقمون من رجل من بني عم نبيكم وأمه هند بنت أبي سفيان ، فإن كان الأمر فيهم فهو ابن أختهم » : ثم أخذ بيده وقال ، قدرضيتُ لكم هذا . فنادوا : قدرضينا ، وبايعوه . وأقبلوا به إلى دار الإمارة حتى نزلها . وذلك أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين .

ذكر مقتل مسعود بن عمرو الأزدي

وهرب عبید الله بن زياد إلى الشام

قال : ثم إن الأزدي ورّبيعة جددوا الحلف الذي كان بينهم ، وأنفق ابن زياد مالا كثيراً فيهم حتى تمّ الحلف ، وكتبوا بينهم بذلك كتابين : فلما تحالفوا اتفقوا على أن يردّوا ابن زياد إلى دار الإمارة ، فساروا ورئيسهم مسعود بن عمرو ، فقال لابن زياد : سر معنا ، فلم

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٩٨ والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ٢٢٢ وشرح ابن عيشة للمفصل ج ١ ص ٣٢ وشراهد المني ح ١ ص ٤٠٣ وماذا (يب) و (جذب) في لسان العرب وثاج العروس ، و « ببه » في الأصل : حكاية صوت ببي .

يفعل ، وأرسل معه مَوَالِيه على الخيل ، وقال لهم لا يَحْدُثَنَّ خَيْرٌ ولا شَرٌّ إلا أنبأتموني به .

فجعل مسعود لا يأتي سكة ولا يتجاوز قبيلة إلا أتى بعض أولئك الموالى إلى ابن زياد بالخبر ، وسارت ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا سكة الجربد ، وجاء مسعود فدخل المسجد وصعد المنبر ، وعبد الله ابن الحارث في دار الإمارة ، فقليل له ، إن مسعود وأهل اليمن وربيعه قد ساروا وسيهيج بين الناس شر ، فلوأ صلحت بينهم وركبت في بني تميم ، فقال : أبعدهم الله ، والله لا أفسدت نفسى في صلاحهم ، وسار مالك بن مسمع نحو دور بني تميم حتى دخل سكة بني العدوية ، فحرق دورهم لما في نفسه منهم .

وجاء بنو تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا : يا أبا بحر ، إن ربيعة والأزد قد تحالفوا وقد ساروا إلى الرحبة فدخلوها ، فقال ، لستم بأحق بالمسجد منهم ، فقالوا : قد دخلوا الدار ، فقال : لستم بأحق بالدار منهم ، فأتته امرأة بمجمر وقالت له : مالك وللرياسة ؟ ! إنما أنت امرأة تتجمر .

ثم أتوه فقالوا : إن امرأة منا قد نزلت خلايلها ، وقد قتلوا الصباغ الذى على طريقك ، وقتلوا المقعد الذى كان على باب المسجد . وقد دخل مالك بن مسمع سكة بني العدوية فحرق ، فقال الأحنف : أقيموا البيعة على هذا ، ففى بعض هذا ما يحل به قتالهم ! فشهدوا عنده على ذلك ، فقال الأحنف : أجد عباد بن حصين ؟ قالوا لا : ثم قال : أجد عباد ؟ قالوا لا . قال : أهاهنا عيس بن طلق قالوا : نعم ، [فدهاه] (١)

(١) ثبتت الزيادة في النسخة (ن) ، ولم يثبت في النسخة (ك) .

فانتزع معجرا (١) من رأسه فعلقه في رمح ثم دفعه إليه ، فقال :
سر ، فسار وصاح الناس : « هاجت زبراء » (وزبراء أمة للأحنف
كنوا بها عنه) (٢) .

فسار عيس إلى المسجد ، فقاتل الأزد على أبوابه ، ومسعود يخطب
على [المنبر] (٣) . ثم أتوه فاستنزلوه وقتلوه ، وذلك أول شوان
سنة أربع وستين ، وانهزم أصحابه .

وكان ابن زياد قد تهيأ لما صعد مسعود المنبر ليحییء دار الإمارة ،
فقبل له إن مسعود قد قُتل ، فركب واحق بالثمام :

وأما مالك بن مسعود فأتاه ناس من مصر فحاصروه في داره وحرقوه .
ولما هرب ابن زياد تبعوه فأعجزهم ، فتهبوا ما وجدوا له ، ففنى
ذلك يقول واقد بن خليفة التميمي .

يارب جبار شديد كَلْبُهُ قد صار فينا تاجه وسلبه
منهم عبيد الله حين تسلبه جِيَادُهُ ويزد ونسبه
يوم التقى مِقْنَبُنَا (٤) ومقنبه لولم يُنْجِ ابن زياد هربه

وقد قيل في قتل مسعود ومسير ابن زياد غير ما قدمناه . وهو أنه
لما استجار ابن زياد بمسعود بن عمرو وأجاره ، ثم سار ابن زياد إلى

(١) المعجرا هنا : الدمامة .

(٢) « زبراء » جارية سليطة كانت للأحنف ، وكانت إذا غضبت قال الأحنف
« هاجت زبراء » . ثم صارت مثلاً لكل من هاج غضبه .

(٣) الزيادة من ابن الأثير والطبري .

(٤) المقنب جماعة الخيل والفرسان .

الشام وأرسل معه مسعود مائة من الأزد حتى قدموا به إلى الشام ،
ولما سار من البصرة استخلف مسعودا عليها ، فقال بنو تميم وقيس :
لأنرضى إلّا رجلا ترضاه جماعتنا ، فقال مسعود : قد استخلفني
ولا أدع ذلك أبدا ، وخرج حتى انتهى إلى القصر فدخله ، واجتمعت
نجم إلى الأحنف ، فقالوا له : إن الأزد قد دخلوا المسجد قال : إنما هو
لهم ولكم ، قالوا : قد دخلوا القصر وصعد مسعود المنبر .

وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله
إلى الشام ، فزعم الناس أن الأحنف بعث إليهم : إن هذا الرجل الذي
قد دخل القصر هو لنا ولكم عدو ، فما يمنعكم منه ؟ ! فجاءت عصابة
منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبأيح من أتاه ، فرماه
عليج يقال له مسلم من أهل فارس ، كان قد دخل البصرة وأسلم
ثم صار من الخوارج ، فأصاب قلبه فقتله ، فقال الناس : قتله
الخوارج . فخرج الأزد إلى تلك الخوارج ، فقتلوا منهم وجرحوا ،
وطردوهم عن البصرة ، ثم قيل للأزد : إن تميما قتلوا مسعودا ،
فأرسلوا يسألون ، فإذا ناس من تميم تقوله ، واجتمعت الأزد عند
ذلك ، فرأسوا عليهم زياد بن عمرو أخا مسعود ، ومعهم مالك بن
مسمع في ربيعة ، وجاءت تميم إلى الأحنف يقولون : قد خرج القوم ،
وهو لا يتحرك ، فأتته امرأة جمر فقالت : اجلس على هذا ، (أي إنما
أنت امرأة) ، فخرج الأحنف في بني تميم ومعهم من بالبصرة من
قيس ، فالتقوا ، فقتل منهم قتلى كثيرة ، فقال لهم بنو تميم :
« يا معشر الأزد ، الله الله في دمائنا ودمائكم ، بيننا وبينكم القرآن ،
ومن شتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا بيئة فاختاروا

أفضل رجل فينا فاقتلوه ، وإن لم تكن لكم بيئة فإننا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم له قاتل ، وإن لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم . وسفر بينهم عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فطلبوا عشر ديات ، فأجابهم الأحنف إلى ذلك ، وأصطلحوا عليه .

قال : وأما عبد الله بن الحارث « بَيْه » فإنه أقام يصلي بالناس حتى قدم عليهم عمر بن عبيد الله أميرا من قبل ابن الزبير .

وقيل : كتب ابن الزبير إلى عمر بعهدة على البصرة ، فاتاه الكتاب وهو متوجه إلى العمرة ، فكتب عمر إلى أخيه عبيد الله يأمره أن يصلي بالناس ، فصلى بهم حتى قدم عمر ، فبقى عمر أميرا شهراً ، ثم قدم الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة المخزومي فعزله ووليها الحارث .

وقيل : بل اعتزل عبد الله بن الحارث « بَيْه » أهل البصرة بعد قتل مسعود ، فكتب أهل البصرة بعد قتل مسعود إلى ابن الزبير : وكتب ابن الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلي بالناس ، فصلى بهم أربعين يوماً .

هذا ما كان من أمر البصرة ، فلنذكر خبر أهل الكوفة .

ذكر خبر أهل الكوفة

وما كان من أمرهم [بعد ابن زياد] ^(١)

إلى أن بويع ابن الزبير

كان من خبرهم أنهم لما حَصَبُوا رُسُلَ ابن زياد على ما ذكرناه عزلوا خليفته عليهم وهو عمرو بن حريث ، واجتمع الناس وقالوا : نُؤمِّرُ علينا رجلاً إلى أن يجتمع الناس على خليفة ، فاجتمعوا على عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فجاءت نساء هَمْدَانِ يَبْكِينَ الحسين ابن علي رضي الله عنهما ورجالهم متقلدو السيوف ، فآطافوا بالمنبر ؛ فقال محمد بن الأشعث : جاء أمر غير ما كنّا فيه . وكانت كندة تقوم بأمر عمر بن سعد ، لأنهم أخواله ، فأجمعوا على عامر بن مسعود ابن أمية بن خلف بن وهب الجمحي ، فخطب أهل الكوفة فقال : إن لكل قوم أشربةً ولذات فاطمبوها في مظانّها ، وعليكم بما يحِلُّ ويُحمد ، واكسروا شرايبكم بالماء ، وتواروا عني بهذه الجُدُران .

فقال ابن همام ^(٢) :

اشرب شرايبك وانعم غير محسود

واكسره بالماء لاتعص ابن مسعود

إن الأمير له في الخمر مأربة

فاشرب هنيئاً مريئاً غير تصريح ^(٣)

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .

(٢) هو عبد الله بن همام السلولي .

(٣) التصريح : شرب دون الرى .

من ذا يحرم ماء المزن خالطه

من قعر خابية ماء العناقيد

إني لأكره تشديد الرواة لنا

فيها ويعجبني قول ابن مسعود

وكثير من الناس يظن أن ابن مسعود المذكور في هذا الشعر

هو عبد الله بن أم عبد ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك .

قال : ولما بايعه أهل الكوفة كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأقره

عليها ، فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ، ثم استعمل

عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري على الصلاة ،

وإبراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج ، واستعمل محمد بن

الأشعث بن قيس على الموصل .

ذكر خبر خراسان

وما كان من أمر سلم بن زياد وبيعته

وخبر عبد الله بن خازم

كان من خير خراسان أنه لما بلغ سلم بن زياد وهو العامل عليها

موت يزيد بن معاوية كتّم ذلك ، فقال له ابن عرّادة :

يا أيها الملك المغلق بابهُ حَدَثْتُ أُمُورَ شَأْنُهُنَّ عَظِيمُ

قَتَلَى بِحَرَّةٍ وَالَّذِينَ بِكَابُلٍ وَزَيْدٌ أَعْلَنَ شَأْنَهُ الْمَكْتُومُ

أَبْنَى أُمِيَّةَ إِنْ آخَرَ مُلْكُكُمْ جَسَدٌ بِجَوَازِينِ ثُمَّ مُقِيمُ

طَرَقَتْ مَنِيَّتُهُ وَعِنْدَ وَسَادِهِ كُوبٌ وَزِقٌ رَاعِفٌ مَرْتُومٌ (١)
وَمُرْنَةٌ تَبْكِي عَلَى نَشْوَاتِهِ بِالصَّنَجِ تَقْعُدُ مَرَّةً وَتَقُومُ

فلما ظهر شعره أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، ودعا الناس إلى البيعة على الرضا حتى تستقيم أمور الناس على خليفة ، فبايعوه ، ثم نكثوا به بعد شهرين ، فلما خلعوه خرج عنهم واستخلف المهلب بن أبي صفرة ، فلما كان بسرخرس لقيه سليمان بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة بن ربيعة ، فقال له : أضاقت عليك نزار حتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن ، يعني المهلب . فولاه مرو الروز ، والفارياب ، والطالقان ، والجزجان . وولى أوس بن ثعلبة ابن زفر (وهو صاحب قصر أوس بالبصرة) هراة ، فلما وصل سلم إلى نيسابور لقيه عبد الله بن حازم ، فقال له : من وليت خراسان ؟ فأخبره فقال : « أما وجدت من مضر من تستعلمه ، حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن ! اكتب لي عهدا على خراسان » ، فكتب له وأعطاه مائة ألف درهم .

وسار ابن خازم إلى مرو ، وبلغ خبره المهلب ، فأقبل فاستخلف رجلا من بني جشم بن سعد بن زيد مناه بن تميم ، فلما وصلها ابن خازم منه الجشمي ، وجرت بينهما مناوشة ، فأصاب الجشمي رمية في جبهته ، وتحاجزا ، ودخلهما ابن خازم ، ومات الجشمي بعد ذلك بيومين .

(١) زق راعف : يسيل من الامتلاء .

ثم سار ابن خازم إلى مرو فقاتله سليمان بن مرثد أياما ، فقتل سليمان ، ثم سار بن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فاقتتلوا فقتل عمرو بن مرثد ، وأنهم أصحابه ، فلهقوا بهرة بأوس بن ثعلبة ، ورجع ابن خازم إلى مرو .

وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل إلى هرة ، وانضم إليها من كان بكور خراسان من بكر ، فكثر جمعهم ، وقالوا لأوس ابن ثعلبة : نبأيك على أن تسير إلى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان ، فأبى عليهم ^(١) فهُمُّوا ^(٢) بمبايعة غيره ، فأجابهم ، فبايعوه ، فسار إليهم ابن خازم فنزل على واد بينه ^(٣) وبين هرة ، فأشار اليكزيون بالخروج من هرة وعمل خندق ، فقال أوس : بل نلزم المدينة فإنها حصينة ، وأطاول ابن خازم ليضجر ويعطينا ما نريد ، فأبوا عليه ، وخرجوا فخذلوا خندقا ^(٤) . وقاتلهم ابن خازم نحو سنة .

فنادى هلال الصبي وهو من أصحابه فقال : « إنما تقاتل إختوك وبنى أبيك ، فإن نلت منهم الذي تريد فما في العيش خير ، فلو أعطيتهم شيئا يرضون به : وأصلحت هذا الأمر ! » فقال : والله لو خرجنا إليهم عن خراسان ما رضوا ^(٥) ! فقال هلال : لا والله

(١) فقال لهم : هذا يفي ، وأهل البنى غدرلين ، أقوموا بكانكم هذا ، فإن ترككم ابن خازم ، وما أراه يفعل ، فارضوا بهذه الناحية ، وغلوه وما هو فيه .
(٢) قال له بنو صهيب : لاراه لا نرضى أن نكون نحن ومضر في بلد ، وقد قتلتوا بني مرثد ، فإذا أجبنا إلى هذا وإلا أمرنا علينا غيرك .

(٣) عبارة الطبري : « بين عسكره وبين هرة » .

(٤) عبارة الطبري « وخرجوا من المدينة فخذلوا خندقا » .

(٥) زاد الطبري « ولو استطاعوا أن يخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم » .

لا أَقاتل معك أنا ولا رجل يطيعني حتى تُعَلِّر إليهم ! قال . فَأَنْتَ رَسُولِي إِلَيْهِمْ فَأَرْضِهِمْ .

فَأَتَى هَلَالٌ إِلَى أَوْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَنَاشَدَهُ اللَّهُ وَالْقِرَابَةَ فِي نِزَارٍ ، وَأَنْ يَحْفَظَ دِمَاءَهَا ، فَقَالَ : هَلْ لَقِيتَ بَنِي صُهَيْبٍ : قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَلْقِهِمْ . وَبَنُو صُهَيْبٍ هُمْ مَوَالِي بَنِي جَحْضَرٍ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَلْزَمُوا أَوْسَ ابْنَ ثَعْلَبَةَ بِالْقِتَالِ ، فَخَرَجَ هَلَالٌ مِنْ عِنْدِ أَوْسٍ فَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ مَا أَتَى لَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : هَلْ لَقِيتَ بَنِي صُهَيْبٍ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ عَظُمَ أَمْرُ بَنِي صُهَيْبٍ عِنْدَكُمْ ! فَأَتَانَهُمْ يَكْلَمُهُمْ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنَّكَ رَسُولٌ لَقَتَلْنَاكَ . قَالَ : فَمَا يَرْضِيكُمْ شَيْءٌ ؟

قَالُوا : « وَاحِدٌ مِنْ اثْنَيْنِ ^(١) ، إِمَّا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ حِرَاسَانَ ^(٢) ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمُوا وَتَخْرُجُوا لَنَا كُلَّ سِلَاحٍ وَكِرَاعٍ وَذَهَبٍ وَفِضَّةٍ » . فَرَجَعَ هَلَالٌ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ ، فَقَالَ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ ^(٣) الْخَبِيرَ فَقَالَ : إِنْ رُبِيعَةٌ لَمْ تَزَلْ غَضَابًا عَلَى رَبِّهَا مِنْذُ بَعَثَ نَبِيَّهُ مِنْ مَضَرَ !

وَأَقَامَ ابْنُ خَازِمٍ يَقَاتِلُهُمْ ، فَلَمَّا طَالَ مَقَامُهُ نَادَاهُمْ يَوْمًا : يَا مَعْشَرَ رُبِيعَةٍ ، أَرْضَيْتُمْ بَنِي مِنْ خُرَاسَانَ بِخَنْدَقِكُمْ ؟ ! فَأَحْفَظْتُمْ ذَلِكَ ، فَتَنَادَوْا لِلْقِتَالِ ، فَهَنَاهُمْ أَوْسٌ عَنِ الْخُرُوجِ بِجَمَاعَتِهِمْ ، فَعَصَوْهُ ، وَخَرَجُوا ، فَقَاتَلُوا سَاعَةً ، ثُمَّ انْهَزُوا ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى خَنْدَقِهِمْ ، وَتَفَرَّقُوا عَيْنًا وَشِمَالًا : وَسَقَطُوا فِي الْخَنْدَقِ ، وَقَتَلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَهَرَبَ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَبِهِ جِرَاحَاتٌ ، وَحَلَفَ ابْنُ خَازِمٍ لَا يُؤْتِي بَنِي أَسِيرٍ

(١) فِي نَارِيعِ الطَّبَرِيِّ : « وَاحِدَةٌ مِنْ اثْنَيْنِ » .

(٢) زَادَ الطَّبَرِيُّ قَوْلَهُمْ : « وَلَا يَمْعُوفِيَا لِمَضَرَ دَاعٍ » .

(٣) وَقَالَ لَهُ : « وَجَدْتَ إِخْوَانًا قَطَعُوا الرَّحِمَ » .

يومه ذلك إلا قتله وسار أوس بن ثعلبة إلى سجستان فمات بها أو
 قريباً منها ، وقتل من بكر يومئذ ثمانية آلاف ، وغلب ابن حازم
 على هراة واستعمل عليها ابنه محمداً وضم إليه شماس بن دينار العطاردي ،
 وجعل بكبير بن وشاح الثقفي على شرطته ، ورجع ابن حازم إلى مرو .
 وفي هذه السنة بعد موت يزيد خالف أهل الري ، وكان عليهم
 الفرخان الرازي ، فوجه إليهم عامر بن مسعود وهو أمير الكوفة
 محمد بن عُمير بن عطاردي بن حاجب بن زرارمة بن عيسى التميمي
 الداري فهزمه أهل الري ، فبعث إليهم عامر عتاب بن ورقاء التميمي ،
 فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل الفرخان وأهزم المشركون .
 هذا ما كان من أخبار العراق وخراسان بعد وفاة يزيد ، فلنذكر
 أخبار عبد الله بن الزبير ، وما يخلل أيامه من أخبار غيره
 التي حدثت في أعماله .

ذكر بيعة عبد الله بن الزبير

وما حدثت في أيامه من الوقائع والحوادث المتعلقة به
 والكائن (١) في أعمال ولايته

هو أبو خُبَيْب (٢) ، وقيل : أبو بكر (٣) عبد الله بن الزبير
 ابن العوّام بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزّي بن قُصَيّ ، يجتمع
 نسبه ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قُصَيّ ، وأمه أسماء

(١) كذا جاء في (ك) و (هـ) في النسخة (ن) « والمكتوبة » .

(٢) « أبو خبيب » كنية عبد الله بن الزبير بأكبر أولاده « خبيب » ، ومن ذلك قول الشاعر :

أرى الحاجات عند أبي خبيب تكبدن ولا أمة في البلاد

(٣) كناه النبي صلى الله عليه وسلم بكنية جده أبي أمه . أي بكري الصديق .

بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وهى ذات النطاقين ^(١) ، وهو أول مولود ولد بالمدينة من المسلمين ^(٢) بعد الهجرة .

وكان ابتداء أمره فى البيعة له ما قدمناه ؛ من خروجه من المدينة لما توفى معاوية بن أبي سفيان ، ووصله إلى مكة ، وأنه أقام بالبيت وقال : أنا العائد بهذا البيت .

فلما قُتِل الحسين بن على رضى الله عنهما فى سنة إحدى وستين كما ذكرنا ، قام عبد الله فى الناس فعظم قتله ، وعاب أهل العراق عامة ، وأهل الكوفة خاصة ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن أهل العراق غدروا فُجْرًا إلا قليلا ، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق ، وإنهم دَعَوْا حُسَيْنًا لينصروه ويؤثوه عليهم ، فلما قدم عليهم ثاروا عليه ، فقالوا له : إما أن تضع يدك فى أيدينا فتبعك بك إلى ابن زياد بن سمية فيمضى فيك حكمه ، وإما أن تُحارب ، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل فى كثير ، وإن كان الله لم يُطْلِع على الغيب أحدا أنه يقتول ، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حُسَيْنًا ، وأخزى قاتله . لعمرى لقد كان من خلافهم إِيَّاه ، وعصيانهم ، ما كان فى مثله واعظ . وناله عنهم ، ولكنه قَدَّرَ نازل ، وإذا أراد الله أمرا لم يُدْفَعْ ، أَوْبَعَدَ الحسين يُطْمَأَنُّ إلى هؤلاء القوم ، ويصدق قولهم ، ويُقْبَلُ لهم عهد ؟ لا والله لانراهم لذلك أهلا ، أم والله لقد

(١) ذكر المؤلف حديث الهجرة فى الجزء ١٦ من نهاية الأرب فقال ص ٣٣٣ : قطعت أسهاء قطعة من نطاقها فأركأت بها الجراب ، وقطعة أخرى صيرها عصاما لغم القربة ، فلذلك سميت أسهاء « ذات النطاقين » .

(٢) الذى قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ج ٢ ص ٣٠١ : « من المهاجرين » .

قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيرا في النهار صيامه ، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل ! أم الله ما كان يبدل بالقرآن الغناء ، ولا بالبكاء من خشية الله الحذاء ، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد - يعرض بيزيد - ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (١) .

فثار إليه أصحابه ، وقالوا : أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحد إذ هلك الحسين ينازعك هذا الأمر . وقد كان عبد الله قبل ذلك يبايع سرا ، فقال لهم : لاتعجلوا . هذا وعمرو بن سعيد عامل مكة ، وهو أشد شيء على عبد الله بن الزبير ، وهو مع ذلك يُدارى ويرفق . فلما استقر عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة أعطى الله عهدا ليوثقنه في سلسلة ، فبعث إليه سلسلة من فضة مع ابن عضادة (٢) الأشعري ومسعدة وأصحابهما ليأتوه به فيها ، وبعث معهم بُرنس خبز ليلبس به عليها لثلا تظهر للناس .

فاجتاز أبو عضادة بالمدينة وبها مروان بن الحكم ، فأخبره بما قديم له ، فأرسل مروان معه ولدين له ، أحدهما عبد العزيز ، وقال : إذا بلغته رسل يزيد الرسالة فتعرضا له ، وليتمثل أحدهما بهذا الشعر :

فخذها فليست للعزيز بخطة وفيها مقال لا مريء متذل

أعامر إن القوم ساموك خطة وذلك في الجيران عز لا بمعزل (٣)

أراك إذا ما كنت للقوم ناصحا يقال له بالدلو أدبر وأقبل

(١) من الآية ٥٩ من سورة مريم .

(٢) في تاريخ الطبري « صفاء » وفي الكامل « عطاء » .

(٣) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٥ : « وذلك في الجيران عز لا بمعزل » .

فلما بلغه الرسلُ الرسالة أنشد عبد العزيز الأبيات ، فقال ابن الزبير : يا بني مروان قد سمعتُ ما قلتما فأخبرا أباكما :
إني لمن نبعة صُمُّ مكاسرها إذا تناوحتِ القصبا والعُشُرُ
فلا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرس الماضغ الحجرُ
وامتنع من رسل يزيد .

فقال الوليد بن عُتبة وناس من بني أمية ليزيد : لو شاء عمرو ابن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث إليك به ، فعزل يزيد عمرا واستعمل الوليد بن عُتبة على الحجاز ، فأقام الوليد يريد غرة عبد الله فلم يعجده إلا متحذراً ممتنعاً .

وثار نَجْدَةُ بن عامر الحنفى باليماة حين قُتل الحسين ، وكان الوليد يفيض بالناس من المعروف ، ويقف ابن الزبير وأصحابه ونَجْدَةُ وأصحابه ، ثم يفيض ابن الزبير وأصحابه ، ونجدة بأصحابه ، لا يُفيض واحد منهم بإقاضة أحد . وكان نَجْدَةُ يلقي عبد الله بن الزبير ويكثر حتى ظنَّ الناس أنه سيبايعه .

ثم [كتب] ^(١) عبد الله بن الزبير إلى يزيد في شأن الوليد فعزله يزيد كما تقدم ، واستعمل عثمان بن محمد بن أبي سفيان . وكان من خبر أهل المدينة في خلافهم يزيد ، ووقعة الحرّة ، والحصار الأول ما قدمناه .

فلما مات يزيد بن معاوية بلغ الخبرُ عبدَ الله بن الزبير والحُصَيْن ابن ثُمَيْر ومن معه من عسكر الشام يحاصرونه ، وقد اشتد جصارهم ،

(١) الزيادة من ابن الأثير والطبري .

فقال لهم عبد الله وأهل مكة : عَلَامَ تقاتلون وقد هلك طاغيتكم ؟ فلم يُصدّقوهم ، فلما بلغ الحُصَيْنَ خبر موت يزيد بعث إلى ابن الزبير فقال : موعد ما بيننا الليلة الأبطح ، فالتقيا وتحادثا فراث فرس الحُصَيْنَ ، فجاء حَمَامُ الحرم يلتقط . رَوّث فرس الحُصَيْنَ ، فكفّ الحُصَيْنُ فرسه عن الحمام ، وقال : أخاف أن يقتل فرسي حَمَامُ الحرم . فقال له ابن الزبير : تتخرجون من هذا وأنتم تقاتلون المسلمين في الحرم ، فكان فيما قال له الحُصَيْنَ : « أنت أحقُّ بهذا الأمر ، هَلُمَّ فلنبايعك ، ثم أخرج معي إلى الشام ، فإن هذا المجد الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، فوالله لا يختلف عليك اثنان ، وتؤمن الناس ، وتهدر الدماء التي كانت بيننا وبينك ، وبين أهل الحرة » ، فقال له أنا لا أهدر الدماء ، والله لا أرضى أن أقتل بكل رجلٍ منهم عشرة . وأخذ الحُصَيْنَ يُكلّمه سرا وهو يجهر ويقول : وَالله لا أفعل ، فقال له الحُصَيْنَ : قبح الله من يعدّك بعد هذا داهياً أو أريباً ، قد كنت أحنُّ لك رأياً ، وأنا أكلّمك سرا ، وتكلّمني جهرا ، وأدعوك إلى الخلافة ، وتعلّني القتل والهلكة . ثم فارقه ورحل هو وأصحابه نحو المدينة .

وندم ابن الزبير على ما صنع ، فأرسل إلى الحُصَيْنَ يقول : أما المسير إلى الشام فلا أفعله ، ولكن بايعوا لي هناك ، فإني مؤمنكم وعادل فيكم ، فقال الحُصَيْنَ : إن لم تقدم بنفسك لا يمشی الأمر ، فإن هنالك ناسا من بني أمية يطلبون هذا الأمر . وسار الحُصَيْنَ إلى المدينة فخرج معه بنو أمية إلى الشام .

وبويع عبد الله بن الزبير بمكة لسبع بقين من رجب سنة أربع وستين ، واجتمع لعبد الله بن الزبير الحجاز والكوفة والبصرة والجزيرة وأهل الشام ، إلا أهل أُرْدُن ومصر .

ثم بويع مروان بن الحكم بالشام ، فكان من أمره في وقعة مَرَج راحط . ومسيره إلى مصر واستيلائه عليها ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره .

ذكر فراق الخوارج عبد الله

وما كان من أمرهم

وفي سنة أربع وستين فارق الخوارج الذين كانوا قدموا مكة عبد الله بن الزبير ، وكانوا قد قاتلوا معه أهل الشام .

وكان سبب قدومهم عليه أنه لما اشتد عليهم عُبيد الله بن زياد بعد قتل أبي بلال ، اجتمعوا وتذاكروا فأشار عليهم نافع بن الأزرق أن يلحقوا بابن الزبير ، وقال : إن كان على رأينا جاهدنا معه ، وإن كان على غير رأينا دافعنا عن البيت ، فلما قدموا عليه سُرَّ بمقدمهم وأخبرهم أنه على مثل رأيهم من غير استفسار ، فقاتلوا معه أهل الشام ، ثم اجتمعوا بعد وفاة يزيد وقالوا : إن الذي صنعتم بالأمس لغير رأى ، تقاتلون مع رجل لا تدرون ، لعله ليس على مثل رأيكم ، وقد كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ، وينادى « يا ثاراتِ عثمان » فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان ، فنظر فإذا أصحابه حوله قليل فقال : إنكم أنيتموني حين أردت القيام ، ولكن اثنتوني عشية النهار حتى أعلمكم ، فأنصرفوا .

وبعث ابن الزبير إلى أصحابه ، فاجتمعوا عنده بأيديهم العهد .

فقال ابن الأُزرق : إن الرجل قد أزمع خلافكم ، فتقدم إليه نافع بن الأُزرق وعبيدة بن هلال ، فقال عبيدة : بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه عمل بكتاب الله حتى قبضه الله ، واستخلف الناس أبا بكر ، واستخلف أبو بكر عمر ، فكلاهما عمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم إن الناس استخلفوا عثمان ، ونقصه ، وقبح أفعاله ، وتبرأ منه ، ووالى قتلته ، ثم قال : فما تقول أنت يا ابن الزبير : ؟ ! فحمد بن الزبير الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد فهمت الذى ذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم فهو فوق ما ذكرت ، وفوق ما وصفت ، وفهمت الذى ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وُفِّقَتْ وأُصِبت ، وفهمت الذى ذكرت به عثمان ، وإني لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره منى ، كنت معه حيث نقم [القوم] ^(١) عليه واستعتبوه فلم يدع شيئاً إلا أعتبهم منه ، ثم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه يأمر فيه بقتلهم ، فقال لهم : ما كتبته ، فإن شئتم فهاتوا بينتكم ، فإن لم تكن حلفت لكم . فوالله ماجاعوه ببينة ، ولا استخلفوه ، ووثبوا عليه فقتلوه ، وقد سمعت ما عبته به ، فليس كذلك ، بل هو لكل خير أهل ، وأنا أشهدكم ومن حضرني أنى ولئى لأبئن عفان : وعدو أعدائه . قالوا : فبرىء الله منك ، قال : بل برئ الله منكم .

وتفرَّق القوم ، فأقبل نافع بن الأُزرق الحنظلي ، وعبد الله بن صفار السعدي ، وعبد الله بن إياض ، وحنظلة بن يئهمس ، وبنو الماحوز ، عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط . بن يربوع ، وكلهم

من تميم ، حتى أتوا البصرة ، وانطلق أبو طالوت من بني بكر بن وائل ، وأبو قُدَيْك عبد الله بن ثور من قيس بن ثعلبة ، وعطية ابن الأسود البشكري ، إلى اليمامة ، فوثبوا بها مع أبي طالوت ، ثم اجتمعوا بعد ذلك على نَجْدَةِ بن عامر الحنفى وتركوا أبا طالوت .

فأما نافع بن الأزرق ومن معه فلإنهم قدموا البصرة فتذاكروا الجهاد وفضيلته ، وخرج في ثلثمائة ، وذلك عند وثوب الناس بابن زياد ، وكسر الخوارج باب السجى وخرجوا ، واشتغل الناس عنهم بحرب الأزد وربيعه وتميم ، فلما استقر أمر عبد الله بن الحارث بالبصرة تجرد الناس للخوارج وأخافوهم ، فلحق نافع بالأهواز في شوال سنة أربع وستين واشتدت شوكته ، وكثرت جموعه ، وأقام بالأهواز .

وحيث ذكرنا الخوارج ، فلنذكر ما كان من أمرهم في أيام عبد الله ابن الزُبَيْر إلى نهايته ، ثم نذكر ما سوى ذلك .

ذكر مقتل نافع بن الأزرق

أمير الخوارج وغيره منهم

وفي سنة خمس وستين اشتدت شوكة نافع بن الأزرق ، وهو الذى تنسب إليه الأزارقة من الخوارج ، وكثرت جموعه ، وأقبل بهم نحو الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث أمير البصرة مُسَلِّم ابن عُبيس بن كُرَيْز بن ربيعة ، فخرج إليه فدفعه عن أرض البصرة حتى بلغ دَوْلَاب من أرض الأهواز ، فاقتتلوا هناك فقتل مسلم أمير أهل البصرة ونافع بن الأزرق رئيس الخوارج ، وكان مقتلهما في جُمَادَى الآخِرَةِ . فأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميرى ، وأمرت

الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمي ، فاقاقتلوا فقتل الحجاج وعبد الله ، فامر أهل البصرة ربيعة بن الأجدم التميمي ، وأمرت الخوارج عبيد الله ابن الماحوز ، واقتتلوا حتى أمسوا وقد ملوا القتال ، وكره بعضهم بعضا ، فبينما هم كذلك إذ جاءت سرية للخوارج لم تشهد القتال فهزمت جيش البصرة ، وقتل أميرهم ربيعة ، فأخذ الراية حارثة بن بدر فقاتل ساعة بعد أن ذهب الناس عنه ، ثم سار ونزل الأهواز ، وبعث ابن الزبير الحارث بن أبي ربيعة على البصرة كما ذكرناه ، فأقبلت الخوارج نحو البصرة حتى قربوا منها ، فأتى أهلها الأخنف بن قيس وسأله أن يتولى حربهم ، فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة .

ذكر معاربة المهلب الخوارج

وقتل أميرهم عبيد الله بن الماحوز

كان المهلب قد قدم من قبل عبد الله بن الزبير لولاية خراسان فخرج إليه أشراف أهل البصرة وكلموه في حرب الخوارج ، فأبى عليهم ، فكلّمه الحارث بن ربيعة ، فاعتذر بولاية خراسان ، فوضع الحارث وأهل البصرة كتابا عن ابن الزبير إلى المهلب . يأمره بقتال الخوارج ، وأتوه به ، فلما قرأه قال : والله ما أسير إليهم إلا أن يجعلوا إليّ ما غلبت عليه ، ويعطوني من بيت المال ما أقوى به من معي ، فأجابوه إلى ذلك .

واختار المهلب من أهل البصرة اثني عشر ألفا ، منهم محمد بن واسع ، وعبد الله بن رباح الأنصاري ، ومعاوية بن قرّة المزني ، وأبو عمران الجوني وغيرهم . وخرج إلى الخوارج وهم عند الجسر الأصفر فحاربهم ودفعهم عنه ، وتبعهم حتى بلغوا الأهواز ، واقتتلوا هناك .

ودامت الحرب ، وقُتِلَ الْمُعَارِكُ بْنُ أُنَى صُفْرَةَ أَخُو الْمُهَلَّبِ ، ثُمَّ هُزِمَ
جَيْشُ الْمُهَلَّبِ وَثَبِتَ هُوَ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَنْهَزَمَ ، ثُمَّ عَادُوا
لِلْقِتَالِ ، وَأَبْلَى بَلَاءَ حَسَنًا فَهَزَمُوهُ ، فَبَاغَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ الْبَصْرَةَ
وَجَاءَتْ أَهْلُهَا وَأَسْرَعَ الْمُهَلَّبُ حَتَّى سَبَقَ الْمُنْهَزِمِينَ إِلَى تَلٍّ عَالٍ ،
ثُمَّ نَادَى : إِيَّيْ عِبَادَ اللَّهِ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ أَكْثَرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ
فَعَادَ إِلَى الْخَوَارِجِ وَقَدْ أَمَّنُوا ، وَسَارَ بَعْضُهُمْ خَلْفَ الْجَيْشِ الَّذِي
أَنْهَزَمَ ، فَأَوْقَعَ بِهِمُ الْمُهَلَّبُ وَقَتَلَ رِثْيَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَاحُوزِ ، فَاسْتَخْلَفُوا
الزُّبَيْرَ بْنَ الْمَاحُوزِ ، وَعَادَ الَّذِينَ تَبِعُوا الْمُنْهَزِمِينَ ، فَوَجَدُوا الْمُهَلَّبَ
قَدْ وَضَعَ لَهُمْ خِيَلًا فَرَجَعُوا مِنْهُمْ ، وَأَقَامَ الْمُهَلَّبُ مَوْضِعَهُ حَتَّى
قَدَّمَ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ .

وقيل : كانت هذه الواقعة في سنة ستٍّ وستين ، وذلك أن
المُهَلَّبَ لَمَّا دَفَعَ الْخَوَارِجَ عَنِ الْبَصْرَةِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَهْوَازِ أَقَامَ بَقِيَّةَ
سَنَتِهِ يَجْبِي كُورَ دَجْلَةَ وَرَزَقَ أَصْحَابَهُ ، وَأَتَاهُ الْمَدَدُ مِنَ الْبَصْرَةِ حَتَّى
بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا .

قال : ثُمَّ اسْتَعْمَلَ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ لِمَا وَلى الْعِرَاقَ نَائِبَهُ عُمَرَ
ابْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ عَلَى فَارَسَ ، وَوَلَّاهُ حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ بَعْدَ أَنْ تَوَجَّهَ
الْمُهَلَّبُ إِلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةِ عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فلما بلغ الخوارج ولايته تقدموا إلى إصطخر ، وأميرهم
يوم ذاك الزُّبَيْرُ بْنُ الْمَاحُوزِ ، فَغَدَبَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ ابْنَةُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي خَيْلٍ ،
فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَقَاتَلَ عُمَرَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْخَوَارِجَ
فَقُتِلَ مِنْ فَرَسَانِهِمْ سَبْعُونَ ^(١) رَجُلًا ، وَأَنْهَزَمَ الْخَوَارِجُ وَقَصَدُوا نَحْوَ

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « سَبْعُونَ » .

أصبهان ، فَأَقَامُوا حَتَّى قَوُّوا وَاسْتَعْلَوْا وَأَقْبَلُوا حَتَّى مَرَوْا بِفَارَسٍ
وَبِهَا عَمْرٌ ، فَقَطَعُوهَا مِنْ غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ بِهِ حَتَّى أَتَوْا الْأَهْوَازَ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُضْعَبُ يَلُومُهُ فِي تَمَكِينِهِمْ مِنْ قَطْعِ جِهَتِهِ ، فَسَارَ عَمْرٌ مِنْ
فَارَسٍ فِي أَثَرِهِمْ ، وَخَرَجَ مُضْعَبُ فَعَسَكَرَ عِنْدَ الْجِسْرِ الْأَكْبَرِ .

وَبَلَغَ الْخَوَارِجُ وَهُمْ بِالْأَهْوَازِ إِقْبَالَ عَمْرِ عَلَيْهِمْ ، فَقَطَعُوا أَرْضَ
جُونَخِي وَالنَّهْرَ وَأَنَاتَ وَأَتَوْا الْمَدَائِنَ ، وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مَرْثَدَ الْفَزَارِيِّ ،
فَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَدَائِنَ ، يَقْتُلُونَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْوُلْدَانَ ،
وَيَشَقُّونَ أَجْوَافَ الْحَوَامِلِ ، فَهَرَبَ كَرْدَمُ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى سَابَاطَ .
وَوَضَعُوا السَّيْفَ ، وَأَفْسَدُوا إِفْسَادًا عَظِيمًا .

وَأَتَوْا أَرْضَ الْكُوفَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ أَمِيرَهَا ،
فَتَوَجَّهُوا حَتَّى أَتَوْا الْمَدَائِنَ فَأَتَبَعَهُمُ الْحَارِثُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْتَفٍ فِي سِتَّةِ
آلَافٍ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ ، فَتَبَعَهُمْ حَتَّى وَقَعُوا فِي أَرْضِ
أَصْبَهَانَ ، فَارْجَعُوا وَلَمْ يَقَاتِلَهُمْ .

وَقَصَدُوا الرِّىَ وَعَلَيْهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمِ الشَّيْبَانِي
فَقَاتَلَهُمْ ، فَأَعَانَ أَهْلَ الرِّىَ الْخَوَارِجَ ، فَقَتَلَ يَزِيدُ وَهَرَبَ ابْنُهُ حَوْشَبُ .
وَلَمَّا فَرَّغَ الْخَوَارِجُ مِنَ الرِّىَ شَخَّصُوا إِلَى أَصْبَهَانَ فَحَاصَرُوهَا
وَبِهَا عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ، فَصَبَّرَ لَهُمْ وَقَاتَلَهُمْ : فَكَمَنَّ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ
وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلٍ عَاتَقَهُ فَصَرَعَهُ : فَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ وَدَاوُوهُ
حَتَّى بَرَأَ ، وَدَاوَمَ الْخَوَارِجُ حَصَارَهُمْ حَتَّى نَفَدَتْ أَطْعَمَتُهُمْ وَأَصَابَهُمُ
الْجُحْدُ : فَقَامَ عَتَّابُ فِي أَصْحَابِهِ : وَخَرَّضَهُمْ عَلَى أَنْ يَصْدُقُوهُمْ
الْقِتَالَ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ : وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْخَوَارِجِ وَهُمْ آمِنُونَ :

فقدانلوهم حتى أخرجوهم من معسكرهم ، وقتلوا أميرهم الزبير بن الماحوز .

ففرغت الخوارج إلى أبي نعامه قَطْرَى بن الفُجاءة المازني فبايعوه ، وأصاب عتاب ومن معه من عسكره ما شاعوا ، وسارت الخوارج عن أصبهان إلى كرمان ، فأقاموا بها حتى اجتمع إلى أميرهم قَطْرَى جموع كثيرة ، وجبى الأموال وقوى ، ثم أقبل إلى أصبهان ، ثم أتى أرض الأهواز فأقام بها ، فبعث مُضْعَب إلى المهلب فأمره بقتال الخوارج : وبعث إلى عامله بالموصل والجزيرة إبراهيم بن الأشتر : فقدم المهلب البصرة ، وانتخب الناس وسار نحو الخوارج ، وأقبلوا إليه حتى التقوا بسولاف ، فاقتلوا ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس ، وذلك في سنة ثمان وستين .

هذا ما أمكن إيراده من أخبار الخوارج في أيام ابن الزبير فلنذكر خلاف ذلك .

ذكر خبر التوابين وما كان من أمرهم

وأخبارها إلى أن قتلوا

وإنما ذكرنا خبر التوابين في هذا الموضع في أخبار عبد الله بن الزبير : لأن ظهورهم ومقتلهم كان في أيامه ، ومن بلد داخل تحت حكمه ، ونحن نذكر مبدأ أمرهم ، وقد ذكرهم ابن الأثير الجزري رحمه الله في تاريخه الكامل في حوادث سنة أربع وستين ، وستة خمس وستين . قال : ولما قُتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كما ذكرنا تَلَاقت الشيعة بالتلاؤم والندم على ما صدر منهم ، من استئذانهم الحسين

وخذلانه حتى قُتل ، ورأوا أنهم لا يغسل عنهم الغار والإثم الذي ارتكبهوا إلا قتل من قتله أو القتل فيه .

فاجتمعوا بالكوفة إلى خمس نفر من رعوس الشيعة ، وهم : سليمان بن صُرَد الخزاعي ، وكانت له صحبة ، والمسيب ابن نجبة الفزاري وكان من أصحاب علي وخيارهم ، وعبد الله ابن مسعود بن ثقييل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمي ، نيم بكر بن وائل ، ورفاعة بن شداد البجلي ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صُرَد فبدأهم المسيب بن نجبة فقال بعد حمد الله : « أما بعد ، فإننا ابتلينا بطول العمر ، والتعرض لأنواع الفتن ، فترغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمِرْكُمْ مَبِيتَكُمْ ﴾ فيه مَنْ تَذَكَّرَ ^(١) وإن أمير المؤمنين قال : العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة ، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا ^(٢) ، فوجدنا الله كاذبين في كل موطن من مواطن ابن ابنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله ، وأعذر إلينا فسألنا نصره عودا وبدءا ، وعلانية وسرا ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا ، لانحن نصرناه بأبدينا ولا جدلنا عنه بالسنتنا ، ولا قويناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرننا ، فما عُدُّرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا ، وقد قُتل فينا ولده وحبيبه ، وذريته ونسله ! لا والله لا عذر دُونَ أن تقتلوا قاتله والموالين عليه أو تقتلوا في طلب ذلك ، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك :

(١) من الآية ٣٧ من سورة فاطر .

(٢) هنا ينتهي ما سقط من النسخة (ن) مع زوال الترخيم بها ، ولعل هناك مفعلين سقطا فلم ينتبه عليهما الرقم ، وقد أثبتنا هذا من النسخة (ك) .

وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن : أيها القوم ، ولّوا عليكم رجلا منكم ، فإنه لا بُدَّ لكم من أمير تفرعون إليه ، وراية تحفون بها .

فقام رفاعه بن شداد فقال : « أما بعدُ فإن الله قد هداك لأضوب القول ، وبدأت بإرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فمسموع منك مستجاب إلى قولك ، وقلت : ولّوا أمركم رجلا تفرعون إليه وتحفون برايته ، وقد رأينا مثل الذي رأيت ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا وفينا مستنصحا وفي جماعتنا محبا ، وإن رأيت ورأى ذلك أصحابنا ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السانقة والقدم سليمان بن صُرد المحمود في بأسه ودينه الموثوق بحزمه .. »

وتكلم عبد الله بن وائل وعبد الله بن سعد بنحو ذلك ، وأثنيا على سليمان والمُسَيَّب ، فقال المسيب : قد أصبتم فولّوا أمركم سليمان بن صرد .

فتكلم سليمان بن صُرد بكلام كثير حضهم فيه على القيام وطلب ثار الحسين وقتل قتله أو القتل دون ذلك .

وكتب إلى سعد بن حُذَيْفَةَ بن اليمان يُعَامِه بما عزموا عليه ويدعوه إلى مساعدتهم هو ومن معه من الشيعة بالمدائن ، فقرأ سعد الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فأجابوا إلى ذلك .

وكتب سليمان أيضا إلى المثنى فأجابه : إننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمم عليه ، ونحن موافقك إن شاء الله للأجل الذي ضربت .

قال وكان أول ما ابتدعوا به أمرهم بعد قتل الحسين في سنة إحدى وستين ، فمازالوا في جمع آلة الحرب ودعاء الناس ، في السر إلى أن هلك يزيد بن معاوية في سنة أربع وستين ، فجاء إلى سليمان أصحابه فقالوا : قد مات هذا الطاغية ، والأمر ضعيف ، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث ، وكان خليفة ابن زياد على الكوفة - ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ثم ندعو الناس إلى أهل هذا البيت ^(١) . فقال لهم سليمان : « لا تعجلوا » ، إلى قد نظرت فيما ذكرتكم ، قرأيت قتل الحسين هم أشرف الكوفة وفرسان العرب ، ومتى علموا ذلك كانوا أشد عليكم ، ونظرت فيمن تبغى منكم فعلت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزراً لعدوهم ولكن بشوا دعاتكم وادعوا إلى أمركم » ؛ ففعلوا فاستجاب لهم ناس كثير .

ثم إن أهل الكوفة أخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير ، فلما مضت ستة أشهر من وفاة يزيد قدم المختار بن أبي عبيد إلى الكوفة في النصف من شهر رمضان ، وقدم عبد الله بن زيد الخطمي الأنصاري أميراً على الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير لثمان خلون ^(٢) من شهر رمضان ، وقدم إبراهيم بن محمد بن طلحة معه على الخراج .

فأخذ المختار بن أبي عبيد يدعو الناس إلى قتال قتل حسين ويقول :

(١) زاد ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٣٣٤ قوله : « المتأثر عليهم المدغمين

من حقهم » .

(٢) في الكامل « بقين » .

جئتكم من عند المهدي محمد بن الحنفية وزيراً أميناً ، فرجع إليه طائفة من الشيعة ، وكان يقول : إنما يريد سليمان أن يخرج فيقتل نفسه ومن معه ، وليس له خبرة بالحرب .

وبلغ الخبر عبد الله بن يزيد أن سليمان يريد الخروج بالكوفة عليه ، وأشير عليه بحبسه ، وخوف عاقبة أمره إن تركه ، فقال عبد الله إنهم قاتلونا قاتلناهم ، وإن تركونا لنطلبهم ، إن هؤلاء القوم يطلبون قتلة الحسين ، ولست ممن قتله ، لعن الله قاتله ، ثم صعد إلى المنبر فقال بلغني أن طائفة منكم أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عنهم ف قيل إنهم يطلبون بدم الحسين ، فرحم الله هؤلاء القوم ، فقد والله دُلْتُ على مكانهم ، وأمرت بأخذهم ، فأبَيْتُ ، وقلت إن قاتلوني قاتلتهم ، وعَلَّامٌ يقاتلوني ؟ فوالله ماأنا قتلْتُ حسيناً ، ولقد والله أصبْتُ بمقتله رحمة الله عليه ، وإن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ظاهرين ، وليسيروا إلى من قاتل الحسين ، فتدأقبل إليهم - يعنى عبيد الله بن زياد - فأنا لهم ظهير ، هذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقاتل خياركم وأماثلكم ، فقد توجه إليكم وقد فارقه على ليلة من جسر منبج ، فقتاله والاستعداد له أولى من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضكم بعضاً ، فيلقاكم عدوكم وقد رققتم فنهلك ، وتلك أمنيته ، وقد قدم عليكم أعدى خلق الله لكم ، من ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين لا يُقلعان عن قتل أهل العفاف والدين ، هو الذي قتلاكم ومن قبله أتيتم ، والذي قتل من تنادون بدمه ،

قد جاءكم فاستقبلوه ويحدثكم وشوكتكم واجعلوها [به ولا تجعلوها] (١)

بأنفسكم إني لكم ناصح .

وكان مروان بن الحكم قد بويع بالشام على ما ذكره ، وبعث
عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ، وأمره إذا فرغ منها أن يسير
إلى العراق .

قال : فلما فرغ عبد الله بن يزيد من كلامه قال إبراهيم بن محمد
ابن طلحة : « أيها الناس ، لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا
المдахن ، والله لئن خرج علينا خارج لنقتله ، ولئن استيقنا أن
قوما يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده والحميم
بالحميم والعريف بما في عرافته ، حتى يدينوا للحق والطاعة » .

فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ، ثم قال : يا ابن
الناكشين ، أنت تهددنا بسيفك وحشمتك ! أنت والله أذل من ذلك ،
إننا لآنلوك على بغضنا وقد قتانا أباك وجدك . وأما أنت أيها الأمير فقد
قلت قولاً سيديداً . فقال له إبراهيم والله لنقتلن ، وقد داهن هذا ، يعني
عبد الله بن يزيد ، فقال له عبد الله بن وائل : ما اعتراضك فيما بيننا وبين
أميرنا ؟ ما أنت علينا بأمير إنما أنت أمير هذه الجزيرة : فأقبل على
خزاجك ، ولئن أفسدت أمر هذه الأمة فقد أفسده والداك ، وكانت
عليهما دائرة السوء . فشتهم جماعة ممن مع إبراهيم ، ونزل
الأمير عن المنبر ، وتهده إبراهيم بأنه يكتب إلى ابن الزبير يشكوه ،
فجاءه عبد الله في منزله فاعتذر إليه ، فقبل عذره .

ثم خرج أصحاب سليمان بن صرد ينشرون السلاح ظاهرين إلى سنة خمس وستين ، فعزم سليمان على الشخصوس ، وبعث إلى رموس أصحابه وتواعدوا للخروج في مستهل شهر ربيع الآخر ، وخرجوا في ليلة الوعد إلى النخيلة ، فدار سليمان في الناس ، فلم يعجبه عددهم ، فأرسل إلى حكيم بن منقذ الكندي والوليد بن عضيض الكنانى فناديا في الكوفة بالآثار الحسين ! فكانا أول من دعايا لآثار الحسين .

فأصبح من الغد وقد أتاه زحوما في عسكره ، ثم نظر في ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفا ببيعة ، فقال ! سبحان الله ! ما وافانا من ستة عشر ألفا إلا أربعة آلاف ! فقيل له إن المختار يشبط الناس عنك وقد تبعه ألفان . فقال ، بقى عشرة آلاف ! ماهؤلاء بمؤنين !

فأقام بالنخيلة ثلاثا ، يبعث إلى من تخلف عنه ، فخرج إليه زحور من ألف رجل ، فقام إليه المسيب بن نجبة . فقال : رحمك الله ، إنه لا ينفعك الكلام ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية ، فلا تنتظرن أحدا ، وخذ في أمرك . قال : نعم مارأيت .

ثم قام سليمان في أصحابه فقال : « أيها الناس ، من كان إنما خرج إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا وزجن منه . فرحمة الله عليه حيا وميتا ، ومن كان يريد الدنيا فوالله ما يأتى في لا نأخذه ولا غنيمة نغنمها ، ما خلا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع ، ما هو إلا سيوفنا على عواتقنا ، وزاد قدر البلغة . فمن كان ينوى غير هذا فلا يصحبنا » .

فتنادى أصحابه من كل جانب : إنا لا نطلب الدنيا ، وليس لها

خرجنا ، إنما خرجنا لنطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم .

فلما عزم على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل : إني قد رأيت رأيا ، إن يكن صوابا فالله الموفق ، وإن يكن ليس بصواب فالرأى ما تراه ، إننا خرجنا نطلب بدم الحسين ، وقتلته كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد ورؤوس الأرباع والقبائل ، فأين تذهب من ههنا وتدع الأوتار ^(١) . فقال أصحابه : هذا هو الرأى .

فقال سيمان : أنا لا أرى ذلك ، إن الذى قتله وعبأ الجنود إليه وقال : « لا أمان له عندى دُون أن يستسلم فأمضى فيه حكى ، هذا الفاسق ابن الفاسق ، عُبيد الله بن زياد ، فسيروا على بركة الله إليه ، فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون منه . ورجونا أن يدين لكم أهل مصركم فى عافيته ، فينظرون إلى كل من شرك فى دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون ، وإن تستشهدوا فإنا قاتلهم المحليين ، وما عند الله خير للأبرار ، فاستخيروا الله وسيروا .

وبلغ عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد ، فأتياه فى أشراف أهل الكوفة ، ولم يصحبهم من له شرك فى دم الحسين خوفا منهم ، فلما أتياه قال له عبد الله بن يزيد : إن المسلم أخو المسلم ، لا يعونه ولا يغشه ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفجعونا فى أنفسكم ،

(١) الأوتار : جمع وتر ، بمعنى ثار .

ولانتقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى ننهياً
 فإذا سار عدونا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا فقاتلناه . وجعل لسليمان
 وأصحابه خراج جوخي إن أقاموا ، وقال إبراهيم مثل ذلك ، فقال سليمان
 قد مَحَضْتُمَا النصيحة واجتهدتما في المشورة فذعن بالله وله ، ونسأله
 العزيمة على الرشد ، ولانرانا إلا سائرين ، فقال عبد الله : فأقيموا
 حتى نعبئ معكم جيشا كثيرا ، فتلقوا عدوكم بجمع كئيف ،
 وكان قد بلغهم إقبال عُبيد الله بن زياد من الشام في الجنود .

فلم يَهم سليمان ، وسار عشية الجمعة لخمسة مضيي من شهر
 ربيع الآخر سنة خمس وستين ، فتخلف عنه ناس كثير ، فقال ما أحب
 من تخلف منكم معكم ولو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا إن الله
 كره انبعاثهم فشبظهم وخصكم بفضل ذلك .

ثم ساروا فانتبهوا إلى قبر الحسين ، فصاحوا صيحة واحدة ،
 وبكوا بكاء شديدا ، وترحموا عليه ، وتابوا عنده من خذلانه وترك
 القتال معه ، وأقاموا عنده يوما وليلة يبكون ويتضرعون .

ثم ساروا وقد ازدادوا حنقا ، وأخذوا صوب الأنبار ، وساروا
 حتى أتوا قرقيسيا على تعبشة ، وبها زُفر بن الحارث الكلابي قد تحصن
 بها عند فراره من وقعة مرج راهط . على ما نذكره إن شاء الله تعالى
 في أخبار مروان بن الحكم .

فبعث إليه سليمان ، وعرفه ماهو وأصحابه عليه من قصد بن
 زياد ، فبعث إليهم بجزور ودقيق وعلف ، وخرج إليهم وشيعهم
 وعرض عليهم أن يقيموا عنده بقرقيسيا ، وقال : ابن زياد في

عدد كثير ، فأبوا المقام ، وساروا مجدين ، وقال لهم زفران ابن زياد قد بعث خمسة أمراء من الرقة فيهم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وأدهم بن محرز وجبله بن عبيد الله^(١) الخثعمي ، فأبوا إلا المسير .

فانتهوا إلى عين الوردة ، فنزلوا غربيها ، وأقاموا خمسا ، واستراحوا وأراحوا .

وأقبل أهل الشام في عساكرهم ، حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، فقام سليمان في أصحابه فخطبهم وحرّضهم على القتال وذكرهم الآخرة ثم قال : إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب ابن نجبة ، فإن قُتل فالأمير عبد الله بن سعد بن نفيل ؛ فإن قُتل فالأمير عبد الله بن وائل ، فإن قُتل فالأمير رفاعة بن شداد ، رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه .

وبعث المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس ، وقال : سرّ حتى تلقى أول عساكرهم ، فشنّ عليهم الغارة ، فإن رأيت ما تحب وإلا فارجع . فسار يومه وليلته ، ثم نزل ، فأتى بأعرابي ، فسأله عن أدنى العسكر منه ، فقال : أدناها منك عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع ، وهو على ميل ، وقد اختلف هو والحصين ، ادّعى كل واحد منهما أنه على الجماعة ، وهما ينتظران أمر عبيد الله .

فسار المسيب ومن معه مسرعين ، حتى أشرفوا على القوم ، وهم على غير أهبة ، فحملوا في جانب عسكرهم ، فانهزم العسكر ،

(١) في الكامل ج ٣ ص ٢٤٢ : عبيد الله .

فأصاب المسيّب منهم رجالا وأكثروا فيهم الجراح ، وأخذوا دواب ، وترك الشاميون مُعسكرهم وانهزموا ، فغنم أصحاب المسيّب ما أرادوا ، ثم انصرفوا إلى سليمان .

وبلغ الخبر ابن زياد ، فمرّح الحصين في اثني عشر ألفا ، فخرج أصحاب سليمان إليه ، لأربع يقين من جمادى الأولى ، وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد ، وعلى ميسرتهم المسيّب ، وسليمان في القلب . وجعل الحصين على ميمنته جبلة بن عبد الله ، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي .

فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على مروان بن الحكم ، ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع مروان وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم وأنهم يخرجون من بالعراق من أصحاب عبد الله ابن الزبير ثم يردّ الأمر إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأبى كل منهم ، وحمل بعضهم على بعض ، فانهزم أهل الشام وكان الظفر لأصحاب سليمان إلى الليل .

فلما كان الغد صبح الحصين ثمانية آلاف أمده بهم عبيد الله ، فقاتلهم أصحاب سليمان عامة النهار قتالا شديدا لم يحجز بينهم إلا الصلاة حتى حجز بينهم الليل ، وقد كثر الجراح في الفريقين .

فلما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف من قبل ابن زياد : فاقتتلوا يوم الجمعة إلى ارتفاع الضحى ، ثم كثر أهل الشام عليهم ، وعطفوا من كل جانب ،

فنزل سليمان ونادى : « عباد الله ، مَنْ أَرَادَ الْبُكُورَ إِلَى رَبِّهِ وَالتَّوْبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ فَلْيَأْتِ » ثم كسر جَنْفَ سيفه ، فنزل معه ناس كثير وفعلوا كفعله ، وقاتلوا قتالا شديداً ، فقتلوا من أهل الشام مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْجَرَاحَ ، فَبَعَثَ الْحَصِينُ الرَّجَالَ تَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ ، وَاکْتَنَفَتْهُمْ الْخَيْلُ ، فَقُتِلَ سُلَيْمَانُ ابْنُ صُرَدَ ، رَمَاهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَصِينِ بِسَهْمٍ فَوْقَ ثَمٍ وَثَبَ ثَمٍ وَقَعَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانُوا قَدْ سَمَوْهُ « أَمِيرَ التَّوَابِينِ » .

فَأَخَذَ الرَّايَةَ الْمُسَيْبُ بْنُ نَجْبَةَ ، وَتَرَحَّمْ عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ رَجَالًا كَثِيرًا .

فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ نَفِيلٍ ، وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِمَا ، وَقَرَأَ ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ ^(١) وَخَفَّ بِهِ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَعَهُ مِنَ الْأَزْدِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الْقِتَالِ إِذْ أَتَاهُمْ فَرَسَانِ ثَلَاثَةٌ مِنْ سَعْدِ بْنِ حَذِيفَةَ ، يَخْبِرُونَ بِمَسِيرِهِ فِي سَبْعِينَ وَمِائَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدَائِنِ ، وَيَخْبِرُونَ بِمَسِيرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مَعَ الْمُشْنَى بْنِ مَخْرَمَةَ الْعَبْدِيِّ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ : لَوْ جَاعُونَا وَزَحَنَ أَحِبَاءُ ! وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، قَتَلَهُ ابْنُ أَخِي رَبِيعَةَ بْنِ مَخَارِقَ ، وَحَمَلَ خَالِدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ نَفِيلٍ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ يَطْعَنُهُ بِالسَّيْفِ ، فَخَلَصَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقُتِلَ خَالِدُ بْنُ سَعْدٍ .

فَجِئَءَ بِالرَّايَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَائِلٍ ، وَقَدْ اضْطَلَّى الْحَرْبَ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ ، فَأَخَذَهَا ، وَقَاتَلَ مَلِكِيًا ، وَذَلِكَ وَقْتُ الْعَصْرِ ، وَمَا زَالَ يِقَاتِلُ حَتَّى

(١) مِنَ الْآيَةِ ٢٢ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ .

قَتَلَ هُوَ وَأَصْحَابَهُ رَجَالًا ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ تَعَطَّفُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ تَوَلَّى قِتَالَهُمْ أَهْلَهُمْ بَنَ مَحْرُزُ الْبَاهِلِي ، فَحَمَلَ فِي خَيْلِهِ وَرَجُلَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى ابْنِ وَأَلٍ وَهُوَ يَتَلَوُّ ﴿ وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الْآيَاتِ (١) ، فغَاطَ ذَلِكَ أَهْلَهُمْ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ فَأَبَانَ يَدَهُ ثُمَّ تَنَحَّى عَنْهُ ، وَقَالَ : إِنِّي أَظُنُّكَ وَدِدْتُ أَنَّكَ عِنْدَ أَهْلِكَ ، قَالَ ابْنُ وَأَلٍ بِشَسِّ مَاطَنَنْتَ ، وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَدَكَ مَكَانَهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا فِي يَدِي ، لِيُعْظَمَ وَزْرُكَ وَأَجْرِي ، فغَاطَهُ ذَلِكَ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ مَازَالَ عَنْ مَكَانِهِ ، وَكَانَ بَنُ وَأَلٍ مِنَ الْفَقَهَاءِ الْعِبَادِ .

فَلَمَّا قَتَلَ أَنْتَوَ رِفَاعَةَ بَنَ شَدَادِ الْبِجَلِيِّ وَقَالُوا خُذِ الرَّايَةَ ، فَقَالَ ارْجِعُوا بِنَا لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا لِيَوْمٍ شَرِّ لَهُمْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بَنَ عَوْفِ ابْنِ الْأَحْمَرِ : « هَلَكْنَا وَاللَّهِ لَثْنِ أَنْصَرَفْتُ لِيَرْكَبُنَا أَكْتَفَانَا فَلَا نَبْلِغُ فَرَسَخًا حَتَّى نَهْلِكَ عَنْ آخِرِنَا ، وَإِنْ نَجَا مِنَّا نَاجَ أَخَذْتَهُ الْأَعْرَابُ فَتَقَرَّبُوا بِهِ إِلَيْهِمْ فَيَقْتُلُ صَبْرًا ! هَذِهِ الشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتْ الْغُرُوبَ فَنَقَاتْلُهُمْ عَلَى خَيْلِنَا ، فَلِذَا غَسَقَ اللَّيْلُ رَكَبْنَا خَيْولَنَا أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَسَرْنَا حَتَّى نُصْبِحَ وَنَسِيرَ عَلَى مَهْلٍ ، يَحْمِلُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَحَرِيمَهُ (٢) وَنَعْرِفُ الْوَجْهَ الَّذِي نَأْخُذُهُ » .

فَقَالَ رِفَاعَةُ نَعَمْ مَارَأَيْتَ وَأَخَذَ الرَّايَةَ ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا وَتَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بَنَ عَزِيزِ الْكِنَانِيِّ (٣) فَقَاتَلَ أَهْلَ الشَّامِ قِتَالًا

(١) الْآيَاتُ ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ .

(٢) فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٣٤٤ : « وَجَرِيحُهُ » .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي الْأَصْلِ مِثْلَ الْكَامِلِ ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : « لَلْكِنَانِيِّ » .

شديداً ، ومعه ولده محمد وهو صغير ، فسلمه لبني كنانة من أهل الشام ليوصلوه إلى الكوفة ، فعرضوا عليه الأمان ، فأبى ، ثم قاتلهم حتى قُتل .

وتقدم كريب^(١) بن زيد الجمير عند المساء في مائة من أصحابه فقاتل قتالا شديداً ، فعرض ابن ذى الكلاع عليه وعلى أصحابه الأمان ، فقال قد كننا آمنين في الدنيا وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة ، وقاتلوهم حتى قُتلوا .

وتقدم صخير بن هلال المزني في ثلاثين من مُزينة ، فقاتلوا حتى قتلوا . فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم ، وسار رفاعه بالناس ليلته ، وأصبح الحصين فلم يَرهم ، فما بعث في أثرهم ، وساروا حتى أتوا قرقيسيا فأقاموا عند زفر بن الحارث ثلاثاً ، ثم زودهم وساروا إلى الكوفة .

وأما سعد بن حذيفة بن اليمان فإنه سار من المدائن بمن معه حتى بلغ هيت ، فأتاه الخبر ، فرجع فلقى المشئي بن مخزومة العبدى في أهل البصرة ، فأخبره ، فأقاموا بصندوداء حتى أتاهم رفاعه ، فاستقبلوه ، وبكى بعضهم إلى بعض ، وأقاموا يوماً وليلة ، ثم تفرقوا ، فسارت كل طائفة منهم إلى جبهة .

قال : ولما بلغ رفاعه الكوفة كان المختار بن أبي عبيد مجبوساً ، فأرسل إليه المختار : « أما بعدُ فإنكم خرجتم بالعصبة الذين عظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضى فعلهم حتى قُتلوا^(٢) »

(١) في الكامل « كريب بن يزيد » .

(٢) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وفي تاريخ الطبري « حين قتلوا » .

أَمَّا وَرَبُّ الْبَيْتِ مَا خَطَا خَطَ مَنْكُمْ خُطْوَةً وَلَا رِبَا رِبْوَةً ^(١) إِلَّا كَانَ ثَوَابُ اللَّهِ لَهُ أَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا ، إِنَّ سَلِيمَانَ قَدْ قَضَىٰ مَا عَلَيْهِ ، وَتَوَقَّاهُ اللَّهُ فَجَعَلَ رُوحَهُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ بِصَاحِبِكُمْ الَّذِي بِهِ تَنْصَرُونَ إِنِّي أَنَا الْأَمِيرُ الْمَأْمُورُ وَالْأَمِينُ الْمَأْمُونُ ، وَقَاتِلِ الْجَبَّارِينَ ، وَالْمُنْتَقِمِ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ ، وَالْمَقِيدِ مِنَ الْأَوْتَارِ ، فَأَعْدُوا وَاسْتَعْدُوا وَأَبْشُرُوا ، وَأَدْعُواكُمْ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَاطْلُبْ بِدَمِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَالدَّفْعِ عَنِ الضُّعْفَاءِ ، وَجِهَادِ الْمُحَلِّينَ ، وَالسَّلَامَ . . .

وَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْخِتَارِ مَا نَذَكَرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

* * *

جُرُوبُ مَعِينُ التَّارِيخِ لِأَهْلِ التَّارِيخِ

(١) كَذَا جَاءَ فِي الْأَصْلِ مِثْلَ الْكَامِلِ ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبْرِى «وَلَا رِبَا رِبْوَةً» .

تم الجزء العشرون بتقسيم هذه النسخة المطبوعة ، وفي التقسيم المخطوطي اختلاف :

جاء في آخر النسخة (ك) وهي الجزء ١٨ برقم ٥٤٩ معارف عامة - في دار الكتب المصرية المصورة :

آخر الجزء الثامن عشر من نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .
رحمه الله تعالى .

يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء التاسع عشر ذكر أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي والحمد لله رب العالمين
وأما النسخة (ن) - وهي الجزء ٢٧ ، ولعله صحته ١٧ برقم ٥٥٣ معارف عامة - المصورة بدار الكتب المصرية فقد جاء في الجانب الأخير من آخر ورقة ما يأتي :

« طالع الفقير إلى الله تعالى ناصر بن سليمان بن غازي الأيوبي
غفر الله له ولجميع المسلمين يارب العالمين » .

المحقق

محمد رفعت محمود فتح الله

رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة العربية

فهرس

الجزء العشرين

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

الصفحة	
١	ذكر خلافة على بن أبى طالب
١	ذكر صفته
٣	ذكر نبذة من فضائله
١٠	ذكر بيعته على
٢١	ذكر تفريق على عماله وخلاف معاوية
٢٦	ذكر ابتداء وقعة الجمل
٣٩	ذكر مسير على الى البصرة
٤٣	ذكر ارسال على الى أهل الكوفة
٥٤	ذكر مراسلة على طلحة والزبير وأهل البصرة
٥٧	ذكر اجتماع قتلة عثمان بنى قار وتشاورهم
٥٩	ذكر مسير على رضى الله عنه
٨٥	ذكر مقتل طلحة
٨٩	ذكر مقتل الزبير بن العوام
١٠٠	ذكر وقعة صفين وابتداء أمرها
١٠٨	ذكر ارسال على الى معاوية وجوابه
١١١	ذكر المودعة بين على ومعاوية فى شهر المحرم
١٢١	ذكر الحروب التى كانت بصفين بعد الأيام الستة
١٤٤	ذكر رفع أهل الشام المطابع
١٥٦	ذكر اجتماع الحكمين
١٦٠	ذكر أخبار الحوارج
١٦١	ذكر خبرهم بعد صفين
١٦٤	ذكر خبرهم عند توجيه الحكمين
١٦٦	ذكر اجتماع الحوارج بعد الحكمين
١٧٤	ذكر قتال الحوارج
١٨٠	ذكر أخبار من خرج بعد أصحاب النهروان

الصفحة

١٨٢	ذكر خلاف الخريت بن راشد التميمي
١٩١	ذكر ما اتفق في مدة خلافته
١٩٨	ذكر خبر عبد الله بن الحضرمي
٢٠٥	ذكر مقتل علي بن أبي طالب
٢٢١	ذكر أزواج علي
٢٢٤	ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب
٢٣٣	ذكر أخبار سعد بن أبي وقاص ووفاته
٢٣٥	ذكر أخبار سعيد بن زيد

الباب الثالث

من القسم الخامس من الفن الخامس

٢٣٩	ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية وصلحه معه
٢٤١	ذكر مقتل محمد بن أبي حذيفة
٢٤٦	ذكر ملك عمرو بن العاص مصر
٢٥٣	ذكر سرايا معاوية الى بلاد علي بن أبي طالب
٢٥٨	ذكر مسير بسر بن أرطاة
٢٦٥	ذكر الغزوات والفتوحات
٢٦٦	ذكر غزو السند
٢٦٨	ذكر غزو القسطنطينية
٢٧١	ذكر غزو جزيرة أروار
٢٧٢	ذكر أخبار الحوارج
٢٧٨	ذكر خبر المستورد الخارجي
٢٨٥	ذكر عروة بن أدية وأخيه مرداس بن أدية
٢٨٨	ذكر الحوادث في أيام معاوية بن أبي سفيان
٢٨٩	ذكر صلح معاوية وقيس بن سعدة بن عبادة
٢٩٠	ذكر استعمال معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة
٢٩٠	ذكر استعمال بسر بن أرطاة
٢٩٤	ذكر قدوم زياد بن أبيه
٢٩٧	ذكر وفاة عمرو بن العاص
٣٠٠	ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة
٣٠٢	ذكر استلحاق معاوية بن أبي سفيان

الصفحة

٣١٦	ذكر عمال زياد بن أبيه
٣٢٠	ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب
٣٢٥	ذكر ولاية زياد الكوفة
٣٢٦	ذكر ما قصده معاوية
٣٢٨	ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري
٣٣٠	ذكر مقتل حجر بن عدي
٣٤٢	ذكر وفاة زياد بن أبيه
٣٤٦	ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان
٣٥٠	ذكر مراسلة معاوية زيادا في شأن البيعة
٣٥١	ذكر ارسال معاوية الى مروان بن الحكم
٣٥٣	ذكر من وفد الى معاوية من أهل الأمصار
٣٥٥	ذكر مسير معاوية الى الحجاز
٣٦٠	ذكر استعمال سعيد بن عثمان بن عفان
٣٦٢	ذكر عزل الضحاك عن الكوفة
٣٦٣	ذكر عزل عبيد الله بن زياد
٣٧٢	ذكر شيء من سيرته وأخباره
٣٧٤	ذكر صفة معاوية وأولاده وأزواجه
٣٧٦	ذكر بيعة يزيد بن معاوية
٣٧٨	ذكر ارسال الوليد بن عتبة
٣٨٢	ذكر استعمال عمرو بن سعيد على المدينة
٣٨٤	ذكر مقدم الحسين الى مكة
٣٨٨	ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على الكوفة
٣٩٧	ذكر ظهور مسلم بن عقيل
٤٣٩	ذكر ما تكلم به الحسين رضي الله عنه
٤٦١	ذكر تسمية من قتل مع الحسين بن علي
٤٦٣	ذكر ما كان بعد مقتل الحسين
٤٧٢	ذكر ورود الخبر بمقتل الحسين
٤٧٦	ذكر ما ورد من الاختلاف
٤٨٢	ذكر مقتل أبي بلال مرداس
٤٩٧	ذكر وفاة يزيد بن معاوية
٤٩٩	ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية

الصفحة

٥٠١	ذكر أخبار من بويج بالعراق
٥٠٦	ذكر ولاية عبد الله بن الحارث البصرة
٥٠٦	ذكر مقتل مسعود بن عمرو الأزدي
٥١١	ذكر خبر أهل الكوفة
٥١٢	ذكر خبر خراسان
٥١٦	ذكر بيعة عبد الله بن الزبير
٥٢١	ذكر فراق الحوارج عبد الله
٥٢٣	ذكر مقتل نافع بن الأزرق
٥٢٤	ذكر محاربة المهلب الحوارج
٥٢٧	ذكر خبر التوابين وما كان من أمرهم